الموسوعة الأم

في

تربية





- التربية العقائدية
- التربية الفقهية
- التربية العلمية
- التربية الاجتماعية
- التربية الأخلاقية
- التربية العاطفية
- التربية الجنسية
- التربية الصحية
- التربية الغذائية
- التربية الرياضية
- التربية الأدبية
- التربية النفسية

إعداد
د. حمد مصطفى متولي







موسوعة تربوية في العبادات والمعاملات
والآداب والأخلاق

طبعة جديدة منقَّحة ومزيدة بتعليقات نخبة من العلماء

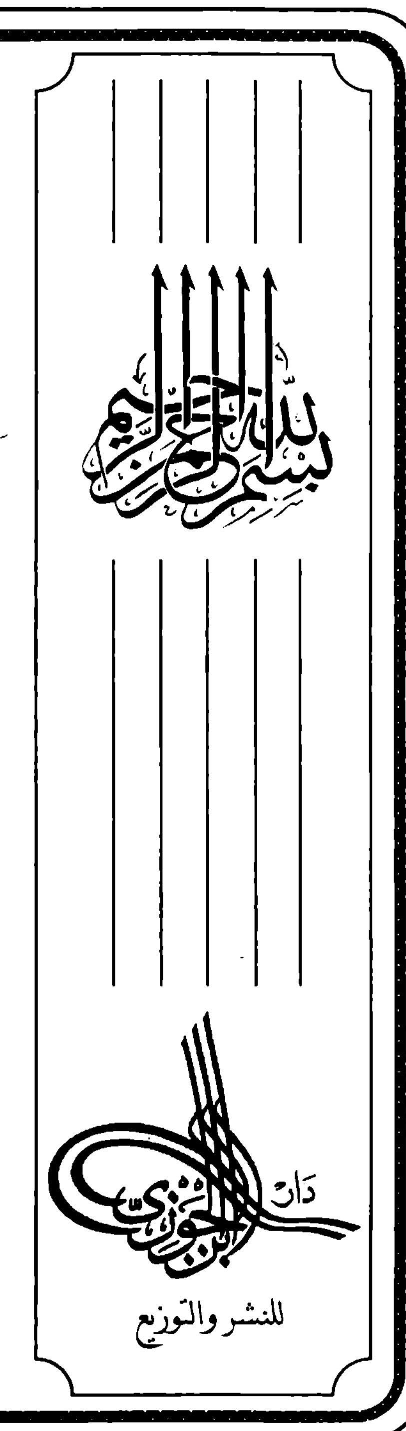
صحبة الشيخ **عبد الرحمن ناصر السعدي**	وفضيلة الشيخ **ناصر الدين الألباني**
وصحبة الشيخ **محمد الصالح العثيمين**	وفضيلة الشيخ **صالح الفوزان**

مع فتاوى

فضيلة الشيخ **عبد العزيز بن باز**	وفضيلة الشيخ **محمد الصالح العثيمين**

دكتور/ أحمد مصطفى





الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥م
رقم الإيداع:

دار ابن الجوزي
جمهورية مصر العربية ـ القاهرة
٢٢ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر
ت: ٠٠٢٠٢٠٢٥١٤٣١٤١
تليفاكس: ٠٠٢٠٢٠٢٥١١١٧٥٠





التربية الاجتماعية

مقدمة

الحمد لله الذي أحكم الأشياء كلها صنعًا[١]، وتصرَّف كما شاء إعطاءً ومنعًا[٢]، أنشأ الآدمي من قطرة[٣] فإذا هو يسعى، وخلق له عينين؛ ليُبصر المسعى ووالى لديه النعم وترًا وشفعًا.

أحمده ما أرسل سحابًا وأنبت زرعًا[٤]، وأصلي على النبي المصطفى الذي علَّم أمته شرعًا، وعلى أبي بكر الذي كانت نفقته للإسلام نفعًا، وعلى عمر ضيف الإسلام بدعوة النبي المستدعى[٥]، وعلى عثمان الذي ارتكب معه الفجَّارُ بدعًا، وعلى عليٍّ محبوب أهل السنة طبعًا[٦][٧].

---

(١) خلق كل شيءٍ فقدَّره تقديرًا، وأحسن كل شيءٍ خلقه.

(٢) يُعطي من يشاء، ويمنع من أراد، من شاء أغناه، ومن شاء أفقره ومَنْ شاء أصحَّه، ومَنْ شاء أمرضه، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

(٣) يعني: من قطرة مني.

(٤) أي: حمدًا على الدوام، حيث إرسال السحب وإنبات الزروع إلى يوم القيامة.

(٥) لأن النبي ﷺ دعا ربه ومولاه أن يُعزّ الإسلام بأحد العمرين، فكان عمر بن الخطاب.

(٦) أهل السنة والجماعة يحبون الصحابة كلهم ويفضلون أبا بكر وعمر وعثمان وعليًّا، وخُصَّ هنا عليٌّ بالذكر لضرورة السجع.

(٧) التبصرة: (١/ ١٩٢) بتصرف.

أهداف التربية الاجتماعية

للتربية الاجتماعية أهدافٌ عديدةٌ، يمكن حصرها في نقاط معدودة، هي:

١- امتثال أمر الله تعالى في حسن معاملة الآخرين.

٢- الاقتداء بسنة النبي الأمين في حسن معاملته للآخرين.

٣- التأكيد على فضل الاخوة في الله وأهميتها وقيمتها والتذكير بحقوقها وواجباتها.

٤- التأكيد على أهمية بر الوالدين وفضله وثوابه وعظيم جزائه.

٥- الترغيب في صلة الرحم والتذكير بوجوبه وفضله وآثاره.

٦- الترغيب في الإحسان إلى الجار وعدم إيذائه امتثالًا لأمر الله ولأحاديث رسول الله وبيان فضله أثره.

٧- الترغيب في الضيافة وحسن الاستقبال وإكرام الضيوف والترحيب بهم.

٨- ترويض الأولاد على كل الأخلاقيات الاجتماعية السابقة بعد تعليمهم إياها، وتذكيرهم بفضلها وجزائها وعظيم أجرها.

٩- حث الأولاد من خلال ضرب الأمثلة والصور الرائعة في الأخلاقيات الاجتماعية.

١٠- التدريب العملي للأولاد باصطحابهم في زيارة الأرحام، وزيارة الإخوان وحسن استقبال الضيوف.

١١- عيادة المرضى والتذكير بفضله وأثره وعظيم أجره.

١٢- اتباع الجنائز والصلاة على موتى المسلمين وتعويد الأولاد على ذلك عمليًّا، بعد تذكيرهم علميًّا بالفضائل والأجور.

كيف نربي أولادنا اجتماعيًّا؟

اعلم -رحمك الله- أن التربية الاجتماعية هي التي تربط الولد بمجتمعه ابتداءً من أبويه ثم رَحِمه ثم أفراد المجتمع الآخرين، ومن قصَّر في تربية أولاده اجتماعيًّا جنى ثمارًا مُرّة المذاق، وتجرَّعَ أولاده بعده الغُصص ألوانًا، فلا تراه إلا قاطعًا للأرحام، عاقًّا لوالديه، لا يعرف حق الجوار ولا حق الضيافة، ولا يراعي الحقوق الاجتماعية من عيادة المرضى، واتباع الجنائز، ولا يتصف بالأخلاق الاجتماعية الزكية؛ من إحسانٍ وجودٍ وكرمٍ وعطفٍ وعدلٍ وعفوٍ ورحمةٍ ولينٍ ورفقٍ ومواساةٍ ووفاءٍ، فتراه متكاسلًا متخاذلًا متقاعسًا منطويًا، وما ذلك إلا نتاج ثمرة التربية القاصرة التي خلت من الأساس الاجتماعي.

واعلم -رحمك الله- أن التربية الاجتماعية تبدأ بالتوجيهات النظرية وتليها التفصيلات العلمية الشرعية، وتتبعها التطبيقات العملية، أما التوجيهات النظرية فتشتمل على الآتي:

١- الترغيب في حسن معاملة الآخرين والإحسان إليهم من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة، وبذكر قصص الصالحين من المحسنين؛ عسى النفوس المتكاسلة أن تنهض بها وتعلو الهمم بذكرها.

٢- تعريف الأولاد بالأخوة وأنواعها وحقوقها والترغيب فيها بكتاب الله تعالى وسنة رسوله المصطفى ﷺ وكلمات السلف الصالح -رحمهم الله- **وذكر قصص الأخوة بين** الصالحين عليهم رحمه الله.

٣- تعريف الأولاد بحقوق الأبوين ووجوب برهما وبِصِلة الأرحام ووجوبها وبحق الجوار وحق الضيافة وعيادة المرضى وآدابها.

٤- تعريف الأولاد بالأخلاق الاجتماعية الزكية التي بها يحيون حياة طيبة مع الآخرين في ظل آداب الإسلام الاجتماعية وصفاته الزكية، مثل: الجود، والكرم، والرأفة، والرحمة، واللين، والرفق، والعطف، والعفو، والصفح، والعدل، والوفاء، والمواساة.

٥- إعلاء همم الأولاد بذكر قصص الصالحين في الأخلاق المذكورة؛ فإن لها الأثر العظيم والوقع الكبير في نفوس سامعيها من المؤمنين -بإذن رب العالمين.

٦- ضرورة تأثر الآباء والأمهات أولًا بما يقولون؛ لأن ذلك من صفات المؤمنين؛ ولأن ذلك أدعى لقبول الأبناء لما يُدعون إليه من قبل آبائهم وأمهاتهم. فإذا ما رأى الولد أباه وأمه ذوي جودٍ وكرمٍ تمثَّل بهذه الصفات في حياته وما عرف البخل ولا الشُّح، وإذا ما وجدهما ذوي عطفٍ ولينٍ ورفقٍ ورحمةٍ ورأفةٍ في معاملة الآخرين تشبهوا بهم وكانوا مثلهم في معاملاتهم، وإذا ما ألفوا آباءهم وأمهاتهم ذوي عدلٍ ومواساةٍ للمحتاجين ووفاءٍ مع الآخرين شبُّوا مثلهم؛ وفي ذلك أكبر الأثر في نفوس الأولاد من الكلمات النظرية الجوفاء التي تفتقر توجيهاتها إلى تطبيقات.

هذا وإن ما ذُكر من توجيهات مجملة، لهو آتٍ في الصفحات التالية، بصورةٍ أحسبها شافيةً كافيةً بإذن الله تعالى.

١- حسن المعاملة إلى الوالدين

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «**أمك**»، قال: ثم مَنْ؟ قال: «**أمك**». قال: ثم مَنْ؟ قال: «**أمك**». قال: ثم مَنْ، قال: «**أبوك**»[1].

٢- حسن المعاملة إلى الزوجة

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيرًا، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء**»[2].

٣- حسن معاملة الأولاد

عن النعمان بن بشير ﷺ أن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال: إني نحلتُ[3] ابني هذا غلامًا كان لي، فقال رسول الله ﷺ: «**أكُلّ ولدك نحلته مثل هذا؟**» فقال: لا، فقال رسولُ الله ﷺ: «**فأرجعه**»، وفي رواية: فقال: رسول الله ﷺ: «**أفعلت هذا بولدك كلهم؟**» قال: لا، قال: «**اتقوا الله واعدلوا في أولادكم**»، فرجع أبي فردَّ تلك الصدقة[4].

---

(١) البخاري: (١٠/ ٣٤٨)، ومسلم: (٢٥٤٨).

(٢) البخاري: (الفتح ٦/ ٣٣٣١)، ومسلم: (١٤٦٨).

(٣) نحلت: أعطيت

(٤) البخاري: (الفتح ٥/ ٢٥٨٦، ٢٥٨٧)، ومسلم: (١٦٢٣).

٤- حسن معاملة ذوي الأرحام، بصلتهم والتصدق عليهم

قال النبي ﷺ: «**الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم اثنتان: صدقةٌ وصلةٌ**»[١] وقال ﷺ: «**من أحب أن يُبسط له في رزقه ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه**»[٢].

٥- حسن معاملة الجار والضيفان

عن أبي شريح ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**»[٣].

٦- حسن معاملة المساكين والأرامل

قال النبي ﷺ: «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، وأحسبه قال: كالقائم الذي لا يفتر، وكالصائم لا يفطر**»[٤].

٧- حسن معاملة اليتيم

قال النبي ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين**» وأشار بالسبابة والوسطى وفرَّج بينهما[٥].

٨- حسن معاملة المدِين

عن أبي هريرة ﷺ أنَ رسول الله ﷺ قال: «**كان رجلٌ يداين الناس فكان يقول لفتاه: إذا أتيت معسرًا فتجاوز عنه، لعلَّ الله يتجاوز عنا، فلقي الله فتجاوز عنه**»[٦].

٩- حسن المعاملة بين البائع والمشتري

عن جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**رحم الله رجلًا سمحًا[٧] إذا باع وإذا**

---

(١) صحيح: صحيح الجامع: (٣٨٥٨).

(٢) البخاري: (٣/ ٢٥٧)، ومسلم: (٩٩٨).

(٣) البخاري: (١٠/ ٣٧٣)، ومسلم: (٤٨).

(٤) متفق عليه.

(٥) البخاري: (١٠/ ٣٦٥).

(٦) البخاري: (فتح ٤/ ٢٠٧٨)، ومسلم: (١٥٦٢) واللفظ له.

(٧) سمحًا: سهلًا ليِّنًا.

اشترى وإذا اقتضى»[١][٢].

١٠ - حسن المعاملة بين المسلمين عامّة

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد؛ إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»**[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إياكم والظنَّ، فإن الظنَّ أكذبُ الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا»**.

وقال عليه الصلاة والسلام: **«المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا ... ويشير إلى صدره ثلاث مرات»**.

وقال ﷺ: **« بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه، إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**[٤]».

---

(١) اقتضى: طلب قضاء حقه.

(٢) البخاري: (الفتح ٤/ ٢٠٧٦).

(٣) البخاري: (الفتح ١٠/ ٦٠١١).

(٤) البخاري: (الفتح ١٠/ ٦٠٦٤)، ومسلم: (٢٥٦٣)، (٢٥٦٤) واللفظ له.

آداب وأخلاق اجتماعية

الإحسان لُغةً واصطلاحًا

الإحسانُ لُغةً

ضد الإساءة، ورجلٌ محسنٌ ومِحْسانٌ، والمحاسنُ في الأعمال ضدُّ المساوئ، وقوله تعالى: ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٢]. أي: يدفعون بالكلام الحسن ما ورد عليهم من سيئ غيرهم، وحسَّنتُ الشيء تحسينًا: زيَّنته، وأحسنتُ إليه وبه[١].

الإحسانُ اصطلاحًا

قال عنه النبيُّ ﷺ: «**الإحسانُ أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

قال المناوي: الإحسانُ إسلامٌ ظاهرٌ يُقيمه إيمانٌ باطنٌ يُكمِّلُهُ إحسانٌ شهوديٌّ.

قال الراغب: الإحسانُ فعلُ ما ينبغي فعله من المعروف وهو ضربان؛ **أحدهما**: الإنعامُ على الغير. والثاني: الإحسانُ في فعله، وذلك إذا عَلِمَ عِلمًا، وعمل عملًا حسنًا، ومنه قول علي ﷺ: الناسُ أبناءُ ما يحسنون. أي: منسوبون إلى ما يعلمون ويعملون.

قال التهانوي: لفظ الحسن مطلق ويراد به اصطلاحًا واحدٌ من أمور ثلاثة؛ **الأول**: كون الشيء ملائمًا للطبع، وضده القبح بمعنى: كونه منافرًا له. **الثاني**: كون الشيء صفة كمال وضده القبح، وهو كونه صفة نقصان وذلك مثل العلم والجهل. **الثالث**: كون الشيء متعلق المدح وضده القبح بمعنى: كونه متعلق الذمِّ.

قال الكفوي[٢]: الإحسانُ هو فعل الإنسان ما ينفع غيرَه بحيث يصيرُ الغيرُ حسنًا به كإطعام الجائع، أو يصير الفاعل به حسنًا بنفسه، فعلى الأول الهمزة في أحسن للتعدية، وعلى الثاني للصيرورة، قال تعالى: ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾[البقرة: ١٣٨]. وقال تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا

---

(١) لسان العرب: (١/ ٨٧٧) بتصرف.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٤١)، المفردات للراغب: (١١٩)، كشاف اصطلاحات الفنون: (٢/ ١٤٨)، الكليات للكفوي: (٥٣).

لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠]. وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾ [السجدة: ٧]. وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [غافر: ٦٤].

الإحسان من صفات النبيين والمرسلين

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٥]. وقال تعالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾ [لقمان: ١-٣]. وقال تعالى: ﴿ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴾ [الصافات: ١١٣].

الإحسان أمر به ربُّنا

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [البقرة: ٨٣]. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٨]. وقال تعالى: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ... ﴾ [البقرة: ٢٢٩]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠]. وقال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء: ٥٣].

الإحسان رَغَّبَ فيه نبيُّنا

١ - الإحسان إلى الوالدين

قال النبي ﷺ : «**أحب الأعمال إلى الله تعالى: الصلاةُ على وقتها، ثم برُّ الوالدين، ثم الجهاد في سبيل الله**»[١]، وقال النبي ﷺ: «**رغم أنف ثم رغم أنفُ ثم رغم أنفُ مَنْ أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كلاهما فلم يدخل الجنة**»[٢]، وقال النبي ﷺ: «**رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد**»[٣]، وجاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، مَنْ أحقُّ الناس بحسن صحابتي؟ قال: «**أمك**. قال: ثم مَنْ؟ قال: **أمك**، قال: ثم مَنْ؟ قال: **أمك**، قال: ثم مَنْ؟ قال: **أبوك**»[٤].

٢ - الإحسان إلى الأهل والعيال

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**دينارٌ أنفقته في سبيل الله، ودينارٌ أنفقته على أهلك، أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك**»[٥]

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ عال جاريتين حتى تدركا، دخلتُ الجنة أنا وهو كهاتين، وضمَّ أصابعه**»[٦].

٣- الإحسان بين الزوجين

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**»[٧]، وقال النبي ﷺ: «**استوصوا بالنساء، فإن المرأة خُلقت من ضلعٍ وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت**

---

(١) صحيح الجامع: (١٦٤).
(٢) مسلم: (٢٥٥١).
(٣) صحيح الجامع: (٣٥٠٦).
(٤) البخاري: (١٠/ ٣٤٨)، ومسلم: (٢٥٤٨).
(٥) مسلم (٩٩٥).
(٦) مسلم (٢٦٣١).
(٧) مسلم (١٠٠٢).

تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء»[١]، **وقال النبي ﷺ: «إذا صلت المرأة خمسها، وحصنت فرجها، وأطاعت بعلها، دخلت من أي أبواب الجنة شاءت»**[٢].

٤- الإحسان إلى الأقارب وذوي الأرحام

قال النبي ﷺ: «**مَنْ أحبَّ أن يُبسط له في رزقه ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه**»[٣].

٥- الإحسان إلى الجار

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ما زال جبريلُ يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**»[٤].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**خيرُ الأصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره**»[٥].

٦- الإحسان إلى الضيف:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ كانَ يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**»[٦].

٧- الإحسان إلى اليتيم

قال النبي ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين**» وأشار بالسبابة والوسطى وفرَّج بينهما[٧].

٨- الإحسان إلى المساكين

قال النبي ﷺ: «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، وأحسبه قال: وكالقائم الذي لا يفتر، وكالصائم لا يفطر**»[٨].

---

(١) البخاري (الفتح -٣٣٣١)، ومسلم (٢/ ١٠٩١)، رقم (٦٠).
(٢) صحيح الجامع (٦٦٠، ٦٦١).
(٣) البخاري (٣/ ٢٥٧)، ومسلم (٩٩٨).
(٤) متفق عليه.
(٥) صحيح الترمذي (١٩٤٤)، والصحيحة (١٠٣٠).
(٦) متفق عليه.
(٧) البخاري (١٠/ ٣٦٥).
(٨) متفق عليه.

٩- الإحسان إلى ابن السبيل:

قال النبي ﷺ: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذابٌ أليمٌ: رجلٌ كان له فضلُ ماء بالطريق فمنعه ابنَ السبيل؛ ورجلٌ بايع إمامَه لا يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه منها رضي، وإن لم يعطه سخط؛ ورجلٌ أقام سلعته بعد العصر فقال: والله الذي لا إله غيره لقد أعطيت بها كذا وكذا فصدّقه رجلٌ» ثم قرأ هذه الآية: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً... ﴾[1] [عمران: ٧٧].

١٠- الإحسان إلى الحيوان

قال النبي ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليُحدّ أحُدكم شفرته، وليُرِح ذبيحته»[2].

١١- الإحسان إلى البنات

وذلك بحسن الزراعة والعناية والري والانتقاء، وإخراج الزروع والثمار، وعدم قطع الأشجار، التي يُستظل بها وإحياء الأرض الميتة وزرعها، قال النبي ﷺ: «مَنْ أحيا أرضًا ميتة فهي له...»[3]، وقال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يغرسُ غرسًا ويزرع زرعًا فيأكل منه طيرٌ أو إنسانٌ أو بهيمةٌ إلا كان له به صدقة»[4].

---

(١) مسلم (مختصر مسلم ٩٥٩).

(٢) مسلم: (٣/ ١٥٤٨).

(٣) صحيح الجامع: (٥٩٧٥، ٥٩٧٦).

(٤) صحيح الجامع: (٥٧٥٧)، والصحيحة: (٧).

جزاء المحسنين

١- معية الله تعالى: قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨]

٢- محبةُ الله تعالى للمحسنين: قال تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٥].

٣- رحمة الله عز وجل للمحسنين: قال تعالى: ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفًا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٦].

٤- الأجرُ العظيمُ للمحسنين: قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٢]. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٨-٢٩].

٥- الحسنى وزيادة للمحسنين: قال تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [يونس: ٢٦].

حقيقة الإحسان

قال الفيروزآبادي: الإحسانُ يُقال على وجهين؛ **أحدهما** : الإنعام على الغير، تقول: أحسن إلى فلان. **والثاني**: إحسانٌ في فعله؛ وذلك إذا عَلِمَ علمًا حسنًا أو عَمِلَ عملًا حسنًا، والإحسان أعمُّ من الإنعام، وقال: الإحسانُ من أفضل منازل العبودية لأنه لُبُّ الإيمان وروحه وكماله، وجميع المنازل منطويةٌ فيه. قال تعالى: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠]. وقال رسول الله ﷺ: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»، والإحسان يكون في القصد بتنقيته من شوائب الحظوظ، وتقويته بعزم لا يصحبه فتورٌ، وبتصفيته من الأكدار الدالة على كدر قصده، ويكون الإحسانُ في الأحوال بمراعاتها وصونها غيرةً عليها أن تحول[1].

---

(١) بصائر ذوي التمييز للفيروزأبادي: (٢/ ٤٦٥-٤٦٦).

درجاتُ الإحسان

قال ابن القيم ما خلاصته: الإحسانُ على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: الإحسانُ في القصد بتهذيبه علمًا وإبرامه عزمًا وتصفيته حالًا.

الدرجة الثانية: الإحسان في الأحوال، وهو أن تراعيها غَيْرَةً، وتسترها تظرُّفًا، وتُصححها تحقيقًا.

والمراد بمراعاتها: حفظها وصونها غَيْرةً عليها أن تُحوَّل فإنها تمرُّ مرَّ السحاب، وتكون المراعاةُ أيضًا بدوام الوفاء وتجنب الجفاء.

الدرجة الثالثة: الإحسانُ في الوقت وهو ألا تزايل المشاهدة أبدًا، ولا تخلط بهمتك أحدًا، والمعنى في ذلك أن تتعلَّق هِمَّتُك بالحق وحده، ولا تعلق هِمَّتُك بأحدٍ غيره[1].

ميادين الإحسان

١- مواجهةُ الملمات بالصبر عليها، قال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [هود: ١١٥].

٢-أداء الدية لولي القتيل، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ [البقرة: ١٧٨]

٣- معاملةُ المطلقات أو مَنْ يُنوي طلاقهن، قال تعالى: ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣٦]. وقال تعالى: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ [البقرة: ٢٢٩]

٤- الحربُ والجهادُ، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩]. وقال تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٥]

---

(١) المدارج: (٢/ ٤٨٠).

٥- مجاهدة النفس بكظم الغيظ ومحاربة الشُّحِّ وكبح شهوة الانتقام، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤]. وتتضمن هذه الآية الكريمة الإحسان إلى المسيء بالعفو عنه. وقد قال الغزالي: كظمُ الغيظ مرتبةٌ عاليةٌ، ولكن المرتبة الأعلى هي العفوُ عند المقدرة وتلك درجةُ الإحسان.

٦- الحوارُ الفكريُّ والتواصلُ الثقافيُّ، قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ... ﴾ [الإسراء: ٥٣].

٧- التحاورُ بين المسلمين وأهل الكتاب، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ... ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

٨- الخصومة والخلافات، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٤].

٩- معاملةُ اليتامى والضعفاء، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

١٠- العلاقاتُ السياسية والحربية، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ [الكهف: ٨٦-٨٨].

١١- العلاقاتُ الاجتماعيةُ وخاصة ما يتعلَّق بتبادل التحية وردِّ السلام، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ [النساء: ٨٦].

١٢- العلاقاتُ الاقتصادية، قال تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٧٧]. ﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1] [البقرة: ١٩٥].

---

(١) فلسفة التربية الإسلامية: (١٤٣) باختصار وتصرف.

مباحث هامة

١ - الفرقُ بين (الإحسان والحسنة)

قال الفيروزآبادي: الحسنةُ يُعبَّرُ بها عن كل ما يسرُّ من نعمةٍ تنالُ الإنسانَ في نفسه وبدنه وأحواله، قال تعالى: ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ٧٨]. أي: خصبٌ وسعةٌ وظفرٌ، أما الإحسانُ فإنه يُقال على وجهين: **أحدهما: الإنعام على الغير. والثاني**: الإحسانُ في الفعل أو العمل، وعلى هذا قول الإمام علي ﷺ: **الناس أبناءُ ما يحسنون**، أي: منسوبون إلى ما يعملونه من الأفعال الحسنة[١]. والعلاقةُ بين الأمرين واضحةٌ؛ **لأن مَنْ** يحسن إلى نفسه بإخلاص التوحيد والعبادة أو إلى غيره بالقول أو الفعل؛ **فإن ذلك يثمر له** الحُسنى وهي الجنة، فالحسنةُ والإحسانُ كلاهما مأخوذ من الحُسن الذي من شأنه أن يسُرَّ مَنْ يتحلّى به في الدنيا والآخرة.

٢ - الفرق بين الإحسان والإنعام

الإحسان أعمُّ من الإنعام أو التفضُّل على الغير؛ لأنه يشمل الإحسان إلى النفس كما يشمل الإحسانَ في النيَّةِ والفعلِ[٢].

٣- الفرقُ بين الإحسان والعدل

وفيما يتعلَّق بالعدل فإن الإحسان فوقه؛ لأنه إذا كان العدلُ يعني أن يأخذ الإنسانُ ما له ويُعطي ما عليه، فإن الإحسان يعني أن يأخذ الإنسانُ أقلَّ مما له وأن يُعطي أكثر مما عليه، فالإحسانُ بذلك زائدٌ على العدل. وإذا كان تحرِّي العدل من الواجبات فإن تحرِّي الإحسان ندبٌ وتطوعٌ، وكلاهما مأمورٌ به في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ [النحل: ٩٠]. **ففي هذه الآية** الكريمة إشارة إلى الفضل مع العدل. فالعدالةُ لا بَدَّ منها لضبط الأمور وإنصاف بعضهم من بعض، وعندما سأل عمرُ بنُ عبد العزيز محمد بن كعب القرظي -رحمهما الله- قائلًا: صف لي العدل، قال: بخٍّ سألت عن أمرٍ جسيم!! كُن لصغير الناس أبًا، ولكبيرهم ابنًا، وللمثل أخًا، وللنساءِ كذلك، وعاقب الناس على قدر ذنوبهم، ولا تضربن في غضبك سوطًا واحدًا فتكون من العادين[٣].

---

(١) بصائر ذوي التمييز.

(٢) نضرة النعيم.

(٣) المحاور الخمسة (١٩٢).

من قصص المحسنين

أبو بكر الصديق

فها هو أبو بكر الصديق، لَمَّا أقسم أن لا ينفق على مسطح ابن أثاثة وكان من أقربائه؛ لكونه تكلم في واقعة الإفك نزل قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٢]. فقال أبو بكر: بلى نحب ذلك[١] وعاد إلى الإنفاق عليه[٢].

عبد الله بن عباس

سبَّ رجلٌ ابنَ عباس رضي الله عنهما فلما فرغ قال: يا عكرمة، هل للرجل حاجة فنقضيها، فنكَّس الرجلُ رأسه واستحى[٣].

علي بن الحسين

عن علي بن الحسين رضي الله عنهما أنه سبَّه رجلٌ، فرمى إليه بخميصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم، فقال بعضُهم: جُمع له خمس خصال محمودة:

١- الحلم
٢- إسقاط الأذى
٣- تخليص الرجل مما يبعد عن الله
٤- حملة على الندم والتوبة
٥- رجوعه إلى المدح بعد الذم

اشترى جميع ذلك بشيءٍ من الدنيا يسير[٤].

الربيع بن خثيم

اشترى الربيع -رحمه الله- فرسًا بثلاثين ألفًا، فغزا عليها، ثم أرسل غلامه يسارًا يحتشُّ[٥]،

---

(١) أي: يحب أن يغفر الله له، كما جاء في الآية.

(٢) أصل الحديث في الصحيحين.

(٣) الإحياء (٣/ ١٩٠).

(٤) السابق.

(٥) أي: يأتي بحشيش كالبرسيم ونحوه للفرس.

وقام يصلي[١]، وربط فرسه، فجاء الغلام[٢]، فقال: يا ربيع، أين فرسك؟ قال: سُرقت يا يسار. قال: وأنت تنظر إليها؟! قال: نعم يا يسار، إني كنت أناجي ربي -عز وجل- فلم يشغلني عن مناجاة ربي شيء؛ اللهم إنه سرقني؛ ولم أكن لأسرقه، اللهم إن كان غنيًّا فاهده[٣]، وإن كان فقيرًا فأغنه[٤][٥].

إبراهيم التيمي

قال إبراهيم التيمي رحمه الله: إن الرجل ليظلمني فأرحمه.

قال الغزالي معلقًا: وهذا إحسانٌ وراء العفو؛ لأنه يشتغل قلبُهُ بتعرضه لمعصية الله تعالى بالظلم، وإنه يُطالب يوم القيامة فلا يكون له جواب[٦].

رجل محسن

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: ما رأيت أزهد من رجل من أهل خراسان، جلس إليَّ في المسجد، ثم قام ليطوف فُسرقت دنانير كانت معه، فجعل يبكي فقلت: أعلى الدنانير تبكي؟![٧] فقال: لا، ولكن مثلتي وإياه بين يدي الله -عز وجل-[٨] فأشرف عقلي على إدحاض حجته، فبكائي رحمة له!![٩][١٠]

---

(١) قام يصلي: قيام الليل.

(٢) فجاء الغلام: رجع الغلام.

(٣) فاهده: أي ارزقه الهداية.

(٤) فأغنه: أي أغنه من فضلك.

(٥) الزهد لأحمد (٢٣١ ، ٢٣٢).

(٦) إحياء علوم الدين (٣/ ١٩٥ ، ١٩٦).

(٧) أي: أتبكي على فقد الدنانير.

(٨) مثلتي وإياه بين يدي الله -عز وجل: أي تخيّلتُ يوم وقوفنا بين يدي الله -عز جل.

(٩) فبكائي رحمةً له: أي على موقفه يوم القيامة بعد إدحاض حجته.

(١٠) إحياء علوم الدين (٣/ ١٩٦).

ولا تغفل عن الإحسان

إذا هبَّـــت رياحُـــك فاغتنمهـــا ... فعقبـــي كـــل خافقـــةٍ ســـكون

ولا تغفـــل عـــن الإحـــسان فهيَّـــا ... فـــما تـــدري الـــسكونُ متـــى يكـــون

وإن درّت نياقُـــــك فاحتلبهـــــا ... فـــما تـــدري الفـــصيل لمـــن يكـــون

إذا ظفـــرت يـــداك فـــلا تُقـــصِّر ... فـــإن الـــدهر عادتُـــهُ يخـــون[1]

---

(١) ديوان الإمام علي (٩٤).

الإخاءُ لُغةً واصطلاحًا

الإخاء لُغةً

الأخُ من النسب معروفٌ، وهو مَنْ جمعك وإياه صلبٌ أو بطنٌ، وقد يكون الصديق والصاحب، وجمع الأخ: إخوةٌ، وإخوانٌ.

قال ابن الجوزي: الأخُ اسمٌ يُرادُ به المُساوي والمعادل.

والظاهر في التعارف: أنه يقال في النسب ثم يُستعار في مواضع تدلُّ عليها القرينةُ، ويُقال: تأخَّيتُ الشيء: أي تحرَّيتُهُ.

قال بعضُ النحويين: سُمّي الأخُ أخًا؛ لأن قصده قصدُ أخيه، وأصله من وَخَى أي: قصد، فَقُلِبت الواوُ همزةً، وآخى الرجلُ مؤاخاةً وإخاءً ووِخاءً.

قال ابنُ سِيده: تقول: بيني وبينه أُخُوَّةٌ وإخاءٌ، وتقول: آخيتُه على مثال فاعلتُه، وتأخَّيتُ أخًا: أي اتخذتُ أخًا. والتآخي: اتخاذ الإخوان. ويُقال: تأخَّى الرجلُ: اتخذه أخًا أو دعاه أخًا.

قال أبو حاتم: قال أهلُ البصرة أجمعون: الإخَوةُ في النسب، والإخوانُ في الصداقة، تقول: قال رجلٌ من إخواني وأصدقائي، فإذا كان في النسب قالوا: إخوتي. قال: وهذا غلطٌ، يُقال للأصدقاء وغير الأصدقاء إخوةٌ وإخوان.

قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]. ولم يعَنِ النسب، وقال: ﴿ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ ﴾ [النور: ٦١]. وهذا في النسب، وقال: ﴿ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٥]. والأختُ: أنثى الأخ. صيغةٌ على غير بناء المذكر، والتاء بدلٌ من الواو وليست التاءُ فيها بعلامة تأنيث، والجمع: أخواتٌ[1].

---

(١) لسان العرب (١٤/ ٢٣١٩)، ونزعة الأعين النواظر (١٣١).

الإخاء اصطلاحًا

قال الكفوي: الأخُ: كُلُّ مَنْ جمعك وإياه صُلبٌ أو بطنٌ، والإخوةُ تستعمل في النسب والمشابهة والمشاركة في شيءٍ.

قال المناوي: الأخُ هو الناشئ مع أخيه من منشأ واحدٍ على السواء بوجهٍ ما.

قال ابن حجر في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ يعني: في التّوادُد وشمول الدعوة.

وقيل: هو مشاركة شخصٍ لآخر في الولادة من الطرفين أو أحدهما أو من الرضاع.

ويُستعار لكل مشاركٍ لغيره في القبيلة أو في الدين، أو في صنعةٍ، أو في معاملةٍ، أو في مودة، أو في غير ذلك من المناسبات(١).

الآياتُ الواردة في (الأخوة)

١ - أُخُوَّةُ النسب

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأنعام: ٨٧]. وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ۝ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٥١-٥٣].

٢ - أُخُوَّةُ القبيلة

قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء: ١٠٥-١٠٦]. وقال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء: ١٢٣-١٢٤]. وقال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء: ١٤١-١٤٢]. وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا

---

(١) الفتح (٧/ ٣١٧)، والكليات للكفوي (٦٣)، والمفردات للراغب (١٣)، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (٤١).

أنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [النمل: ٤٥]. وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأحقاف: ٢١]. وقال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ۝ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴾ [ق: ١٢ - ١٣].

٣- أُخُوَّةُ الدين

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١٢]. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٨]. وقال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ۝ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٩-٢٢٠]. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢-١٠٣]. وقال تعالى: ﴿ ٱشْتَرَوْاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ۝ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٩-١١]. وقال تعالى: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ

فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ١٠]. وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [الحشر: ١٠، ١١].

٤- أُخُوَّةُ المودة والمحبة

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۞ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ۞ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ [الحجر: ٤٥-٤٧].

٥- أُخُوَّةُ الصحبة

قال تعالى: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الأحزاب: ١٨]. وقال تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ۞ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ۞ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴾ [ص: ٢١-٢٣].

الأحاديث الواردة في (الأخوة)

١- عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الأولى والآخرة»، قالوا: كيف يا رسول الله؟! قال: الأنبياءُ إخوةٌ من عَلاَّتٍ[1]، أمهاتُهم شتى ودينهم واحدٌ فليس بيننا نبيٌّ»[2].

٢- وعن أنس ﷺ أن رسولَ الله ﷺ: آخى بين أبي عبيدة بن الجرَّاح وبين أبي طلحة[3].

٣- وعن عروة ﷺ أن النبي ﷺ خطب عائشة من أبي بكر، فقال له أبو بكر: إنما أنا

---

(١) أبناء علات: مَنْ كان أبوهم واحدًا وأمهاتهم شتى.

(٢) البخاري- الفتح (٦/ ٣٤٤٣)، ومسلم (٢٣٦٥) واللفظ له.

(٣) مسلم (٢٥٢٨).

أخوك، فقال له: أنت أخي في دين الله وكتابه، وهي لي حَلاَلٌ[١].

٤- وعن المقدام بن معد يكرب ﷺ قال: «**إذا أحبَّ أحدُكم أخاه فليُخبره أنه يُحبُّه**»[٢].

٥- وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إن رجلًا زار أخًا له في قريةٍ أخرى فأرصد الله له على مدرجته**[٣] **ملكًا، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟، قال: أريدُ أخًا لي في هذه القرية. قال: هل لك عليه من نعمةٍ تربها**[٤]**؟ قال: لا، غير أني أحببتُه في الله -عزَّ وجلَّ-، قال: فإني رسولُ الله إليك، بأن الله قد أحبَّك كما أحببته فيه**»[٥].

٦- وعن أبي سعيد ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**لا تصاحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقيٌّ**»[٦].

٧- وعن صفوان -وهو ابن عبد الله بن صفوان- وكانت تحته الدرداء. قال: قدمتُ الشام، فأتيتُ أبا الدرداء في منزله فلم أجده ووجدتُ أم الدرداء. فقالت: أتريدُ الحجَّ العام؟ قلتُ: نعم، قالت: فادعُ الله لنا بخير، فإن النبي ﷺ كان يقول: «**دعوةُ المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة عند رأسه ملكٌ مُوَكَّلٌ، كلما دعا لأخيه بخيرٍ قال الملكُ المُوَكَّلُ به: آمين ولك بمثله**»[٧].

٨- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عبادَ الله إخوانًا، المسلمُ أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا**» ويُشير إلى صدره ثلاث مراتٍ « **بحسب امرئ**

---

١) البخاري- الفتح (٩/ ٥٠٨١).

٢) أبو داود (٥١٢٤) واللفظ له، والترمذي (٢٣٩٣) وصححه الألباني في الصحيحة (١/ ٧٠٣).

٣) أي: في طريقه.

٤) أي: تقوم بإصلاحها وتنهض إليه بسببها.

٥) مسلم (٢٥٦٧).

٦) أبو داود (٤٨٣٢) وحسنه الألباني (٣/ ٩١٧) في صحيح أبي داود.

٧) مسلم (٢٧٣٣).

من الشَّرِّ أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمُهُ وماله وعرضُهُ»[١].

٩- وعن أبي أيوب الأنصاري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا يَحِلُّ لرجلٍ أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ، يلتقيان فيُعرض هذا ويُعرضُ هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»[٢].

١٠- وعن أبي ذرٍ ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طُلقٍ»[٣].

١١- وعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ: «المؤمنُ مَرآةُ المؤمن، والمؤمنُ أخو المؤمن، يكُفُّ عليه ضيعته ويحوطه من ورائه»[٤].

١٢- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الأرواح جنودٌ مجنَّدةٌ فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»[٥].

١٣- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ نفَّس عن مؤمنٍ كُربةً من كُرَبِ الدنيا نفَّس الله عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَومِ القِيَامَةِ، ومَنْ يسَّر على مُعسرٍ يَسَّرَ الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبدُ في عون أخيه، ومَنْ سلك طريقًا يلتمُس فيه علمًا سَهَّلَ الله له به طريقًا إلى الجنة، وما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوتِ الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومَنْ بطَّأ به عملُهُ لم يُسرع به نسبُه»[٦].

١٤- وعن المعرور قال: لقيتُ أبا ذرٍ بالربَذة وعليه حُلَّةٌ وعلى غلامه حُلَّةٌ فسألته عن ذلك فقال: إني ساببتُ رجلًا فعيَّرتُه بأُمِّه، فقال لي النبيُّ ﷺ: «يا أبا ذر، أعيَّرته بأمِّهِ؟ إنك

---

(١) البخاري- الفتح (٥/ ٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٦٤).
(٢) البخاري- الفتح (١٠/ ٦٠٧٧)، واللفظ له، ومسلم (٢٥٦٠)
(٣) مسلم (٢٦٢٦).
(٤) أبو داود (٤٩١٨)، وحسنه الألباني (٤١١٠) في صحيح أبي داود.
(٥) مسلم (٢٦٣٨).
(٦) مسلم (٢٦٩٩) واللفظ له.

امرؤٌ فيك جاهليةٌ، إخوانكم خَوَلُكُم، جعلهمُ الله تحت أيديكم، فمَنْ كان أخوه تحت يده فليُطعمه مما يأكل، وليُلبسه مما يلبس، ولا تُكلِّفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم»[١]

١٥- وعن معاذ بن جبل ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: قال الله -عز وجل-: «المتحابون في جلالي لهم منابرٌ من نورٍ يغبطهم النبيُّون والشهداءُ».

١٦- وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : «سبعةٌ يظلهم الله في ظِلِّهِ يوم لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ: الإمام العادل، وشابٌّ نشأ بعبادة الله، ورجلٌ قلبُهُ معلَّقٌ في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه، ورجلٌ دعته امرأةٌ ذاتُ منصبٍ وجمالٍ فقال: إني أخافُ الله، ورجلٌ تصدَّق بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلم يمينُهُ ما تنفقُ شمالُهُ، ورجلٌ ذكر اللهَ خاليًا ففاضت عيناه»[٢].

أقوال العلماء في الأُخُوة

١- قال عمر بن الخطاب ﷺ: آخِ الإخوان على قدر التقوى، ولا تجعل حديثك بُذلة إلا عند مَنْ يشتهيه، ولا تضع حاجتك إلا عند مَنْ يحبُّ قضاءها، ولا تغبط الأحياء بما تغبط الأموات، وشاور في أمرك الذين يخشون الله -عز وجل[٣].

٢- وقال أيضًا : إذا رزقك الله وُدَّ امرئ مُسلمٍ فتمسك به[٤].

٣- وقال أيضًا: عليك بإخوان الصدق فعِشْ في أكنافهم فإنهم زيْنٌ في الرخاء، وعُدَّةٌ في البلاء[٥].

٤- وقال عليٌّ ﷺ: مَنْ لم يحمد أخاه على حُسنِ النية لم يحمده على حسن الصنعةِ[٦]

---

(١) البخاري – الفتح (١/ ٣٠) واللفظ له، ومسلم (١٦٦١).
(٢) البخاري – الفتح (٢/ ٦٦٠) ومسلم (١٠٣١) واللفظ له.
(٣) كتاب الإخوان لابن أبي الدنيا (١٢٦).
(٤) المنتقى من مكارم الأخلاق (١٥٩).
(٥) كتاب الإخوان (١١٦).
(٦) المرجع السابق (١٤٩).

٥- وقال عبدُ الله بنُ مسعود ﷺ: اعتبروا الناس بإخوانهم، فإن الرجل يُخادنُ مَنْ يعجبه نحوه[(١)].

٦- وقال أيضًا: كنا إذا افتقدنا الأخ أتيناه فإن كان مريَضًا كانت عيادة، وإن كان مشغولًا كانت عَوْنًا، وإن كان غير ذلك كانت زيارة[(٢)].

٧- وعن ابن عمر ﷺ قال: إذا أقسم أحدُكم على أخيه فليبرَّه، فإن لم يفعل فليُكفِّر الذي أقسم عن يمينه[(٣)].

٨- وقال ابنُ عباس ﷺ: أحبُّ الإخوان إليَّ الذي إذا أتيتُه قَبِلَني، وإذا رَغِبْتُ عنه عذرني[(٤)].

٩- وقال سعيدُ بنُ المُسيب ﷺ: كتبت إلى بعض إخواني من الصحابة أن ضع أمر أخيك على الأحسن ما لم تُغْلَب[(٥)].

١٠- وعن الأوزاعي -رحمه الله- قال: سمعتُ بلال بن سعد بن تميم يقول: أخ لك كلما لقيك ذكَّرك بحظك من الله، خيرٌ لك من أخٍ كلما لقيك وضع في كفك دينارًا[(٦)].

١١- وقال ابن الحسن الورّاق، وقد سأل أبا عثمان عن الصحبة قال: هي مع الله بالأدب، ومع الرسول -عليه السلام- بملازمة العلم واتباع السُّنَّةِ، ومع الأولياء بالاحترام والخدمة، ومع الإخوان بالبشر والانبساط، وترك وجوه الإنكار عليهم، ما لم يكن خرْق شريعة أو هتك حُرمة، قال الله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. والصحبةُ مع الجهال بالنظر إليهم بعين الرحمة، ورؤية نعمة

---

(١) المرجع السابق (١٢٠).
(٢) آداب العشرة (٤٣).
(٣) المنتقى من مكارم الأخلاق (١٠٦).
(٤) كتاب الأخوان (١٣٤).
(٥) آداب العشرة (١٦).
(٦) كتاب الإخوان (١٥٠).

الله عليك إذ لم يجعلك مثلهم، والدعاء لله أن يعافيك من بلاء الجهل[١].

١٢- عن محمد بن كعب القرظي أنه أوصى عمر بن عبد العزيز فقال له: يا عمر بن عبد العزيز، أوصيك بأمة محمدٍ خيرًا، مَنْ كان منهم دونك فاجعله بمنزلة ابنك، ومَنْ كان منهم فوقك فاجعله بمنزلة أبيك، ومَنْ كان منهم سِنَّك فاجعله بمنزله أخيك، فبر أباك وصل أخاك وعاهد ولدك، فقَال عمر: جزاك الله يا محمد بن كعب خيرًا[٢].

١٣- قال الحسنُ رحمه الله: المؤمن مرآةُ أخيه، إن رأى فيه ما لا يعُجبه سدَّدَهُ وقوَّمَهُ، وحاطه وحفظهُ في السر والعلانية، إن لك من خليلك نصيبًا، وإن لك نصيبًا من ذكر من أحببت، فثِقوا بالأصحاب والإخوان والمجالِس[٣].

١٤- كتب الأحنفُ بن قيسٍ مع رجل صديق له: أما بعدُ، فإذا قدم عليك أخٌ لك موافقٌ فليكن منك مكان سمعك وبصرك، فإن الأخ الموافق أفضلُ من الولد المخالف؛ ألا تسمعُ قول الله عز وجل لنوحٍ في شأن ابنه ﴿ قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ [هود: ٤٦]، يقول: ليس من أهل مِلَّتك فانظر إلى هذا وأشباهه فاجعلهم كنوزَك وذخائرَك، وأصحابك في سفرك وحضرك، فإنَّك إن تُقرِّبهم تَقرَّبُوا منك، وإن تُباعِدهم يستغنوا بالله عزَّ وجلَّ والسلام[٤].

١٥- كنتُ مع محمد بن واسع بمرو، فأتاه عطاءُ بنُ أبي مسلم، ومعه ابنه عثمان، فقال لمحمدٍ: أيُّ العمل في الدنيا أفضل؟ قال: صُحبةُ الأصحاب ومحادثةُ الإخوان إذا اصطحبوا على البر والتقوى، قال: فحينئذٍ يذهبُ الله -عز وجل- بالحلاوة بينهم، فوصلوا وتواصلوا، ولا خير في صحبة الأصحاب ومحادثة الإخوان إذا كانوا عبيد بطونهم؛ لأنهم إذا كانوا كذلك ثبط بعضُهم بعضًا عن الآخرة[٥].

---

(١) آداب العشرة (٢٠).

(٢) المنتقى من مكارم الأخلاق (١٥٧).

(٣) كتاب الإخوان (١٣١).

(٤) آداب العشرة (٣٧).

(٥) كتاب الإخوان (١٢٨).

١٦- وعن مالك بن دينار أنه قال لختنه(١): يا مغيرةُ، انظر كُلَّ أخٍ لك وصاحب لك، وصديق لك لا تستفيدُ في دينك منه خيرًا فانبذ عنك صحبته، فإنما ذلك لك عدوٌّ. يا مغيرةُ، الناسُ أشكالٌ: الحمامُ مع الحمام، والغرابُ مع الغراب، والصعو مع الصعو(٢)، وكُلٌّ مع شكله(٣).

١٧- وعن معاوية بن قُرَّة قال: نثرنا المودَّة والإخاء، فلم نجد أثبت مودَّةً من ذي أصل(٤).

١٨- وقال حمدون القصَّار: إذا زلَّ أخٌ من إخوانك، فاطلب له تسعين عُذرًا، فإن لم يقبل ذلك فأنت المعيب(٥).

١٩- وقال أبو سليمان الداراني: لو أن الدنيا كلها في لُقمةٍ ثم جاءني أخٌ لأحببتُ أن أضعها في فيه(٦).

٢٠- وعن عمر بن عبد العزيز قال: ما أعطيتُ أحدًا مالًا إلا وأنا أستقلُّهُ، وإني لأستحي من الله -عز وجل- إن سألتُ الله -عزَّ وجلَّ- لأخ من إخواني وأبخلُ عنه بالدنيا، وإذا كان يومُ القيامة قيل لي: لو كانت الدنيا بيدك كنت أبخلَ(٧).

٢١- وقال رجلٌ لداود الطائي: أوصني، قال: اصحب أهلَ التقوى، فإنهم أيسرُ أهل الدنيا عليك مؤونة، وأكثرهم لك معونة(٨).

٢٢- وقال ابن المبارك: مَنْ استخفَّ بالعلماء ذهبت آخرتهُ، ومَن استخفَّ بالأمُراء ذهبت دنياه، ومن استَخفَّ بالإخوان ذهبت مروءته(٩).

---

(١) الختن: الصهر أو كل ما كان من قبل المرأة كأبيها وأخيها.
(٢) طائرٌ أصغرُ من العصفور.
(٣) المنتقى من مكارم الأخلاق (١٥٩).
(٤) كتاب الإخوان (١٣٢).
(٥) آداب العشرة (٩).
(٦) كتاب الإخوان (٢٣٥).
(٧) المرجع السابق (٢١٤).
(٨) كتاب الإخوان (١٢٤).
(٩) آداب العشرة (١٨).

٢٣- وعن أبي عبد الرحمن البصري عن أبيه، أن رجلًا من عبد القيس قال لابنه: أي بُني لا تؤاخِ أحدًا حتى تعرف موارد أموره ومصادرها، فإذا استطبت منه الخبر، ورضيت منه العشرة فآخه على إقالةِ العثرة والمواساة عند العُسرة[1].

٢٤- وكتب عالمٌ إلى مَنْ هو مثله أن اكتب بشيءٍ ينفعني في عمري: فكتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم، استوحش مَنْ لا إخوان له، وفرَّطَ المقصِّرُ في طلبهم، وأشدُّ تفريطًا مَنْ ظفر بواحدٍ منهم فضيَّعه، ولو وجد أن الكبريت الأحمر أيسر مِن وِجدَانه، والناسُ ثلاثةٌ: مَعرِفةٌ، وأصدقاء وإخوانٌ؛ فالمعرفةُ بين الناس كثيرةٌ، والأصدقاءُ عزيزةٌ، والأخُ قلَّما يُوجَدُ[2].

٢٥- وسُئلَ بعضُ الحكماءِ: أيُّ الكنوز خيرٌ؟ قال: أما بعدُ، تقوى الله فالأخُ الصالحُ[3].

٢٦- وقال أبو زرعة بن عمرو بن جرير: ما تحابَّ رجلان في الله -عزَّ وجلَّ- إلا كان أفضلهما أشدهما حبًّا لصاحبه[4]، وكان يقول: اصحبْ مَنْ إن صحبته زانك، وإن خدمته صانك، وإن أصابتك خصاصةٌ مانك، وإن رأى منك حسنة سرَّ بها وأن رأى منك سقطة سترها ومن إذا قُلتَ صدَّق قولك، ومَنْ هو فوقك في الدين ودونك في الدنيا، وكُلُّ أخٍ وجليسٍ وصاحبٍ لا تستفيدُ منه في دينك فانبذ عنك صحبته[5].

٢٧- وقال الحسن: كُنَّا نعدُّ البخيل الذي يقرضُ أخاه[6]، وقال أيضًا: ليس من المروءة أن يربح الرجلُ على صديقه[7].

٢٨- قال أبو إياس: إذا اصطحب الرجلان فتقدَّم أحدُهما صاحبه فقد أساء الصُّحبةَ.

---

(١) كتاب الإخوان (١٣٣).
(٢) آداب العشرة (١٩)
(٣) كتاب الإخوان (١٣٣).
(٤) التبصرة (٢/ ٣٠١).
(٥) التبصرة (٢/ ٣٠١).
(٦) المرجع السابق (٢/ ٣٠٢).
(٧) المرجع السابق (٢/ ٣٠٢).

٢٩- وقال عبدُ الله بن قيس: **من حق الصاحب على صاحبه، إذا بالت دابتُه أن يقف له.**

٣٠- قال بكرُ بن عبد الله: **إذا كنت مع صاحب لك فتخلَّف يبول فلم تقم عليه حتى يقضي بوله فلست له بصاحبٍ، وإذا ما انقطع شسعه فقام يُصلحه، فلم تقم عليه، فلست له بصاحبٍ.**

حقوق الأخوة

الحقُّ الأول: قضاءُ الحاجات والقيامُ بها، وذلك درجات:

١- أدناها: القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة، لكن مع البشاشة والاستبشار.

٢- أوسطها: القيام بالحوائج من غير سؤال.

٣- أعلاها: تقديم حوائجه على حوائج النفس.

الحقُّ الثاني: على اللسان، بالسكوت تارة، وبالنطق أخرى.

أما السكوت: فهو أن يسكت عن ذكر عيوبه في حضوره وغيبته وعن الردِّ عليه ومماراته ومناقشته، وعن السؤال عما يكره ظهوره من أحواله، ولا يقدح في أحبابه وأهله، ولا يُبلِّغه قدح غيره فيه.

الحقُّ الثالث: ينبغي أن يسكت عن كل ما يكرهه

إلا إذا وجب عليه النطق في أمرٍ بمعروفٍ، أو نهي عن منكر، ولم يجد رخصةً في السكوت، فإن مواجهته بذلك إحسانٌ إليه في المعنى، واعلم أن سوء الظن يدعو إلى التجسس المنهي عنه، وأن ستر العيوب والتغافل عنها سيمةُ أهل الدين.

الحقُّ الرابع: على اللسان بالنطق

فإن الأخوة كما تقتضي السكوت عن المكروه، تقتضي النطق بالمحبوب، بل هو أخصُّ بالأخوة. لأن مَنْ قنع بالسكوت صاحب أهل القبور، وإنما يُراد الإخوان ليُستفاد منهم لا ليتخلَّص منهم؛ لأن السكوت معناه كف الأذى؛ فعليه أن يتودد إليه بلسانه، ويتفقده في أحواله، ويسأل عما عرض له، ويظهر له شغل قلبه بسببه، ويُبدي السرور بما يُسرُّ به.

حقٌّ الخامس: الدعاء للأخ في حياته وبعد موته بكل ما تدعو به لنفسك

وكان أبو الدرداء ﷺ يدعو لخلقٍ كثيرٍ من إخوانه يُسمِّيهم بأسمائهم، وكان أحمد بن حنبل يدعو في السحر لستةِ نفرٍ.

حقٌّ السادس: الوفاء والإخلاص

ومعنى الوفاء: الثبات على الحب إلى الموت وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه، ومن الوفاء أن لا يتغيَّر على أخيه في التواضع، وإن ارتفع شأنه واتسعت ولايتُهُ وعظم جاهه.

حقٌّ السابعُ: التخفيفُ وتركُ التكلُّف

وذلك أن لا يُكلِّف أخاه ما يشقُّ عليه، بل يُروِّحُ سرَّه عن مهماته وحاجاته، ولا يستمدُّ من جاهه ولا ماله، ولا يكلفه التفقد لأحواله، والقيام بحقوقه، والتواضع له، بل يكون قصدُهُ بمحبته الله وحده.

وقال جعفر بن محمد: أثقلُ إخواني عليَّ من يتكلَّفُ لي وأتحفَّظُ منه، وأخفُّهم على قلبي من أكون معه كما أكون وحدي.

وقال بعض الحكماء: من سقطت كلفتُهُ، دامت أُلفتُهُ[1].

---

[1] مختصر منهاج القاصدين (١٠٠-١٠٤) باختصار.

من قصص الأخوة

١- يا طولها من ليلةٍ!!

عن الحسن -رحمه الله- قال: كان عمر بن الخطاب ﷺ يذكر الرجل من إخوانه في بعض الليل، فيقول: يا طولها من ليلةٍ!! فإذا صلى المكتوبة غدا إليه، فإذا التقيا عانقه[١].

٢- بارك الله لك في أهلك ومالك

عن أنس ﷺ قال: قدم عبد الرحمن بن عوف، فآخى النبيُّ ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري، فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله، فقال عبد الرحمن بن عوف: بارك الله لك في أهلك ومالك، دُلني على السوق، فربح شيئًا من أقط وسمنٍ، فرآه النبي ﷺ بعد أيام وعليه وضَرٌ من صفرة[٢] فقال النبي ﷺ: «**مَهْيَم يا عبد الرحمن**»؟! قال: يا رسول الله، تزوجتُ امرأة من الأنصار. قال: فما سُقتَ إليها؟ قال: وزن نواةٍ من ذهب، فقال النبي ﷺ : «**أَوْلِمْ ولو بشاة**»[٣].

٣- تمنيتُ أني لم أخرج معه!!

عن مصعب بن أحمد بن مصعب قال: قدم أبو محمد المروزي إلى بغداد يريد مكة، وكنتُ أحبُّ أن أصحبه فأتيتُه واستأذنتهُ في الصحبة، فلم يأذن لي في تلك السنة ثم قدم سنة ثانية وثالثة، فأتيته فسلَّمتُ عليه وسألتهُ. فقال: أعزم على شرط: أن يكون أحدنا الأمير لا يخالفه الآخر فقال: أنت الأمير. فقال: لا، بل أنت؛ فقلتُ: أنت أسنُّ وأولى، فقال: فلا تعصني فقلت: نعم، فخرجُت معه، وكان إذا حضر الطعام يُؤثرني فإذا عارضتُه بشيءٍ، قال: ألم أشرط عليك ألا تخالفني فكان هذا دأبنا حتى ندمتُ على صحبته، لما يُلحق نفسه من الضرر فأصابنا في بعض الأيام مطرٌ شديد ونحن نسير فقال لي: أبا أحمد اطلب الميل[٤].

ثم قال لي: اقعد في أصله، فأقعدني في أصله، وجعل يديه على الميل وهو قائمٌ قد حنا عليَّ،

---

(١) كتاب الإخوان (١٤٩).

(٢) الوضر: الأثر من الصفرة والحمرة والطيب.

(٣) مهيم: كلمة يمانية معناها: ما أمرك أو كيف حالك؟

(٤) الميل: الحجر القائمُ يُبنى للمسافر.

وعليه كساءٌ وقد تجلَّل به يُظللني من المطر حتى تمنيت أني لم أخرج معه لما يُلحق نفسه من الضرر، فلم يزل هذا دأبُهُ حتى دخل مكة -رحمة الله عليه[١].

٤- فقمتُ مقام الباب

خرج إبراهيمُ بن أدهم -رحمه الله- في سفرٍ ومعه ثلاثة نفرٍ، فدخلوا مسجدًا في بعض المفاوز والبرد شديدٌ وليس للمسجد بابٌ فلما ناموا قام إبراهيمُ فوقف على الباب إلى الصباح، فقيل له: لِمَ لَمْ تنم؟ فقال: خشيتُ أن يصيبكم البردُ فقمتُ مقام الباب[٢].

٥- هلَّا تعلّلت له؟!!

جاء رجلٌ إلى بيت صديقٍ له، فخرج إليه، فقال: ما جاء بك؟ قال: عليَّ أربعمائة درهم؛ فدخل الدار فوزنها، ثم خرج فأعطاه، ثم عاد إلى الدار باكيًا فقالت زوجته: هل تعللت له، إذا كان إعطاؤه يشقُّ عليك؟! فقال: إنما أبكي لأني لم أتفقد حاله، فاحتاج أن يقول لي ذلك[٣].

إن أخاك الحق من كان معك ... ومن يضرُّ نفسه لينفعك
حتى إذا ريبُ الزمان صدَّعك ... شتَّتَ فيك شمله ليجمعك

---

١) صفة الصفوة (٤/١٤٨-١٤٩).

٢) التبصرة (٢/٣٠٣).

٣) السابق (٢/٣٠٣، ٣٠٤)

برُّ الوالدين
لُغةً واصطلاحًا

برُّ الوالدين لُغةً

البِرُّ مصدرٌ مأخوذ من مادة (ب ر ر) التي يقول عنها ابنُ فارس: الباءُ والراءُ في المضاعف أربعةُ أصول: هي الصدق، وحكايةُ صوتٍ، وخلافُ البحر، ونبتٌ، ويرجعُ برُّ الوالدين إلى المعنى الأول وهو الصدق.

قال الجوهري: البرُّ خلافُ العقوق تقول: بررتُ والدي (بفتح الراء الأولى وكسرها) أَبَرُّه بِرًّا: فأنا برٌّ به وبارٌّ به.

قال ابنُ منظور: وهو (البرُّ) في حقهما وحقِّ الأقربين من الأهل، ضدُّ العقوق.

ومن معاني البرِّ أيضًا: الصلةُ، والجنةُ، والخيرُ، والطاعةُ، والحجُّ، والاتساعُ في الإحسان، وحسنُ الخلق[١].

برُّ الوالدين اصطلاحًا

هو الإحسان إلى الوالدين والتعطُّف عليهما والرفق بهما والرعايةُ لأحوالهما وعدمُ الإساءة إليهما، وإكرامُ صديقهما من بعدهما[٢].

---

(١) لسان العرب (٢٥٣) مادة (ب ر ر)، والصحاح (٢/ ٥٨٨)، والقاموس المحيط (٤٤٤). والنهاية (١/ ١١٦).

(٢) بصائر ذوي التمييز (٢/ ٢١١).

الآيات الواردة في (برّ الوالدين)

١- برُّ الوالدين من صفات الأنبياء والمرسلين

قال تعالى: ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ۝ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ۝ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ [مريم: ١٢-١٤]. وقال تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ۝ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ [مريم: ٣٠-٣٢].

٢- الأمرُ ببِرّ الوالدين

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [البقرة: ٨٣]. وقال تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥١]. وقال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ [الإسراء: ٢٣]. وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [لقمان: ١٤]. وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٥].

الأحاديث الواردة في بر الوالدين

قال ابن عباس ﷺ: **إني لا أعلم عملًا أقرب إلى الله -عز وجل- من برِّ الوالدة**[١].

قال طاوس رحمه الله: **إن من السُّنَّةِ أن نوقِّر أربعةً: العالم، وذي الشيبة، والسلطان، والوالد**[٢].

قال وهبُ بنُ مُنبِّه رحمه الله: **البرُّ بالوالدين يزيدُ في العمر**[٣].

سُئل الحسنُ البصريُّ: **ما برُّ الوالدين؟ قال: أن تبذل لهما ما ملكت وأن تطيعهما فيما أمراك به إلا أن يكون معصية**[٤].

قال الإمامُ أحمد رحمه الله: **برُّ الوالدين كفارة الكبائر.**

وذكر أبو الليث السمرقندي: **إن من حقوق الوالد على ولده أن يُطعمه إذا احتاج إلى طعمة ويكسوه إذا قَدَرَ**[٥].

---

(١) الأدب المفرد للبخاري (٣).

(٢) الدر المنثور للسيوطي (٥/ ٢٦٧).

(٣) المرجع السابق (٥/ ٢٧٠).

(٤) المرجع السابق (٥/ ٢٥٩).

(٥) تنبيه الغافلين (١/ ١٣٧)، وغذاء الألباب (١/ ٣٨٩-٣٩٠).

من قصص البر

ابنُ عون

نادت أمُّ عبد الله بن عون عبدَ الله، فأجابها، فعلا صوتُه على صوتها فأعتق رقبتين.

الفضل بنُ يحيى

كان الفضلُ بن يحيى أبرَّ الناس بأبيه، بلغ من بِرِّه إياه أنهما كانا في السجن، وكان يحيى لا يتوضأ إلا بماء ساخن، فمنعهما السجَّان من إدخال الحطب في ليلة باردة فلما نام يحيى، قام الفضلُ إلى قمقمة وملأها ماءً، ثم أدناه من المصباح ولم يزل قائمًا وهو في يده حتى أصبح[١].

كهمس الدَّعَّاء

عن أبي عبد الرحمن الحنفي قال: رأى كهمس بن الحسن عقربًا في البيت فأراد أن يقتلها أو يأخذها، فسبقته إلى جحرها، فأدخل يده في الجحر يأخذها، وجعلت تضربه، فقيل له: ما أردت إلى هذا؟ لِمَ أدخلت يدك في جحرها تُخرجها؟ قال: إني خفتُ أن تخرج من الجحر فتجيء إلى أمي فتلدغها[٢].

وعن الحسن بن نوح قال: كان كهمس يعمل في الجصِّ كل يومٍ بدانقين، فإذا أمسى اشترى به فاكهة فأتى بها إلى أمه[٣].

طلق بن حبيب

وكان طلق بن حبيب من العبَّاد والعلماء وكان يُقَبِّلُ رأس أمه، وكان لا يمشي فوق ظهر بيتٍ وهي تحته إجلالًا لها[٤].

---

(١) بر الوالدين للطرطوشي (٧٨).

(٢) الحلية (٦/ ٢١١، ٢١٢).

(٣) الحلية (٦/ ٢١١، ٢١٢).

(٤) بر الوالدين للطرطوشي (٧٨، ٧٩).

حيوةُ بنُ شريح

وكان حيوة بن شريح وهو أحد أئمة المسلمين يقعد في حلقته يعلم الناس، فتقول له أمه: قم يا حيوة، فألقِ الشعير للدجاج، فيقومُ ويترك التعليم[١].

الهذيل

عن هشام بن حسَّان قال: كان الهذيل بن حفصة يجمع الحطب في الصيف فيُقشِّرة، ويأخذ القصب فيفلقه، قالت حفصة: وكنتُ أجد قرَّة ، فكان إذا جاء الشتاء جاء بالكانون فيضعه خلفي وأنا في مصلاي، ثم يقعد فيوقد بذلك الحطب المقشَّر وذلك القصب المفلَّق وقودًا لا يؤذي دخانهُ ويدفئني، نمكث بذلك ما شاء اللهُ، قالت: وعنده ما يكفيه لو أراد ذلك، قالت: وربما أردت أن أنصرف إليه، فأقول: يا بني ارجع إلى أهلك[٢].

منصورُ بنُ المعتمر

حدثنا الأخنسي قال: سمعتُ أبا بكر يقول: كنتُ مع منصور جالسًا في منزله، فتصيحُ به أُمُّهُ وكانت فظَّة عليه فتقول: يا منصور، يريدك ابنُ هبيرة على القضاء فتأبى!! وهو واضعٌ لحيته على صدره ما يرفع طرفه إليها[٣].

مسعرُ بنُ كدام

قال محمد بن سعد: كانت لمسعر بن كدام أمٌّ عابدة، فكان يحمل لها لبدًا، ويمشي معها حتى يُدخلها المسجد، فيبسط لها اللبد، فتقوم فتصلي ويتقدَّمُ هو إلى مقام المسجد فيصلي، ثم يقعد ويجتمع إليه من يريد فيُحدِّثهم، ثم ينصرف إليها، فيحمل لبدها وينصرفُ معها[٤].

ذرُّ بنُ عمر بن ذرٍّ

لما مات ذرٌّ وكان من الأولياء قال أبوه عمرُ بنُ ذر: اللهم إني قد غفرتُ له ما قصَّرَ فيه من واجب حقي، فاغفر له ما قصَّرَ فيه من واجب حقك. فقيل له: كيف كان عشرتُه معك؟ قال: ما مشى معي قطُّ في ليل إلا كان أمامي، ولا مشى معي في نهارٍ إلا كان ورائي، ولا ارتقى قطُّ سقفًا كنتُ تحته[٥].

---

(١) بر الوالدين للطرطوشي (٧٨، ٧٩).

(٢) صفة الصفوة (٤/ ٢٥).

(٣) السير (٥/ ٤٠٥).

(٤) صفة الصفوة (٤/ ٢٥، ٢٦).

(٥) بر الوالدين للطرطوشي (٧٦).

صلةُ الأرحام لُغةً واصطلاحًا

الصلةُ لغةً

الصلة والوصلُ في اللغة مصدرُ وصل يصلُ صلةً ووصلًا، وتدل مادة (و ص ل) على ضم شيء إلى شيء حتى يعلقه. من ذلك الوصلُ؛ والصلةُ ضدُّ الهجران، والوصل أيضًا وصلُ الثوب والخُفِّ ونحوهما، ويُقال: هذا وصلُ هذا: أي مثله. ويُقال: وصلتُ الشيء وصلًا وصيلةً ووُصْلةً، ووصل إليه وصولًا: أي بلغ وأوصله غيره.

وقد يستعمل وَصَلَ بمعنى: اتَّصَلَ. أي: دعا بدعوى الجاهلية؛ وهو أن يُقال: يا لفلان. ويقال: توصَّلَ إليه أي: تلطَّفَ في الوصول إليه، والتواصلُ: ضدُّ التصَادمُ؛ ووصَّلة توصيلًا: إذا أكثر من وصله، والوصلُ: خلاف الفصل، واتصَلَ الشيءُ بالشيءِ: لم ينقطع[1].

الصلةُ اصطلاحًا

وحقيقةُ الصلة في هذه الصفة (صلة الرحم): العطفُ والرحمةُ، أما صلةُ الله لمن وصل رحمه: فهي عبارة عن لُطفه بهم ورحمته إياهم وعطفه عليهم بإحسانه ونعمه، أو صلتهم بأهل ملكوته الأعلى وشرح صدورهم لمعرفته وطاعته[2].

الرحمُ لُغةً

الرحمُ لُغةً: اسمٌ مشتقٌ من مادة (ر ح م) التي تدلُّ على الرقة والعطف والرأفة، والرَّحمُ والرِّحْمُ (علاقةُ) القرابة، وقد سميت رحمُ الأنثى رحمًا من هذا؛ لأن منها ما يكون ما يُرحم ويُرَقُّ له من ولدٍ، والرحمةُ والرُّحمُ: الرقةُ والتعطُّفُ، يُقال: رحمتُه وترحَّمتُ عليه؛ لنتُ له وتعطَّفتُ عليه، وتراحم القومُ: رحم بعضهمُ بعضًا، والرحمن والرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة، والرحيم: قد يكون بمعنى المرحوم كما يكون بمعنى الراحم[3].

---

(١) لسان العرب (٨/ ٤٨٥٠)، ومقاييس اللغة (٦/ ١١٥)، والصحاح (٥/ ١٨٤٢).

(٢) الصحاح (٥/ ١٨٤٢)، مسلم بشرح النووي (١٦/ ١١٢- ، ١١٣).

(٣) الصحاح (٥/ ١٩٢٩)، مقاييس اللغة (٢/ ٤٩٨).

الرحمُ اصطلاحًا

قال النووي: اختلفوا في حَدِّ الرحم التي يجب وصلُها، فقيل: كُلُّ رحم مَحْرَم؛ بحيث لو كان أحدهما أنثى والآخر ذكرًا حَرُمتْ مناكحتُهما، وقيل: هو عامٌّ في كل رحمٍ من ذوي الأرحام، في الميراث يستوي فيه المَحْرَمُ وغيره[1].

صلةُ الرحم اصطلاحًا

قال ابن منظور: هي كنايةٌ عن الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب والأصهار، والعطف عليهم، والرفق بهم، والرعاية لأحوالهم، وكذلك إن بعدوا أو أساءوا، وقطعُ الرحم ضدُّ ذلك كله، فكأنه بالإحسان إليهم قد وصل ما بينه وبينهم من علاقة القرابة والصهر، والصلة الجائزة والعطية[2].

قال النووي: صلةُ الرحم هي الإحسانُ إلى الأقارب على حسب حال الواصل والموصول فتارةً تكون بالمال، وتارة بالخدمة، وتارة بالزيارة والسلام، وغير ذلك[3].

قال أبو البركات بدر الدين محمد الغَزِّيُّ: ويكون حسنُ العشيرة والصحبة للأهل والولد بالمدارة، وسعة الخلق والنفس وتمام النفقة وتعليم الأدب والسُّنَّةِ، وحملهم على الطاعة، لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦] والصفح عن عثراتهم والغضّ عن مساوئهم في غير إثمٍ أو معصيةٍ[4].

(١) مسلم بشرح النووي (١٦/ ١١٣).

(٢) لسان العرب (٨/ ٤٨٥١).

(٣) مسلم بشرح النووي (٢/ ٢١٠).

(٤) آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة للغزي (٥١).

الآيات الواردة في صلة الأرحام

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [البقرة: ٨٣]. وقال تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧]. وقال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٥]. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]. وقال تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾ [الأنفال: ٧٤ ، ٧٥]. وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ۝ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [الرعد: ١٩، ٢١]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ ﴾ [النحل: ٩٠]. وقال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ۝ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ۝ وَءَاتِ

ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٣- ٢٦] قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٢]. وقال تعالى: ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الروم: ٣٨] وقال تعالى: ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴾ [الأحزاب: ٦].

الأحاديث الواردة في صلة الرحم

عن أبي شريح ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من كان يُؤمنُ بالله واليوم الآخر فليُكرم ضيفَه، ومَنْ كان يؤْمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمُت»**[١].

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل مَنْ وصلك، وأقطع مَنْ قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذلك لك، ثم قال رسولُ الله ﷺ: اقرءوا إن شئتم: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾»**[٢] [محمد: ٢٢].

وعنه ﷺ أن رجلًا قال: يا رسول الله إن لي قرابةً أصِلُهُم ويقطعوني، وأحسنُ إليهم ويسيئون إليَّ، وأحلُمُ عنهم ويجهلون عليَّ؟! فقال: **«لئن كنت كما قلت فكأنما تسفُّهُمُ المَلَّ**[٣]،

---

(١) البخاري (٦١٣٨) في الأدب، باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه، ومسلم (٤٧) في الأيمان، باب الحث على إكرام الجار.

(٢) البخاري (٥٩٨٧) في الأدب، باب مَنْ وصل وصله اللهُ، ومسلم (٢٥٥٤) في البر والصلة، باب صلة الرحم وتحريم قطعها.

(٣) أي: كأنما تطعمهم الرماد الحار (وهو تشبيهٌ لما يلحقهم من الإثم بما يلحق آكل الرماد من الإثم.

ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمُت على ذلك»[١].

وعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أحبَّ أن يُبسَط له في رزقه، ويُنسأ له في أثره فليصل رحَمَه»[٢].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: «ليس الواصلُ بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمُهُ وصلها»[٣].

وعن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «الرحمُ معلقةٌ بالعرش تقول: مَنْ وصلني وصله الله، ومَنْ قطعني قطعه الله»[٤].

وعن أبي سفيان صخر بن حرب ﷺ في حديثه الطويل في قصة هرقل أن هرقل قال لأبي سفيان: فماذا يأمركم به؟ -يعني النبيﷺ- قال: قلتُ: يقولُ: اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقولُ آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والصلة[٥].

وعن أبي هريرةﷺ قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[الشعراء: ٢١٤]، دعا رسولُ اللهﷺ قريشًا فاجتمعوا، فعَمَّ وخصَّ وقال: يا بني عبد شمس، يا بني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مُرَّة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسَكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسَكم من النار، يا فاطمةُ أنقذي نفسك من النار. فإني لا أملكُ لكم من الله شيئًا، غير أن لكم رحمًا سأبلُّها ببلالها[٦][٧].

---

١) مسلم (٢٥٥٨) في البر والصلة، باب صلة الرحم، وتحريم قطعها.

٢) البخاري (٥٩٨٦) في الأدب، باب من بُسط له في الرزق لصلة الرحم، ومسلم (٢٥٥٧) في البر والصلة، باب صلة الرحم.

٣) البخاري (٥٩٩١) في الأدب، باب ليس الواصل بالمكافئ.

٤) البخاري (٥٩٨٩) في الأدب، باب مَنْ وصل وصله الله، ومسلم: (٢٥٥٥)، في البر، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها.

٥) البخاري (٤٥٥٣) في التفسير، باب (قل يا أهل الكتاب تعالوا...) ، ومسلم (١٧٧٣) في الجهاد والسير، باب (كتاب النبيﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام).

٦) ببلالها: (بفتح الباء الثانية وكسرها) والبلالُ: الماءُ، ومعنى ذلك: سأصلها، شبَّه قطيعتها بالحرارة تطفأ بالماء، وهذه تُبرَّدُ بالصلة.

٧) مسلم (٢٠٤) في الإيمان، باب قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾.

وعن أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري ﷺ أن رجلًا قال: يا رسول الله، أخبرني بعمل يُدخلني الجنَّة، ويباعدني من النار، فقال النبيُّ ﷺ: «**تعبدُ الله ولا تشركُ به شيئًا وتقيمُ الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصلُ الرحم**»(١).

وعن أبي محمد جُبير بن مُطعم ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يدخلُ الجنَّةَ قاطعٌ**». قال سفيان في روايته: يعني قاطع رحم(٢).

وعن ابن عمر ﷺ قال: أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ فقال: يا رسول الله، إني أصبتُ ذنبًا عظيمًا فهل من توبة؟ قال: «**هل لك من أُمٍّ؟**» قال: لا، قال: «**هل لك من خالةٍ؟**» قال: نعم؛ قال: «**فبِرَّهَا**»(٣).

وعن أبي كبشة الأنماري ﷺ قال: إنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ثلاثة أقسمُ عليهن وأحدثكم حديثًا فاحفظوه، قال: ما نقص مالُ عبدٍ من صدقةٍ، ولا ظُلِم عبدٌ مظلمةً فصبر عليها إلا زاده الله عِزًا، ولا فتح عبدٌ باب مسألةٍ إلا فتح الله له باب فقرٍ -أو كلمة نحوها- وأحدثكم حديثًا فاحفظوه: إنما الدنيا لأربعة نفرٍ: عبدٍ رزقه الله مالًا وعلمًا فهو يتقي فيه ربَّه، ويصلُ فيه رحمه، ويعلمُ لله فيه حقًا، فهذا بأفضل المنازل، وعبدٍ رزقه الله -عزَّ وجلَّ- علمًا ولم يرزقه مالًا فهو صادقُ النية، يقول: لو أن لي مالًا لعملتُ بعمل فلانٍ، فهو نيَّته فأجرهما سواءٌ، وعبدٍ رزقه الله مالًا ولم يرزقه علمًا وهو يخبط في مالهِ بغير علم، لا يتقي فيه ربه ولا يصلُ فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقًا فهذا بأخبث المنازل. وعبدٍ لم يرزقه الله مالًا ولا علمًا، فهو يقول: لو أن لي مالًا لعملتُ فيه بعمل فلانٍ فهو نيَّته فوزرهما سواءٌ**»(٤).

وعن سلمان بن عامر ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الصدقة على المسكين صدقةٌ، وعلى ذي الرحم اثنتان: صدقةٌ وصلةٌ**»(٥).

---

(١) البخاري (٥٩٨٣) في الأدب، باب فضل صلة الرحم، ومسلم: (١٣) في الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة.

(٢) البخاري (٥٩٨٤) في الأدب، باب إثم القاطع، ومسلم (٢٥٥٦) في البر والصلة.

(٣) صحيح الترمذي (١٥٥٤)، (١٩٨٥).

(٤) الترمذي (٢٣٢٥)، وقال: حسن صحيح، وقال محقق جامع الأصول (١١/ ١٠): وهو كما قال، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٢٤).

(٥) النسائي (٥/ ٩٢) واللفظ له، والترمذي (٢٥٨)، وقال: حسن، وابن ماجه (١٨٤٤)، وقال محقق جامع الأصول (٤/ ٤٩٣): حسن، وقال الألباني: صحيح لغيره، انظر صحيح ابن ماجه (١٥٠٦)، والمشكاة (١٩٣٩)، والإرواء (٨٨٣).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**صلةُ الرحم وحسنُ الجوار -أو حسنُ الخلق- يُعمِّرانِ الديار، ويزيدان في الأعمار**»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس شيءٌ أُطيع الله فيه أعجل ثوابًا من صلة الرحم، وليس شيءٌ أعجل عقابًا من البغي وقطيعة الرحم، واليمين الفاجرة تدعُ الديار بلاقع...**»[(٢)].

وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَرَّه أن يُمَدَّ له في عمره، ويُوسَّعَ له في رزقه، ويُدفع عنه ميتةُ السوء، فليتَّقِ اللهَ، وليصلْ رحمه**»[(٣)].

وعن جابر رضي الله عنه أنه قال: أعتق رجلٌ من بني عُذرة عبدًا له عن دُبُرٍ[(٤)] فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: ألك مالٌ غيرُه؟ فقال: لا، فقال: مَنْ يشتريه مني؟ فاشتراه نعيمُ بن عبد الله العدوي بثمانمائة درهم، فجاء بها رسول الله ﷺ فدفعها إليه، ثم قال: ابدأ بنفسك فتصدَّق عليها، فإن فَضَلَ شيءٌ فلأهلك، فإن فضل عن أهلك شيءٌ فلذي قرابتك، فإن فضل عن ذي قرابتك شيءٌ فهكذا وهكذا، يقول: فبين يديك وعن يمينك وعن شمالك[(٥)].

---

(١) البخاري (الفتح ١٠/ ٤٢٩).

(٢) البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٦٢)، والألباني في صحيح الجامع (٢/ ٩٥٠) برقم (٥٣٩١).

(٣) عبد الله بن أحمد في زوائده على (المسند) (٣/ ١٥٦)، وصححه أحمد شاكر (٢/ ٢٩٠) برقم (١٢١٢).

(٤) عن دُبُر: أي علَّق عتقه بموته، فقال: أنت حرٌّ يوم أموت.

(٥) البخاري (الفتح ١٣/ ٧١٨٦)، ومسلم (٩٩٧) واللفظ له.

أقوالُ العلماء في صلة الأرحام

قال عمرُ بن الخطاب ﷺ: **تعلَّمُوا أنسابكم ثم صِلُوا أرحامكم، والله إنه ليكون بين الرجل وبين أخيه شيءٌ ولو يعلم الذي بينه وبينه من داخلةِ الرحم لأوزعه ذلك عن انتهاكه**[1].

وقال عليُّ بنُ أبي طالب ﷺ: **لأن أصل أخًا من إخواني بدرهمٍ أحبُّ إليَّ من أن أتصدَّق بعشرين درهمًا، ولأن أصله بعشرين درهمًا أحبُّ إليَّ من أن أتصدَّق بمائةِ درهمٍ، ولأن أصله بمائةِ درهمٍ أحبُّ إليَّ من أن أعتق رقبةً**[2].

وقال عطاء رحمه الله: **لدرهمٌ أضعه في قرابتي أحبُّ إليَّ من ألف أضعها في فاقة، قال له قائل: يا أبا محمدٍ، وإن كان قرابتي مثلي في الغنى؟ قال: وإن كان أغنى منك**[3].

وقال سعيد بن المسيب -رحمه الله- وقد ترك دنانير: **اللهم إنك تعلم أني لم أجمعها إلا لأصون بها ديني وحسبي، لا خير فيمن لا يجمع المالَ فيقضي دينه، ويصلُ رحمه، ويكفُّ به وجهَه**[4].

وقال سليمانُ بن موسى: **قيل لعبد الله بن محيريز: ما حقُّ الرحم؟ قال: تُستقبلُ إذا أقبلت، وتُتبع إذا أدبرت**[5].

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: **صلةُ الرحم هي أداءُ الواجب لها من حقوق الله التي أوجب لها، والتعطف عليها بما يحقُّ التعطُّفُ به عليها**[6].

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن (١/ ١٤٤).
(٢) الإحياء (١/ ٢٢٠).
(٣) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (٦٢).
(٤) الآداب الشرعية لابن مفلح (٣/ ٢٦٩).
(٥) مكارم الأخلاق (٦٤).
(٦) جامع البيان في تفسير القرآن (١/ ١٤٤).

حق الجار والوصية به

أولًا: الوصية في الكتاب

قال تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ [النساء: ٣٦].

وقال السعدي رحمه الله: والجار ذي القربى أي: الجار القريب الذي له حقان: حق الجوار وحق القرابة، فله على جاره حقٌّ وإحسانٌ راجعٌ إلى العرف، وكذلك (الجار الجنب) أي: الذي ليس له قرابة، وكلما كان الجار أقرب بابًا كان آكد حقًّا، فينبغي للجار أن يتعاهد جاره بالهدية والصدقة والدعوة واللطافة بالأقوال والأفعال وعدم أذيته بقولٍ أو فعلٍ[1].

ثانيًا: الوصية في السنة

عن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[2].

قال ابن عثيمين رحمه الله: أي: سينزل الوحيُ بتوريثه، وليس المعنى أن جبريل يُشرِّع توريثه؛ لأن جبريل ليس له حقٌّ في ذلك، لكن المعنى أنه سينزل الوحي الذي يأتي به جبريلُ بتوريث الجار، وذلك من شدة إيصاء جبريل به النبيﷺ[3].

أنواع الجيران

قال ابن عثيمين رحمه الله: قال أهل العلم: الجيران ثلاثة:

١- جارٌ قريبٌ مسلمٌ: فله حق الجوار والقرابة والإسلام.

٢- وجارٌ مسلمٌ غير قريب: فله حق الجوار والإسلام

٣- وجارٌ كافرٌ: فله حق الجوار وإن كان قريبًا فله حق القرابة أيضًا[4].

---

١ تيسير الكريم الرحمن (١٧٨).

٢ البخاري (١٠/ ٣٦٩، ٣٧٠)، ومسلم (٢٦٢٤).

٣ شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٢/ ١٢٦).

٤ السابق.

خير الجيران عند الله

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«خير الأصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره»**(١).

وفي الحديث فوائد عديدة منها:

١- الوصية بالصحبة في سبيل الله.

٢- التنافس في عمل الخير.

٣- مشروعية التسابق مع صاحبك أو مع جارك بأعمال الخير والبر معه حتى تكون أفضل عند الله.

٤- أفضل الأصحاب عند الله من اتقى الله في صاحبه بأمره بالخير والحضِّ عليه ونهيه عن الشر والتنفير منه.

٥- خير الجيران عند الله أحرصهم على جاره بفعل الخير معه والحضِّ عليه، وبترك إيذائه واجتناب الشر والسوء معه، ونهيه عنه.

من حقوق الجار وآدابه

١- اجتناب أذيته بقول أو فعل

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت»**(٢).

وعنه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن»، قيل: مَنْ يا** رسول الله؟ قال: **«الذي لا يأمن جاره بوائقه»**.

قال ابن عثيمين رحمه الله: وفي هذا دليلٌ على تحريم العدوان على الجار، سواء كان ذلك بالقول أو بالفعل.

---

(١) الترمذي (١٩٤٥) وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٨٤).

(٢) البخاري (١٠/ ٣٧٣)، مسلم (٤٧).

أما بالقول: كأن يسمع منه ما يُزعجه ويُقلقه: كالذين يفتحون الراديو، أو التلفاز، أو غيرهما مما يُسمع فيزعج الجيران، فإن هذا لا يحلُّ له، حتى لو فتحه على كتاب الله، وهو مما يزعج الجيران بصوته فإنه معتدٍ عليهم، ولا يحلُّ له أن يفعل ذلك.

وأما بالفعل: فيكون بإلقاء الكناسة حول بابه، والتضييق عليه عند مداخل بابه، أو بالدقِّ، أو ما أشبه ذلك مما يضره؛ ومن هذا إذا كان له نخلة أو شجرة حول الجدار فكان يسقيها حتى يؤذي جاره بهذا السقي فإن ذلك من بوائق الجار، فلا يحلُّ له.

إذن يُحرَّم على الجار أن يؤذي جاره بأي شيءٍ، فإن فعل فإنه ليس بمؤمنٍ، والمعنى أنه ليس متصفًا بصفات المؤمنين في هذه المسألة التي خالف بها الحق[١].

٢- احترامه وتقديره

فلا يمنعه أن يصنع خشبته في جداره، ولا يبيح أو يؤجر ما يتصل به، أو يقرب منه حتى يعرض عليه ذلك.

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يمنع جارٌ جاره أن يغرز خشبة في جداره**» ثم يقول أبو هريرة: ما لي أراكم عنها معرضين، والله لأرمين بها بين أكتافكم[٢].

قال ابن عثيمين رحمه الله: يعني إذا كان جارك يريد أن يسقف بيته ووضع الخشب على الجدار فإنه لا يحلُّ لك منعه؛ لأن وضع الخشب على الجدار لا يضر بل يزيده قوة ويمنع السيل منه ولا سيما فيما سبق حيث كان البناء باللبن، فإن الخشب يمنع هطول المطر على الجدار فيحميه، وهو أيضًا يشده ويقويه، ففيه مصلحةٌ للجار وفيه مصلحةٌ للجدار، فلا يحلُّ للجار أن يمنع جاره من وضع الخشب على جداره وإن فعل ومنع فإنه يُجبر على أن يضع الخشب رغمًا عن أنفه.

ولهذا قال أبو هريرة: ما لي أراكم عنها معرضين، والله لأرمين بها بين أكتافكم، يعني من لم يُمكن من وضع الخشب على جداره وضعناه على متن جسده بين أكتافه، وهذا قاله ﷺ حينما كان أميرًا على المدينة في زمن مروان بن الحكم، وهذا نظير ما قاله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في

---

(١) شرح رياض الصالحين (٢/ ١٢٧).

(٢) البخاري (٥/ ٧٩، ٨٠)، ومسلم (١٦٠٩).

المشاجرة التي جرت بين محمد بن مسلمة وجاره، حيث أراد أن يجري الماء إلى بستانه وحال بينه وبين بستانه جاره، فمنعه الجار من أن يجري الماء من على أرضه، فترافعا إلى عمر، فقال: والله لئن منعته لأجرينَّه على بطنك وألزمه أن يُجري الماء؛ لأن إجراء الماء ليس فيه ضررٌ؛ لأن جرى بستانُ زرعٍ إذا الماء فيه انتفعت الأرض وانتفع ما حول الساقي من الزرع وانتفع الجار. نعم، لو كان الجار يريدُ أن يبتنيها بناءً، وقال: لا أريد أن يجري الماء على الأرض فله المنع، أما إذا كان يريد أن يزرعها فالماء لا يزيده إلا خيرًا[1].

٣- إسداء المعروف والخير إليه

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا نساء المسلمات، لا تحقرنَّ جارةٌ لجارتها ولو فرش شاة**»[2].

وعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك**»[3].

قال ابن عثيمين رحمه الله: إن الإنسان إذا وسَّع الله عليه برزقٍ فعليه أن يُصيب منه جاره بعض الشيء بالمعروف حيث قال النبي: «**إذا طبخت مرقة...**»، أكثر ماءها: يعني زدها في الماء لتكثر وتوزع على جيرانك منها، والمرقة عادة تكون من اللحم أو من غيره مما يؤتدم به، وهكذا أيضًا إذا كان عندك طعامٌ غير المرق، أو شرابٌ كفضل اللبن مثلًا، وما أشبهه، ينبغي لك أن تتعاهد جيرانك به؛ لأن لهم حقًا عليك[4].

٤- الإحسان إلى الجار

وإكرامه ونصرته إذا استنصر، وإعانته إن استعان، وعيادته إذا مرض، وتهنئته عند فرحه، وتعزيته عند كربه وملاطفته والتآلف معه والتعاطف، وحفظ سره، وأمانته، والستر عليه، ودعوته إلى الخير، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، ومعاونته على البر والتقوى، ونهيه عن الإثم والعدوان.

---

(١) شرح رياض الصالحين (٢/ ١٢٧، ١٢٨).

(٢) البخاري (١٠/ ٣٧٢)، ومسلم (١٠٣٠).

(٣) مسلم (٤/ ٢٠٢٥) (١٤٢، ١٤٣).

(٤) شرح رياض الصالحين (٢/ ١٢٧).

حقوق الضيافة وآدابها

عن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت»**[1].

إذن فإكرام الضيف من الإيمان، وعلى المؤمنين أن يمتثلوا الآداب الفاضلة والأخلاق الزاكية مع أضيافهم.

قال تعالى في شأن إبراهيم مع ضيفه: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ۝٢٤ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ۝٢٥ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ۝٢٦ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝٢٧ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٤- ٢٨].

قال السعدي في بعض الفوائد المستقاة من قصة إبراهيم مع أضيافه:

١- منها: أن من الحكمة قصّ الله على عباده نبأ الأخيار والفجار ليعتبروا بحالهم وأين وصلت بهم الأحوال.

٢- ومنها: فضل إبراهيم الخليل -عليه الصلاة والسلام- حيث ابتدأ الله قصته بها يدلُّ على الاهتمام بشأنها والاعتناء بها.

٣- ومنها: مشروعية الضيافة، وأنها من سنن إبراهيم الخليل الذي أمر الله هذا النبي (محمدًا) وأمته أن يتبعوا ملته، وساقها الله في هذا الموضع على وجه المدح له والثناء.

٤- ومنها: أن الضيف يُكرم بأنواع الإكرام بالقول والفعل؛ لأن الله وصف أضياف إبراهيم بأنهم مكرمون، أي: أكرمهم إبراهيم، ووصف الله ما صُنع بهم من الضيافة قولًا وفعلًا، ومكرمون أيضًا عند الله، ومنها أن إبراهيم -عليه السلام- كان بيته مأوى للطارقين والأضياف، لأنهم دخلوا عليه من غير استئذان، وإنها سلكوا طريق الأدب في الابتداء بالسلام، فردَّ عليهم

---

(١) مسلم (٤٨) والبخاري روى بعضه (١٠/ ٣٧٣).

إبراهيمُ سلامًا أكمل من سلامهم وأتم؛ لأنه أتى به جملة اسمية دالة على الثبوت والاستقرار.

٥- ومنها: مشروعية تعرف من جاء إلى الإنسان، أو صار له فيه نوع اتصال؛ لأن في ذلك فوائد كثيرة.

٦- ومنها: أدب إبراهيم ولطفه في الكلام، حيث قال: (قومٌ منكرون)، ولم يقل: (أنكرتكم) وبين اللفظين من الفرق ما لا يخفى.

٧- ومنها: المبادرة إلى الضيافة والإسراع بها؛ لأن خير البر عاجله، ولهذا بادر إبراهيم بإحضار قِرى أضيافه.

٨- ومنها: أن الذبيحة الحاضرة التي قد أُعدت لغير الضيف الحاضر إذا جُعلت له، ليس فيها أقل إهانة، بل ذلك من الإكرام، كما فعل إبراهيم -عليه السلام- وأخبر الله أن ضيفه مكرمون.

٩- ومنها: ما مَنَّ الله به على خليله إبراهيم من الكرم الكثير، وكون ذلك حاضرًا عنده، وفي بيته معدًّا، لا يحتاج إلى أن يأتي به من السوق أو الجيران ولا غير ذلك.

١٠- ومنها: أن إبراهيم هو الذي خدم أضيافه، وهو خليل الرحمن، وكبيرُ مَنْ ضَيَّفَ الضيفان.

١١- ومنها: أنه قربَّه إليهم في المكان الذي هم فيه، ولم يجعله في موضع ويقول لهم: تفضلوا أو ائتوا إليه؛ لأن هذا أيسر عليهم وأحسن.

١٢- ومنها: حسن الملاطفة للضيفان في الكلام اللين، خصوصًا عند تقديم الطعام إليهم، فإن إبراهيم عرض عليهم عرضًا لطيفًا وقال: (ألا تأكلون)، ولم يقل: (كلوا) ونحوه من الألفاظ التي غيرها أولى منها، بل أتى بأداة العرض، فقال: ألا تأكلون فينبغي للمقتدي به أن يستعمل من الألفاظ الحسنة ما هو المناسب واللائق بالحال، كقوله لأضيافه: ألا تأكلون أو: ألا تتفضلون علينا وتشرفوننا وتحسنون إلينا ونحوه.

١٣- ومنها: أن من خاف من الإنسان لسببٍ من الأسباب فإنه عليه أن يزيل عنه الخوف، ويذكر له ما يؤمن روعه، ويُسكِّن جأشه، كما قالت الملائكة لإبراهيم لما ضافهم: لا تخف وأخبروه

بتلك البشارة السارة بعد الخوف منهم[١].

ويمكن تقسيم آداب الضيافة إلى ثلاثة أقسام وهي:

أ- آداب الضيافة عند الدعوة إليها، وهي:

١- أن يدعو لضيافته الأتقياء دون الفساق والفجرة؛ لقول النبي ﷺ: **«لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقي»**[٢].

٢- أن لا يخص بضيافته الأغنياء دون الفقراء؛ لقول الرسول ﷺ: **«شرُّ الطعام طعام الوليمة يُدعى إليها الأغنياء دون الفقراء»**[٣].

٣- أن لا يقصد بضيافته التفاخر والمباهاة، بل يقصد الاستنان بسنة النبي ﷺ والأنبياء من قبله كإبراهيم -عليه السلام- كما ينوي بها إدخال السرور على المؤمنين، وإشاعة الغبطة والبهجة في قلوب الإخوان.

٤- أن لا يدعو إليها من يعلم أنه يشق عليه الحضور، أو أنه يتأذى ببعض الإخوان الحاضرين تجنبًا لأذية المؤمن المحرمة.

ب- آداب إجابة الدعوة، وهي:

١- أن يجيب الدعوة ولا يتأخر عنها إلا من عذر، كأن يخشى ضررًا في دينه أو بدنه لقول النبي ﷺ: **«مَنْ دُعي فليجب»**[٤] وقوله: **«لو دُعيت إلى كراع شاة لأجبت، ولو أُهدي إليَّ ذراعٌ أو كراعٌ لقبلت»**[٥].

٢- أن يميِّز في الإجابة بين الفقير والغني؛ لأن في عدم إجابة الفقير كسرًا لخاطره، كما أن في ذلك نوعًا من التكبر، والكبر الممقوت، وقد مرَّ الحسن بن عليٍّ بمساكين وهم يأكلون، فقالوا له: هَلُمَّ إلى

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٨١٠، ٨١١).
(٢) الترمذي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٣٤١).
(٣) متفق عليه.
(٤) مسلم.
(٥) البخاري (٥/ ١٤٧).



الغداء يا بن بنت رسول الله ﷺ فقال: نعم، إن الله لا يحب المتكبرين، ونزل من على بلغته وأكل معهم.

٣- أن لا يفرق في الإجابة للدعوة بين بعيد المسافة وقريبها، وإن وُجهت إليه دعوتان أجاب السابقة منهما واعتذر للآخر.

٤- أن لا يتأخر من أجل صومه، بل يحضر، قال رسول الله ﷺ: «إذا دُعي أحدكم فليُجب، فإن كان صائمًا فليصل، وإن كان مفطرًا فليطعم»[١].

٥- أن ينوي بإجابته إكرام أخيه المسلم، وتلبية الدعوة امتثالًا لأمر النبي ﷺ حتى يؤجر بإذن الله.

جـ- آداب الحضور، وهي:

١- أن لا يطيل الانتظار عليهم فيقلقهم، وأن لا يُعجِّل المجيء فيفاجئهم قبل الاستعداد لما في ذلك من أذيتهم.

٢- إذا دخل فلا يتصدَّر المجلس، بل يتواضع في المجلس، وإذا أشار إليه صاحب المحل بالجلوس في مكانٍ جلس فيه ولا يفارقه.

٣- أن يعجل بتقديم الطعام للضيف؛ لأن في تعجيله إكرامًا له، وقد أمر الشارع بإكرامه.

٤- أن لا يبادر إلى رفع الطعام قبل أن تُرفع الأيدي عنه، ويتم فراغ الجميع من الأكل.

٥- أن يقدم لضيفه قدر الكفاية أو أكثر، إذ التقليل نقصٌ في المروءة.

٦- إذا نزل ضيفًا على أحدٍ فلا يزد على ثلاثة أيام إلا أن يُلحَّ عليه مُضيفة في الإقامة أكثر، وإذا انصرف استأذن لانصرافه.

٧- أن يوصل الضيف بالخروج معه إلى خارج المنزل أو إلى الطريق لعمل السلف الصالح بذلك؛ ولأن ذلك من إكرام الضيف.

٨- أن ينصرف الضيف طيب النفس، وإن جرى في حقه تقصيرٌ ما؛ لأن ذلك من

---

(١) مسلم (١٤٣١).

حسن الخلق الذي يدرك به العبد درجة الصائم القائم.

٩- أن يكون للمسلم ثلاثة فُرُشٍ، أحدهما له، وثانيها لأهله، والثالث للضيف. والزيادة على الثلاثة منهي عنه، لقول النبيﷺ: «**فراش للرجل، وفراش للمرأة، وفراشٌ للضيف، والرابع للشيطان**»[1][2].

(١) مسلم.

(٢) منهاج المسلم (١٢٠-١٢٢) بتصرف.

عيادة المرضى

أ- الأمر بعيادة المرضى

عن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**عودوا المريض وأطعموا الجائع وفكوا العاني**»[١].

وعن البراء بن عازب ﷺ قال: أمرنا رسول الله ﷺ بعيادة المريض واتباع الجنازة، وتشميت العاطس، وإبرار المقسم، ونصر المظلوم وإجابة الداعي وإفشاء السلام[٢].

ب- عيادة المرضى من حقوق الإسلام

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**حق المسلم على المسلم خمس: ردُّ السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس**»[٣]

حـ- فضلُ عيادة المرضى

عن ثوبان ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع**»، قيل: يا رسول الله، وما خرفة الجنة؟ قال: «**جناها**»[٤][٥].

وعن علي ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**ما من مسلمٍ يعود مسلمًا عودة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يُمسي، وإن عاده عشية إلا صلَّى عليه سبعون ألف ملك حتى يُصبح وكان له خريفٌ في الجنة**»[٦].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا بن آدم مرضتُ فلم تعدني، قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟! قال: أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عُدته لوجدتني عنده**»[٧].

---

(١) البخاري (١٠/ ٩٧).
(٢) البخاري (١١/ ١٥، ١٦)، ومسلم (٢٠٦٩).
(٣) البخاري (٣/ ٩٠)، ومسلم (٢١٦٢).
(٤) جناها: ما يُجتنى من الثمر.
(٥) مسلم (٢٥٦٨).
(٦) الترمذي (٩٦٩)، وأبو داود (٣٠٩٨)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٣٦٧).
(٧) مسلم (٢٥٦٩).

د- دعوة المريض إلى الخير

عن أنس ﷺ قال: كان غلامٌ يهودي يخدم النبيﷺ فمرض فأتاه النبيﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: «أسلم»، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال: أطع أبا القاسم، فأسلم، فخرج النبيﷺ وهو يقول: «**الحمد لله الذي أنقذه من النار**»[1].

هـ- الدعاء للمريض ورقيته

عن عائشة رضي الله عنها أن النبيﷺ كان يعود بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول: «**اللهم رب الناس، أذهب الباس، واشفِ أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقمًا**»[2].

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: عادني رسول اللهﷺ فقال: «**اللهم اشفِ سعدًا، اللهم اشفِ سعدًا، اللهم اشفِ سعدًا**»[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبيﷺ قال: «**من عاد مريضًا لم يحضره أجله فقال عنده سبع مرات: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك، إلا عافاه الله من ذلك المرض**»[4].

فينبغي للمسلم أن يعود أخاه المسلم عند مرضه، ويدعو له امتثالًا بفعل النبيﷺ ويدعوه إلى الخير، ويذكِّره بالأجر والثواب إن هو صبر وصابر على مرضه وإصابته ويدعو له بالشفاء والعافية، ولا يمكث عنده إلا دقائق معدودة مراعاة لظروفه الصحية من جهة ولظروف أهله من جهة ثانية، ولظروف استقبال غيره من الزائرين له من جهة ثالثة، ويفضِّل أن يقوم بقضاء بعض حوائجه ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، ويدعو له بظهر الغيب أيضًا فإن ذلك أحرى أن يُستجاب دعاؤه بإذن الله.

---

(١) البخاري (٣/ ١٧٦).

(٢) البخاري (١٠/ ١٧٦)، ومسلم (٢١٩١).

(٣) مسلم (٣/ ١٢٥٣).

(٤) أبو داود (٣١٠٦)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٦٦٣).

آداب عند الموت وبعده

١ - تلقين الميت (لا إله إلا الله)

عن معاذ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كان آخرُ كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**»[(١)].

٢ - الدعاء للميت بالمغفرة بعد تغميض عينيه

عن أم سلمة ﵂ قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شقَّ بصره فأغمضه، ثم قال: «**إن الروح إذا قُبض تبعه البصر**»، فضجَّ ناسٌ من أهله، فقال:«**لا تدعو على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمِّنون على ما تقولون، ثم قال: اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين وأخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين، وأفسح له في قبره ونوِّر له فيه**»[(٢)].

٣- الصبر والاسترجاع واحتساب الأجر عند الله

عن أسامة بن زيد ﵄ قال: أرسلت إحدى بنات النبي ﷺ تدعه وتُخبره أن صبيًا لها، أو ابنًا في الموت، فقال الرسول ﷺ: «**ارجع فأخبرها أن لله تعالى ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى، فمُرها فلتصبر ولتحتسب...**»[(٣)].

وعن أم سلمة ﵂ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من عبد تصيبه مصيبةٌ فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم اؤجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها إلا أجره الله تعالى في مصيبته وأخلف له خيرًا منها، قالت: فلما توفي أبو سلمة، قلتُ كما أمرني رسول الله، فأخلف الله لي خيرًا منه رسول الله ﷺ**»[(٤)].

٤ - جواز البكاء على الميت بغير ندبٍ ولا نياحة

عن ابن عمر ﵄ أن رسول الله ﷺ عاد سعد بن عبادة، ومعه عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود ﷺ فبكى رسول الله ﷺ، فلما رأى القوم بكاء رسول الله ﷺ بكوا،

---

(١) أبو داود (٣١١٦)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٦٧٣).

(٢) مسلم (٩٢٠).

(٣) البخاري (١٠/ ١٠١)، ومسلم (٩٢٣).

(٤) مسلم (٩١٨).

فقال: «**ألا تسمعون؟ إن الله لا يُعذب بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يُعذِّب بهذا أو يرحم**» **وأشار إلى لسانه**[١].

٥- الستر على الميت عند تغسيله إذا رأى المغسل منه ما يكره

عن أبي رافع أسلم مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:« **مَنْ غسَّل ميتًا فكتم عليه غفر الله له أربعين مرة**»[٢].

٦- فضل من غسَّل مسلمًا ومن كفَّنه ومن حفر له قبرًا

قال رسول الله ﷺ: «**من غسَّل مسلمًا فكتم عليه غفر الله أربعين مرة، ومن حفر له فأجَّنه أجرى عليه كأجر مسكنٍ أسكنه إياه إلى يوم القيامة، ومن كفَّنه كساه الله يوم القيامة من سندسٍ وإستبرق الجنة**»[٣].

٧- الصلاة على الميت واتباع جنازته وفضلهما

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من شهد الجنازة حتى يُصلِّي عليها فله قيراط، ومن شهدها حتى تُدفن فله قيراطان، قيل: وما القيراطان؟ قال: مثل الجبلين العظيمين**»[٤].

وعن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفِّعوا فيه**»[٥]

وعن ابن عباس ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**ما من رجلٍ مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلًا لا يشركون بالله شيئًا إلا شفعهم الله فيه**»[٦].

٨- الإسراع بالجنازة

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**أسرعوا بالجنازة فإن تكُ صالحة فخيرٌ تقدمونها إليه،**

---

(١) البخاري (٣/ ١٤٠ ، ١٤١)، ومسلم (٩٢٤).

(٢) الحاكم (١/ ٣٥٤، ٣٦٢)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٥٣٥٣).

(٣) الحاكم، وصححه الألباني في أحكام الجنائز (٥١).

(٤) البخاري (٣/ ١٥٨، ١٦٠)، ومسلم (٩٤٥).

(٥) مسلم (٩٤٧)

(٦) مسلم (٩٤٨).

وإن تك سوى ذلك فشرٌّ تضعونه عن رقابكم»(١).

٩- قضاء دين الموت والتعجيل به

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**نفسُ المؤمن معلَّقةٌ بدينه حتى يُقضى عنه**»(٢).

١٠- الاستغفار للميت والدعاء له بعد دفنه

عن أبي عمرو عثمان بن عفان ﷺ قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه، وقال: «**استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل**»(٣).

وعن عمرو بن العاص ﷺ قال: إذا دفنتموني فأقيموا حول قبري قدر ما تُنحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم، وأعلم ماذا أُراجُع به رسل ربي(٤).

١١- دعاء ولد الميت له، والصدقة عنه

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقةٍ جارية، أو علمٍ يُنتفع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له**»(٥).

---

(١) البخاري (٣/ ١٤٧، ١٤٨)، ومسلم (٩٤٤).
(٢) الترمذي (١٠٧٨، ١٠٧٩)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٨٦٠).
(٣) أبو داود (٣٢٢١)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٧٥٨).
(٤) مسلم (١٢١).
(٥) مسلم (١٦٣١).

الجودُ
لُغةً واصطلاحًا

الجودُ لُغةً

مصدر قولهم جاد الرجل بماله يجود جُودًا، وهو مأخوذٌ من مادة (ج و د) التي تدلُّ على التسمح بالشيء، وكثرة العطاء.

يقال: رجلٌ جوادٌ بيِّنُ الجود، وقومٌ أجوادٌ، والجَودُ (بفتح الجيم): المطر الغزير، وفرسٌ جَوَادٌ: يجود بمدَّخرِ عدوه.

وقيل: هو الفرسُ الذريعُ والسريعُ والجمع: جياد، ويقال في الفرس: جُودةٌ، وفي المال: جُودٌ، وفي المطر: جَودٌ.

ويقال: شيءٌ جيِّد على وزن فيعل، والجمع: جيادٌ، وجَيَائد على غير قياسٍ، أما في المطر فيُقال: مطرٌ جائدٌ، والجمع جودٌ، مثل صاحب، وصحب.

وفي وصف الرجل يُقال: رجلٌ جوادٌ أي: سخيٌّ، وقومٌ جُودٌ، وأصلها جُودٌ، وأجوادٌ وأجاود، وجوداءُ، وكذلك امرأةٌ جوادٌ ونسوةٌ جُودٌ.

والفعل من ذلك: جاد، وجاد الفرسُ: أي صار رائعًا. وجاد الرجلُ بماله يجودُ جُودًا، وجاد عليه بماله: تكرَّم به.

وأجاد الرجلُ: إذا كان معه فرسٌ جوادٌ، ويُقال: شاعرٌ مجوادٌ أي: يُجيد كثيرًا، واستجاده: طلب جودَه، وجاودتُ الرجل فجدتُه أي: غلبتُه بالجود.

والعربُ تقول: هو يجود بنفسه: معناه يسوق بنفسه أي: يخرجها ويدفعها كما يدفع الإنسانُ ماله يجود به[1].

---

(١) مقاييس اللغة (١/ ٤٩٣)، ومفردات الراغب (١٠٢، ١٠٣)، ولسان العرب(٧٢٢)، والصحاح (٢/ ٤٦٠).

الجودُ اصطلاحًا

قال الجرجاني: الجودُ صفةً هي: مبدأ إفادة ما ينبغي لا لعوض، فلو وهب واحدٌ كتابه لمن هو من غير أهله أو من أهله لغرض دنيويٍ أو أخروي لا يكون جودًا[١].

قال الكفويُّ: الجودُ هو صفةٌ ذاتيةٌ للجواد، ولا يُستحقُّ بالاستحقاق ولا بالسؤال[٢].

وقال التهانويُّ: إفادة ما ينبغي لا لعوضٍ ولا لغرضٍ.

وقال الزبيديُّ: الجوادُ هو الذي يُعطي بلا مسألةٍ صيانةً للآخذ من ذُلِّ السؤال[٣].

الأحاديثُ الواردة في الجود

١- قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تعالى جَوادٌ يحبُّ الجود، ويحبُّ معالي الأخلاق، ويكره سفسافها»**[٤].

٢- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ قال الله -عز وجل: **«أنفق أُنفق عليك»**[٥].

٣- وقال رسول الله ﷺ: **«أنفق يا بلال، ولا تخشَ من ذي العرش إقلالاً»**[٦].

٤- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من يوم يُصبح العبادُ فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا»**[٧].

٥- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من تَصدَّق بعدل تمرة من كسب طيب - ولا يقبلُ الله إلا الطيب- فإن الله يتقبَّلها بيمينه، ثم يُربيها لصاحبه، كما يُربّي أحدكم فَلُوَّهُ[٨]،**

---

(١) المفردات للراغب (١٠٢)، وكشاف اصطلاحات الفنون (١/ ٢٧٩)، والتعريفات للجرجاني (٨٤) بتصرف.

(٢) الكليات للكفوي (٣٥٢).

(٣) تاج العروس للزبيدي (٤/ ٤٠٣).

(٤) صحيح الجامع.

(٥) متفق عليه.

(٦) صحيح: صحيح الجامع (١٥٠٨).

(٧) متفق عليه.

(٨) الفلو: المُهرُ، لأنه يُفلي أي: يُفطم والجمع أفلاء.

حتى تكون مثل الجبل»[١].

٦- وقال رسول الله ﷺ: «أفضلُ الأعمال أن تُدخل على أخيك المؤمن سرورًا، أو تقضي عنه دينًا، أو تطعمه خبزًا»[٢].

٧- وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين: رجلٌ آتاه الله مالًا فسلَّطه على هلكته في الحق، ورجلٌ آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها»[٣].

٨- وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «أيكم مالُ وارثه أحب إليه من ماله؟». قالوا: يا رسول الله، ما منا أحدٌ إلا مالُه أحبُّ إليه من مال وارثه، قال: «فإن ماله ما قدَّم ومالُ وارثه ما أخَّر»[٤].

٩- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يدُ الله ملأى لا يغيضُها نفقةٌ سحَّاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم يغض ما بيده، وكان عرشُه على الماء، وبيده الأخرى الميزان، يخفضُ ويرفع»[٥].

١٠- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ قال: أيُّ الإسلام خيرٌ؟ قال: «تطعُم الطعام، وتقرأ السلام على مَنْ عرفت ومَنْ لم تعرف»[٦].

١١- وعن أبي مالك الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة غرفًا يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنُها من ظاهرها، أعدَّها الله تعالى لمن أطعم الطعام وأفشى السلام وصلَّى بالليل والناسُ نيام»[٧].

١٢- وعن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يا بن آدم إنك إن تبذل الفضل خيرٌ لك، وإن تمسكه شرٌّ لك، ولا تُلام على كفافٍ، وابدأ بمن تعول، واليدُ العليا خيرٌ من اليد السفلى»[٨].

---

(١) متفق عليه.
(٢) حسن: صحيح الجامع (١٠٩٦)
(٣) متفق عليه.
(٤) البخاري.
(٥) متفق عليه.
(٦) متفق عليه.
(٧) ابن حبان في صحيحه وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٣٩٦).
(٨) مسلم.

أقوالُ العلماء في الجود

قال الحسنُ البصريُّ رحمه الله: «بذلُ المجهود في بذل الموجود منتهى الجود»[١].

وعن محمد بن الحسن، قال: قال مالك بن دينار رحمه الله: المؤمنُ كريمٌ في كل حاله، لا يُحبُّ أن يؤذي جاره، ولا يفتقر أحدٌ من أقربائه، قال: ثم يبكي مالكٌ ويقول: وهو مع ذلك غنيُّ القلب لا يملك من الدنيا شيئًا. إن أزلته عن دينه لم يزل، وإن خدعته عن ماله انخدع، لا يرى الدنيا من الآخرة عوضًا، ولا يرى البخلَ من الجودِ حظًّا، منكسر القلب ذو هموم قد تفرَّد بها، مكتئبٌ حزينٌ ليس له في فرح الدنيا نصيبٌ إن أتاه منها شيءٌ فرَّقه، وإن زُوِيَ عنه كُلُّ شيءٍ فيها لم يطلبه، ويبكي ويقول: هذا والله الكرم، هذا والله الكرم[٢].

قال جعفر الصادق رحمه الله: لا مال أعونُ من العقل، ولا مصيبة أعظمُ من الجهل، ولا مظاهرة كالمشاورة، وقال: والجود والكرم من الإيمان وأهلُ الإيمان في الجنة[٣].

قال ابنُ قدامة رحمه الله: الجوادُ من قام بواجب الشرع: كالزكاة والنفقة على العيال ولازم المروءة: ترك المضايقة، والاستقصاءُ عن المحقرات وبذل زيادة على ذلك[٤].

---

(١) الإحياء (٣/ ٢٤٧).

(٢) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (٥٤).

(٣) الإحياء (٣/ ٢٤٦).

(٤) مختصر منهاج القاصدين (٢٠٧) بتصرف.

من قصص الجود

الزبيرُ بنُ العوَّام

قال مغيث بن سَمَيٍّ: كان للزبير بن العوام ألف مملوكٍ يؤدون إليه الخراج، فلا يُدخل بيته من خراجهم شيئًا، رواه سعيد بن عبد العزيز ونحوه وزاد: بل يتصدَّق بها كُلِّها[١].

طلحةُ بنُ عبيد الله

عن سُعدى بنت عوف المريّ قالت: دخل عليَّ طلحةُ ذات يوم وهو خاثر النفس[٢] فقلتُ: ما لي أراك كالحَ الوجه، ما شأنك أرابك مني فَأُعتبك؟ قال: لا، ولنعم حليلة المرء المسلم أنت، قلتُ: فما شأنك؟ قال: المال الذي عندي قد كثر وأكربني، قالت: فقسمه حتى ما بقي منه درهمٌ واحدٌ، قالت سُعدى: فسألت خازن طلحة: كم كان المال؟ قال: أربعمائة ألف[٣]. قال سفيانُ بن عيينه: وكانت غُلَّةُ طلحة كل يوم ألفًا وافيًا، وقال: كم عليك من الدين؟ قال: عشرون ألفًا، فأعطاه أربعين ألفًا وعشرين مملوكًا وقال: لك ما في البيت كله[٤].

عبدُ الله بنُ عمر

عن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر قال: أعطى ابنُ جعفر عبدَ الله بن عمر بنافعٍ عشرة آلاف أو ألف دينارٍ فدخل عبدُ الله على صفية فقال لها: إنه أعطاني ابنُ جعفر بنافع عشرة آلاف أو ألف دينار، فقالت: يا أبا عبد الرحمن، فما تنتظر أن تبيعه؟ فقال: فهلاّ ما هو خيرٌ من ذلك، هو لوجه الله، قال أبي: فكان يُخيَّل إليَّ أن عبد الله بن عمر كان ينوي قول الله -عز وجل: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾[٥] [آل عمران: ٩٢].

وعن نافع قال: مرض ابنُ عمر، فاشتهى عنبًا أول ما جاء، فأرسلت امرأته بدرهم فاشترت به عنقودًا، فاتبع الرسولَ سائلٌ، فلما دخل قال السائل: السائل، فقال ابنُ عمر: أعطوه إياه، ثم

---

(١) السير (١/ ٥٥، ٥٦).

(٢) أي: غير نشيط.

(٣) ابن عساكر، وأحمد في الزهد، وأبو نعيم في الحلية.

(٤) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (١١٥).

(٥) ابن عساكر، وأحمد في (الزهد) وأبو نعيم في (الحلية).

بعث بدرهم آخر، قال: فاتبعه السائل، فلما دخل قال: السائل السائل، فقال ابن عمر: أعطوه إياه، فأعطوه، وأرسلت صفيةُ إلى السائل تقول: والله لئن عُدتَ لا تُصيب مني خيرًا، ثم أرسلت بدرهم آخر فاشترت به[١].

سعدُ بنُ عبادة

عن ابن سيرين: كان سعدُ بنُ عبادة يرجع كل ليلة إلى أهله بثمانين من أهل الصُّفَّةِ يُعشِّيهم[٢].

وعن عروة بن الزبير قال:كان منادي سعد بن عبادة، ينادي على أطمه[٣]: مَنْ كان يريدُ شحمًا ولحمًا فليأت سعدًا. وكان سعدُ يقول: اللهم هب لي حمدًا، وهب لي مجدًا، لا مجد إلا بفعال، ولا فعال إلا بمال، اللهم إنه لا يُصلحني القليلُ، ولا أصلح عليه.

قيسُ بنُ سعد بن عبادة

قيل: وقفتْ على قيس عجوزٌ فقالت: أشكو إليك قلَّة الجرذان، فقال: ما أحسن هذه الكناية، املئوا بيتها خبزًا ولحمًا وسمنًا وتمرًا[٤].

ومرض قيس بن سعد بن عبادة ﷺ فاستبطأ إخوانه عن عيادته، فسأل عنهم، فقيل: إنهم يستحيون مما لك عليهم من الدين، فقال: أخزى اللهُ مالًا يمنع الإخوان من الزيارة، ثم أمر مناديًا فنادى: مَنْ كان لقيس عليه دينٌ فهو في حِلٍّ منه فكُسرت درجتُه بالعشي لكثرة مَنْ عاده[٥].

أُويس القرنُّي

عن مغيرة قال: إن كان أويسُ القرني ليتصدَّق بثيابه حتى يجلس عُريانًا[٦] لا يجدُ ما يروح فيه إلى الجمعة.

---

(١) السير، وابن سعد في الطبقات (٤/ ١٥٨)، (٨٧١).

(٢) السير (١/ ٢٧٦)

(٣) الأطم: الحصن.

(٤) السير (٣/ ١٠٦).

(٥) لباب الآداب (١٠٩).

(٦) أي: عريانًا من الثياب التي يخرج فيها (كالقميص ونحوه) وليس المقصود أنه عارٍ من اللباس تمامًا.

وعن أصبغ بن زيد: كان أويس إذا أمسى تصدَّق بما في بيته من الفضل من الطعام والشراب، ثم قال: اللهم مَنْ مات جوعًا فلا تؤاخذني به، ومَنْ مات عُريانًا فلا تؤاخذني به[1].

علي بن الحسين

عن عمرو بن دينار قال: دخل عليُّ بن الحسين على محمد بن أسامة بن زيد في مرضه فجعل يبكي، فقال: ما شأنك؟ قال: عليَّ دينٌ. قال: كم هو؟ قال: خمسة عشر أو بضعة عشر ألف دينار، قال: فهي عليَّ.

وعن سفيان قال: كان عليُّ بن الحسين يحمل معه جرابًا فيه خبزٌ فيتصدَّقُ به ويقول: إن الصدقة تطفئ غضبَ الربِّ عز وجل.

---

(١) السير (٤/ ٣٠).

الرأفةُ لغةً واصطلاحًا

الرأفةُ لُغةً

مصدر قولهم: رَؤُفَ به يرؤف رأفةً ورآفةً، وهو مأخوذ من مادة (ر أ ف) التي تدل كما يقول ابن فارس: على الرأفة والرحمة، قال -عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ ﴾ [النور: ٢]. وقرئت: رآفةٌ.

والرأفةُ أشدُّ من الرحمة، وقيل: هي أرقُّ من الرحمة، ولا تكاد تقعُ في الكراهة، والرحمةُ قد تقع في الكراهة للمصلحة.

يقول أبو زيد: رَؤُفْتُ بالرحل أَرْؤُفُ رأفةً ورآفةً ورأَفْتُ به أَرْؤُفُ (كذلك) وَرَئِفْتُ به رأفًا. قال: كُلٌّ من كلام العرب[1]

الرأفة اصط حًا

قال الـ حويُّ: الرأفةُ مبالغةٌ في رحمةٍ مخصوصةٍ هي رفعُ المكروه وإزالةُ الضُّرِّ[2].

الآياتُ الواردةُ في الرأفة

١ - الرءوفُ من أسماء الله الحُسنى

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧]، وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ

---

(١) الصحاح (٤/ ١٣٦٢)، ومقاييس اللغة (٢/ ٤٧١).

(٢) الكليات للكفوي (٣٧٨).

عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٧]، وقال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ٦، ٧]، وقال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ [النحل: ٤٥، ٤٧]، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحج: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ١٩، ٢٠]، وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحديد: ٩].

٢- الرءوف من صفات النبي ﷺ

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [التوبة: ١٢٨، ١٢٩].

٣- الرأفةُ من صفة أتباع عيسى عليه السلام

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾ [الحديد: ٢٧].

٤- النهي عن الرأفة في حدود الله

قال تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ٢].

الرحمة لغة واصطلاحًا

الرحمة لغة

تدور ماد (ر ح م) حول معنى الرقة والعطف والرأفة، يقول ابن فارس: الراء والحاء والميم أصل واحد يدل على الرقة والعطف والرأفة يقال من ذلك – رَحِمَه، يرحمه: إذا رقَّ له وتعطَّف عليه والرحم والمرحمة والرحمة بمعنى[1].

ويقول الجوهري: الرحمة: الرقة والتعطف، والمرحمة مثله، وقد رحمته وترحمتُ عليه وتراحم القوم: رحم بعضهم بعضًا ورجل مرحوم ومُرَحَّمٌ -شُدِّد للمبالغة- والرُّحم بالضمة: الرحمة، قال تعالى: ﴿ وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ [الكهف: ٨١].

والرحمة: المغفرة، وقوله تعالى في وصف القرآن: ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٢] أي: فصلناه هاديًا وذا رحمة. رحمه رُحْمًا، ورحمة وَرَحَمَةً (حكى الأخيرة سيبوَيْه)، ومرحمةً.

وقال الله عز وجل: ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ [البلد: ١٧] أي: أوصى بعضهم بعضًا برحمة الضعيف والتعطف عليه، وترحَّمْتُ عليه أي: قلت: رحمة الله عليه[2].

وتطلق الرحمة ويُراد بها الرزق: فقد نقل ابن منظور عن الأزهري قوله: قال عكرمة في قوله تعالى: ﴿ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا ﴾ [الإسراء: ٢٨] أي: رزق، وترحَّمَ عليه: دعاك بالرحمة، واسترحمه: سأله الرحمة[3].

وأم الرُّحم: مكة، والمرحومة: من أسماء مدينة رسول الله ﷺ، والرحم: علاقة القرابة، ثم سُمِّيت رحمُ الأنثى رحمًا من هذا؛ لأن منها ما يكون ما يُرحم ويُرقُّ له من ولد[4].

---

(١) المقاييس لابن فارس (٢/ ٤٩٨).
(٢) الصحاح الجوهري (٥/ ١٩٢٩).
(٣) لسان العرب (١٢/ ٢٣٠).
(٤) المقاييس (٢/ ٤٩٨).

الرحمة اصطلاحا

قال الجرجاني: هي إرادة إيصال الخير[1]، وقال الجاحظ: الرحمة خلقٌ مركبٌ من الوُدِّ والجزع، والرحمة لا تكون إلا لمن تظهر منه لراحمه خلَّة مكروهة، فالرحمة هي محبة للمرحوم مع جزع من الحال التي من أجلها رُحم.

وقال الكفوي: الرحمة حالة وجدانية تعرض غالبًا لمن به رقة القلب وتكون مبدأ للانعطاف النفساني الذي هو مبدأ الإحسان[2].

الآيات الواردة في الرحمة

١- الرحمة من صفات الله عز وجل

قال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة: ١-٢]، وقال تعالى: ﴿ وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٩]، وقال تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٩٨]، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأعراف: ١٦٧]، وقال تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [يونس: ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ٧]، وقال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ١٨]، وقال تعالى: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ [الإسراء: ٥٤]، وقال

---

(١) التعريفات (١١٠).

(٢) تهذيب الأخلاق للجاحظ: ص٢٤.

تعالى: ﴿ رَبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزْجِي لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِي ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [الإسراء: ٦٦]، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحج: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴾ [الفرقان: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء: ٩، ٦٨، ١٠٤، ١٢٢، ١٤٠، ١٥٩، ١٧٥، ١٩١]، وقال تعالى: ﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النمل: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [القصص: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١]، وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الروم: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الروم: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [السجدة: ٦]، وقال تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [فاطر: ٢]، وقال تعالى: ﴿ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [يس: ٤٣-٤٥]، وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [غافر: ٧]، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الشورى: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الدخان: ٤١-٤٢]، وقال تعالى: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفتح: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ

عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الملك: ٢٨، ٢٩]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّـٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴾ [الإنسان: ٣٠، ٣١].

٢- من مظاهر رحمة الله تعالى

إرسال الرسل وإنزال الكتب

قال تعالى: ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [البقرة: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [آل عمران: ٧٤]، وقال تعالى: ﴿ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَـٰهُم بِكِتَـٰبٍ فَصَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَـٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٣، ٢٠٤]، وقال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦١]، وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٧، ٥٨]، وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [هود: ١٧]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَـٰرِهُونَ ﴾ [هود: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰصَـٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴾ [هود:

٦٢، ٦٣]، وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف: ١١١]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النحل: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩]، وقال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم: ٢١]، وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۝ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ [مريم: ٤٩-٥٠]، وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ۝ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٥١-٥٣]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ١١٢]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٦]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [النمل: ٧،٦]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [القصص: ٨٦]، وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥١]، وقال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾ [لقمان: ١-٣]، وقال تعالى: ﴿ حمٓ ۝ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الدخان: ١-٦]، وقال تعالى: ﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا

﴿ لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٢]، وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحديد: ٩].

التشريع

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٨]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [النساء: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٩ ، ٧٠]، وقال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النور: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحديد: ٢٨].

قبول التوبة والعفو عن العاصِينَ والمضطرين

قال تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ

مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [البقرة: ٦٣ ، ٦٤]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٣]، وقال تعالى: ﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٨٢]، وقال تعالى: ﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٩١، ١٩٢]، وقال تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٦]، وقال تعالى: ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٨٦ ، ٨٩]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ۝ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١٥ ، ١٦]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٣، ٣٤]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٨، ٣٩]، وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ

وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٧٣، ٧٤]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴾ [الأنعام: ١٣٣]، وقال تعالى: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٧]، وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام: ٢٥، ٢٧]، وقال تعالى: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٧]، وقال تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ٩١]، وقال تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٧]، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴾ [الكهف: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٤، ٥]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور: ١٠]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١٤]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ

يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٠- ٢٢]، قال تعالى: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النمل: ١٠، ١١]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾ [العنكبوت: ٢٠ ، ٢١]، وقال تعالى: ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥]، وقال تعالى: ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٣-٢٤]، وقال تعالى: ﴿ لِّيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾ [سبأ: ١ ، ٢]، وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الأحقاف: ٨]، وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفتح: ١٤]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ٤ ، ٥]، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا

مِنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١٢]، وقال تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١٤]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المجادلة: ١٢]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التغابن: ١٤]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التحريم: ١].

العصمة من الضلال

قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٣]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۝ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ۝ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٥٣-٥٦]، وقال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ۝ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٥، ٨٧]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [الأحزاب: ١٧]، وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [الشورى: ٨].

جمع الخلائق للحساب

قال تعالى: ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[الأنعام: ١٢].

ثواب المؤمنين والصابرين

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٦ ، ١٥٧]. وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[آل عمران: ١٠٦ ، ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[آل عمران: ١٥٧]، وقال تعالى: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[النساء: ٩٥ ، ٩٦]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[النساء: ١٠٠]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[النساء: ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ۝ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾[النساء: ١٧٤ ، ١٧٥]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴾[الأنعام: ١٥ ، ١٦]، وقال تعالى: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[الأعراف: ٥٥ ، ٥٦]، وقال تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾[الأعراف: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾[التوبة: ٢٠ ، ٢١]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ

يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١]، وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَٰتِ الرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ٩٩]، وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَٰفِرِينَ ۝ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ الْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾ [هود: ٤١، ٤٣]، وقال تعالى: ﴿ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۖ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ۝ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ الرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ۝ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ [هود: ٧٣، ٧٥]، وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا۟ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ [هود: ٩٤]، وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا الْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۝ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ۝ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف: ٨٠، ٨٢]، وقال تعالى: ﴿ كٓهيعٓصٓ ۝ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾ [مريم: ١، ٣]، وقال تعالى: ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ۝ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ الصَّٰلِحِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٤، ٧٥]، وقال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝ فِىٓ أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [الروم: ١، ٥]، وقال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ الشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۝ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۝ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى الْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: ٤١، ٤٣]، وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ الصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾ [الجاثية: ٣٠].

٣- الرحمة صفة النبيين والصالحين

قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [التوبة: ١٢٨، ١٢٩]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف: ٦٥،٦٤]، وقال تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴾ [الكهف: ٩٤ - ٩٨]، وقال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح: ٢٩].

٤- وجوب دأب المؤمنين في طلب الرحمة

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٧، ١٢٨]، وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٩٨، ١٩٩]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ

رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٨]، وقال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقال تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٥ ، ١٠٦]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١٢٩]، وقال تعالى: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٨ ، ١٤٩]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥١، ١٥٦]، وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ

تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [يونس: ٨٤ ، ٨٦]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [هود: ٤٧، ٤٨]، وقال تعالى: ﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ۝ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ [هود: ٩٠، ٩١]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٩٢]، وقال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ۝ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [يوسف: ٩٧، ٩٨]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٥، ٣٦]، وقال تعالى: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ۝ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ۝ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ۝ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ۝ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ۝ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ۝ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٦]، وقال تعالى: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ۝ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٧، ٨]، وقال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٣ ، ٢٤]، وقال تعالى: ﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٦، ٥٧]،

وقال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [الكهف: ٩، ١٠]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾ [الكهف: ١٦]، وقال تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ۝ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٣- ٨٦]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [المؤمنون: ١١٧ ، ١١٨]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٦٢] وقال تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الشعراء: ٢١٥- ٢١٧]، وقال تعالى: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النمل: ١٧-١٩]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ۝ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النمل: ٤٥، ٤٦]، وقال تعالى: ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [القصص: ١٥، ١٦]، وقال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ

ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[الزمر: ٩]، وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾[الزمر: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[الزمر: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال تعالى: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ۝ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾[الطور:٢٥-٢٨]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[الحشر: ١٠]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴾[المزمل: ٢٠].

٥- وجوب شيوع الرحمة بين المؤمنين

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾[البلد: ٨، ١٧].

الأحاديث الواردة في الرأفة والرحمة

عن عوف بن مالك الأشجعي ﷺ قال: صلى رسولُ الله ﷺ على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول: «**اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج ونقِّه من الخطايا كما نقَّيت الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله دارًا خيرًا من داره وأهلًا خيرًا من أهله، وزوجًا خيرًا من زوجه وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر (أو من عذاب النار)**. قال: حتى تمنيتُ أن أكون أنا ذلك الميت»[١].

وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قدم على النبي ﷺ سبيٌ فإذا امرأة من السبي تحلب ثديها تسقي إذا وجدت صبيًّا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال لنا النبي ﷺ: «**أترون هذه طارحة ولدها في النار؟**» قلنا: لا وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: «**لله أرحم بعباده من هذه بولدها**»[٢].

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**اللهم إني أتخذ عندك عهدًا لن تخلفنيه فإنما أنا بَشَر، فأي المؤمنين آذيتُه؛ شتمتُه، لعنتُه، جلدتُه فاجعلها له صلاةً وزكاةً وقُربةً تقربه بها إليك يوم القيامة**»[٣].

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يُسمي لنا نفسه أسماء فقال: «**أنا محمد وأحمد والمقفى والحاشر ونبي التوبة ونبي الرحمة**»[٤].

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**لما خلق اللهُ الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي**»[٥].

وعن سلمان الفارسي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **إن الله خلق يوم خلق السماوات**

---

(١) مسلم: (٩٦٣).

(٢) البخاري: (الفتح ١٠/ ٥٩٩٩)، ومسلم: (٢٧٥٤).

(٣) البخاري: (الفتح ١١/ ٦٣٦١)، ومسلم: (٢٦٠١) واللفظ له.

(٤) مسلم: (٢٣٥٥).

(٥) البخاري: (فتح ١٣/ ٧٤٠٤)، ومسلم: (٢٧٥١).

والأرض مائة رحمة كلُّ رحمة طِباقُ ما بين السماء والأرض فجعل منها في الأرض رحمة فيها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة»[١].

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن هذه الأمة مرحومة جعل الله عذابها بينها فإذا كان يوم القيامة دُفع إلى كلِّ امرئ منهم رجلٌ من أهل الأديان فقال: هذا يكون فداؤك من النار»[٢].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «تحاجت الجنة والنار فقالت النار: أُوثرت بالمتكبرين والمتجبرين. وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم؟ قال الله تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي ولكل واحدةٍ منهما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول: قط قط قط. فهناك تمتلئ ويُزوى بعضها إلى بعضٍ ولا يظلم الله -عز وجل- من خلقه أحدًا، وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقًا»[٣].

وعن النعمان بن بشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضوٌ تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى»[٤].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «جعل الله الرحمةَ مائة جُزءٍ فأمسك عنده تسعةً وتسعين وأنزل في الأرض جُزءً واحدًا. فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه»[٥].

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «رحم اللهُ رجلًا سمحًا إذا باع

---

(١) مسلم: (٢٧٥٣).

(٢) الحاكم: (٤/ ٤٤٤) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وأحمد: (٤/ ٤٠٨) واللفظ له. وصححه الألباني في الصحيحة: (٢/ ٦٨٥).

(٣) البخاري: (الفتح ٨/ ٤٨٥٠) واللفظ له، ومسلم: (٢٨٤٦).

(٤) البخاري: (الفتح ١٠ / ٦٠٨) واللفظ له ومسلم: (٢٥٨٦).

(٥) البخاري: (الفتح ١٠/ ٦٠٠٠)، ومسلم (٢٧٥٢)، واللفظ له.

وإذا اشترى وإذا اقتضى»[١].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ أنه ذكر رجلًا فيمن كان سلف- أو قبلكم آتاه اللهُ مالًا وولدًا، يعني أعطاه، قال: فلما حُضر[٢] قال لبنيه: أي أبٍ كنت لكم؟ قالوا: خير أبٍ قال: فإنه لم يبتئر عند الله خيرًا -فسَّرها قتادة: لم يدّخر- وإن يقدم على الله يعذبه فانظروا فإذا مِتُّ فأحرقوني حتى إذا صرتُ فحمًا فاسحقوني أو قال: فاسهكوني، ثم إذا كان ريحٌ عاصفٌ فاذروني فيها فأخذ مواثيقهم على ذلك وربي ففعلوا.

فقال الله: كنْ فإذا رجلٌ قائمٌ، ثم قال: أي عبدي، ما حملك على ما فعلت؟ قال: مخافتك أو فرقٌ منك فما تلافاه أن رحمه الله[٣].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«رحم اللهُ رجلًا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلَّت فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم اللهُ امرأة قامت من الليل فصلَّت ثم أيقظت زوجها فصلى، فإن أبى نضحت في وجهه الماء»**[٤].

وعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«رحم الله امرأً صلى قبل العصر أربعًا»**[٥].

وعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«رحم الله المحلقين»، قالوا:** والمقصرين يا رسول الله؟ قال: **«والمقصرين»**[٦].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«الراحمون يرحمهم**

---

(١) البخاري: (الفتح ٤/ ٢٠٧٦).

(٢) فلما حُضر: أي حضرته الوفاة.

(٣) البخاري: (الفتح ١١/ ٦٤٨١)، ومسلم: (٢٧٥٧).

(٤) أبو داود: (١٣٠٨) ، صحيح النسائي: (١٥١٩)، وقال الألباني: حسن صحيح، وابن ماجه: (١٣٣٦).

(٥) الترمذي: (٤٣٠) وأبو داود: (١٢٧١) وأحمد: (٢/ ١١٧)، وحسنه محقق جامع الأصول: (٦/ ٢٦) وحسنه الألباني في صحيح أبي داود: (١٢٧١).

(٦) البخاري: (الفتح ٣/ ١٧٢٧) ومسلم: (١٣٠١) واللفظ له.

الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء»[١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**سدِّدوا وقاربوا وأبشروا فإنه لا يُدخل أحدًا الجنة عملُهُ**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟! قال: **ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة**[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، سمعتُ أبا القاسم ﷺ يقول: «**لا تُنزع الرحمة إلا من شقي**»[٣].

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يرحم الله من لا يرحم الناس**»[٤].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لن تؤمنوا حتى تَراحَمُوا**» قالوا: كلنا رحيمٌ يا رسول الله، قال: «**إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمةُ الناس، رحمة العامة**»[٥].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا**»[٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبَّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي، وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسًا فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبَّلتُ منهم أحدًا فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: من لا يرحم لا يُرحم[٧].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ على المنبر: «**من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، التحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب**»[٨].

---

(١) أبو داود: (٤٩٤١)، الترمذي: (١٩٢٤)، وصححه محقق جامع الأصول، وصححه الألباني في صحيح أبي داود: (٤٩٤١).

(٢) البخاري: (الفتح ١١/ ٦٤٦٧) واللفظ له، ومسلم: (٢٨١٦).

(٣) الترمذي: (١٩٢٣) وأبو داود: (٤٩٤٢) وحسنه الألباني: (٣/ ٩٣٣).

(٤) البخاري: (الفتح ١٣/ ٧٣٧٦) واللفظ له ومسلم: (٢٣١٩).

(٥) الصحيحة: (١/ ٢٧٠).

(٦) الترمذي: (١٩٢٠) وأحمد: (١/ ٢٥٧)، وصححه أحمد شاكر: (٤/ ٩٥).

(٧) البخاري: (الفتح ١٠/ ٥٩٩٧) واللفظ له ومسلم: (٢٣١٨).

(٨) أحمد: (٤/ ٢٧٨)، والألباني في الصحيحة (٦٦٧) (٢/ ٢٧٦).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث تقول: اللهم اغفر له اللهم ارحمه**»[١].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُدخل الله أهل الجنة الجنة يُدخل من يشاء برحمته ويُدخل أهلَ النار النارَ ثم يقول: انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردلٍ من إيمان فأخرجوه فيخرجون منها حُمَمًا**[٢] **قد امتحشوا**[٣] **فيلقون في نهر الحياة أو الحيا فينبتون فيه كما تنبتُ الحبةُ إلى جانب السيل ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية**»[٤].

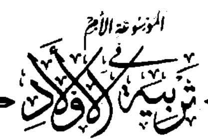
وعن شداد بن أوس ﷺ أنه قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليُحد أحدُكم شفرتَه فليرح ذبيحته**»[٥].

وعن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قال: رسول الله ﷺ: «**بينما كلبٌ يُطيف برَكِيَّة**[٦] **كاد يقتله العطش، إذ رأته بغيٌّ من بغايا بني إسرائيل فنزعت مُوقها**[٧] **فسقته فغُفر لها به**»[٨].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا صلى أحدُكم للناس فليُخفف فإن في الناس الضعيف والسقيم وذا الحاجة**»[٩].

---

(١) البخاري (فتح ١/ ٤٤٥) واللفظ له، ومسلم (٦٤٩).
(٢) حُمَمًا: فحمًا.
(٣) امتحشوا: احترقوا.
(٤) البخاري: (الفتح ١١/ ٦٥٦٠) ومسلم: (١٨٤) واللفظ له.
(٥) مسلم: (١٩٥٥).
(٦) يطيف بركيه: أي يدور حول بئر.
(٧) موقها: خفها (فارسي معرب).
(٨) البخاري: (الفتح ٦/ ٣٤٦٧)، ومسلم: (٢٢٤٥).
(٩) البخاري: (الفتح ٢/ ٧٠٢)، ومسلم: (٤٦٧) واللفظ له.



أقوال العلماء في الرأفة والرحمة

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: **اللهم إن لم أكن أهلًا أن أبلغ رحمتك فإن رحمتك أهلٌ أن تبلُغني، رحمتك وسعت كلَّ شيء وأنا شيء فلتسعني رحمتُك يا أرحم الراحمين، اللهم إنك خلقت قومًا فأطاعوك فيما أمرتهم وعملوا في الذي خلقتهم له، فرحمتُك إياهم كانت قبل طاعتهم لك يا أرحم الراحمين**(١).

وعن الحسن وقتادة في قوله تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [الأعراف:١٥٦]. قالا: **وسعت في الدنيا البرَّ والفاجر وهي يوم القيامة للذين اتقوا خاصة**(٢).

وقال سفيان بن عيينة رحمه الله: **خُلقت النار رحمةً يُخوف اللهُ بها عباده لينتهوا**(٣).

وقال الفيروزآبادي: **الرحمة سبب واصل بين الله وبين عباده بها أرسل إليهم رسله وأنزل عليهم كتبه وبها هداهم وبها أسكنهم دار ثوابه وبها رزقهم وعافاهم**(٤).

وقال المُهَلَّب: **الرحمة التي خلقها الله لعباده وجعلها في نفوسهم في الدنيا هي التي يتغافرون بها يوم القيامة التبعات بينهم**(٥).

وقال ابن حجر تعليقًا على حديث: «**من لا يرحم لا يُرحم**»: **قال ابن بطال: فيه الحضُّ على استعمال الرحمة لجميع الخلق فيدخل المؤمن والكافر والبهائم والمملوك منها وغير المملوك، ويدخل في الرحمة التعاهد بالإطعام والسعي والتخفيف في الحمل وترك التعدي بالضرب**(٦).

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله: **إن الشريعة كلها مبنية على الرحمة**

---

(١) حلية الأولياء: (٥/ ٢٩٩).

(٢) تفسير الطبري: (٦/ ٨١).

(٣) تفسير الطبري: (٧/ ٢٧٥).

(٤) بصائر ذوي التمييز: (٣/ ٥٥).

(٥) فتح الباري: (١٠/ ٤٤٧).

(٦) البخاري: (الفتح ١٠/ ٤٥٥).

في أصولها وفروعها وفي الأمر بأداء الحقوق سواء كانت لله أو للخلق فإن الله لم يكلف نفسًا إلا وسعها وإذا تدبَّرت ما شرعه اللهُ -عز وجل- في المعاملات والحقوق الزوجية وحقوق الوالدين والأقربين والجيران وسائر ما شرع وجدت ذلك كله مبنيًّا على الرحمة ثم قال: لقد وسعت هذه الشريعة برحمتها وعدلها العدو والصديق، ولقد لجأ إلى حصنها الحصين الموفقون من الخلق[1].

---

(١) الرياض النضرة: (٦١-٦٥)، بتصرف.



من قصص الرحمة

رحمة الله عليهم أجمعين

قال حذيفة العدوي: انطلقتُ يوم اليرموك أطلب ابن عم لي ومعي شيءٌ من ماء وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته، ومسحتُ به وجهه؛ فإذا أنا به فقلتُ: أسقيك؟ فأشار إليَّ أن نعم، فإذا رجلٌ يقول: آه؛ فأشار ابنُ عمي إليَّ أن انطلق به إليه فجئتُه فإذا هو هشام بن العاص. فقلتُ: أسقيك؟ فسمع به آخر فقال: آه؛ فأشار هشام أن انطلق به إليه، فجئته فإذا هو قد مات فرجعتُ إلى هشام فإذا هو قد مات. فرجعتُ إلى ابن عمي فإذا هو قد مات، رحمةُ الله عليهم أجمعين[1].

الرحمة أيها الأمير!!

يُحكى أن بعض العرب كان عند النعمان بن المنذر ملك الحيرة فلما دخلوا عليه راح يحدثهم ويحدثونه، فاسترجح عقل أوس بن حارثة وأعجبه منطقه، فخلع عليه حلة ثمينه ولقبه بسيد العرب، فحسده من كان معه من العرب وحرضوا الشعراء على هجائه فامتنعوا جميعًا هيبة له واحترامًا فقد كان سيد قومه إلا شاعِرًا واحدً هو بشرُ بن أبي حازم طمع في المكافأة فهجا أوسًا بشعر قبيح ذكر فيه أم أوس واسمها سعدى؛ فلما سمع أوس ذلك الشعر غضب غضبًا شديدًا وراح يطارد بشرًا في كل مكان، وبشر يهرب منه ولا أحد يجيره خوفًا من أوس، حتى قبض عليه بعض أصحاب أوس وساقوه إليه فلما وقف أمامه مكبلًا، قال له أوس: أتهجو أمي وتذكرها بقبيح القول وليس في عصرنا مثلها.

قال بشر: الرحمة أيها الأمير، قال أوس: أي رحمة، والله لأقتلنك قتلة تتحدث بها العرب... ثم تركه ودخل إلى أمه سعدى، وقال: لقد جئتُك بالذي هجاكِ وسأقتله شرَّ قتلة، فقالت له سُعدى: يا بني، أو خيرٌ من ذلك؟ قال: وما هو؟ قالت: أن ترحمه وتطلق سراحه بل وتعطيه من مالك وترده إلى أهله سالمًا فقد يئسوا من رجوعه.

فقال أوس (دهشًا): ماذا؟ قالت: يا بُني كفاه ما قد بلغ من خوف وأنه لم يجد أحدًا يجيره

---

(١) قصص العرب، مواقف وحكايات عن الرحمة: ١٨.

منك... فطمئنه وهدأ من روعه؛ فخرج له أوس وقال له: ما تقول أني فاعلٌ بك؟ قال: تقتلني لا محالة، قال: أتستحق ذلك؟ قال: نعم، فقال أوس: إن سُعدى التي هجوتها قد رحمتك وعفت عنك، ثم حكى له ما قالته سُعدى وأمر ببعض المال وأطلق سراحه[1]!!

والله... إن هذا الغلام لأسخى مني

يُحكى أن عبد الله بن جعفر ارتحل يومًا قاصدًا أرضًا له، فمرَّ وهو في طريقة على أرض ذات نخلٍ فنزل يستريح تحت ظلالها وكان راعي هذه الأرض غلامًا أسود، فدخل كلبٌ إلى هذه الأرض ودنا من الكلام، فأخرج له الغلام رغيفًا من جرابه ورَمَاه له فالتهمه الكلب سريعًا، فأخرج رغيفًا آخر ورماه له فأكله الكلب، فأخرج ثالثًا ورماه له فأكله الكلبُ وانصرف، فقام عبد الله بن جعفر وأتى الغلام وسأله: يا غلام، كم طعامُك كل يوم؟

قال: هو ما رأيت ثلاثة أرغفة، فتعجب ابن جعفر وقال له: ولماذا أعطيتها كُلَّها للكلب؟! قال: يا سيدي، إن أرضنا ليست بأرض كلاب فعرفتُ أن الكلب جاء من مكان بعيدٍ، وهو جائع، فكرهتُ أن أردَّهُ رحمةً به، فقال ابن جعفر: فهل ستقضي يومك كُلَّه دون طعام؟! قال: نعم.

فأعجب عبد الله بن جعفر إعجابًا شديدًا بسخاء هذا الغلام وشفقته وقال في نفسه: والله إن هذا الغلام لأسخى مني ثم اشترى النخل والعبد وأعتقه ووهب له الأرض كلها[2].

---

(١) قصص العرب، مواقف وحكايات عن الرحمة: ٢٠ ، ٢١.

(٢) مواقف وحكايات عن الرحمة: ١٦ ، ١٧.

العدل لغةً واصطلاحًا

العدلُ لغةً

مصدرُ عَدَلَ يَعْدِلُ عدلًا، وهو مأخوذ من مادة (ع د ل) التي تدل على معنيين متقابلين، أحدهما يدل على الاستواء، والآخر يدل على الاعوجاج، ويرجع لفظُ العدل هنا إلى المعنى الأول.

وإذا كان العدلُ مصدرًا فمعناه: خلاف الجور، ويُقال: رجلٌ عَدْلٌ، والعدلُ من الناس المَرْضيُّ المستقيم، والطريقة، ويستوى في هذا الوصف المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث، يُقال: رجلٌ عدلٌ ورجلان عدلٌ ورجالٌ عدلٌ، وامرأة عدلٌ، ويُقال: قومٌ عدلٌ وعدولٌ أيضًا.

ويُقال: فلانٌ من أهل المعدلة: أي من أهل العدل، والعَدلُ والعِدلُ سواءٌ أي: النظيرُ والمثيلُ.

قال الراغبُ: العَدْلُ والعِدْلُ يتقاربان، العَدل يُستعمل فيما يُدرك بالبصيرة؛ كالأحكام والعِدلُ والعديلُ فيما يُدرك بالحاسة كالموزونات والمعدودات والمكيلات.

قال سيبويه: العديلُ مَنْ عادلك من الناس، والعِدلُ لا يكون إلا للمتاع خاصة[١].

العدلُ اصطلاحًا

قال ابن حزم: هو أن تعطي من نفسك الواجب وتأخذه[٢].

قال الجرجاني: العدلُ الأمر المتوسط بين الإفراط والتفريط[٣].

وقيل: بذلُ الحقوق الواجبة وتسوية المستحقين في حقوقهم[٤].

---

(١) اللسان: (٥/ ٢٨٣٨)، الصحاح: (٥/ ١٧٦٠)، المقاييس: (٤/ ٢٤٦).

(٢) مداراة النفوس: (٨١).

(٣) التعريفات: (١٥٣).

(٤) الرياض النضرة: (٢٥٣).

الآياتُ الواردة في العدل

١- العدلُ عامَّةً

قال تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام: ١١٤، ١١٥]. وقال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل: ٧٦]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠]. وقال تعالى: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١٥].

٢- العدلُ في الحكم

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥٨]. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ [المائدة: ٩٥]. وقال تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥١، ١٥٢]. وقال تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى

تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾ [الحجرات: ٩].

٣- العدلُ في الشهادة

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].
وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾ [النساء: ١٣٥]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ﴾ [المائدة: ١٠٦]
وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴾ [الطلاق: ٢].

الأحاديث الواردة في العدل

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن المقسطين عند الله على منابر من نورٍ عن يمين الرحمن -عز وجل- وكلتا يديه يمينٌ الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُوا**»(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا حكمتم فاعدلوا، وإذا قتلتم فأحسنوا فإن الله -عزَّ وجلَّ- مُحسنٌ يحبُّ المحسنين**»(٢).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إن من أعظم الجهاد كلمةَ عدلٍ عند سُلطانٍ جائرٍ**»(٣).

وعن عبادة بن بالصامت رضي الله عنه قال: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في عُسرنا ويُسرنا، ومنشطنا ومكارهنا، وعلى أن لا ننازع الأمرَ أهله، وعلى أن نقول بالعدل أين كنا، لا نخاف في الله لومة لائم(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا تُردُّ دعوتهم: الإمامُ العادل، والصائمُ حتى يفطر، ودعوةُ المظلوم يرفعها الله دون الغمام يوم القيامة، وتفتَّح لها أبواب السماء ويقول: بِعزَّتي لأنصرنَّك ولو بعد حين**»(٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**سبعةٌ يُظلهم اللهُ في ظِلِّهِ يوم لا ظلَّ إلا ظِلُّهُ: إمامٌ عدلٌ، وشابٌ نشأ في عبادة الله، ورجلٌ قلبُه معلَّق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه، وتفرَّقا عليه، ورجلٌ تصدَّق بصدقة، فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق**

---

(١) مسلم: (١٨٢٧).

(٢) مجمع الزوائد (٥/ ١٩٧) واللفظ له، وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ١٩٤)، الصحيحة (٤٦٩).

(٣) الترمذي: (٢١٧٤) واللفظ له، وأبو داود (٤٣٤٤) وأقرّه الألباني في الصحيحة (١/ ٨٠٦).

(٤) النسائي: (٧/ ١٣٩) واللفظ له، انظر صحيح النسائي للألباني (٣٨١٢).

(٥) الترمذي: (٣٥٩٨)، وأحمد في المسند (١٥/ ١٨٧) رقم (٨٠٣٠)، وصححه أحمد شاكر.

يمينه، ورجلٌ ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»(١).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: كُلُّ سلامى من الناس عليه صدقَةٌ، كُلُّ يومٍ تطلع فيه الشمس يعدلُ بين الناس صدقةَ(٢).

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لو لم يبق من الدنيا إلا يومٌ لطوَّل اللهُ ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلًا مني أو من أهل بيتي، يُواطئُ اسمُهُ اسمي، واسمُ أبيه اسمَ أبي، يملأ الأرض قِسطًا وعدلًا كما مُلئت ظلمًا وجورًا»(٣).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ أطاعني فقد أطاع الله، ومَنْ عصاني فقد عصى الله، ومَنْ يُطع الأمير فقد أطاعني، ومَنْ يعصِ الأمير فقد عصاني، وإنما الإمامُ جُنَّة يُقاتلُ من ورائه، ويُتّقى به، فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجرًا، وإن قال بغيره فإن عليه منه»(٤).

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ثلاثٌ كفاراتٌ، وثلاثٌ درجاتٌ، وثلاثٌ مُنْجِيَاتٌ، وثلاثٌ مهلكات، فأما الكفاراتُ: فإسباغُ الوضوء في السبرات(٥)، وانتظارُ الصلوات بعد الصلوات، ونقلُ الأقدام إلى الجماعة، وأما الدرجاتُ: فإطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام، وأما المُنجيات: فالعدلُ في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، وخشيةُ الله في السر والعلانية، وأمام المهلكات: فشحٌ مُطاعٌ، وهوى مُتَّبَعٌ، وإعجابُ المرء بنفسه»(٦).

---

(١) البخاري: (الفتح ٣/ ١٤٢٣) واللفظ له، ومسلم: (١٠٣١).

(٢) البخاري: (الفتح ٥/ ٢٧٠٧) واللفظ له، ومسلم: (١٠٠٩).

(٣) الترمذي: (٢٢٣٠) وقال: حسن صحيحٌ، وأبو داود (٤٢٨٢) واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣/ ٧٠، ٧١) رقم (٥١٨٠).

(٤) البخاري: (الفتح ٦/ ٢٩٥٧)، واللفظ له، ومسلم: (١٨٤١).

(٥) السبرات: جمع سبرة وهي شدَّةُ البرد.

(٦) مجمع الزوائد: (١/ ٩١) واللفظ له، وعزاه كذلك للطبراني في الأوسط وحسنه الألباني في صحيح الجامع: (٢/ ١٦٧) رقم (٣٠٤١) والصحيحة: (٤/ ٤١٢). رقم (١٨٠٢).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «والله ليَنزلنَّ ابنُ مريم حكمًا عدلًا، فليكسرنَّ الصليب، وليقتلنَّ الخنزير، وليضعَنَّ الجزية، ولَتُتْرَكَنَّ القلاص[1]، فلا يُسعى إليها، ولتذهبنَّ الشحناءُ والتباغض والتحاسدُ ولَيَدْعُوَنَّ إلى المال فلا يقبله أحدٌ»[2].

الفرق بين العَدْلِ والعِدْلِ

قال الراغب: والعدلُ والعِدلُ: مِتَقاربان، لكن العدل يُستعمل فيما يدرك بالبصيرة كالأحكام، وعلى ذلك قوله ﴿ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا ﴾ [المائدة: ٩٥]. والعِدل والعديل فيما يدرك بالحاسة كالموزونات والمعدودات والمكيلات والمفردات.

---

(١) القلاص: جمع قلوص، وهي من أشرف الإبل.

(٢) البخاري: (الفتح ٦/ ٣٤٨٨)، ومسلم: (١٥٥) واللفظ له.

المساواةُ لغة واصطلاحًا

المساواةُ لغةً

مصدرُ قولهم: ساواه يساويه إذا عادله.

قال ابن منظور: سواءُ الشيء مثله، وجمعه أسواءٌ، ويُقال أيضًا: سِيٌّ الشيء: أي مثله وسِوَى (بالقصر) يكون بمعنيين: يكون بمعنى نفس الشيء، وبمعنى غير، وقولهم: سواسية وسَوَاسٍ وسَوَاسِوَاة: كلها جمعُ سواءٍ من غير لفظه.

قال الفيروزآبادي: يُقال: استوى الشيئان وتساويا (تماثلا) وساوى، أحدُهما صاحبَه وساوى بين الشيئين، وساوى أحدُهما صاحبَه. وساوى بين الشيئين، وسوَّى بينهما، وساويتُ هذا بهذا وسوَّيتُه به، وهما سِيأَنِ: أي مِثلان ولا سيَّما زيدٌ: أي لا مثيل له.

قال الراغبُ: المساواةُ هي المعادلةُ المعتبرُة بالزرع والوزن والكيل. يُقال: هذا الثوب مساوٍ لذاك الثوب. وهذا الدرهم مساوٍ لذلك الدرهم. وقد يعتبر بالكيفية ولاعتبار المعادلة التي فيه، استُعمل استعمال العدل. وتسوية الشيء (بالشيء) جعلهما سواءً إما بالرفعة، وإما بالضعَّة، والسَّويُّ يُقَال يُصان عن الإفراط من حيث القدر والكيفية[١].

المساواةُ اصطلاحًا

المساواةُ قيمة لا تنقسم ولا يوُجد لها أنواعٌ ، وهي أشرفُ نسبِ العلاقات بين الأشياء؛ لأنها المِثلُ بالحقيقة. المساواةُ في المحال الأخلاقي: أن يكون للمرءِ مثل ما لأخيه من الحقوق وعليه مثلُ ما عليه من الواجبات دون زيادة أو نقصان.

قال ابنُ مسكويه: وأقلُّ ما تكون المساواة بين اثنين، ولكنها تكون في معاملةٍ مشتركةٍ بينهما في شيءٍ ما أو أكثر[٢].

---

(١) لسان العرب: (١٤/ ٤١٠) المفردات للراغب: (٣٦٦ ، ٣٦٧). بصائر ذوي التميز: (٣/ ٢٨٤) بتصرف واحتكار.

(٢) تهذيب الأخلاق لابن مسكوية: (٩٣ ، ١٠٥) بتصرف.

الآيات الواردة في المساواة

١ - المساواةُ بين المسلمين وغيرهم

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤] ، وقال تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٥٨]. وقال تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٩]. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣].

٢ - المساواةُ بين الرجل والمرأة

قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩٥]. وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٤]. قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٧١ ، ٧٢]. وقال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧]. وقال تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ٢]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ

وَالصَّٰبِرِينَ وَالصَّٰبِرَٰتِ وَالْخَٰشِعِينَ وَالْخَٰشِعَٰتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَٰتِ وَالصَّٰٓئِمِينَ وَالصَّٰٓئِمَٰتِ وَالْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَٰفِظَٰتِ وَالذَّٰكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥]. وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٨]. وقال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [غافر: ٤٠].

٣- المساواةُ بين الزوجات واليتامى

وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَٰمَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ [النساء: ٣]. وقال تعالى: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١٢٩].

الأحاديثُ الواردةُ في المساواة

عن أبي حسَّان (الأعرج) أن عليًّا كان يأمرُ بالأمر فيؤتى، فيُقال: فعلنا كذا وكذا، فيقولُ: صدق اللهُ ورسولُهُ، فقال له الأشترُ: إن هذا الذي تقول: قد تَفَشَّعَ[1] في الناس أفشيء عهده إليك رسولُ الله؟ قال عليٌّ: ما عهد إليَّ رسولُ الله ﷺ بشيءٍ خاصةً دون الناس إلا شيءٌ سمعتُه منه فهو في صحيفةٍ في قراب سيفي، قال: فلم يزالوا به حتى أخرج الصحيفة فإذا فيها: «مَنْ أحدث حدثًا أو أوى محدثًا فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين». وإذا فيها: «المؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يدٌ على مَنْ سواهم ألا لا يُقتل مؤمنٌ بكافر، ولا ذو عهدٍ في عهده»[2].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «قد أذهب اللهُ عنكم عُبيَّةَ الجاهلية[3]

(١) تفشَّعَ: فشا وانتشر.

(٢) أحمد في المسند: (٢/ ٥٩٨) رقم (٩٥٩) وصححه أحمد شاكر.

(٣) المراد بها الكبر.

وفخرها بالآباء، مؤمنٌ تقيٌّ وفاجرٌ شقيٌّ، والناس بنو آدم، وآدمُ من ترابٍ»[١].

وعن ابنِ عباس ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية قال تعالى: ﴿ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ [المائدة: ٤٢]. قال: كان بنو النضير إذا قتلوا من بني قريظة أدُّوا نصف الدية، وإذا قتل بنو قريظة من بني النضير أدُّوا إليهم الدية كاملة، فسوَّى رسولُ الله ﷺ بينهم[٢].

أقوالُ العلماء في العدل والمساواة

قال عمر بن الخطاب ﷺ: إن الله إنما ضرب لكم الأمثال، وصرف لكم القول لتحيا القلوب، فإن القلوب ميتةٌ في صدورها حتى يحييها اللهُ، مَنْ علم شيئًا فلينفع به، إن للعدل أمارات وتباشير؛ فأما الأمارات: فالحياءُ والسخاءُ والهَيْنُ واللَّينُ. وأما التباشير: فالرحمة، وقد جعل اللهُ لكل أمرٍ بابًا، ويَسَّر لكل بابٍ مِفتاحًا، فبابُ العدل الاعتبارُ، ومِفتاحه الزهد، والاعتبار ذكرُ الموت والاستعداد بتقديم الأموال. والزهُد أخذ الحقِّ من كل أحدٍ قبله حقٌّ، والاكتفاءُ بما يكفيه من الكفاف فإن لم يكفه الكفافُ لم يُغنه شيءٌ...[٣].

وكتب عمرُ بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري ﷺ: أن القضاء فريضةٌ محكمةٌ، وسُنَّةٌ مُتَّبعَةٌ، فافهم إذا أُدلي إليك فإنه لا ينفع تَكَلُّمٌ بحقٍّ لا نفاذ له، وآسِ بين الناس في وجهك ومجلسك وقضائك حتى لا يطمع شريفٌ في حيفك، ولا ييأس ضعيفٌ من عدلك، البينةُ على مَنْ ادَّعى، واليمينُ على مَنْ أنكر، والصلحُ جائزٌ بين المسلمين إلا صُلحًا أحلَّ حرامًا أو حرَّم حلالاً[٤].

قال سعيدُ بنُ جبير لعبد الملك عن العدل: العدلُ على أربعة أنحاء: العدلُ في الحكم؛ لقوله تعالى: ﴿ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ [المائدة: ٤٢] والعدلُ في القول لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا

---

(١) أبو داود: (٥١١٦)، والترمذي: (٣٩٦٥) وحسنه الألباني في صحيح الترمذي: (٣١٠١).

(٢) أبو داود: (٣/ ٣٥٩١) وحسنه الألباني في صحيح أبي داود: (٣٠٦٢).

(٣) البداية والنهاية لابن كثير: (٧/ ٣٧).

(٤) السنن الكبرى للبيهقي: (١٠/ ٢٥٣).



قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢]. والعدلُ في الفدية؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ١٢٣] والعدل في الإشراك، قال تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[1] [الأنعام: ١].

قال الغزالي رحمه الله: إن حظَّ العبد من العدل أمرٌ ظاهرٌ لا يخفى، فأولُ شيء يجب عليه من العدل في صفات نفسه أن يجعل الشهوة والغضب أسيرين تحت إشارة العقل والدين فإنه لو جعل العقل خادمًا للشهوة والغضب فقد ظلمه، هذا في الجملة.

أما تفصيلات ما يجبُ عليه في العدل في نفسه فمراعاةُ حدود الشرع كلِّها. وإن عدله في كل عُضوٍ أنه يستعمله على الوجه الذي أذن الشرعُ فيه، وأما عدلُه في أهله وذويه فأمرٌ ظاهرٌ يدلُّ عليه العقلُ الذي وافقه الشرع. وأما إن كان من أهل الولاية فالعدل في الرعية من أوجب واجباته[2].

قال ابنُ تيمية رحمه الله: إن الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمةٌ، وعاقبة العدل كريمة، ولهذا يُروى: الله ينصر الدولة العادلة، وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة ولو كانت مؤمنة[3].

وقال أيضًا: بالصدق في كل الأخبار والعدل في الإنشاء من الأقوال والأعمال تصلحُ جميعُ الأعمال، وهما قرينان كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾[4] [الأنعام: ١١٥].

وقال أيضًا: يجب على كل وليِّ أمرٍ أن يستعين بأهل الصدق والعدل، وإذا تعذَّر ذلك، استعان بالأمثل فالأمثل. وإن كان فيه كذبٌ وظلمٌ، فإن الله يُؤَيِّد هذا الدين بالرجل الفاجر، وبأقوام لا خلاق لهم، والواجبُ إنما هو فِعلُ المقدور[5].

وقال أيضًا: أخبر الله في كتابه أنه أنزل الكتاب والحديد؛ ليقوم الناسُ بالقسط فقال

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف (٥٠٦).
(٢) المقصد الأسنى: (٩٨ - ١٠١) بتصرف.
(٣) الحسبة: (١٦، ٢٢، ٢٣، ١٧٠).
(٤) الحسبة: (١٦، ٢٢، ٢٣، ١٧٠).
(٥) نفسه.

تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحديد: ٢٥].

ولهذا أمر النبيُّ ﷺ أمته بتولية ولاة الأمور عليهم، وأمر وُلاة الأمور أن يَردُّوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل، وأمرهم بطاعة ولاةِ الأمور لأنها من طاعةِ الله تعالى[(١)].

وقال أيضًا: فأيُّ مَنْ عدل في ولاية من الولايات فساسها بعلمٍ وعدلٍ، وأطاع الله ورسوله، بحسب الإمكان فهو من الأبرار الصالحين[(٢)].

وقال أيضًا: أمورُ الناس تستقيمُ في الدنيا مع العدل، أكثرَ ما تستقيمُ مع الظلم في الحقوق.

ويُقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام[(٣)].

وقال أيضًا: العدلُ نظامُ كلِّ شيءٍ فإذا أُقيم أمرُ الدنيا بعدلٍ قامت، وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاقٍ، ومتى لم تقم بعدلٍ لم تقم، وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يُجزى به في الآخرة[(٤)].

قال ابنُ القيم رحمه الله: إن مَنْ له ذوقٌ في الشريعة واطِّلاع على كمالها وتضمُّنها لغاية مصالح العباد في المعاش والمعاد، ومجيئها بُغية العدل الذي يسعُ الخلائق، يجدُ أنه لا عدلَ فوق عدلها، ولا مصلحة فوق ما تضمنته من المصالح تبيَّن له أن السياسة العادلة جزءٌ من أجزائها، وفرعٌ من فروعها، وأن مَنْ أحاط علمًا بمقاصدها ووضعها موضعَها وحسُن فهمُهُ فيها، لم يحتج معها إلى سياسةٍ غيرها ألبتَّة فإن السياسة نوعان؛ سياسةٌ ظالمةٌ، فالشريعةُ تُحرِّقها، وسياسةٌ عادلةٌ تُخرجُ الحقَّ من الظالم الفاجر فهي من الشريعة، عَلِمَهاَ

---

(١) الحسبة: (١٩، ٢٥، ١٤٧، ١٤٨).

(٢) الحسبة: (١٩، ٢٥، ١٤٧، ١٤٨).

(٣) نفسه.

(٤) نفسه.

مَنْ عَلِمَهَا، وجَهِلَهَا مَنْ جَهِلَهَا[١].

وقال أيضًا: التوحيدُ والعدلُ هما جُمَّاعُ[٢] صفات الكمال[٣].

قال القرطبيُّ رحمه الله: وأما تفريقُ بعضهم بين المسكينة والتي لها قدرٌ من الجمال فغيرُ جائزٍ؛ لأن النبي ﷺ قد سوَّى بين أحكامهم في الدماء فقال: «**المسلمون تتكافأ دماؤهم**» وإذا كانوا في الدماء سواءً فهم في غير ذلك شيء واحدٌ[٤].

قال ابنُ كثير رحمه الله: جميعُ الناس في الشرف بالنسبة الطينية إلى آدم وحوَّاء -عليها السلام- سواءٌ، وإنما يتفاضلون بالأمور الدينية وهي **طاعةُ الله تعالى ومتابعةُ رسوله ﷺ**، ولهذا قال سبحانه بعد النهي عن الغيبة واحتقار بعض الناس بعضًا مُنبِّهًا على تساويهم في البشرية: فقال تعالى: ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾[٥] [الحجرات: ١٣].

صُوَرُ المساواةِ في الإسلام

للمساواة في الإسلام صورٌ عديدةٌ منها:

١- المساواةُ بين الرجل والمرأة في أداء الواجبات الشرعية والإثابة عليها.

٢- **المساواةُ بين الزوجات في الحقوق الزوجية (في حالة التعدُّد).**

٣- **المساواةُ بين الأجناس والأعراق في التمتُّع بالحقوق المشروعة لكل منهم.**

٤- **المساواةُ بين الأبناء في الهبة والوصية ونحوهما.**

٥- **المساواةُ بين الخصوم في مجالس القضاء في سماع الحُجَّة منهم والقصاص من المعتدي أيًّا**

---

(١) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن القيم.
(٢) جُمَّاعُ: مجتمعُ أصلِ كل شيء.
(٣) التفسير القيم: (١٧٩).
(٤) تفسير القرطبي: (٣/ ٧٦).
(٥) تفسير ابن كثير: (٤/ ٢١٧).

كانت منزلتُه.

٦- المساواةُ في حق الكرامة الإنسانية، فلا يؤذى أحدٌ بسبب لونه أو جنسه أو مذهبه أو عقيدته.

٧- المساواةُ في حقِّ إبداء الرأي.

٨- المساواةُ في حُرمةِ الدماءِ والأموال والأعراض.

٩- المساواةُ في إيقاع الجزاء بكل مَنْ ينتهك حدًّا من حدود الله، فلا يُعفى أحدٌ من العقوبة لشرفه أو قرابته من الحاكم، فتلك التي أهلكت الأمم السابقة، أما في الإسلام فلا أدلَّ على المساواة الكاملة في هذه الناحية من قوله ﷺ: «**لو أن فاطمة بنت محمدٍ سرقت لقطع محمدٌ يدها**»[1].

١٠- المساواةُ في نيل الجزاء في الدنيا والثواب في الآخرة لكل مَنْ يعمل عملًا صالحًا (ذكرًا كان أو أنثى)[2].

---

(١) البخاري: (الفتح ١٢ / ٦٧٨٨)، ومسلم: (١٦٨٨).

(٢) نضرة النعيم: (٧/ ٢٧٩٦)، بتصرف يسير.

من قصص العدل والمساواة

شريحُ بنُ الحارث

افتقد عليٌّ ﷺ درعًا له ثم رآه في يد يهودي فقال لليهودي: الدرع درعي لم أبع ولم أهب، فقال اليهودي: درعي وفي يدي. فقال: نسير إلى القاضي.

وكان القاضي شريح بن الحارث، فقال: قُلْ يا أمير المؤمنين، فقال: نعم، هذا الدرع الذي في يد اليهودي درعي لم أبع ولم أهب ، فقال شريح: إيش تقول يا يهودي؟ قال: درعي وفي يدي، فقال شريح: ألك بينةٌ يا أمير المؤمنين؟ قال نعم، قنبر والحسن يشهدان أن الدرع لي، فقال شريح: شهادة الابن لا تجوز للأب.

فذُهل اليهودي مما يرى من عدلٍ أمامه، فقال: أمير المؤمنين، قدمني إلى قاضيه، وقاضيه قضى عليه، أشهد أن هذا هو الحق، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسولُ الله وأن الدرع لك[(١)].

يُحكى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب اشترى فرسًا من رجلٍ أعرابي وأعطاه ثمنه ثم ركب الفرس ومضى به، لكنه ما كاد يبتعد بالفرس حتى ظهر فيه عطبٌ أعاقه عن مواصلة الجري فعاد به ثانية إلى الأعرابي وقال له: خذ فرسك فإنه معطوبٌ.

قال الأعرابي: لا آخذه يا أمير المؤمنين فقد بعته لك سليمًا صحيحًا، فقال عمر: اجعل بيني وبينك حكمًا، فقال الأعرابي: يحكم بيننا شريح بن الحارث، فقال عمر: رضيتُ به، فذهبا إلى شريح، فلما سمع مقالة الأعرابي التفت إلى عمر بن الخطاب ﷺ وقال له: هل أخذت الفرس سليمًا يا أمير المؤمنين؟ فقال عمر: نعم فقال شريح: احتفظ بما اشتريت يا أمير المؤمنين أو ردَّ كما أخذتفنظر عمر إلى شريح معجبًا وقال: وهل القضاء إلا هكذا؟ قولٌ فصل وحكم عدل، سر إلى الكوفة فقد وليتك قضاءها[(٢)].

---

(١) مواقف وحكايات عن العدل: ١٠.

(٢) مواقف وحكايات عن العدل: ١٢ ، ١٣.

إياسُ بن معاوية

قد يلجأ القاضي أحيانًا إلى استخدام الحيلة والفراسة لتحقيق العدل، وقد اشتهر إياس بن معاوية القاضي بذكائه الحاد في هذا الأمر.

ومما يُحكى أن رجلًا أقرض رجلًا مالًا فلما جاء بعد مدة وطالبه بالسداد أنكر الرجل أنه أخذ منه شيئًا، فذهب به إلى إياس القاضي وهو يهتف، أغثني يا سيدي القاضي، قال إياس: ما بك يا رجل؟ قال الرجلُ: أقرضت هذا مالًا فلما جئت أطالبه به أنكر قال إياس للرجل الآخر: هل أخذت منه المال؟ قال: لم آخذ شيئًا.

فقال إياس: أين أعطيته المال الذي تدعي أنه أخذه منك؟ قال: في مكانٍ يقع خارج البلد.

قال إياس: ألم يكن هناك علامة في هذا المكان؟ قال الرجل: نعم يا سيدي كانت هناك شجرة كبيرةٌ كنا تقف تحت ظلها.

فقال إياس: إذن اذهب هناك وابحث عن هذه الشجرة فلعلّك دفنت مالك عندها ونسيت ذلك.

أما أنت: فأجلس هنا حتى يعد صاحبك، فذهب الرجل المظلوم بينما جلس الآخر، واستمر إياس في بحث القضايا التي أمامه دون أن يعطيه اهتمامًا وبعد فترة التفت إليه فجأة وقال: أترى صاحبك يكون قد بلغ موضع الشجرة الآن؟ فأجاب الرجلُ دون تفكير: لا... فهي لا زالت بعيدة، فهتف إياس قائلًا له بغضبٍ شديدٍ: يا عدو الله وكيف عرفت موضعها؟ لقد كان صاحبك صادقًا وقد خنته.

فارتعد الرجل خوفًا وهو يقول: سامحني يا سيدي -لعن اللهُ الشيطان- فأمر إياس بحبسه حتى جاء الرجل فأمره بردِّ حقه إليه[١].

ومما يُحكى عن ذكاء إياس بن معاوية القاضي وتحايله لإقامة الحق والعدل، أن رجلًا جاء بمالٍ واستودعه عند رجل يعمل أمينًا عند إياس، فأخذه من الأمين على سبيل الأمانة،

---

(١) مواقف وحكايات عن العدل: ٢٢، ٢٣.



وسافر الرجلُ ولما عاد ذهب إلى أمين إياس يطلب ماله فأنكر أنه أخذ منه شيئًا؛ فما كان من الرجل إلا أن ذهب إلى إياس بن معاوية وشكا له أمينه فقال له إياس: انصرف ولكن لا تعلمه أنك جئتني، ثم إن إياس استدعى أمينه وقال له:

اعلم أنه حضر إليَّ مالٌ كثيرٌ وأريد أن أحفظ ذلك المال ولا أحد غيرك يؤتمن عليه، فجهِّز موضعًا في دارك تحفظ فيه ذلك المال، فانصرف الأمينُ وهو يكاد يطيرُ فرحًا بذلك الأمر، ثم إنه استدعى الرجل الشاكي وقال له: الآن اذهب واطلب منه مالك، فإن رفض إعطاءه لك فقُلْ له أنك ستخبرني بالقصة.

وبالفعل ذهب الرجل إلى الأمين وقال: أعطني مالي وإلا شكوتك إلى القاضي.

فما كان من الأمين إلا أن أسرع وأحضر للرجل ماله وهو يرتجف من الخوف. فأخذه الرجل وذهب إلى إياس وأعلمه بما حدث ثم إن الأمين جاء إلى إياس ليتسلم منه الوديعة الموعودة فزجره إياس وطرده وهو يقول: لا أراك بعد ذلك يا خائن الأمانة[(١)].

(١) المرجع السابق: ٢٣ ، ٢٤.

العطف لُغة واصطلاحًا

العطفُ لغةً

مصدر قولهم عَطَفَ يَعْطَف عطفًا وعُطُوفًا. وهو مأخوذٌ من مادة (ع ط ف) التي تدل على انثناء وعياجٍ، ويقال: عطفَت الشيء إذا أملتهُ، وانعطف إذا انعاج ويقال: عَطَفَ يَعْطِفُ بالكسر من باب ضَرَبَ وهو الحنان والميل، تقول: عطفت الناقة على ولدها عطفًا إذا حنت عليه ودرَّ لبنُها، وعطَّف الله تعالى قلب السلطان على رعيته إذا جعله عاطفًا رحيمًا.

قال الراغبُ: العطف يُقال في الشيء إذا ثُني أحد طرفيه إلى الآخر كعطف الغصن والوسادة والحبل، ويُستعار للميل والشفقة إذا عُدِّ بي بـ (على) نحو: عطف عليه، وإذا عُدي بـ (عن) يكون على الضد نحو عطفت عنهن: أي أعرضتُ وصددت.

وتقول: عَطَفَ عطوفًا يعني مال، واستعطفته: سألته أن يعطف فَعَطَفَ، وامرأة عطوفٌ: مُحِبةٌ لزوجها حانيةٌ على أولادها، وامرأة عَطَفٌ: لَيِّنَةٌ هَيِّنَةٌ ذلولٌ مطواعٌ لا كبر لها. وتَعَطَّفَ عليه: وَصَلَهُ وبرَّه.

وتعطَّف على رحمه: رقَّ لها وأشفق. وتعاطفوا: عطف بعضهم على بعض. ورجلٌ عاطفٌ وعطوفٌ: عائد بفضله حسنُ الخُلُقِ [١].

العطف اصطلاحًا

قال أبو حمزة -رحمه الله- في بيان معنى التعاطف: إنه إعانة الناس بعضهم بعضًا. كما يُعطفُ الثوب عليه ليقويه [٢].

---

(١) لسان العرب: (٥/ ٢٩٩٦، ٢٩٩٧)، الصحاح: (٤/ ١٤٠٥)، مقاييس اللغة: (٤/ ٣٥١) مفردات الراغب (٣٣٨).

(٢) فتح الباري (١٠، ٤٥٣، ٤٥٤).

الأحاديثُ الواردةُ في العطف

١ - عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه قال: بينما نحن في سفرٍ مع النبي ﷺ إذ جاء رجلٌ على راحلةٍ له قال: فجعل يصرفُ بصره يمينًا وشمالًا، فقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كان معه فضلُ ظهرٍ فليَعُدْ به على من لا ظهر له، ومنْ كان له فضلٌ من زادٍ فليَعُد به على من لا زاد له**» قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر، حتى رأينا أنه لا حقَّ لأحد منا في فضلٍ[1].

٢ - وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا صلَّى أحدُكم للناس فليُخفف، فإن منهم الضعيفَ والسقيمَ والكبيرَ، وإذا صلَّى أحدُكم لنفسه فليُطوِّلْ ما شاء الله**»[2].

٣ - وعن سلمان الفارسي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن اللهَ خلق يوم خلق السماوات والأرض مائة رحمة، كل رحمة طِباقُ ما بين السماء والأرض، فجعل منها في الأرض رحمةً، فبها تعطفُ الوالدةُ على ولدها، والوحشُ والطيرُ بعضُها على بعض، فإذا كان يوم القيامة، أكملها بهذه الرحمة**»[3].

٤ - وعن النعمان بن بشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادِّهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضوٌ تداعى له سائرُ الجسد بالسهر والحمى**»[4].

٥ - عن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ج: «**إن مثلي ومثل ما بعثني اللهُ به كمثل رجل أتى قومه فقال: يا قوم إني رأيتُ الجيش بعيني، وإني أنا النذيرُ العُريانُ، فالنجاءَ، فأطَاعَه طائفةٌ من قومه فأدلجوا وانطلقوا على مُهلتهم، وكذَّبتْ طائفةٌ منهم فأصبحوا مكانهم، فصبَّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل مَنْ أطاعني واتّبع ما جئت به، ومثلُ مَنْ عصاني وكذَّب بما جئتُ به من الحقِّ**»[5].

---

(١) مسلم: (١٧٢٨).
(٢) البخاري: (الفتح ٢/ ٧٠٣)، واللفظ له، ومسلم: (٤٦٧).
(٣) مسلم: (٢٧٥٣).
(٤) البخاري: (الفتح ١٠/ ٦٠١١) واللفظ له، ومسلم: (٢٥٨٦).
(٥) مسلم: (٢٢٨٣).

٦- وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنما مَثَلُ أمتي، كمثل رَجُلٍ استوقد نارًا، فجعلت الدّوَابُّ والفراشُ يقعن فيه، فأنا آخذٌ بحجزكم، وأنتم تَقَحَّمُون[1] فيه»[2].

أقوالُ العلماء في العطف

قال الحسنُ بنُ عليٍّ ﷺ: المروءة حفظُ الرجل دينَهُ، وحذرُهُ نفسَه، وحسنُ قيامه بضيفه، وحسنُ المنازعة، والإقدامُ في الكراهية، والنجدة: الذبُّ عن الجار، والصبر في المواطن.

والكرمُ: التبرُّعُ بالمعروف قبل السؤال، والإطعامُ في المحل، والرأفةُ بالسائل مع بذل النائل[3].

قال ابنُ جرير الطبري رحمه الله: صلةُ الرحم هي أداءُ الواجب لها من حقوق الله التي أوجب لها، والتعطّفُ عليها بما يحقُّ التعطُّفُ به عليها[4].

من قصص العطف

١- عبدُ الله بنُ الزبير

عن عروة بن الزبير قال: ذهب عبد الله بن الزبير مع أناسٍ من بني زُهرة إلى عائشة، وكانت أرقَّ شيء عليهم لقرابتهم من رسول الله ﷺ[5].

٢- عطفُ أمٍّ على رضيع

عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قدم على النبي ﷺ سَبْيٌ، فإذا امرأةٌ من السبي تحلب ثديَها تسقي، إذا وجدت صبيًّا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال النبيُّ ﷺ: «أترون هذه طارحة ولدها في النار؟» قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: «الله

---

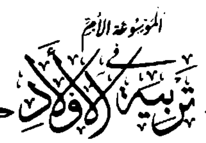
(١) تقحَّمون: القحم هو الإقدامُ والوقوع في الأمور الشاقة من غير تثبُّتٍ.

(٢) مسلم: (٢٢٨٤).

(٣) الإحياء: (٣/ ٢٤٦).

(٤) عدة الصابرين: (١٤٤).

(٥) البخاري: (الفتح ٦/ ٣٥٠٣).



أرحمُ بعباده من هذه بولدها»[١].

٣- عطفُ أم على ولدها

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«كانت امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت صاحبتها: إنما ذهب بابنك، فقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكمتا إلى داود، فقضى للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتاه، فقال: ائتوني بالسكين أشقُّهُ بينهما، فقالت الصغرى: لا تفعل -يرحمك الله- هو ابنُها، فقضى به للصُّغرى»**[٢].

(١) البخاري: (الفتح ١٠/ ٥٩٩٩) واللفظ له، ومسلم: (٢٧٥٤).

(٢) البخاري: (الفتح ٦/ ٣٤٢٧)، واللفظ له، ومسلم: (١٧٢٠).

العفو لغةً واصطلاحًا

العفوُ لغةً

مصدر قولهم: عَفَا يعفُو عفوًا، وهو مأخوذٌ من مادة (ع ف و) التي تدلُّ على معنيين أصليين: الأول: تركُ الشيء، والآخر: طلبه. ومن المعنى الأول: عفو الله تعالى عن خلقه، وذلك تركُهُ إياهم فلا يعاقبهم فضلًا منه تعالى. ومن المعنى الثاني: العفاةُ وهم طلاَّبُ المعروف. ومن ذلك أيضًا: أعطيتُه المال عفوًا من غير طلبٍ.

ذهب الراغب إلى أن العفو له معنىً واحدٌ هو: القصدُ لتناول الشيء، يُقَال من ذلك: عفاهُ واعتفاه، أي قصده متناولًا ما عنده، وعفت الريحُ الديار: أي قصدتها متناولة آثارها، ومن هذا أيضًا العفو بمعنى التجافي عن الذنب، وقولهم: عفوتُ عنه؛ قصدتُ إزالة ذنبه صارفًا عنه.

قال ابنُ فارسٍ: وقد يكون أن يعفو عن الإنسان بمعنى الترك، ولا يكون ذلك عن استحقاقٍ.

وقال الجوهري: يُقَال: عفوتُ عن ذنبه إذا تركته ولم تعاقبه، والعفوُّ على فعولٍ: الكثيرُ العفو، ويُقَال: عفوتُه: أي أتيتُه أطلبُ معروفه، واعتفيتُه مِثْلُهُ، وعفو المال: ما يَفضُلُ عن الصدقة، ويُقَال: أعفني من الخروج معك: أي دعني منه.

وقال الخليلُ: العفوُ: تركُكَ إنسانًا استوجب عُقوبةً فعفوت عنه، والله سبحانه وتعالى هو العفوُّ الغفورُ.

وقال ابنُ الأثير: أصلُ العفو: المحو والطمسُ.

وقال ابن منظور: وأما العافية فهي أن يعافيه الله تعالى من سقم أو بليَّة. وهي الصحة ضد المرض. يُقَال: عافاه اللهُ وأعفاه، أي وهب له العافية من العِلَلِ والبلايا. وأما المعافاة: فأن يعافيك اللهُ من الناس، ويعافيهم منك، أي: يُغنيك عنهم ويغنيهم عنك، ويصرف أذاهم عنك، ويصرف أذاك عنهم، وقيل: هي مفاعلة من العفو وهو: أن يعفو عن الناس

ويعفون هم عنه، ومن معاني العفو: أن تقبل الدية في القتل العمد[(١)].

العفوُ اصطلاحًا

قال الكفوي: العفوُ: كفُّ الضرر مع القدرة عليه، وكل من استحقَّ عقوبة فتركها فهذا التركُ عفوٌ[(٢)].

وقال: العفوُ عن الذنب يصحُّ رجوعُهُ إلى ترك ما يستحقه المُذنبُ من العقوبة، وإلى محو الذنب، وإلى الإعراض عن المؤاخذة كما يُعرِضُ المرءُ عما يَسْهُلُ على النفس بذلُهُ[(٣)].

قال المناوي: العفو القصد لتناول الشيء والتجاوز عن الذنب[(٤)].

معاني كلمة (العفْو) في القرآن الكريم

أ- (العفو) بمعنى الصفح

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ۝ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥١ ، ٥٢]. وقال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٠٩] وقال تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ

---

(١) لسان العرب: (٤ / ٣٠٢٠)، المفردات للراغب: (٣٤٠)، مقاييس اللغة: (٤/٥٦)، الصحاح للجوهري: (٦/٢٤٣٣)، كتاب العين للخليل بن أحمد: (٢/٢٥٨)، النهاية لابن الأثير: (٢/ ٢٦٥).

(٢) الكليات: (١٥٣ ، ٥٩٨).

(٣) المرجع السابق: (٦٣٢).

(٤) التوقيف: (٢٤٣).

يَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٧] وقال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وقال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤]. وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٥٢] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ۖ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [آل عمران:١٥٥]. وقال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران:١٥٩]. وقال تعالى: ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾ [النساء:١٥٣]. وقال تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة:١٣]. وقال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة:١٥]. وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ۗ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾ [المائدة:٩٥]، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [المائدة:١٠١]. وقال تعالى: ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا

وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[التوبة:٤٣] . وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾[الحج:٦٠] . وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[النور:٢٢] . وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[الشورى:٢٥] وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾[الشورى:٣٠] وقال تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الشورى:٤٠] . وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[التغابن:١٤] .

ب- العفوُ بمعنى الترك

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة:١٧٨] . وقال تعالى: ﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[البقرة:٢٣٧] .

جـ- العفوُ بمعنى الفاضل من المال

قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [البقرة:٢١٩]. وقال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[الأعراف:١٩٩] .

د- العفوُ بمعنى الكثرة

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[الأعراف: ٩٤ ، ٩٥].

الأحاديث الواردة في العفو

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن عطاء بن يسار سأله أن يخبره عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال: أجل، والله إنه لموصوفٌ في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيها النبيُّ إنا أرسلناك شاهدًا ومُبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي سميتكُ المُتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخَّاب[1] في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يُقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا اللهُ، ويُفتح بها أعينٌ عميٌ وآذانٌ صُمٌّ وقلوبٌ غلفٌ[2][3].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله تعالى حدَّثنا بها رسولُ الله ﷺ: «قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠]. **وسأفسرها لك يا عليُّ: ما أصابكم من مرضٍ أو عقوبةٍ أو بلاءٍ في الدنيا فبما كسبت أيديكم، واللهُ تعالى أكرمُ من أن يُثني عليهم العقوبة في الآخرة وما عفا اللهُ تعالى عنه في الدنيا فاللهُ تعالى أحلمُ من أن يعودَ بعد عفوه**»[4].

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الأنصار كَرِشِي وعَيْبَتِي**[5] **وإن الناس سيكثرون ويَقلُّون، فاقبلوا من مُحسنهم واعفوا عن مسيئهم**»[6].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، كم نعفو عن الخادم؟ فصمت. ثم أعاد عليه الكلام، فصمت، فلما كان في الثالثة، قال: «**اعفوا عنه في كل يوم سبعين مرة**»[7].

---

(١) سخاب: (بالسين)، وصخاب: (بالصاد): هو رفع الصوت بالخصام.

(٢) غلفٌ: كل شيءٍ في غلاف، سيفٌ أغلف، وقوسٌ غلفاء، ورجلٌ أغلف: أي غير مختونٍ.

(٣) البخاري: (الفتح ٤/ ٢١٢٥)، (٨/ ٤٨٣٨).

(٤) أحمد: (١/ ٨٥) واللفظ له، وحسنه أحمد شاكر: (٢/ ٦٤٩).

(٥) كرشي وعيبتي: يعني جماعتي وخاصتي الذين أثق بهم.

(٦) مسلم: (٢٥١٠).

(٧) أبو داود: (٥١٦٤) واللفظ له، والترمذي: (٢٠٣١)، وصححه الألباني: (٣/ ٩٧٠) في صحيح الترمذي.

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قالت أم حبيبة ﷺ اللهم مَتِّعني بزوجي رسولِ الله ﷺ وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية، فقال لها رسولُ الله ﷺ: **«إنك سألت الله لآجال مضروبة، وآثار موطوءةٍ، وأرزاق مقسومةٍ، لا يُعجِّلُ منها شيئًا قبل أجله، ولا يُؤخِّرُ منها شيئًا بعد حِلِّهِ، ولو سألت الله أن يعافيك من عذاب في النار، وعذاب في القبر لكان خيرًا لك»**[١].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«تعافوا فيما بينكم، فما بلغني من حَدٍّ فقد وجب»**[٢].

وعن عائشة ﷺ قالت: فقدتُ رسول الله ﷺ ليلةً من الفراش فالتمستُه، فوقعت يدي على قدميه وهو في المسجد، وهما منصوبتان، وهو يقول: **«اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»**[٣].

وعن عائشة ﷺ قالت: قلتُ: يا رسول الله، أرأيت إن علمتُ أيّ ليلةٍ ليلة القدر ما أقولُ فيها؟ قال: **«قولي اللهم إنك عفوٌ كريمٌ تحبُّ العفوَ فاعفُ عَنِّي»**[٤].

وعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ: **«اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحوُّل عافيتك، وفجاءة[٥] نقمتك، وجميع سخطك»**[٦].

وعن ابن عمر ﷺ قال: لم يكن رسولُ الله ﷺ يدعُ هؤلاء الدعوات حين يُمسي وحين يُصبح: **«اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي**

---

(١) مسلم: (٢٦٦٣).

(٢) أبو داود: (٤٣٧٦) واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح النسائي رقم (٤٥٣٨)، (٤٥٣٩).

(٣) مسلم: (٤٨٦).

(٤) الترمذي: (٥/ ٣٥١٣) واللفظ له، والحاكم: (١/ ٥٣٠) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣٥١٣)، وصحيح ابن ماجه (٣١١٩)، والمشكاة (٢٠٩١).

(٥) فجُاءة: بغتة.

(٦) مسلم: (٢٧٣٩).

ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقي، أعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي»[١].

وعن بُريدة ﷺ قال: كان رسولُ الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر، فكان قائلهم يقول (في رواية أبي بكر): «السلام على أهل الديار»، (وفي رواية زهير): «السلامُ عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله للاحقون، أسألُ الله لنا ولكم العافية»[٢].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «كُلُّ أمتي معافاةٌ إلا المجاهرين، وإن من الإجهار أن يعمل العبدُ بالليل عملًا، ثم يُصبحُ قد ستره ربُّه، فيقولُ: يا فلانُ قد عملتُ البارحة كذا وكذا، وقد بات يستُره ربُّه، فيبيتُ يستُرهُ ربُّهُ، ويصبحُ يكشفُ سترَ الله عنه»[٣].

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال النبيُّ ﷺ: «ما أحدٌ أصبرَ على أذى سمعه من الله، يدعون له الولدَ، ثم يعافيهم ويرزقهم»[٤].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما نقصت صدقةٌ من مالٍ، وما زاد اللهِ عبدًا بعفوٍ إلا عِزًّا، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله»[٥].

أقوال العلماء في العفو

قال عبدُ الله بن الزبير ﷺ: قال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. قال ما أنزل الله إلا في أخلاق الناس[٦] وقال أيضًا: أمر الله نبيَّه ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس أو كما قال[٧]، قال الحسن -رحمه الله- أفضلُ أخلاق المؤمن العفوُ[٨].

---

(١) أبو داود: (٥٠٧٤) واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح أبي داود: (٣/ ٩٥٧).
(٢) مسلم: (٩٧٥).
(٣) البخاري: (الفتح ١٠/ ٦٠٩٦)، ومسلم: (٢٩٩٠) واللفظ له.
(٤) البخاري: (الفتح ١٣ / ٧٣٧٨)، ومسلم: (٢٨٠٤) واللفظ للبخاري.
(٥) مسلم: (٢٥٨٨).
(٦) البخاري: (الفتح ٨/ ١٥٥).
(٧) نفس المرجع والصفحة.
(٨) الآداب الشرعية: (١/ ٧١).

وقال عمرو بن ميمون: قال عمر ﷺ: أوصي الخليفة بالمهاجرين الأولين أن يعرفَ لهم حقَّهم وأوصي الخليفة بالأنصار الذين تبوَّءُوا الدارَ والإيمان من قبل أن يهاجر النبي ﷺ أن يقبل من محسنهم ويعفو عن مسيئهم(١).

وقال البخاري -رحمه الله- باب الانتصار من الظالم؛ لقوله جلَّ ذكره: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ [الشورى:٣٩]. قال إبراهيم (يعني النخعي): كانوا يكرهون أن يستذلُّوا فإذا قدروا عفوا(٢).

وعن ابن عباس ﷺ قال: كان في بني إسرائيل القصاص، ولم تكن فيهم الدِّيَةُ، فقال الله تعالى لهذه الأمة: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ ﴾ [البقرة:١٧٨]. فالعفو أن يقبل الدية في العمد ﴿ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ يتبع بالمعروف ويؤدي بإحسان ﴿ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾، مما كتب على مَنْ كان قبلكم ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٨]. قتل بعد قبول الدِّيةِ(٣).

قال معاويةُ ﷺ: عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمكنكم الفرصةُ، فإذا أمكنتكم فعليكم بالصفح والإفضال(٤).

وقال بعضهم: ليس الحليمُ مَنْ ظُلِمَ فحَلُم حتى إذا قدر انتقم، ولكنَّ الحليمَ مَنْ ظُلِمَ فحَلُمَ حتى إذا قدر عفا(٥).

وكتب أحدهم إلى صديق له يسأله العفو عن بعض إخوانه: فلانٌ هاربٌ من زلّته إلى عفوك لائذٌ منك بك، واعلم أنه لن يزداد الذنبُ عِظَمًا إلا ازداد العفوُ فضلًا(٦).

---

(١) البخاري: (الفتح ٨/ ٤٨٨٨).
(٢) البخاري: (الفتح ٥/ ١٢٠).
(٣) البخاري: (الفتح ٨/ ٤٤٩٨).
(٤) الإحياء: (٣/ ١٩٥).
(٥) المرجع السابق: (٣/ ١٩٦).
(٦) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

الصفح لغةً واصطلاحًا

الصفح لغةً

الصفح مصدر صفح يصفح، إذ أعرض عن الذنب وتجاوز، عنه فهو من مادة (ص ف ح) التي تدل على عرض الشيء، ومن ذلك: صفح الشيء عرضه، والصفح الجنب، وصفحا كلِّ شيء: جانباه، وصفحة الرجل: عُرض وجهه ونظر إليه بصفح الوجه أي: بعرضه.

وصفح عنه يصفح صفحًا: أعرض عن ذنبه فلم يؤاخذه به وحقيقته: ولاه صفحة وجهه، وهو صفوح وصفاح: أي عفوٌّ، والصفوح: الكريم؛ لأنه يصفح عمن جنى عليه.

واستصفحه ذنبه: استغفره إياه وطلب أن يصفح له عنه وفي حديث عائشة تصف أباها م: صفوحٌ عن الجاهلين، أي كثير الصفح والعفو والتجاوز عنهم. والصفوح من أبنية المبالغة.

قال الفيروزآبادي: والصفح أبلغ من العفو، وقد يعفو الإنسان ولا يصفح، وصفحتُ عنه: أوليتُه صفحة جميلة مُعرضًا عن ذنبه أو لقيتُ صفحته متحاميًا عنه أو تجاوزتُ الصفحة التي أثبت فيها ذنبه من الكتاب إلى غيرها من قولهم: تصفحتُ الكتاب.

وقوله تعالى: ﴿ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٌ ﴾ [الزخرف: ٨٩] أمرٌ للنبي ﷺ أن يخفف على نفسه كفر من كفر.

وقوله: ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥] أمرٌ للنبي ﷺ بالتجاوز عن جنايات المؤمنين.

وقوله: ﴿ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ ﴾ [التغابن:١٤]: إشارة إلى الآباء والأزواج بالعفو عن الأولاد والعيال.

وقوله: ﴿ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ ﴾ [النور: ٢٢]. إشارة إلى أبي بكر الصديق ﷺ بالتجاوز عن ذنب مسطح بن أثاثة فيما أخطأ من الخوض في حديث الإفك[١].

---

(١) مقاييس اللغة: (٣/ ٢٧٢)، لسان العرب: (٢/ ٥١٢-٥١٥)، بصائر ذوي التمييز: (٣/ ٤٢١-٤٢٢).

الصفح اصطلاحًا

قال القرطبي: الصفح إزالة أثر الذنب من النفس، صفحت عن فلان إذا أعرضت عن ذنبه وقد ضربتُ عنه صفحًا إذا أعرضت عنه وتركتُه.

وقال الراغب: الصفح: ترك الذنب(١).

الآيات الواردة في الصفح

١ - الصفح عن عصاة المسلمين

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ۝ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ [النور:٢١،٢٢]. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ۝ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾ [التغابن:١٤، ١٥].

٢ - الصفح عن أهل الكتاب

قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [البقرة:١٠٩]. وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: (٢/ ٧١) والمفردات للراغب: (ص ف ح).

عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[المائدة:١٢، ١٣].

٣-الصفح عن المشركين

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾[الحجر:٨٥]. وقال تعالى: ﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[الزخرف:٨٨، ٨٩].

الأحاديث الواردة في الصفح

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن هذه الآية التي في القرآن ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[الأحزاب: ٤٥]. قال في التوراة: **يأيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين أنت عبدي ورسولي سميتُك المتوكل ليس بفظٍّ ولا غليظٍ ولا سخابٍ بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله فيفتح بها أعينًا عميًا وآذانًا صمًّا وقلوبًا غُلفًا**[1].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: **أتى الله بعبد من عباده آتاه الله مالًا فقال له: ماذا عملت في الدنيا؟ قال: ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾، قال: يا رب آتيتني مالك فكنتُ أبايع الناس وكان من خلقي الجواز فكنتُ أتيسر على الموسر وأنظر المعسر. فقال الله: أنا أحق بذا منك، تجاوزوا عن عبدي.**

فقال عقبة بن عامر الجهني وأبو مسعود الأنصاري: هكذا سمعناه من فِيّ رسول الله ﷺ[2].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **أن رجلًا كان قبلكم رَغَسَه الله مالًا فقال لبنيه لما حُضر: أي أبٍ كنت لكم؟ قالوا: خير أبٍ؛ قال: فإني لم أعمل خيرًا قط. فإذا متُّ فأحرقوني ثم اسحقوني ثم ذروني في يوم عاصف. ففعلوا فجمعه الله عز وجل فقال: ما حملك؟ قال: مخافتك؛ فتلقاه برحمته**[3].

---

(١) البخاري: (الفتح ٨/ ٤٨٣٨).

(٢) مسلم: (١٥٦٠).

(٣) البخاري: (الفتح ٦/ ٣٤٧٨) واللفظ له ومسلم: (٢٧٥٧).

وعن عائشة ﵂ قالت: أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود[١].

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تجاوز لأمتي ما حدَّثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به»[٢].

وعن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «كان الرجل يداين الناس فكان يقول لفتاه: إذا أتيت مُعسـرًا فتجاوز عنه لعلَّ الله أن يتجاوز عنا قال فلقي الله فتجاوز عنه»[٣].

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أقال مسلمًا أقال الله عثرته يوم القيامة»[٤].

أقوال العلماء في الصفح

قال معاوية: عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمكنكم الفرصة فإذا أمكنتكم فعليكم بالصفح والإفضال[٥].

وقال ابن تيمية: ذكر الله تعالى في كتابه الصبر الجميل والصفح الجميل والهجر الجميل، الصبر الجميل: هو الذي لا شكوى فيه ولا معه، والصفح الجميل: هو الذي لا عتاب معه، والهجر الجميل: هو الذي لا أذى معه[٦].

وعن علي بن أبي طالب ﵁ في قوله تعالى: ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾ قال: الرضا بغير عتاب[٧].

وعن مجاهد -رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾ قال: هذا الصفح

---

(١) أبو داود: (٤٣٧٥) وهذا لفظه وصححه الألباني في صحيح أبي داود: (٣/ ٨٢٧) والصحيحة: (٦٣٨).

(٢) البخاري: (الفتح ٥/ ٢٥٢٨) ومسلم: (١٢٧) واللفظ له.

(٣) البخاري: (الفتح ٦/ ٣٤٨٠).

(٤) أبو داود: (٣٤٦٠) وابن ماجه: (٢١٩٩) واللفظ له وصححه الألباني في صحيح أبي داود: (٢/ ٦٦٢).

(٥) الإحياء: (٣/ ١٨٤).

(٦) المدارج: (٢/ ١٦٧)، بتصرف.

(٧) الدر المنثور: (٥/ ٩٤).

الجميل كان قبل القتال(١).

قال الطبري عن قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ ﴾ وإن تعفوا أيها المؤمنون عما سلف منهم من صدِّهم إياكم عن الإسلام والهجرة وتصفحوا لهم عن عقوبتكم إياهم على ذلك، وتغفروا لهم غير ذلك من الذنوب(٢).

---

(١) الدر المنثور: (٥/ ٩٤).

(٢) جامع البيان: (١٢/ ١١٨).

من قصص العفو والصفح

عمرُ بنُ الخطَّاب

عن ابن عباسٍ ﷺ قال: قدم عيينه بن حصن بن حذيفة، فنزل علي ابن أخيه الحُرِّ بن قيس، وكان من النفر الذين يُدنيهم عمر.

وكان القُرَّاءُ أصحاب مجالس عُمر ومشاورته -كهولًا كانوا أو شبَّانًا- فقال عيينة لابن أخيه: يا بن أخي، لك وجهٌ عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذنُ لك عليه.

قال ابن عباس: فاستأذن الحُرُّ لعُيينة فأذن له عمر. فلما دخل عليه، قال: هِيْ يابنَ الخطاب، فوالله ما تُعطينا الجَزْلَ[1]، ولا تحكم بيننا بالعدل؛ فغضب عمرُ حتى هَمَّ به، فقال له الحُرُّ: يا أميرَ المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٩٩]. وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمرُ حين تلاها عليه، وكان وقّافًا عند كتاب الله[2].

عبدُ الله بن مسعود

جَلس ابنُ مسعودٍ في السوق يبتاعُ طعامًا فابتاع، ثم طلب الدراهمَ وكانت في عمامته فوجدها قد حُلَّتْ، فقال: لقد جلستُ وإنها لمعي، فجعلوا يدعون على مَنْ أخذها ويقولون: اللهم اقطع يدَ السارقِ الذي أخذها، اللهم افعل به كذا؛ فقال عبدُ الله: اللهم إن كان حمله على أخذها حاجةٌ فبارك له فيها، وإن كان حملته جراءةٌ على الذنب فاجعلها آخر ذنوبه[3].

الحَكَمُ بن أيوب

قال مالك بنُ دينار: أتينا منزلَ الحكم بن أيوب ليلًا وهو على البصرة أميرٌ، وجاء الحسنُ وهو خائفٌ فدخلنا معه عليه، فما كنَّا مع الحسن إلا بمنزلة الفراريج، فذكر الحسنُ قصة يُوسفُ -عليه السلام- وما صنع به إخوتُه؛ فقال: باعوا أخَاهُمْ وأحزنُوا أباهم،

---

(١) الجَزْلُ: الكريم المعطاء.

(٢) البخاري: (الفتح ٨/ ٤٦٤٢).

(٣) الإحياء: (٣/ ١٩٦).

وذكر ما لقي من كيد النساء ومن الحبس، ثم قال: أيها الأميرُ، ماذا صنع الله به؟ أدَالَهُ منهم، ورفع ذكره، وأعلى كلمته، وجعله على خزائِن الأرض، فماذا صنع يوسفُ حين أكمل الله له أمرَه، وجمع له أهله؟ قال تعالى: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:٩٢]. يُعرِّض للحكم بالعفو عن أصحابه.

قال الحكمُ: فأنا أقولُ: لا تثريبَ عليكم اليوم ولو لم أجد إلا ثوبي هذا لواريتُكم تحته[1].

---

(١) الإحياء: (٣/ ١٨٤).

الكرمُ لغةً واصطلاحًا

الكرُم لغةً

مصدر قولهم: كَرُمَ فلانٌ يَكْرُمُ، وهو مأخوذ من مادة (ك ر م) التي تدل على شرفٍ في الشيء في نفسه أو شرفٍ في خُلُقٍ من الأخلاق، يُقال: رجلٌ كريمٌ، وفرسٌ كريمٌ، ونباتٌ كريمٌ. أما الكرم في الخُلُقِ فهو: الصفحُ عن ذب المذنب.

قال ابن قتيبة: الكريمُ: الصفوحُ، والله تعالى هو الكريم الصفوحُ عن ذنوب عباده المؤمنين.

قال الجوهري: الكرمُ ضدُّ اللُّؤم وقد كَرُمَ الرجلُ بالضَمِّ فهو كريمٌ، وقومٌ كِرامٌ وكُرمَاء، ونسوةٌ كرائم، ويقالُ: رجلٌ كَرَمٌ، وامرأةٌ كَرَمٌ، ونسوةٌ كَرَمٌ، والكُرامُ بالضمِّ مثل الكريم، فإذا أفرط في الكرم قيل كُرَّامٌ، وأكرمتُ الرجلَ أكرمُهُ، والتكرُّمُ: تكلُّفُ الكرم.

ويُقال أيضًا: أكْرمَ الرجلُ إذا أتى بأولادٍ كرامٍ، واستكرم: استحدث عِلقًا كريمًا. والتكريمُ والإكرامُ بمعنى، والاسم: الكرامة، واستكرم الشيء: طلبه كريمًا، أو وجده كذلك، والكريمُ: الذي كرَّم نفسه عن التدنُّس بشيء من مُخالفةِ ربه، وأرضٌ مَكْرمَةٌ وكَرَمٌ وكريمةٌ: طيبة، والكريمان: الحجُّ والجهادُ. والإكرامُ والتكريمُ أن يوصل إلى الإنسان نفعٌ لا تلحقه فيه غضاضةٌ أو يُوصل إليه شيءٌ شريفٌ[1].

الكرمُ اصطلاحًا

قال ابنُ مَسْكويه: الكرمُ إنفاقُ المالِ الكثير بسهولة من النفس في الأمور الجليلة القدر، الكثيرة النفع، وقيل: الكرم هو إفادةُ ما ينبغي لا لغرضٍ، فمن يهب المال لغرضٍ جلبًا للنفع، أو خلاصًا عن الذمِّ، فليس بكريم، فالكريمُ مَنْ يُوصل النفع بلا عوض.

وقيل: هو التبرُّعُ بالمعروف قبل السؤال والإطعام في المحل، والرأفةُ بالسائل مع بذل النائلِ، وقيل: هو الإعطاءُ بسهولةٍ[2].

---

(١) الصحاح: (٦ / ٢٠١٩ - ٢٠٢١) وبصائر ذوي التمييز: (٣/ ٣٤٣)، ومقاييس اللغة: (٥/ ١٧٢)، ولسان العرب: (٧/ ٣٦٨١ - ٣٦٨٤).

(٢) الإحياء للغزالي: (٣/ ٢٤٦)، والتوقيف على مهمات التعاريف لابن المناوي: (٢٨١)، التعريفات للجرجاني: (١٨٤).

قال الفيروزآبادي: والكرم إذا وُصف الله به فهو اسمٌ لإحسانه وإنعامه، وإذا وُصف به الإنسانُ فهو اسمٌ للأخلاق والأفعال المحمودة التي تظهر منه، ولا يُقال: هو كريمٌ حتى يظهر منه ذلك.

قال بعض العلماء: الكرمُ كالحرية إلا أن الحرية قد تُقال في المحاسن الصغيرة والكبيرة والكرمُ لا يُقال إلا في الكبيرة، كإنفاق مالٍ في تجهيز جيش الغزاة، وتحمُّل حَمَالَةٍ تُرقأُ بها دماءُ قوم، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[الحجرات:١٣].

إنما كان كذلك؛ لأن الكرم من الفعال المحمودة، وأكرمُها ما يُقصد به أشرفُ الوجوه، وأشرفُ الوجوه ما يقصد به وجهُ الله، فمَنْ قصد به ذلك فهو التقي[١].

الأحاديث الواردة في الكرم

عن سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله حييٌّ كريمٌ يستحي إذا رفع الرجلُ إليه يديه أن يردهما صِفرًا خائبتين»[٢].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله كريمٌ يحب الكرمَ، ويحب معاليَ الأخلاق، ويكره سفسافها»[٣][٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل للنبي ﷺ: من أكرم الناس؟ قال: «أكرمهم أتقاهم»، قالوا: يا نبي الله، ليس عن هذا نسألك، قال: «فأكرم الناس يوسفُ نبيُّ الله ابنُ نبيِّ الله ابن نبيِّ الله ابن خليل الله»، قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: أفعن معادن العرب تسألونني؟ قالوا: نعم، قال: «فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فَقِهُوا»[٥].

---

(١) بصائر ذوي التمييز: (٤/ ٣٤٣، ٣٤٤).

(٢) الترمذي: (٣٥٥٦) واللفظ له، وأبو داود: (١٤٨٨)، وابن ماجه: (٣٨٦٥)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود: (١٣٢٠) وصحيح ابن ماجه: (٣١١٧).

(٣) السَّفساف: الحقير والرديء.

(٤) الحاكم: (١/ ٤٨) واللفظ له، والطبراني في الكبير: (٦/ ١٨١)، وصححه الألباني في الصحيحة: (٣/ ٣٣٦، ٣٣٧). وصحيح الجامع: (١٨٠١).

(٥) البخاري: (الفتح ٦/ ٣٣٧٤) واللفظ له، ومسلم: (٢٣٧٨).

وعن أبي أسيد بن ربيعة السعدي ﷺ قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجلٌ من بني سلمة فقال: يا رسول الله! هل بقي من بِرِّ أبوي شيءٌ أبرُّهما به بعد موتهما؟ قال: **«نعم، الصلاة عليهما والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلةُ الرحم التي لا تُوصل إلا بهما وإكرام صديقهما»**[١].

وعن جرير بن عبد الله ﷺ قال: لما بُعث النبي ﷺ أتيتُه، فقال: **«يا جرير، لأي شيء جئت؟»** قال: جئت لأسلم على يديك، يا رسول الله! قال: فألقى إليَّ كساءَه ثُمَّ أقبل على أصحابه، وقال: **«إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه»**، وقال وكان لا يراني بعد ذلك إلا تبسَّم في وجهه[٢].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقُلْ خيرًا أو ليصمت»**[٣].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ **«المؤمنُ غِرٌّ[٤] كريمٌ، والفاجرُ خبٌّ[٥] لئيمٌ»**[٦].

أقوالُ العلماء في الكرم

قال الحسنُ بن علي ﷺ: المروءةُ: حفظُ الرجل دينه، وحذرُه نفسَه، وحُسنُ قيامه بضيفه، وحُسنُ المنازعةِ، والإقدامُ في الكراهية، والنجدة: الذَّبُّ عن الجار، والصبرُ في المواطن[٧] والكرمُ: التبرُّع بالمعروف قبل السؤال، والإطعام في المَحْلِ[٨]، والرأفةُ بالسائل مع

---

(١) أبو داود: (٥١٤٢) واللفظ له، وابن ماجه: (٣٦٦٤)، وأحمد: (٣/ ٤٩٨)، وانظر الصحيحة للألباني: (٩١٣).

(٢) ابن ماجه: (٣٧١٢)، والبيهقي: (٨/ ١٦٨)، انظر الصحيحة: (٣/ ٢٠٤) رقم: (١٢٠٥).

(٣) البخاري: (الفتح ١٠/ ٦٠١٨)، واللفظ له، ومسلم: (٤٧).

(٤) الغر: الرجل غير المجرب.

(٥) الخب: الرجل الخداع.

(٦) أبو داود: (٤٧٩٠) وصححه الألباني: (٣/ ٩٠٩)، والترمذي: (١٩٦٤)، والحاكم: (١/ ٤٣).

(٧) المَواطِن: يُقال مَانَ الرجلُ أهله يمونُهم إذا كفاهم وأنفق عليهم.

(٨) المحل: الشدة، وقيل: الجوع الشديد، وقيل: الجدبُ.

بذلِ النائلِ(١).

قال مالك بن دينار: المؤمنُ كريمٌ في كل حالةٍ، لا يحبُّ أن يُؤذي جاره، ولا يفتقر أحدٌ من أقربائه، ويبكي وهو يقول: وهو والله مع ذلك غنيُّ القلب، لا يملك من الدنيا شيئًا. إن أزلته عن دين لم يزلَّ، وإن خدعته عما له انخدع، لا يرى الدنيا من الآخرة عِوَضًا، ولا يرى البُخلَ من الجُود حظًّا، مُنكسرُ القلب ذو هموم، قد تفرَّد بها، مكتئبٌ مخزونٌ ليس له في فرح الدنيا نصيبٌ، إن أتاه منها شيء فرَّقه، وإن زُوِيَ عنه كُلُّ شيءٍ فيها لم يطلبه، ويبكي ويقول: هذا والله الكرمُ، هذا والله الكرمُ(٢).

قال جعفر الصادق: لا مال أعونُ من العقل، ولا مصيبة أعظمُ من الجهل، ولا مظاهرة كالمشاورة، واللؤم من الكفر، وأهلُ الكفر في النار، والجوُدُ والكرمُ من الإيمان، وأهلُ الإيمان في الجنة(٣).

قال عبد الرحمن بن مهدي: ليتقِ الرجلُ دناءة الأخلاق كما يتقى الحرام، فإن الكرمَ دِينٌ(٤).

قال الماوردي: اعلم أن الكريم يُجتزى بالكرامة واللطف، واللئيم يُجتزى بالمهانة والعُنف، فلا يجودُ إلا خوفًا ولا يجيب إلا عُنفًا، كما قال الشاعر:

رأيتــك مثــل الجَــوْز يمنــع لُبَّــهُ ... صحيحًا ويعطي خيره حين يُكسرُ

فاحذر أن تكون المهانة طريقًا إلى اجتدائِك، والخوف سبيلًا إلى عطائك، فيجري عليك سفه الطُّغام، وامتهانُ اللئام، وليكن جودُك كرمًا ورغبةً، لا لؤمًا ورهبةً(٥).

قال ابن تيمية: إن الجميع يتمادحون بالشجاعة والكرم، حتى إن ذلك عامَّةُ ما تمدحُ به الشعراء ممدوحيهم في شعرهم، وكذلك يتذامون بالبُخل والجُبن.

---

(١) الإحياء: (٣/ ٢٤٦).

(٢) مكارم الأخلاق: (١٠٨).

(٣) الإحياء: (٣/ ٢٦١).

(٤) مكارم الأخلاق: (١٢).

(٥) أدب الدنيا والدين: (٢٤٣-٢٤٤).

ثم قال: ولما كان صلاحُ بني آدم في دينهم ودنياهم بالشجاعة والكرم بيَّن اللهُ سبحانه أنه من تولى عنه بترك الجهاد بنفسه أبدله الله به من يقوم بذلك، ومن تولَّى بإنفاق مالِه أبدله الله به من يقوم بذلك، فقال: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴾ [محمد: ٣٨].

ثم قال رحمه الله: وبالشجاعة والكرم في سبيل الله فضَّل الله السابقين فقال: ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الحديد: ١٠].

وقد ذكر الجهاد بالنفس والمال في سبيله ومدحه في غير آية من كتابه، وذلك هو الشجاعة والسماحة في طاعته سبحانه وطاعة رسوله[(١)].

قال ابن حجر: لا يُقال للرجل كريمٌ حتى يظهر ذلك منه، ولما كان أكرم الأفعال ما يقصد به أشرف الوجوه، وأشرفها ما يُقصد به وجه الله تعالى، وإنما يحصل ذلك من المتقي، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣]. وكُلُّ فائق في بابه يُقَال له كريم[(٢)].

قال الشيخ محمد بن محمد الغَزيُّ: من آداب العشرة إيثارُ الإخوان بالكرامة على نفسه، ثم قال: قال أبو عثمان: مَنْ عاشر الناس ولم يكرمهم، وتكبَّر عليهم فذلك لقلة رأيه وعقله، فإنه يُعادي صديقه ويكرمُ عدوَّه، فإن إخوانه في الله أصدقاؤه، ونفسه عدُوُّه[(٣)].

قال السلمي: آدابُ الصُحبة على أوجهٍ ذكر منها: صحبة الوالدين فقال: تكون برّهما بالخدمة بالنفس والمال في حياتهما، وإنجاز وعدهما بعد وفاتهما والدعاء لهما، في كل الأوقات، وإكرام أصدقائهما[(٤)].

---

(١) الفتح: (١٠/ ٤٥٧).

(٢) الاستقامة: (٢/ ٢٦٣-٢٧٠).

(٣) آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة لأبي البركات محمد الغزي: (٢١).

(٤) آداب العشرة: (٤٤).

أنواعُ الكرم

قال الكفوي: **الكرمُ إن كان بمالٍ فهو جُودٌ، وإن كان بِكفِّ ضررٍ مع القدرة فهو عفوٌ، وإن كان ببذل النفس فهو شجاعةٌ**[١].

الفرقُ بين الكرم والجُودِ

قال أبو هلَال العسكري: **الجُودُ كثرة العطاء من غير سؤالٍ، من قولك: جادت السماءُ إذا جاءت بمطرٍ غزيرٍ والله تعالى جَوادٌ لكثرة عطائه فيما تقتضيه الحكمةُ.**

أما الكرم: فيتصرف على وجوهٍ منها: العزةُ، ومنها الفضلُ، ومنها الحُسْنُ، ومنها التفضيلُ، ومنها السيادةُ.

ويجوز أن يُقال: الكرم هو إعطاءُ شيء عن طيب نفس قليلًا كان أو كثيرًا، والجودُ: سعة العطاء سواء كان عن طيب نفس أو لا.

ويجوز أن يُقال: الكرمُ هو إعطاءُ مَنْ يريد المُعطي إكرامه وإعزازه، والجودُ قد يكون كذلك وقد لا يكون[٢].

قال الكفوي: **الكرمُ يكون مسبوقًا باستحقاق السائل والسؤال منه، والجودُ صفةٌ ذاتيةٌ للجواد ولا يستحق بالاستحقاق والسؤال، والجوادُ يُطلقُ على الله تعالى دون السخي**[٣].

---

(١) الكليات للكفوي: (٥٣).

(٢) الفروق اللغوية لأبي هلال: (١٦٧، ١٦٨) بتصرف.

(٣) الكليات للكفوي: (٣٥٣).

من قصص الكرم

معروف الكرخيُّ

دخل سائلٌ يومًا على معروف الكرخي فلم ير عنده ما يُعطيه غير نعله، فأعطاه إياه. ثم بلغ معروفًا بعد ذلك أنه باع النعل واشترى بثمنها فاكهة، فقال معروف: الحمد لله لعلَّه كان يشتهي الفاكهة فواسيناه بثمنها.

حاتم الطائي

مر حاتم في سفره على عنزة، وفيهم أسيرٌ، فاستغاث بحاتم ولم يحضره فكاكه، فاشتراه من العنزيين وأطلقه، وأقام مكانه في القيد حتى أدى فِداءه، ورُئي حاتمٌ يضرب ولده، لَمَّا رآه يضربُ كلبةً كانت تدل عليه أضيافه وهو يقول:

أقولُ لابني وقد سطت يداه ... بكلبةٍ لا يزال يجلدها

أوصيك خيرًا بها فإن لها ... عندي يدًا لا أزال أحمدُها

تدلُّ ضيفي عليَّ في غلسِ الليل ... إذا النارُ نام مُوقدها

كرمُ عبدٍ

خرج عبدُ الله بن جعفر إلى ضياعه ينظر إليها، فإذا في حائطٍ لنسيبٍ له عبدٌ أسودُ بيده رغيفٌ وهو يأكل لقمةً، ويطرح لكلبٍ لقمةً، فلما رأى ذلك استحسنه، فقال: يا أسود، لمن أنت؟ قال: لمصعب بن الزبير، قال: وهذه الضيعة لمن؟ قال: له. قال: لقد رأيتُ منك عجبًا، تأكل لقمة وتطرح للكلب لُقمةً!! قال: إني لأستحيي من عينٍ تنظر إليَّ أن أوثر نفسي عليها، قال: فرجع إلى المدينة، فاشترى الضيعة والعبد ثم رجع، وإذا بالعبد فقال: يا أسود، قد اشتريتُك من مصعب، فوثب قائمًا وقال: جعلني الله عليك ميمون الطلعة. فقال: وإني اشتريت هذه الضيعة، فقال: أكمل الله لك خيرها. قال: وإني أشهدُ أنك حُرٌّ لوجه الله، قال: وأحسن الله جزاءك. قال: وأشهد الله أن الضيعة مني هديةٌ لك، قال: جزاك الله بالحسنى، ثم قال العبد: فأشهدُ الله وأشهدك أن هذه الضيعة وقفٌ مني على الفقراء، فرجع وهو يقول العبد أكرمُ منَّا[1].

---

(١) السير: (١٣/ ٣٦٣-٣٦٤)، وتاريخ بغداد: (٦/ ٣٤).

اللينُ لغةً واصطلاحًا

اللينُ لغة

مصدر قولهم: لان يلين وهو مأخوذٌ من مادة (ل ي ن) التي تدلُّ على خلاف الخشونة يُقال: هو في ليانٍ من عيشه أي: نعمة.

وفلان ملينة أي: ليّنُ الجانب[(١)] ويُقال أيضًا: فلانٌ لينٌ، ولينٌ مُخفَّفٌ منه وليَّنتُ الشيء: صيَّرتُه ليّنًا، ويُقال فيه كذلك: ألنتُه وألينتُه، واللَّيان: الملاينة واللطف وهو الاسم من اللين، واستلان الشيء: عدَّه ليّنًا[(٢)]، أو رآه كذلك.

قال ابنُ منظور: يُقال في فعل الشيء اللين: لان الشيء يلين لينًا وليانًا[(٣)]، وقول الله عز وجل: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ [آل عمران:١٥٩] معناه كما يقول القرطبي: أنه عليه الصلاة والسلام لما رفق بمن تولَّى يوم أُحُدٍ ولم يُعنِّفهم بَيَّن الربُّ تعالى أنه فعل ذلك بتوفيق الله تعالى إياه[(٤)].

اللينُ اصطلاحًا

قال الراغب: اللينُ ضد الخشونة، ويُستعمل ذلك في الأجسام ثم يُستعار للخلق وغيره من المعاني، فيقال: فلانٌ لَيِّنٌ وفلانٌ خَشِنٌ، وكُلُّ واحدٍ منهما يمدح به طورًا ويُذمُّ به طورًا بحسب اختلاف المواقع[(٥)].

الآياتُ الواردة في اللين

قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ

---

(١) مقاييس اللغة لأحمد بن فارس: (٥/ ٢٢٥).

(٢) الصحاح: (٦/ ٢١٩٨).

(٣) النهاية لابن الأثير: ٤/ ٢٨٦.

(٤) تفسير القرطبي: (٤/ ٢٤٨).

(٥) المفردات للراغب: (٤٥٧).

﴿ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:١٥٩] وقال تعالى: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه:٤٣-٤٤] وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر:٢٣].

الأحاديث الواردةُ في اللين

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتاكم أهل اليمن هم ألينُ قلوبًا وأرقُّ أفئدةً، الإيمانُ يمانٍ والحكمة يمانيةٌ، رأسُ الكفر قِبَلَ المشرق**»(١).

وعن عبد الله بن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أقيموا الصفوف، فإنما تصفُّون بصفوف الملائكة وحاذوا بين المناكب وسدوا الخلل ولينوا في أيدي إخوانكم ولا تذروا فُرُجاتٍ للشيطان ومن وصل صفًّا وصله الله -تبارك وتعالى- ومن قطع صفًّا قطعه الله**»(٢).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن في الجنة غرفة يُرى ظاهرُها من باطنها، وباطنها من ظاهرها**»، فقال أبو موسى الأشعري: لِمَنْ هي يا رسول الله؟ قال: «**لمن ألان الكلام، وأطعم الطعام، وبات لله قائمًا والناسُ نيام**»(٣).

وعن ابن مسعودٍ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**حُرِّم على النار كلُّ هيِّنٍ لينٍ سهلٍ قريبٍ من الناس**»(٤).

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**الكلمة اللينةُ صدقةٌ وكل خطوة يمشيها إلى الصلاة -أو قال: إلى المسجد- صدقة**»(٥).

---

(١) البخاري: (الفتح ٤٣٨٨)، ومسلم: (٥٢) واللفظ له.

(٢) أحمد في المسند: (٢/ ٩٨)، وصححه أحمد شاكر (٥٧٢٤)، وأبو داود (٦٦٦) انظر صحيح أبي داود، (١/ ١٣١) حديث رقم: (٦٢٠).

(٣) أحمد: (٢/ ١٧٣) واللفظ له، وصححه أحمد شاكر.

(٤) أحمد في المسند (١/ ٤١٥) وصححه أحمد شاكر، والترمذي: (٢٤٨٨).

(٥) أحمد في المسند (٢/ ٢١٣) وصححه أحمد شاكر، برقم (٨٠٩٦).

أقوال العلماء في اللين

قال علي ﷺ في وصف العلماء الأتقياء: فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استخشن المترَفُون، واستوحشوا مما أنس منه الجاهلون[1].

وعن ابن عمر ﷺ قال: خياركم ألينكم مناكب في الصلاة[2].

وعن قتادة -رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر: ٢٣]. هذا نعت أولياء الله نعتهم الله -عز وجل- بأنه تقشعر جلودهم وتبكي أعينهم وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم، إنما هذا في أهل البدع[3].

قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسير نفس الآية: أي لين الجلود والقلوب صفة الأبرار عند سماع الجبَّار، لما يفهمون منه من الوعد والوعيد، والتخويف والتهديد، تقشعر منه أي: من خوفه وخشيته جلودهم، فتنقبضُ ثم تلين لما يرجون ويؤملون من رحمته ولطفه[4].

عن الحسن البصري -رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٤٤]. أعذرا إليه، فقولا له: إن لك ربًّا، ولك معادًا، وإن بين يديك جنة ونارًا[5].

وعن السُّدِّي -رحمه الله- في هذه الآية الكريمة، قال: ثم تلينُ جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله قال: إلى وعد الله[6].

---

(١) تفسير ابن كثير: (٣/ ١٦٣).
(٢) النهاية لابن الأثير(٤/ ٢٨٦).
(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٦).
(٤) نفس المرجع (٤/ ٥٥)
(٥) المرجع السابق (٣/ ١٦١).
(٦) نفس المصدر: (٤/ ٦٥).

الرفق لغةً واصطلاحًا

الرفق لغةً

يقول ابن فارس: الراء والفاء والقاف أصل واحد يدل على موافقة ومقاربة بلا عنف، فالرفق خلاف العنف، يقال: رفق بالأمر، وله، وعليه يرفق رفقًا ورفق يرفق؛ ورفق الرجل: لطف، ورفق بالرجل وأرفق بمعنى حكاه أبو زيد.

ويقال: أرفقتُه: أي نفعته وأولاه رفقةً أي: رفقًا، وهو به رفيق: لطيف.

ويقول الليث: الرفق: لين الجانب ولطافة الفعل وصاحبه رفيق وقد رفق يرفق، وإذا أمرت قلت: رفقًا ومعناه: أرفق رفقًا، ويقول ابن الأعرابي: رفق: انتظر، ورفق عليك رفقًا ومرفقًا وأرفقك الله إرفاقًا.

والرفق: لين الجانب وهو خلاف العنف، والرفق والمِرفق والمَرفق: ما استعين به، وقد ترفق به وارتفق وفي التنزيل: ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ [الكهف: ١٦][(١)].

وقال في النهاية: الرفيق: جماعة الأنبياء الذين يسكنون أعلى عليين وهو اسم جاء على فعيل ومعناه الجماعة كالصديق والخليط يقع على الواحد والجمع، وقيل: معناه أي بالله - عز وجل- يقال الله رفيق بعباده: من الرفق والرأفة فهو فعيل بمعنى فاعل[(٢)].

الرفق اصطلاحًا

هو لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل وهو ضد العنف[(٣)].

الآيات الواردة في الرفق

قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ

---

(١) مقاييس اللغة: (٢/ ٤١٨)، القاموس: (٣/ ٢٣٦)

(٢) النهاية لابن الأثير (٢/ ٢٤٦)، ولسان العرب: (١٠/ ١١٨)، والصحاح: (٤/ ١٤٨٢).

(٣) فتح الباري: (١٠/ ٤٤٩)، دليل الفالحين لابن علان: (٣/ ٨٩).

﴿ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:١٥٩]

وقال تعالى: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه:٤٣-٤٤]

الأحاديث الواردة في الرفق

عن عائشة زوج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا يُنزع من شيء إلا شانه**»(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ج يقول في بيتي هذا: «**اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشقَّ عليهم فاشقُق عليه ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به**»(٢).

وعن جرير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من يُحرم الرفق يحرم الخير**»(٣).

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لها: «**يا عائشة، ارفقي فإن الله إذا أراد بأهل بيتٍ خيرًا دلَّهم على باب الرفق**»(٤).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: أخبر رسول الله ﷺ أنه يقول: لأقومن الليل ولأصومن النهار ما عشت، فقال رسول الله ﷺ: «**أنت الذي تقول ذلك**» فقلتُ له: قد قلتُه يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «**فإنك لا تستطيع ذلك فصُم وأفطر ونمَ وقُم وصم من الشهر ثلاثة أيام فإن الحسنة بعشر أمثالها وذلك مثل صيام الدهر**».

قال: قلتُ: فإني أُطيق أفضل من ذلك، قال: «**صم يومًا وأفطر يومين**»، قال: قلتُ: فإن أُطيق أفضل من ذلك يا رسول الله. قال: «**صُم يومًا وأفطر يومًا وذلك صيام داود -عليه السلام- وهو أعدل الصيام**» قال: قلت: فإني أطيق أفضل من ذلك، قال رسول الله ﷺ: «**لا**

---

(١) مسلم: (٢٥٩٤).

(٢) مسلم: (١٨٢٨).

(٣) مسلم: (٢٥٩٢).

(٤) أحمد في المسند: (٦/ ١٠٤) وهو في الصحيحة للألباني: (٥٢٣).

أفضل من ذلك».

وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: لأن أكون قبلت الثلاثة أيام التي قال رسول الله ﷺ أحب إليَّ من أهلي ومالي(١).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أخبركم بمن يَحرمُ على النار وبمن تحرم عليه النار؟ على كل قريب هين سهل»**(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا شكا إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه فقال له: إن أردت تليين قلبك فأطعم المسكين وامسح رأس اليتيم(٣).

وعن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته .... الحديث وفيه: **«وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق مُوَفَّق ورجلٌ رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم وعفيف متعفف ذو عيال... الحديث»**(٤).

وعن أنسٍ رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى شيخًا يهادي بين ابنيه قال: ما بال هذا؟ قالوا: نذر أن يمشي؛ قال: إن الله عن تعذيب هذا نفسَه لغنيٌّ وأمره أن يركب(٥).

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات فأعطت كل واحدة منهما تمرة ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها فشقَّت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما فأعجبني شأنُها فذكرتُ الذي صنعت لرسول الله ﷺ فقال: «**إن الله قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها بها من النار**»(٦).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا صلَّى أحدُكم للناس فليخفف فإن**

---

(١) البخاري: (الفتح ٤/ ١٩٧٦) ومسلم: (١١٥٩) واللفظ له.
(٢) الترمذي: (٢٤٨٨) وصححه الألباني في الصحيحة: (٩٣٥).
(٣) الحاكم في المستدرك: (٢/ ٢٦٣)، والصحيحة للألباني: (٨٥٤).
(٤) مسلم: (٢٨٦٥).
(٥) البخاري: (الفتح ٤/ ١٨٦٥)، ومسلم: (١٦٤٢) واللفظ له.
(٦) مسلم: (٢٦٣٠).

منهم الضعيف والسقيم والكبير وإذا صلَّى أحُدكم لنفسه فليُطوِّل ما شاء»[١].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها وأخَّر الله تسعًا وتسعين رحمة يرحم الله بها عباده يوم القيامة»[٢].

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إياكم أن تتخذوا ظهور دوابكم منابر فإن الله إنما سخَّرها لكم لتبلغكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس وجعل لكم الأرض فعليها فاقضوا حاجتكم»[٣].

وعن عائشة ﷺ أنها قالت: ما خُيِّر رسولُ الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه وما انتقم رسولُ الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها[٤].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من نَفَّسَ عن مؤمن كُربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسَّر على مُعسرٍ يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»[٥].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال النبي ﷺ: «يسِّرُوا ولا تعسروا وسكِّنوا ولا تنفروا»[٦].

---

(١) البخاري: (الفتح ٢/ ٧٠٣) واللفظ له ومسلم: (٤٦٧).

(٢) البخاري (الفتح) (١٠/ ٦٠٠٠)، ومسلم: (٢٧٥٢) واللفظ له.

(٣) أبو داود: (٢٥٦٧) وحسنه محقق جامع الأصول (٥٢٨/٤) وصححه الألباني في صحيح أبي داود: (٢٥٦٧).

(٤) البخاري: (الفتح ٧/ ٣٥٦٠)، ومسلم: (٢٣٢٧).

(٥) مسلم: (٢٦٩٩).

(٦) البخاري: (الفتح ١٠/ ٦١٢٥)، ومسلم: (١٧٣٤).

أقوال العلماء في الرفق

بلغ عمر بن الخطاب ﷺ أن جماعة من رعيته اشتكوا من عماله فأمرهم أن يوافوه؛ فلما أتوه قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، أيتها الرعية إن لنا عليكم حقًّا: النصيحة بالغيب، والمعاونة على الخير، أيتها الرعاة إن للرعية عليكم حقًّا فاعلموا أنه لا شيء أحب إلى الله ولا أعز من حلم إمام ورفقه، وليس جهلٌ أبغضَ إلى الله ولا أغمَّ من جهل إمام وخَرِقَه، واعلموا أنه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهريه يُرزق العافية ممن هو دونه[١].

وقال أبو الدرداء ﷺ: إن من فقه الرجل رفقه في معيشته[٢].

وقال عمرو بن العاص لابنه عبد الله ﷺ: ما الرفق؟ قال: تكون ذا أناة فتُلاين الولاة قال: فما الخَرَقُ؟ قال: معاداة إمامك ومناوأة من يقدر على ضررك[٣].

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال: مكتوبٌ في الحكمة (الرفق رأس الحكمة)[٤].

وعن قيس بن أبي حازم قال: كان يُقال: من يُعطَ الرفق في الدنيا نفعه في الآخرة[٥].

وقال ابن أبي خالد: الرفق يُمنٌ والخَرَقُ شؤمٌ[٦].

وقال وهب منبه: الرفق ثنيُ الحلم[٧].

وقال بعضهم: ما أحسن الإيمان يزينه العلم! وما أحسن العلم يزينه العمل! وما أحسن العمل يزينه الرفق، وما أضيف شيءٌ إلى شيءٍ مثل حلم إلى علم[٨].

---

(١) الإحياء (٣/ ١٨٨، ١٨٩).
(٢) هناد السري في الزهد، وكيع في الزهد (٣/ ٧٨٢).
(٣) الإحياء: (٣/ ١٨٨).
(٤) هناد السري في الزهد.
(٥) وكيع في الزهد (٣/ ٧٧٧).
(٦) وكيع في الزهد (٣/ ٧٨٠).
(٧) الإحياء (٣/ ١٨٩).
(٨) الإحياء (٣/ ١٨٩).

من قصص الرفق واللين

وقولوا قولًا سديدًا

يحكي أن محمد بن حميد الطوسي (والي الموصل) كان يلحُّ في طلب عدوٍّ له هاربٍ منه، وفي يوم كان جالسًا إلى وليمة أعدَّها لبعض أصحابه فإذا بغلامه يدخل عليه ويقول: لقد قبض أعوانك على عدوك وجاءوا به مكبَّلًا بالحديد وهو بالباب.

فقال الطوسي لأصحابه: أشيروا عليَّ، ماذا أفعل به؟! فقال واحدٌ منهم: يجب أن تقطع عُنقُه، وقال آخر: بل يجبُ أن تُلقي به في زيت مغلي، وقال ثالث: بل تصلبه حتى تأكل الطيرُ من لحمه؛ وراح الجميع يشيرون عليه بأنواع شديدة القسوة من القتل ولكن هذه القسوة مع شدتها جاءت بعكسها.

إذ أمر محمد الطوسي غلامه قائلًا: يا غلام فكَّ عنه وثاقه وأدخله إلينا مكرمًا؛ فدخل عليه الرجل وقد هرب دمه من الخوف، فابتسم الطوسي في وجهه وقابله بكلام لين ثم أجلسه بجانبه وأمر بتجهيز الطعام وراح يطعمه وهو يباسطه الكلام، حتى انتهى من الطعام ثم أمر بإدخاله، ثم أعطاه مالًا وأمر بردِّه إلى أهله مُعَزَّزًا مكرَّمًا.

ثم التفت إلى أصحابه الذين أشاروا عليه بالقتل وقال: إن أفضل الأصحاب من حضَّ صاحبهُ على مكارم الأخلاق وحبَّب إليه الرحمة والعفوَ والإحسان، ونهاه عن ارتكاب المعاصي والآثام، وينبغي لمن حضر مجالسَ الملوك إذا تكلَّم ألا يتكلم إلا في أمورِ الخير والسداد؛ تصديقًا لقوله -عز وجل- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [1] [الأحزاب: ٧٠-٧١]

إن ديننا دينُ الرحمة والإنسانية

يروي لنا التاريخُ أن الصليبين عندما استولوا على بيت المقدس بعد الحملة الصليبية الأولى قاموا بأبشع مجزرة عرفها التاريخ ضدَّ المسلمين، فقد قتلوا خلال ثمانية أيام ما يزيد على سبعين ألفًا من المسلمين بلا رحمة أو شفقة ودون أن يفرقوا بين امرأةٍ ورجلٍ أو شيخٍ

(١) مواقف وحكايات عن الرحمة: ٢٢، ٢٣.



وطفلٍ، مما أدى إلى إبادة جميع سكان المدينة المسلمين.

وتمضي سنوات ويأتي صلاح الدين الأيوبي فيوحِّد الصفوف ويجمع قوى المسلمين وينقضُّ على الجيوش الصليبية في موقعة من أروع معارك التاريخ هي موقعة حطين، فيسحقهم سحقًا وينتصر عليهم نصرًا عزيزًا مُؤَزَّرًا، ويحرِّرُ بيت المقدس من رجسهم ودنسهم.

فلما تمَّ النصرُ جاءه بعضُ القواد وقالوا: إن الله قد أمكنك من عدوك ونصرك نصرًا ساحقًا، فدعنا ننتقم منهم فإنهم قتلوا منا أكثر من سبعين ألفًا عند دخولهم بيت المقدس.

فقال صلاح الدين: إنهم ليسوا مثلًا لنا يُقتدى به، إن ديننا دينُ الرحمة والإنسانية، يمنعنا من الانتقام عند المقدرة ويحثنا أن نصفح عمن أساء لنا، وأن نرحم الضعفاء والنساء والشيوخ والأطفال.

ثم ضرب صلاحُ الدين أروع الأمثال من الرحمة والبِرِّ والإحسان حيث تنازل عن نصيبه من الغنائم للفقراء والمساكين، وأعتق أسراه وعندما بدأ الفرنجة الرحيل عن بيت المقدس ترك لهم المدينة حتى لا يجرح شعورهم ثم وقف مناديًا من مطلع الشمس حتى غروبها وهم يمرون أمامه مغادرين هل من فقير فنؤويه؟ أو عاجزٍ عن دفع الفدية فنعطيه؟؟ ثم عفا عن سبعة آلاف من العجزة ورفض أن يصادر الأموال وسمح لمن شاء منهم أن يقيم وأمَّنَ المغادرين في نسائهم وأطفالهم ولم يتعرض لهم أحدٌ بأذى، وقدَّمَ الدوابَ لكثير ممن لا يجدون ما يركبونه، وكانت رحمته وسماحته سببًا في دخول الكثيرين منهم الإسلام(١).

غضبي منك قد زال تمامًا من قلبي

يُحكى أن الهادي -ولي عهد الخليفة المهدي- كان دائم الجلوس والمسامرة مع أصحابٍ له، وكان والده المهدي يخشى منهم أن يفسدوا أخلاقه، فكان دائمًا ما يأمر عبد الله بن مالك قائد الشرطة أن يضربهم ويحبسهم تخويفًا لهم حتى يمتنعوا عن ولده، فكان الهادي يبعث إليه يسأله التخفيف عنهم والرفق بهم.

---

(١) مواقف وحكايات عن الرحمة: ٢٣ ، ٢٤.

ولكن عبد الله بن مالك لم يكن يهتم بذلك وينفذ أوامر الخليفة فلما مات المهدي، وتولَّى الهادي الخلافة استدعى عبد الله بن مالك فجاء إليه وهو يرتجف رعبًا لظنه أن الهادي سينتقم منه لا محالة فلما دخل عليه ألقى السلام.

فقال الهادي: لا سلَّم الله عليك، أتذكر لما كنتُ أسألك أن ترفق بأصحابي فلا تلتفت لي وتمضي في عقابهم، قال: نعم يا أمير المؤمنين... فتأذن لي أن أتكلم؟ قال: تكلم.

قال: أيسرُّك يا أمير المؤمنين أن تأمرني بأمرٍ ثم يأمرني ولدُك بأمرٍ يخالفُ أمرَك فأتبع أمرَه وأعصي أمرَك؟!

قال الهادي: لا يسرُّني ذلك؛ قال: فكذلك أنا لك، وكذلك كنت لأبيك.

فأطرق الهادي رأسه يفكر ثم قال: صدقت، وأمر له بمكافأة وصرفه، فلما ذهب عبد الله إلى منزله غلبه القلقُ من هذا الأمر وقال في نفسه: غدًا يجلس إلى أصحابه الذين ضربتُهم فيحرضونه مرة أخرى، ويهيجونه عليَّ وأخذ يفكر في هذا الأمر حتى طار النومُ من عينيه وأصابه هَمٌّ عظيم.

فإذا به يسمع ضجَّة عظيمة وإذا بطرقات على باب منزله، فقال في نفسه: والله لقد وقع ما كنتُ أخشاه وإذا البابُ قد فُتح وإذا بالهادي يدخلُ عليه وحوله عددٌ من الخدم والغلمان فوثب إليه وقبَّلَ يده، فقال الهادي: يا عبد الله، إني فكرتُ في أمرك بعد أن انصرفت وقلتُ: قد تحدثك نفسُك أن أصحابي ربما يحرضونني عليك، فأعيد النظر في أمر تسامُحِي معك وربما سببت لك هذه الوساوسُ قلقًا يمنع النوم عنك.

فهتف عبد الله قائلًا: هذا والله ما حدث يا أمير المؤمنين، فقال الهادي: وهأنا قد جئتُ بنفسي إلى منزلك لأطمئنك وأزيلُ عنك هذا القلق وأخبرك بأن غضبي منك قد زال تمامًا من قلبي، وقد جئتُ بطعامي حتى نأكل معًا فتزول وحشتُك ثم أمر بالطعام فأدخل الغلمانُ صنوف الطعام فجلس الهادي مع عبد الله يأكل وهو يحدثه ويلاطفه حتى أزال الوحشة عن قلبه، ثم قال له: هذه البغال والغلمانُ لك، وقد وليتك ما كان أبي قد ولَّاك فارجع لمنصبك ثم تركه وانصرف [1].

---

(١) مواقف وحكايات عن الرحمة: ٣٠-٣٢.



المواساة لغة واصطلاحًا

المُوَاسَاةُ لغةً

المواساةُ مصدرُ قولهم: واسيتهُ وهي لُغةٌ في آسيتهُ.

قال ابنُ فارس: الهمزة والسين والواو أصلٌ واحدٌ يدلٌ على المداواة والإصلاح، يُقال: أسوتُ الجُرح: إذا داويتهُ، ولذلك يُسمَّى الطبيبُ: الآسي، ويُقال: أسوتُ بين القوم إذا أصلحت بينهم، ومن هذا الباب قولهم: لي في فلان أُسْوَةٌ -بضم الهمزة وكسرها- أي: قدوةٌ، وآسيتُ فلانًا: إذا عزَّيته من هذا، ومن هذا الباب آسيتُه بنفسي وواسيتُه.

قال الجوهري: وواساه لُغةٌ ضعيفةٌ في آساه، تُبنى على يُواسي، وقد استوسيتهُ: أي قلتُ له واسني، ويُقَال: آسيته بمالي مواساة أي: جعلته أُسوتي فيه، والإسوةُ والأسوةُ -بالكسر والضم- هي ما يأتسى به الحزين ويتعزَّى به، والجمع إسًى وأسًى.

ثم يُسمى الصبرُ: أسىً، وتآسوا أي: آسى بعضُهم بعضًا، والأَسَى: المداواةُ والعلاج، وهو الحُزنُ أيضًا، والإساءُ: الدواء بعينه، والإساءُ أيضًا: الأطبَّةُ جمع الآسي.

قال الراغب: الأَسْوُ: إصلاحُ الجرح، وأصله: إزالةُ الأسى، والآسي: طبيبُ الجرحِ، جمعه إساءٌ وأُساةٌ، والمجروح مأسيٌّ، وأَسِيٌّ معًا، ويقال: آسيتُه: أصلحتُه.

قال ابنُ منظور: الأسا -مفتوح ومقصور- المداواة والعلاج، وهو الحُزنُ أيضًا، وأسا الجرحُ أسوًا وأسًا: داواهُ، والأَسُوُّ على فعولٍ: دواءٌ تأسو به الجرح، ويُقال: أسا بينهم أَسْوًا: أصلح، وتآسوا: أي آسى بعضُهم بعضًا.

قال ابن بَرِّي: وتآسوا فيه: من المؤاساةِ لا من التآسي، والمواساةُ: المساواةُ والمشاركة في المعاش والرزق، وأصلها الهمزةُ فقلبت واوًا تخفيفًا[1].

---

(١) لسان العرب: (٨/ ٤٨٤٠)، والصحاح: (٦/ ٢٥٢٤)، ومقاييس اللغة: (١/ ١٠٧)، والمفردات (١٨)، تاج العروس: (١٠/ ٣٩٠، ٣٩١)، تهذيب اللغة للأزهري: (١٣/ ١٣٨، ١٣٩).

المواساةُ اصطلاحًا

قال ابن حجر: المواساةُ: **أن يجعل صاحبُ المال يده ويد صاحبه في ماله سواءً**[١].

قال ابن مَسْكَوَيْه: المواساةُ: **معاونةُ الأصدقاءِ والمستحقين ومشاركتهم في الأموال والأقوات**[٢].

وقال بعضهم: المواساةُ: المشاركةُ والمساهمةُ في المعاش والرزق[٣].

الأحاديث الواردة في المواساة

عن أبي موسى الأشعري ﷺ أنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قلَّ طعامُ عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناءٍ واحد بالسوية، فهم مني، وأنا منهم**»[٤].

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أطعموا الجائع، وعودوا المريض، وفُكُّوا العاني**»[٥].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أربعون خصلة أعلاهن منيحة العنز[٦] ما من عامل يعمل بخصلةٍ منها رجاء ثوابها، وتصديق موعودها، إلا أدخله الله بها الجنة**».

قال حسَّانُ بنُ عطيَّة (أحد الرواة): فعددنا ما دون منيحة العنز من رد السلام، وتشميت العاطس، وإماطة الأذى عن الطريق، ونحوه، فما استطعنا أن نبلغ خمس عشرة خصلة[٧].

---

(١) الفتح: (٧/ ٢٥) .
(٢) تهذيب الأخلاق لابن مسكويه: (٣/ ٣١).
(٣) لسان العرب: (١/ ٨٢).
(٤) البخاري: (الفتح ٥/ ٢٤٨٦)، ومسلم: (٢٥٠٠).
(٥) البخاري: (الفتح ٩/ ٥٣٧٣).
(٦) المنيحة: العطية.
(٧) البخاري: (الفتح ٥/ ٢٦٣١).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: طعام الاثنين كافي الثلاثة، وطعامُ الثلاثة كافي الأربعة[١].

وعن عبد الرحمن بن أبي بكر ﷺ قال: كنا مع النبي ﷺ ثلاثين ومائة، فقال النبي ﷺ: «هل مع أحدٍ منكم طعام» ؟ فإذا مع رجل صاعٌ من طعام أو نحوه فعجن، ثم جاء رجلٌ مُشركٌ مشعانٌّ[٢] طويلٌ بغنم يسوقها، فقال النبيُّ ﷺ: «أَبَيْعٌ أم عطية -أو قال: هِبَةٌ» ؟ قال: لا، بل بيعٌ، قال: فاشترى منه شاة، فصُنعت، فأمر نبيُّ الله ﷺ بسواد البطن[٣] يُشوى، وايمُ الله ما من الثلاثين ومائةٍ إلا قد حزَّ له حُزَّةً[٤] من سواد بطنها وإن كان شاهدًا أعطاها إياه، وإن كان غائبًا خبَّأها له، ثم جعل فيها قصعتين، فأكلنا أجمعون وشبعنا، وفَضَلَ في القصعتين فحلمتُهُ على البعير، أو كما قال[٥].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «كان رجلٌ يداين الناس، فكان يقول لفتاه: إذا أتيت مُعسرًا فتجاوز عنه، لعلَّ الله يتجاوز عَنَّا، فلقي الله تعالى فتجاوز عنه»[٦].

وعن عبد الله بن أبي قتادة ﷺ أن أبا قتادة طلب غريمًا له، فتوارى عنه، ثم وجده، فقال: إني مُعسرٌ، فقال: آلله؟ قال: آلله.

قال: فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ سرَّه أن ينجيَه الله من كرب يوم القيامة فليُنفس عن مُعسرٍ، أو يضع عنه»[٧].

وعن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أقال مسلمًا أقال الله عثرَته»[٨].

---

(١) البخاري: (الفتح ٩/ ٥٣٩٢)، ومسلم: (٢٠٥٨).
(٢) أي: متفش الشعر، ثائر الرأس.
(٣) بسواد البطن: أي الكبد.
(٤) حزَّ حزَّة: أي قطع قطعة.
(٥) البخاري (الفتح ٩/ ٥٣٨٢) واللفظ له، ومسلم: (٢٠٥٦).
(٦) البخاري (الفتح ١١/ ٦٤٨٠)، ومسلم: (١٥٦٢) اللفظ له.
(٧) مسلم: (١٥٦٣).
(٨) أبو داود: (٣٤٦٠) واللفظ له، وأحمد: (٢/ ٢٥٢) وصححه أحمد شاكر: (١٣/ ١٦٨)، رقم (٧٤٢٥).

وعن جابر بن عبد الله قال: كنا في زمان رسول الله ﷺ نأخذُ الأرض بالثلث أو الربع الماذيانات[١]، فقام رسولُ الله، ﷺ في ذلك فقال: «**مَنْ كانت له أرضٌ فليزرعها فإن لم يزرعها، فليمنحها أخاه، فإن لم يمنحها أخاه فليمُسكها**»[٢].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: بينما نحن في سفر مع النبي ﷺ إذ جاء رجلٌ على راحلةٍ له فجعله يصرف بصره يمينًا وشمالًا، فقال رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ كان معه فضلُ ظهرٍ[٣] فليعُد به على مَنْ لا ظهر له، ومَنْ كان له فضلٌ من زادٍ فليعُد به على مَنْ لا زاد له**»، قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر، حتى رأينا أنه لا حقَّ لأحدٍ منا في فضل»[٤].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا رجلٌ يمنحُ أهلَ بيتٍ ناقةً تغدو بعُسٍّ[٥] وتروحُ بعُسٍّ إن أجرها لعظيمٌ**»[٦].

أقوالُ العلماءِ في المُواسَاةِ

قال إبراهيمُ بن أدهم: المواساةُ من أخلاق المؤمنين[٧]، قال أبو بكر في قولهم: (ما يواسي فلانٌ فلانًا) ثلاثةُ أقوال: أحدها: ما يشارك فلانٌ فلانًا، وثانيها: ما يصيبه بخير، وثالثها، ما يعوِّضه من مودته ولا قرابته شيئًا.

قال ابن القيم: وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساةُ، فكلما ضعف الإيمانُ ضعفت المواساة، وكلما قوي قويت[٨]، ولا تقتصر المواساةُ على مشاركةِ المسلم لأخيه في المال

---

(١) الماذيانات: هي مسايل المياه، وقيل: ما ينبت على حافتي مسيل الماء، وقيل: ما ينبت حوله السواقي (لفظة معربة).

(٢) مسلم: (١٥٣٦).

(٣) الظهرُ: يريد به ما يُركب من الدواب، وخصّة اللغويون بالإبل. والفضلُ: ما زاد عن الحاجة.

(٤) مسلم: (١٧٢٨).

(٥) العُسُ: القدح الكبير.

(٦) البخاري: (الفتح ٥/ ٢٦٢٩)، مسلم: (١٠١٩) واللفظ له.

(٧) حلية الأولياء: (٧/ ٣٧٠).

(٨) الفوائد: (٢٢٤).

والجاه أو الخدمة والنصيحة، أو غير ذلك، فإن من المواساة مشاركة المسلم في مشاعره خاصةً في أوقات حُزنه، وعند تعرُّضِه لما يُعكِّرُ صفوه.

وهنا فإن إدخال السرور عليه وتطييب خاطره بالكلمة الطيبة، أو المساعدة الممكنة بالمال أو الجاه، أو المشاركة الوجدانية هو من أعظم المواساة وأجلِّ أنواعها[١].

إن حاجة المسلم تتنوعُ وتختلف من موقف إلى آخر فهناك مَنْ تكون حاجتُهُ إلى المال. وهناك مَنْ تكون حاجته إلى عمل أو وظيفة. وهناك مَنْ تكونُ حاجتُهُ إلى كلمةٍ طيبة. وهناك منْ تكونُ حاجتُهُ إلى دفع الظلم عنه. وهناك مَنْ تكونُ حاجتُه إلى مشاركة الناس له في أتراحه أو أفراحه. وهناك مَنْ تكون حاجته في وضع الدَّيْن عنه أو إرجائه، إلى غير ذلك من الحاجات. وكُلُّ ذلك يدخل في إطار القاعدة العامة للمواساة وهي أن يكون المسلم دائمًا في حاجة أخيه[٢].

---

(١) نضرة النعيم: (٨/ ٣٤٦٠) بتصرف يسير.

(٢) نضرة النعيم: (٨/ ٣٤٦٠) بتصرف يسير.

من قصص المواساة

حكيم بنُ حِزام

عن شعبةَ -رحمه الله- قال: لما توفِّي الزبيرُ لقي حكيم بنُ حزام عبدَ الله بن الزبير، فقال: كم ترك أخي من الدين؟ قال: ألف ألف، قال: عليَّ خمسمائة ألف[1].

سعيدُ بن العاص

قال ابنُ عيينة: كان سعيدُ بنُ العاص إذا قصده سائلٌ وليس عنده، شيءٌ قال: اكتب عليَّ سِجلًا بمسألتك إلى الميسرة[2].

عَلِيُّ بنُ الحُسَين

عن أبي حمزة الثمالي -رحمه الله- قال: إن عليَّ بن الحسين كان يحمل الخبز بالليل على ظهره يتَّبع به المساكين في الظلمة، ويقول: إن الصدقة في سواد الليل تطفئ غضب الرب[3].

وعن عمرو بن ثابت -رحمه الله- قال: لما مات عليُّ بن الحسين وجدوا بظهره أثرًا مما كان ينقل الجُرْب[4] بالليل إلى منازل الأرامل[5].

وقال شيبة بن نعامة: لما مات عليٌّ ﷺ وجدوه يعول مائة أهل بيت، قال الذهبي: قلت: ولهذا كان يُبخَّل -فإنه كان ينفق سرًّا، ويظن أَهْله أنه كان يجمع الدراهم[6].

وعن محمد بن إسحاق -رحمه الله- قال: كان ناسٌ من أهل المدينة يعيشون ولا يدرون من أين كان معاشُهم، فلما مات عليُّ بن الحسين، فقد ذلك الذي كان يؤتون بالليل[7].

---

(١) نزهة الفضلاء: (١/ ٢١٩).

(٢) المرجع السابق: (١/ ٢٩٥).

(٣) المرجع السابق: (١/ ٤٠٦، ٤٠٧).

(٤) الجرب: جمع جريب وهو وعاءٌ يحمل فيه الطعام ونحوه.

(٥) المرجع السابق: (١/ ٤٠٦، ٤٠٧).

(٦) نزهة الفضلاء: (١/ ٤٠٦، ٤٠٧).

(٧) نزهة الفضلاء: (١/ ٤٠٦، ٤٠٧).



أبو حمزة السكري

عن محمد بن علي بن الحسن ﷺ قال: أراد جارٌ لأبي حمزة السكري أن يبيع داره، فقيل له: بكم؟ قال: بألفين ثمن الدار، وبألفين جوار أبي حمزة، فبلغ ذلك أبا حمزة فوجَّه إليه بأربعة آلاف، وقال: لا تبع دارك[١].

بكر بن عبد الله بن عمرو المزني

عن بكر بن عبد الله -رحمه الله- قال: إني لأرجو أن أعيش عيش الأغنياء، وأموتَ موتَ الفقراء قال الذهبي: فكان -رحمه الله- كذلك يلبس كسوته، ثم يجيء إلى المساكين فيجلس معهم يُحدِّثهم ويقول: لعلَّهم يفرحون بذلك[٢].

أبو العباس أحمد بن أبي الحسن

حكى الذهبي أن الرفاعي (أبا العباس أحمد بن أبي الحسن المغربي ثم البطائحي) كان يجمع الحطب، ويجيء به إلى بيوت الأرامل، ويملأ لهم بالجرة[٣].

---

(١) المرجع السابق: (١/ ٥٩٥).

(٢) المرجع السابق: (١/ ٤٣٨).

(٣) المرجع السابق: (٢/ ١١٨٢).

الوفاءُ لُغةً واصطلاحًا

الوفاءُ لغةً

مصدر قولهم: وَفَى يَفِي وفاءً، وهو مأخوذٌ من مادة (و ف ي) التي تدل على إكمال وإتمام.

قال ابن فارس: ومن هذا الوفاء: إتمام العهد وإكمالُ الشرط، ويقولون منه أيضًا: أوفيتك الشيء: إذا قضيتهُ إياه وافيًا وتوفَّيْت الشيء واستوفيتهُ: إذا أخذته كله حتى لم تترك منه شيئًا.

قال الجوهري: الوفاءُ ضدُّ الغدر، يُقال: وفى بعهده وأوفى بمعنى، والوفي: الوافي، ووفى على الشيء: أشرف، وأوفاه حقَّه ووفَّاه بمعنى، واستوفى حقَّه وتوفَّاه بمعنى، وتوفَّاه الله: قبض روحه، ووافى فلانٌ: أتى، وتوافى القوم: تتاموا.

قال الكسائي وأبو عبيدة: وفيت بالعهد وأوفيتُ به سواءً، والوفيُّ الذي يُعطي الحقَّ ويأخذ الحقَّ... والموافاة: أن توافي إنسانًا في الميعاد، وتوفَّى المرة: بلغها واستكملها، والوفاءُ في اللغة: الخُلُق الشريفُ العالي الرفيع.

قال الراغبُ: الوافي: الذي بلغ التمام من كل شيء، يُقال: درهمٌ وافٍ وكيلٌ وافٍ[1].

الوفاءُ اصطلاحًا

قال الراغب: الوفاءُ بالعهد إتمامه وعدم نقصه وحفظه[2].

وقال أيضًا: الوفاءُ صدق اللسان والفعل معًا[3].

قال الجاحظ: الوفاءُ: هو الصبر على مايبذله الإنسان من نفسه ويرهنه به لسانُهُ والخروج مما يضمنه وإن كان مجحفًا به فليس يُعدُّ وافيًا من لم تلحقه بوفائه أذيَّةٌ وإن قلت،

---

(١) بصائر ذوي التمييز: (٤/ ١١٤، ١١٥)، لسان العرب: (١٥/ ٣٩٨-٤٠٠). نزهة الأعين النواظر: (٤٤٦-٤٤٨).

(٢) المفردات للراغب: (٥٢٨).

(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة: (٢٩٢).

وكلما أضرَّ به الدخولُ تحت ما حكم به على نفسه كان ذلك أبلغ في الوفاء(١).

قال الجرجاني: **الوفاء هو ملازمة طريق المواساة ومحافظة عهود الخلطاء**(٢).

الأحاديثُ الواردةُ في الوفاء

عن عبادة بن الصامت ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**اضمنوا لي ستًّا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: أصدقوا إذا حَدَّثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدُّوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغُضُّوا أبصاركم، وكفوا أيديكم**»(٣).

وعن عقبة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**أحقُّ ما أوفيتم من الشروط أن تُوفوا به ما استحللتم به الفروج**»(٤).

وعن ابن عباس ﷺ أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: **إن أمي نذرت أن** تحجَّ فلم تَحُجَّ حتى ماتت، أفَأحُجُّ عنها؟ قال: «**نعم، حُجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ اقضوا الله، فالله أحقُّ بالوفاء** »(٥).

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**آيةُ المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**»(٦).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أربعٌ منْ كُنَّ فيه كان منافقًا خالصًا ومن كانت فيه خصلةٌ منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا**

---

(١) تهذيب الأخلاق للجاحظ (٢٤).

(٢) التعريفات للجرجاني ص(٢٧٤).

(٣) أحمد: (٥/ ٣٢٣) والطبراني، والحاكم في المستدرك، (٤/ ٣٥٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع: (١٠١٨) والصحيحة: (١٤٧٠)، والإرواء: (١٠٧).

(٤) البخاري: (الفتح ٩/ ٥١٥١) واللفظ له، ومسلم: (١٤١٨).

(٥) البخاري: (الفتح ٤/ ١٨٥٢) واللفظ له، ومسلم: (١٣٣٤) نحوه.

(٦) البخاري: (٣٣) في الإيمان، باب علامات النفاق، ومسلم: (٥٩) في الإيمان، باب بيان خصال المنافق.

اؤتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»[١].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يُؤتى بالرجل المتُوفَّى عليه الدين، فيسأل: «هل ترك لدينه فضلًا؟» فإن حُدِّث أنه ترك لدينه وفاءً صلَّى، وإلا قال للمسلمين: «صلُّوا على صاحبكم»، فلما فتح الله عليه الفُتُوح قال: «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمَنْ تُوفِّي من المؤمنين فترك دينا فعليَّ قضاؤه، ومَنْ ترك مالًا فلورثته»[٢].

---

(١) البخاري: (٣٤) في الإيمان، باب علامات المنافق، ومسلم: (٥٨) في الإيمان، باب بيان خصال المنافق.

(٢) البخاري: (الفتح ٤/ ٢٢٩٨).

من قصص الوفاء

السموءل بنُ غريض

تبدأ القصةُ في إحدى بلاد اليمن، وبالتحديد في مملكة هناك كانت تُسمى كندة حيث كان يعيش بها أميرٌ وشاعرٌ مشهورٌ هو امرؤ القيس، أراد امرؤ القيس يومًا السفر إلى بلاد الروم وكان يملك أسلحة ودروعًا وأمتعة تساوي جملة كثيرة، بل تُعدُّ ثروة عظيمة لا تُقدَّرُ بثمن فخشي امرؤ القيس حملَ هذه الثروة معه في سفره خوفًا من هجوم قطاع الطرق، ففكّر كيف يتصرف فيها، فلم يجد أمامه، إلا صديقه السموءل خاصة وأنه مشهودٌ له بالأمانة وسمو الأخلاق.

أودع امرؤ القيس ثروته عند السموءل ثم سافر إلى بلاد الروم، ولم تمضِ شهورٌ حتى جاءت الأخبار بأن امرأ القيس قد مات.

احتار السموءل: ماذا يفعلُ بهذه الأمانة الغالية؟!

فلم يجد أمامه إلا أن يحافظ عليها حتى يحضر ورثة امرئ القيس في موسم التجارة فيسلمها لهم، ولكن كانت في انتظاره مفاجأة لم تكن في الحسبان، ففي صباح أحد الأيام فوجئ السموءل بوكيل الملك يطرق بابه ويطالبه بتسليم ثروة امرؤ القيس إلى ملك كندة.

أذهلت المفاجأة السموءل ووضعته أمام أكبر اختبار للوفاء يتعرَّض له إنسانٌ فمِلكُ البلاد يطالب الثروة لنفسه وهي ليست من حقه، فإن أعطاها له أضاع الوفاء لصاحبه، وإن رفض هاجمه عسكرُ الملك وقتلوه وأهله، وأخذوا الثروة غصبًا، واختار السموءل الوفاء ورفض الخيانة، فجمع أهله وماله وثروة صاحبه، وتحصَّن في حصن منيع يصعبُ اقتحامه يملكه أبوه، وسمع الملك بما فعل السموءل فاشتدَّ غضبُهُ وطار صوابُه، وجمع جيشه وذهب بنفسه وحاصر السموءل داخل حصنه أيامًا عديدة.

السموءل صامدٌ على مبدئه لا يتزعزع، يأبى أن يسلم الأمانة إلا إلى ورثة امرئ القيس، وكان للسموءل ابنٌ خارج الحصن؛ فقبض عليه الملك وأتى به تحت أسوار الحصن أسيرًا ثم نادى السموءل فأطل عليه من أعلى الحصن، فقال له الملكُ وهو قابضٌ على ولده: يا سموءل ... هذا ولدك ... فلذة كبدك فإن لم تُعطني الدروع والأسلحة

والمتاع ذبحتهُ أمام عينيك وإن سلَّمتها لي سلَّمتهُ لك.

فقال السموءل دون أن يتردد: والله، لا أخون الوفاء أبدًا، فافعل ما شئت فما كان من الملك الغادر إلا أن قتل ابن السموءل أمام عينيه، ومع ذلك لم يخضع السموءل ولم يتنازل عن وفائه، واستمرَّ الحصار أيامًا عديدة، والسموءل يزدادُ كُلَّ يومٍ إصرارًا وتمسكًا بالوفاء حتى يئس الملك منه، فجمع جيشه وانسحب راجعًا بينما ظلَّ السموءل في حصنه حتى جاء الموسم وحضر ورثة امرئ القيس، فسلَّمهم الأمانة كاملة دون أن ينتقص منها شيئًا، واحتسب ولده ضحية للوفاء والإخلاص[1].

دُرَيْدٌ

يُحكى أن جماعةً من قُطَّاع الطرق كانوا يجوبون الصحراء بحثًا عن قافلة ينهبونها، فبينما هم في سيرهم إذ لمحوا عن بُعدٍ رجلًا يسير هو وامرأته في هودجها.

فقال أحدهم: إنه لي، ثم انطلق في أثره يريد قتله وسَبي المرأة، فلما اقترب منه رآه الرجل وأدرك أنه إنما أتى لشرٍّ، فقال لامرأته: سيري آمنةً وأنا له، ثم حمل على اللص بكل شجاعة فقتله وأخذ فرسه وسار في طريقه فلما تأخر اللص عن العودة إلى رفاقه أرسلوا أحدهم ينظر ما صنع صاحبُهم، فتلقاه الرجلُ بنفس الشجاعة حتى قتله برمحه، وكسر الرمحَ فيه وكان مع اللصوص رجلٌ يسمى دريد، فلما رأى ذلك انطلق إلى الرجل ولما رآه متحفزًا دون رُمح يريد الدفاع عن المرأة أعجبته شجاعته فقال له: إن مَنْ في مثل شجاعتك لا يُقتل ثم ألقى برمحه وهو يقول: امض في طريقك راشدًا وسأعود إلى أصحابي فأصرفهم عنك؛ فشكره الرجلُ وعاهده الوفاء مقابل صنيعه، كل ذلك والمرأة في هودجها تنظر، وتمضي السنون ويغزو قومُ الرجل قومَ دريد في حربٍ بينهم، ويُؤخذ دريدٌ أسيرًا، فلما عادوا به إلى ديارهم رأته المرأة بين الأسرى محبوسًا فصرخت في قومها هلكتم والله، هل تأسرون من سبق فضُله إلينا؟! فقالوا لها: ومَنْ هو..؟!

فأشارت إلى دريد قائلة: هذا والله هو الفارسُ الذي أعطى زوجي رمحَه وأنقذنا من

---

(١) مواقف وحكايات عن الوفاء: ٢٤-٢٦.

اللصوص؛ ففكَّ القومُ سراحه، ثم إن المرأة كسته وأعطته فرسًا وأطلقته مُعزَّزًا مكرَّمًا جزاءً لمعروفه معها[١].

وفاءُ وزير

يُحكى أن حربًا قامت بين مملكتين فانتصرت إحداهما على الأخرى، وقُتل المهزومُ وأُسر وزيرُه، فأراد الملكُ المنتصرُ أن يكتسب خبرة الملك المهزوم في الحروب، فاستدعى وزيره وسأله: كيف كان تدبيرُ ملككم وخِططهُ في الحروب؟ فأجاب الوزير: كان -رحمه الله- يفعل كذا في حروب الصحراء، وكان -رحمه الله- يصنع كذا في حروب الجبال، وكان -رحمه الله- يقوم بكذا في حروب البحار فقاطعة الملك قائلًا بغضب شديد: قُمْ عليك لعنةُ الله، تجلس على بساطي وتترحَّمُ على عدوي..!!

فقام الوزيرُ وهو يقول: إن فضل عدوك عليَّ قلادةٌ في عنقي لا ينزعها إلا الموت، ثم همَّ بالانصراف، فاستوقفه الملكُ وقال: إن وفاءك لمليكك قد رفع قدرَك عندنا رغم أنه عدونا، وأشهد أنك رجلٌ حُرٌّ شريفٌ، ثم عفا عنه وأمر له بمكافأة سخية[٢].

وَفاء مَلِكٍ

يُحكى أن المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة صار بجيشه قاصدًا غزو الشام فلما وصل أطرافها أرسل إلى الحارث بن أبي شمر ملك الشام ينذره إما الفدية أو الحرب؛ فأبى الحارثُ دفع الفدية وجهَّزَ جيشه وسار لملاقاة المنذر، فلما اصطفَّ الجيشان واستعدا للحرب، أرسل الحارث إلى المنذر يقول: دعنا لا نهلك جنودَنا بحرب، ولكن يخرج ابنٌ لي وابنٌ لك فيتنازلان، فمن قُتل منهما يخرج بدلًا منه ابنٌ آخر فإذا هلكوا خرجت أنا إليك فمَنْ قتل صاحبه صار الملكُ له، فردَّ عليه المنذر موافقًا، ثم تعاهدا على ذلك، فأخرج الحارث أحد أبنائه للنزال، بينما أخرج المنذرُ فارسًا من أقوى فرسانه على أنه ابنه، فلما تواجها، عاد ابن الحارث إليه وقال: يا أبي إنه لم يرسل ابنه وإنما أرسل فارسًا من رجاله، فقال له الحارث: يا بني أخفت من الموت؟! اذهب وقاتل، فإن الملك لا يغدرُ بنا؛ فعاد ابنهُ

(١) مواقف وحكايات عن الوفاء: ٣٣، ٣٤.

(٢) مواقف وحكايات عن الوفاء: ٣٤، ٣٥.

وقاتل الفارس، فقتله الفارسُ؛ فأخرج الحارثُ ابنًا ثانيًا من أبنائه حسب العهد، فلما رأى الفارس عاد لأبيه وقال: يا أبي، هذا والله ليس بابن المنذر وإنما هو أحد فرسانه. فقال له الحارث: يا بني إن الملك لا يمكن أن يغدر ويخون عهدَه أخرج فقاتله وخذ بثأر أخيك؛ فعاد وقاتل الفارس فقتله الفارس، وكان بين جنود المنذر جندي شجاعٌ يعرف قيمة الوفاء بالعهد وينكر الغدر فخرج من بين الصفوف وقال للمنذر: أيها الملك، إن الغدر ليس من شيم الملوك ولا الكرام، لقد أوفى الحارث بعهده وخنت أنت العهد مرتين؛ فغضب المنذر وأمر به، إلا أن الجندي انطلق بفرسه صوب عسكر الحارث طالبًا منهم الأمان؛ فأخذوه إلى الملك الحارث، فأخبره بخيانة الملك المنذر للعهد، وأن الفارس الذي قتل ولديه ليس بابنه، فلما كان الغد أمر الحارث جيشه بالقتال بعد أن أعلمهم بخيانة الملك المنذر له، واندلعت معركةٌ حاميةٌ بين الطرفين كان النصر فيها للحارث وجيشه، وقُتل الملك المنذر وهُزمت جيوشه وانتصر الوفاءُ على الغدر[١].

---

(١) مواقف وحكايات عن الوفاء

فتاوىٰ في التربية الاجتماعية

س١: سئل شيخ الإسلام ابن تيمية: عن قوم مسلمين مجاوري النصارى، هل يجوز لمسلم إذا مرض النصراني أن يعوده؟ وإذا مات أن يتبع جنازته؟ وهل على من فعل ذلك من المسلمين وزر أم لا؟

ج١: فأجاب: الحمد لله رب العالمين، لا يتبع جنازته، وأما عيادته فلا بأس بها فإنه قد يكون في ذلك مصلحة لتأليفه على الإسلام. فإذا مات كافرًا فقد وجبت له النار، وهذا لا يُصلى عليه، والله أعلم[1].

س٢: سئل القابسي عن رجل بجوراه يهودي قد رُبِّي معهم، فربما جاءوه في حاجة، أو عرضت له حاجة إليهم، وربما مشى في طريق ملاصقة لهم فيجري بينهم حديثٌ وابتسام، وكلام لين، وهذا الرجل يقول: الله أعلم ببُغضي لليهود، ولكن طبعي لين، أتراه من هذا في حرج أم لا وما يرد عليهم إذا سلموا عليه، أفتنا رحمك الله؟

ج٢: فأجاب: إن كنت تسأل لنفسك، فلا تخالط من على خلاف دينك، فهو أسلم لك أما جارك من أهل الذمة؛ فيستقضيك حاجة لا مأثم فيها فتقضيها له، فلا بأس أما لين قولك له إن خاطبك فإن لم يكن فيه تعظيم له ولا تشريف، ولا ما يُغبطه، في دينه فلا بأس إذا ابتليت به، وأما إذا سلم عليك فالردُّ عليه أن تقول: (وعليك) ولا تزد، وأما سؤالك عن حاله وحال من عنده فما لك فيه فائدة، وما عليك منه إن أنت لم تكثر ولم تفرط فيه، ولكن بقدر ما يدعو إليه حق الجوار، والله يعلم المفسد من المصلح، والله ولي التوفيق[2].

س٣: سئل الشيخ عبد العزيز بن باز: أريد أن أتزوج ثيبًا، ووالدي موافق على ذلك والبنت وأهلها موافقون، إلا أن والدتي غير موافقهٍ، ولا ترضى بذلك هل أتزوج هذه المرأة دون النظر إلى رضا أمي أم لا؟ وهل إذا تزوجتها أكون عاقا لوالدتي؟

ج٣: فأجاب: حق الوالدة عظيم، وبرها من أهم الوجبات، فالذي أنصحك به ألا تتزوج امراةً لا ترضاها والدتك؛ لأن الوالدة من أنصح الناس لك، ولعلها تعلم من أخلاقها ما يضرك، والنساء سواها كثير، وقد قال الله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]

ولا شك أن بر الوالدة من التقوى إلا أن تكون الوالدة ليست من أهل الدين، والمخطوبة من أهل الدين والتقوى، فإن كان الواقع هو ما ذكرنا فلا تلزمك طاعة أمك في ذلك: لقول النبي

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٢٦٥).

(٢) المعيار المغرب (١١/ ٣٠٠، ٣٠١).

ﷺ: «إنما الطاعة في المعروف»[١][٢].

س٤: سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن رجلٍ يسفه على والديه، فما يجب عليه؟

ج٤: فأجاب: إذا شتم الرجل أباه واعتدى عليه فإنه يجب أن يُعاقب عقوبة بليغة تردعه وأمثاله عن مثل ذلك، بل وأبلغ من ذلك أنه قد ثبت عن النبيﷺ في الصحيحين أنه قال: «من الكبائر أن يسبَّ الرجل والديه» قالوا: وكيف يسبُّ الرجلُ والديه؟ قال: «يسبُّ أبا الرجل، فيسبُّ أباه، ويسبُّ أمه فيسبُّ أمه»[٣] فإذا كان النبيﷺ جعل من الكبائر أن يسب الرجل أبا غيره؛ لئلا يسبَّ أباه، فيكف إذا سبَّ هو أباه مباشرة، فهذا يستحق العقوبة التي تمنعه من عقوق الوالدين الذي قرن الله حقهما بحقه حيث قال: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤] وقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣] فكيف بسبِّهما؟[٤].

س٥: سُئل الإمام النووى رحمه الله: إذا كان الإنسان عاقًّا لوالديه، وماتا ساخطين عليه، فما طريقه إلى إزالة ذلك، وإسقاط مطالبتهم له فى الآخرة؟

ج٥: فأجاب: أما مطالبتهما له في الآخرة فلا طريق إلى إبطالها، ولكن ينبغي له بعد الندم على ذلك أن يكثر من الاستغفار لهما والدعاء وأن يتصدق عنهما إن أمكن، وأن يُكرم من كان يحبان إكرامه: من صديق لهما، ونحوه وأن يصل رحمهما، وأن يقضي دينهما، أو ما تيسَّر له من ذلك[٥].

س٦: ما حكم الإسلام فيمن يمنع ابنه من صلاة الفجر فى جماعة؟

ج٦: إن صلاة الجماعة واجبة على كل مسلم ذكر مكلف على القول الراجح عند أهل العلم، ولا يجوز تركها إلا لعذر: كنوم أو نسيان أو سفرٍ أو مرضٍ أو حضور طعام... ونحوه، وطاعة الوالدين واجبة، ما لم تكن في معصية، فينبغي على الوالد أن يفرح بابنه هذا ما دام يسارع في الخيرات ويسابق إلى الطاعات، وعليه أن يُبَيِّن لابنه السبب الحقيقي من منعه من الجماعة مع سؤال أهل الذكر، والواجب على الابن أن يرفقَ بأبيه وأن يصاحبه بالمعروف؟[٦].

---

(١) البخاري (٧٢٥٧) ومسلم(١٨٤٠).

(٢) فتاوى ابن باز (١/ ٢١٦، ٢١٧).

(٣) البخاري (٥٩٧٣)، ومسلم (١٤٦).

(٤) مجموع الفتاوى (٣٤/ ٢٢٦، ٢٢٧).

(٥) فتاوى النووي (١٠٤/ ١٠٥).

(٦) فتاوى لجنة الفتوى لأنصار السنة (١٠٣).

س٧: يسأل سائل عمن رباه عمه وزوجة عمه مع أن والديه على قيد الحياة لكنهما مفترقان، وقد بلغ الابن عشرين عامًا، فماذا عليه من البر والصلة؟

ج٧: بر الوالدين واجبٌ على الأبناء ولو كانت التربية في غير حضنهما، والإحسان للعم وزوجته اللذين قاما بالتربية واجبٌ عليك أيضًا، وليعلم السائل أن الود ينشأ بالتودد، والهجر يولد الجفاء فاذا وصل أمه وأباه، وأحسن إليهما فإن الله يُفجر ينابيع الحب والحنان في قلبه وقلبيهما، وليعلم السائل أن مجرد تربية زوجة العم له لا يجعلها من محارمه فلا يحلُّ له أن يخلو بها، وإلا إذا كان هناك سببٌ آخر للتحريم، كأن تكون مرضعًا له، أو خالة له أو غير ذلك من أسباب التحريم[١].

س٨: سُئل شيخ الإسلام: هل الأفضل للسالك العزلة، أو الخلطة؟

ج٨: فأجاب: فهذه المسألة وإن كان الناس يتنازعون فيها إما نزاعًا كليًا، أما حاليًا، فحقيقة الأمر أن الخلطة واجبة أو مستحبة والشخصُ الواحد قد يكون مأمورًا بالمخالطة تارة، وبالانفراد تارة، وجماع ذلك أن المخالطة إن كان فيها تعاون على البر والتقوى فهي مأمورٌ بها وإن كان فيها تعاون على الإثم والعدوان فهي منهيٌّ عنها. فالاختلاط بالمسلمين في جنس العبادات، كالصلوات الخمس والجمعة والعيدين وصلاة الكسوف، والاستسقاء ونحو ذلك هو مما أمر الله به ورسوله.

وكذلك الاختلاط بهم في الحج، وفي غزو الكفار، والخوارج والمارقين، وإن كان أئمة ذلك فجارًا، وإن كان في تلك الجماعات فجارًا، وكذلك الاجتماع الذي يزداد فيه العبد به إيمانًا إما لانتفاعه به، وإما لنفعه له ونحو ذلك.

ولا بد للعبد من أوقات ينفرد بها بنفسه في دعائه وذكره وصلاته وتفكره ومحاسبة نفسه، وإصلاح قلبه، وما يختصُّ به من الأمور التي لا يشركه فيها غيره، فهذه يحتاج فيها إلى انفراده بنفسه إما في بيته كما قال طاوس: نعم صومعة الرجل بيته، يكفُّ فيها بصره ولسانه، وإما في غير بيته.

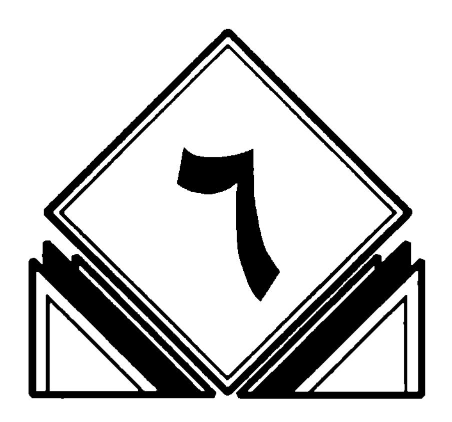
فاختيار المخالطة مطلقًا خطأ، واختيار الانفراد مطلقًا خطأ، وأما مقدار ما يحتاج إليه كل إنسان من هذا وهذا، وما هو الأصلح له في كل حالٍ فهذه يحتاج إلى نظر خاص كما تقدم[٢].

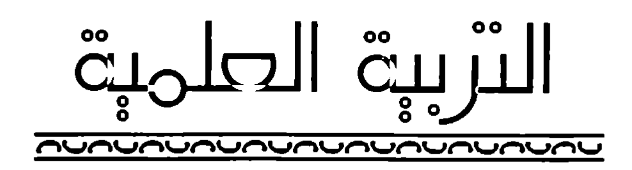
---

(١) **فتاوى اللجنة الفتوى لأنصار السُّنَّة (١٠٣)**

(٢) **مجموع الفتاوى (١٠/ ٤٢٥-٤٢٩).**


الموسوعة الأم
في تربية الأولاد


٦


التربية العلمية

مقدمة

الحمد لله الذي أنشأ وبَدَا[١]، وخلق الماء والثرى، أبدع كل شيء ذرا[٢]، لا يغيبُ عن بصره دبيبُ النمل في الليل إذا سرى[٣]، ولا يعزُبُ عن علمه ما عنَّ وما طرا[٤].

اصطفى آدم ثم عفا عما جرى[٥] وأرسل نوحًا فبنى الفلك وسرى[٦]، ونجَّى الخليل[٧] من النار فصار حرُّها ثرى، ثم ابتلاه بذبح ولده وأدهش بصبره الورى، يا بُني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى.

وصلى على رسوله المبعوث في أم القرى وعلى أبي بكر الذي صبحه في الدار والغار بلا مِرَا[٨] وعلى عمر الفاروق الذي كان بنور ربه يرى وعلى عثمان زوج ابنتيه بلا امترا[٩]، ما كان حديثًا يُفترى وعلى عليٍّ بحر العلوم أسد الثرى [١٠][١١].

---

(١) برا البرايا: خلقهم وأنشأهم.

(٢) أبدع كل ما ذراه وأنشأه وبرأه، أحسن كل شيء خلقه، وخلق الإنسان في أحسن تقويم.

(٣) يُبصر دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء في الصخرة الصماء.

(٤) يسمع الأصوات كلها صغيرها وكبيرها، ضعيفها وقويها على اختلافها، وتنوع لغاتها.

(٥) تاب على آدم وعفا عنه بعد خطيئته وأكله من الشجرة.

(٦) بني السفينة وحمل فيها من كلٍّ زوج اثنين وسار بها كما أمره ربه ومولاه.

(٧) الخليل: إبراهيم عليه السلام.

(٨) مِرَا: جدال ومراء.

(٩) بلا امترا: بلا شك ولا مَيْن ولا ريب.

(١٠) أسد الحروب.

(١١) التبصرة (١/ ١٧٧) بتصرف.

أَهْدَافُ التَّرْبِيَةِ الْعِلْمِيَّةِ

١- الترغيب في طلب العلم الشرعي بذكر فضائله وأجور طالبية واستغفار الملائكة لهم والصلاة عليهم.

٢- الإخبار بأهمية العلم، وحكم طلبه وآداب طالب العلم، وموقف طلبة العلم مع العلماء، وغير ذلك...

٣- إعلاء الهمم لطلب العلم؛ بذكر قصص الصالحين من السلف الصالح -رحمهم الله- في طلب العلم، وصبرهم عليه، ومصابرتهم في طلبه، ومثابرتهم على تعَلُّمِه وشد الرحال للعلماء وإنفاق كل شيء بغية سماع حديث أو أكثر أو شراء أوراق وأقلام، أو شراء كتب دينية والرحلة في طلب العلم وافتراش أعتاب العلماء والتضحية من أجله، والبذل والعطاء في طريق طَلَبِهِ، وسهر الليالي، ومكابدة الساعات لتحصيل العلوم النافعة.

٤- تبصير الأولاد وغيرهم بطريق العلم، وتبيين كيفية طلبه كما صرح بذلك العلماء الأعلام، عليهم رحمة الله.

٥- عرض نماذج من الكتب المقترحة لدراستها، وتعلمها في معظم المجالات العلمية الشرعية.

٦- الإجابة على كثير من التساؤلات والرد على العديد من الاستفسارات الخاصة بالعلم، وطلبه، والآداب الخاصة به، وغير ذلك.

كيف نربي أولادنا علميًّا؟

إن التربية العلمية للأولاد صغارهم وكبارهم، ذكورهم وإناثهم لهي من الأهمية بمكان، ومَنْ افتقدها فقد افتقر إلى خيرٍ كثيرٍ، وفي نفس الوقت هو على خطرٍ عظيمٍ، حيث يتخبط الولد في ظلمات الجهل بعيدًا عن نور المعرفة، وربما ضربته أمواج الشبهات وأحاطت به أعاصير الشهوات فكانت الحسرة والندامة، ولا ينفع حينها بكاء الباكين والباكيات.

وإن الأساس العلمي للتربية الإسلامية للأولاد كأي أساس سابقٍ يحتاج إلى توجيهاتٍ إرشاديةٍ، ثم تفصيلاتٍ علميةٍ شرعيةٍ، ثم تطبيقاتٍ علميةٍ.

أما عن التوجهات النظرية الإرشادية فتشتمل على الآتي:

١- تعريف الأولاد بمعنى العلم وفضائله العديدة حتى يقفوا على أهميته، ومن ثَمَّ تتوق أنفسهم إليه، ويحرصون عليه، ويبذلون في طلبه كل نفيس.

٢- تعريف الأولاد بضرورة التعليم وأهمية طلب العلم التي لا يغفل عنها إلا غافلٌ، ولا يجحدها إلا منكرٌ جاهلٌ، فحذار ثم حذار من التهاون في ذلك؛ لأن المتهاون هو المغبون.

٣- تعريف الأولاد بآداب طلب العلم حتى يتأدبوا بها في طريقهم، وسبيلهم إلى نيل العلوم النافعة.

٤- تعريف الأولاد بالأسباب المُعينة على طلب العلم حتى يأخذوا بها مستعينين بعد توكلهم على ربهم ومولاهم واستعانتهم به ابتداءً؛ فيُسَهِّلُ عليهم الطرق الصعاب، ويهوِّن عليهم الأمر؛ فيتعلمون دونما عناء، ولا يجدون في طريقهم أي شقاءٍ.

٥- تعريف الأولاد بطرق طلب العلم وسيلة، وتحصيله؛ حتى يكونوا على بصيرة من أمرهم، فنور المعرفة يضيء للسالكين فيمحو ظلام الجهل، فيهتدي به الطالبون حتى يصلوا إلى ما يتمنونه من رضا مولاهم، ومحبته؛ فيعطيهم من فضله، ويمنّ عليهم بكرمه، فينالون فوزًا ما بعده خسارة، ونجاة ما بعدها كربةٌ في الآخرة بالنعيم المقيم والفوز العظيم

في جنات الملك الكريم.

٦- تعريف الأولاد بأخطاء طالب العلم حتى لا يقعوا فيها، ولا يتلبسوا بها، فيكونون في مأمنٍ من الزلل بعد العلم بإذن الله.

٧- تقديم بعض الفوائد الخاصة بالعلم وطلبه والتي هي من الأهمية بمكان خاصة أنها على لسان واحدٍ من الأعلام المشهود لهم بالفضل والعلم والباع الطويل في هذا الشأن، وهو ابن عثيمين رحمه الله.

٨- تعريف الآباء بآداب المعلمين مع أنفسهم ومع غيرهم وآدابهم في دروسهم.

٩- تقديم صورًا من علو همة السلف في طلب العلم للأولاد حتى تعلو هممهم، وتشحذ نفوسهم، وتزداد عزائمهم، ويسلكون طريق العلم كما ينبغي.

١٠- وأخيرًا، وقوف الآباء والأمهات على بعض الفتاوي الهامة والخاصة بالعلم والتعلم حتى يستطيعوا الإجابة من خلالها على بعض ما يُلقى عليهم من تساؤلات واستفسارات من قبل الأولاد.

هذا وإن ما سبق من نقاطٍ مجملًا ستجده في الصفحات التالية مفصَّلًا، عرضته لك بصورةٍ ميسرةٍ وأحسبها شافيةً كافيةً بإذن الله تعالى.

تَعْرِيفُ الْعِلْمِ

العلم لغةً

نقيض الجهل، وهو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكًا جازمًا.

العلم اصطلاحًا

قال بعض أهل العلم: هو المعرفة وهو ضد الجهل. قال آخرون من أهل العلم: إن العلم أوضح من أن يُعرَّف.

وقال ابن عثيمين: الذي يعنينا هو العلم الشرعي والمراد به: علم ما أنزل الله على رسوله من البينات والهدى. فالعلم الذي فيه الثناء والمدح هو علم الوحي، علم ما أنزله الله فقط، قال النبي ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»[١]، وقال النبي ﷺ: «إن الأنبياء لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافرٍ»[٢].

ومن المعلوم أن الذي ورَّثه الأنبياء هو علم شريعة الله -عز وجل- وليس غيره، فالأنبياء عليهم الصلوات والسلام، ما ورَّثوا للناس علم الصناعات وما يتعلق بها، بل إن الرسول ﷺ حين قدم المدينة وجد الناس يُؤَبِّرُونَ النخل، أي: يُلقِّحونها، قال لهم لما رأى من تعبهم كلامًا يعني أنه لا حاجة إلى هذا؛ ففعلوا وتركوا التلقيح ولكن النخل فسد، ثم قال لهم النبي ﷺ: «أنتم أعلم بشئون دنياكم»[٣].

ولو كان هذا هو العلم الذي عليه الثناء لكان الرسول ﷺ أعلمَ الناس به؛ لأنه أكثر من يُثني عليه بالعلم والعلم هو النبي ﷺ. إذن فالعلم الشرعي هو الذي يكون فيه الثناء، ويكون الحمد لفاعله، ولكني مع ذلك لا أنكر أن للعلوم الأخرى فائدة، لكنها ذاتُ حدين: إن أعانت على طاعة الله وعلى نصر دين الله وانتفع بها عباد الله؛ فيكون ذلك خيرًا

---

(١) البخاري (٧١).

(٢) أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وصححه الألباني.

(٣) مسلم (٦٠١٣).

ومصلحة، وقد يكون تعلمها واجبًا في بعض الأحيان إذا كان داخلًا في قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وقد ذكر كثيرٌ من أهل العلم أن تعلم الصناعات فرض كفاية؛ وذلك لأن الناس لا بد لهم من أن يطبخوا بها، ويشربوا بها، وغير ذلك من الأمور التي ينتفعون بها فإذا لم يوجد من يقوم بهذه المصانع صار تعلمها فرض كفاية[١].

(١) العلم لابن عثيمين (٨- ٩).

فَضَائِلُ الْعِلْم

قال ابن القيم رحمه الله: قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨].

١- استشهد الله أهل العلم دون غيرهم من البشر.

٢- وأقرن شهادتهم بشهادته: (شهد الله.... وأولو العلم...).

٣- وفي ضمن هذا تزكيتهم، وتعديلهم؛ فإن الله لا يستشهد من خلقه إلا العدول.

٤- إنه استشهد بهم على أجلِّ مشهودٍ به وأعظمه وأكبره، وهو شهادة أن لا إله إلا الله ....، وتوحيده. والعظيم القدر إنما يَستشهد على الأمر العظيم أكابرَ الخلق وسادتهم.

٥- نفى سبحانه التسوية بين أهل العلم وبين غيرهم كما نفى التسوية بين أصحاب الجنة وأصحاب النار؛ فقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر: ٩].

٦- جعل الله سبحانه أهل الجهل بمنزلة العميان الذين لا يبصرون، فقال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓۚ ﴾ [الرعد: ١٩] فما ثمَّ إلا عالمٌ أو جاهلٌ.

٧- أخبر سبحانه عن أولي العلم بأنهم يرون ما أُنزل إليهم من ربهم حقًا وجعل هذا ثناءً عليهم. فقال تعالى: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ ﴾ [سبأ: ٦].

٨- أمر سبحانه بسؤالهم والرجوع إلى أقوالهم وجعل ذلك كالشهادة منهم، فقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْۚ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣]. وأهل الذكر هم أهل العلم بما أُنزل على الأنبياء.

٩- استشهد بهم على صحة ما أنزل على رسوله، فقال تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [الأنعام: ١١٤].

١٠- وسلَّى نبيه بإيمان أهل العلم بـه وأمره بأن لا يعبأ بالجاهلين شيئًا، فقال تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا

تُؤْمِنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ [الإسراء: ١٠٦-١٠٨].

١١- إنه سبحانه مع أهل العلم، أثنى عليهم، وشرَّفهم، بأن جعل كتابه آيات بينات في صدورهم، وهذه خاصية ومنقبة لهم دون غيرهم، قال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

١٢- إنه سبحانه أمر نبيه ﷺ أن يسأله المزيد من العلم، وكفى بهذا شرفًا للعلم، قال تعالى: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤].

١٣- أخبر سبحانه عن رفعة درجات أهل العلم والإيمان خاصة؛ فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١١].

١٤- واستشهد سبحانه بأهل العلم والإيمان يوم القيامة على بطلان قول الكفار، فقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٥٥، ٥٦].

١٥- وأمر الله سبحانه أهل العلم بالفرح بما آتاهم وأخبر أنه خيرٌ مما يجمع الناس. فقال تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٨].

١٦- قال رسول الله ﷺ: «**الدنيا ملعونة ملعونٌ ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالمًا ومتعلِّمًا**»[١].

١٧- والعلم أفضل الجهاد في سبيل الله؛ لأن به قوام الإسلام كما أن قوامه بالجهاد، ولهذا كان الجهاد نوعين؛ الأول: الجهاد باليد، وهذا المشارك فيه كثير. الثاني: الجهاد بالحجة والبيان وهذا جهادُ الخاصة من أتباع الرسل وهو جهاد الأئمة وهو أفضل

---

(١) الترمذي، وابن ماجه، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (٧٠).

الجهاد لعظيم منفعته، وشدة مؤنته، وكثرة أعدائه.

١٨- وقال رسول الله ﷺ: «**إن الله وملائكته حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلِّم الناس الخير**»[1].

١٩- وطلب العلم هو وصية رسول الله ﷺ فقد قال: «**سيأتيكم أقوامٌ يطلبون العلم، فإذا رأيتموهم فقولوا لهم: مرحبًا بوصية رسول الله ﷺ وأفتوهم**»[2].

٢٠- وقال رسول الله ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم»[3].

٢١- والله تبارك وتعالى يباهي ملائكته بالقوم الذين يتذاكرون العلم، ويذكرون الله ويحمدونه على ما مَنَّ عليهم به منه.

٢٢- والملائكة تضع أجنحتها تواضعًا لطالب العلم، وتوقيرًا وإكرامًا لما يحكمه من ميراث النبوة ويطلبه والعلماء هم ورثة الأنبياء.

٢٣- قال تعالى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ** ﴾ [الحديد: ١٩] فالصديقون: هم أئمة أتباع الرسل، ودرجتهم أعلى الدرجات بعد النبوة والصديقية: هي كمال الإيمان بما جاء به الرسول علمًا، وتصديقًا، وقيامًا، فهي راجعة إلى نفس العلم، فالصديقية شجرة أصولها العلم وفروعها التصديق وثمرتها العمل.

٢٤- قال الإمام أحمد: الناس محتاجون إلى العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب؛ لأن الطعام والشراب يُحتاج إليه في اليوم مرة أو مرتين والعلمُ يُحتاج إليه بعدد الأنفاس.

٢٥- إنه سبحانه ذكر فضله، ومنته على أنبيائه ورسله وأوليائه بما آتاهم من العلم، فذكر نعمته على خاتم أنبيائه ورسله بقوله تعالى: ﴿ **وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا** ﴾ [النساء: ١١٣] وأثنى الله على إبراهيم بقوله: ﴿ **إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠**

---

(١) الترمذي (٢٦٨٦)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٨٤٣).

(٢) ابن ماجه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٤٥).

(٣) الترمذي (٢٦٨٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٠٨٩).

شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَنْهُ وَهَدَنْهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل: ١٢٠-١٢١] وقال في يوسف عليه السلام: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٢٢]. وقال في كليمه موسى عليه السلام: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [القصص: ١١٤]. وقال في حق عيسى عليه السلام: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ [المائدة: ١١٠]. وقال في حق داود عليه السلام: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾ [ص: ٢٠]. وقال في حق الخضر صاحب موسى وفتاه: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف: ٦٥]. وقال في دواد وسليمان عليهما السلام: ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء: ٧٩]. وقال في حق الأمة: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤][1].

حكم طلب العلم

قال ابن عثيمين رحمه الله: طلب العلم الشرعي فرضُ كفايةٍ إذا قام به مَنْ يكفي صار في حق الآخرين سُنَّة، وضابطه أن يتوقف عليه معرفة عبادةٍ يُريد فعلها أو معاملةٍ يريد القيام بها؛ فإنه يجب عليه في هذه الحال أن يعرف كيف يتعبد لله بهذه العبادة، وكيف يقوم بهذه المعاملة وما عدا ذلك من العلم ففرض كفاية، وينبغي لطالب العلم أن يُشعر نفسه أنه قائمٌ بفرض كفاية حال طلب العلم؛ ليحصل له ثواب فاعل الفرض مع التحصيل العلمي[2].

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم.

(٢) العلم (١٦).

ضرورة التعلم

قال ابن عثيمين رحمه الله: لا شك أن طلب العلم من أفضل الأعمال، بل هو من الجهاد في سبيل الله ولاسيما في وقتنا هذا حين بدأت البدع تظهر في المجتمع الإسلامي وتنتشر وتكثر، وبدأ الجهل الكثير ممن يتطلع إلى الإفتاء بغير علم، وبدأ الجدل من كثير من الناس، فهذه ثلاثة أمور كلها تحتم على الشباب أن يحرص على طلب العلم:

أولًا: بدع بدأت تظهر شرورها.

ثانيًا: أناسٌ يتطلعون إلى الإفتاء بغير علم.

ثالثًا: جدلٌ كثيرٌ في مسائل قد تكون واضحة لأهل العلم، ولكن يأتي مَنْ يجادل فيها بغير علمٍ؛ فمن أجل ذلك فنحن في ضرورة إلى أهل علم عندهم رسوخٌ وسعة اطلاع وعندهم فقهٌ في دين الله وعندهم حكمةٌ في توجيه عباد الله[٢].

---

(١) العلم: ١٦.



آداب طالب العلم

قال ابن عثيمين رحمه الله: **طالب العلم لا بد له من التأدب بآدابٍ نذكر منها:**

١ - إخلاص النية لله عز وجل

بأن يكون قصده في طلب العلم وجه الله والدار الآخرة؛ **لأن الله حثَّ عليه ورغَّب** فيه فقال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾ [محمد: ١٩] والثناء على العلماء في القرآن معروف، وإذا أثنى الله على شيء أو أمر به صار عبادة.

إذن فيجب الإخلاص فيه لله بأن ينوي الإنسانُ في طلب العلم **وجه الله -عز وجل-** فإذا نوى الإنسان بطلب العلم الشرعي أن ينال شهادةً **ليتوصل بها إلى مرتبة أو رتبة؛ فقد** قالﷺ: « **مَنْ تعلَّم علمًا يبتغي به وجه الله -عز وجل- لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة**»[1] **يعني: ريحها وهذا وعيدٌ شديدٌ.**

تنبيه: **لو قال طالب العلم: أنا أريد أن أنال الشهادة لا من أجل حظ من الدنيا ولكن** لأن السائد أن أصبح مقياس العالم فيها شهادته؛ **فنقول: إذا كانت نيَّة الإنسان نيل** الشهادة من أجل نفع الخَلْقِ تعليمًا أو إدارةً أو نحوها فهذه نيةٌ سليمةٌ، ولا تضره شيئًا لأنها نية حقٍّ.

٢ - رفع الجهل عن نفسه وعن غيره

أن ينوي بطلب العلم رفع الجهل عن نفسه وعن غيره؛ **لأن الأصل في الإنسان** الجهل؛ ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ** ﴾ [النحل: ٧٨] **والواقع يشهد** بذلك، فتنوي بطلب العلم رفع الجهل عن نفسك؛ **وبذلك تنال خشية الله: ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾**[فاطر: ٢٨] **فتنوي رفع الجهل عن نفسك ولأن الأصل فيك الجهل** فإذا تعلمت وصرت من العلماء؛ **انتفى عنك الجهل وكذلك تنوي رفع الجهل عن الأمة** ويكون ذلك بالتعليم بشتى الوسائل؛ **لتنفع الناس بعلمك.**

---

(١) **أبو داود (٣٦٦٤)، وابن ماجه (٢٥٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦١٥٩).**

٣- الدفاعُ عن الشريعة

أن ينوي بطلب العلم الدفاع عن الشرة لأن الكتب لا يمكن أن تدافع عن الشريعة ولا يدافع عن الشريعة إلا حامل الشريعة فلو أن رجلًا من أهل البدع جاء إلى مكتبة حافلةٍ بالكتب الشرعية فيها ما لا يُحصى من الكتب وقام يتكلم ببدعة ويقررها فلا أظن أن كتابًا واحدًا يردُّ عليه، لكن إذا تكلم عند شخصٍ من أهل العلم ببدعته ليقررها؛ فإن طالب العلم يردُّ عليه ويُدحض كلامه بالقرآن والسُّنَّة، فعلى الطالب أن ينوي بطلب العلم الدفاع عن الشريعة؛ لأن الدفاع عن الشريعة لا يكون إلا برجالها كالسلاح تمامًا.

٤- رحابة الصدر في مسائل الخلاف

أن يكون صدره رحبًا في مواطن الخلاف الذي مصدره الاجتهاد؛ ولأن مسائل الخلاف بين العلماء إما أن تكون مما لا مجال للاجتهاد فيه، ويكون الأمر فيها واضحًا، فهذه لا يُعذر أحدٌ بمخالفتها. وإما أن تكون مما للاجتهاد فيها مجال فهذه يُعذر فيها من خالفها، ولا يكون قولك حجة على مَنْ خالفك فيها؛ لأننا لو قبلنا ذلك لقلنا بالعكس وقوله حجةٌ عليك.

وأنا أريد بهذا ما للرأي فيه مجال، ويسع الإنسان فيه الخلاف، أما مَنْ خالف طريق السلف كمسائل العقيدة، فهذه لا يقبل من أحد مخالفة ما كان عليه السلف الصالح، لكنه في المسائل الأخرى التي للرأي فيها مجالٌ فلا ينبغي أن يُتخذ من هذا الخلاف مطعنٌ في الآخرين، أو يتخذ منها سببٌ للعداوة والبغضاء؛ فالصحابة ﷺ يختلفون في أمور كثيرة ومن أراد أن يطَّلع على اختلافهم فليرجع إلى الآثار الواردة عنهم، ويجد الخلاف في مسائل كثيرة وهي أعظم من المسائل التي اتخذها الناس هذه الأيام ديدنًا للاختلاف؛ حتى اتخذ الناس من ذلك تحزبًا بأن يقولوا: أنا مع فلان؛ كأن المسألة مسألة أحزابٍ، فهذا خطأ.

فيجب على طلبة العلم أن يكونوا إخوة حتى وإن اختلفوا في بعض المسائل الفرعية، وعلى كل واحدٍ أن يدعو الآخر بالهدوء والمناقشة التي يُراد بها وجه الله والوصول إلى العلم وبهذا تحصل الألفة ويزول هذا العنت والشدة التي تكون في بعض الناس حتى يصل بهم الأمر إلى النزاع والخصام وهذا لا شك يُفرح أعداءُ المسلمين، والنزاع بين الأمة من أشدِّ ما يكون في الضرر قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ



رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وكان الصحابة ﷺ يختلفون في مثل هذه المسائل ولكنهم على قلب رجلٍ واحدٍ على محبةٍ وائتلافٍ، بل إني أقول بصراحة: إن الرجل إذا خالفك بمقتضى الدليل عنده فإنه موافق لك في الحقيقة، لأن كلًّا منكما طالبٌ للحقيقة؛ وبالتالي فالهدف واحدٌ؛ وهو الوصول إلى الحق عن دليلٍ فهو إذن لم يخالفك ما دمت تقرُّ أنه إنما خالفك بمقتضى الدليل عنده، فأين الخلاف؟!

وبهذه الطريقة تبقى الأمة واحدة وإن اختلفت في بعض المسائل لقيام الدليل عندها، أما من عاند وكابر بعد ظهور الحق فلا شك أنه يجب أن يُعامل بما يستحقه من العناد والمخالفة ولكل مقامٍ مقالٌ.

٥- العمل بالعلم

أن يعمل طالب العلم بعلمه عقيدةً وعبادةً وأخلاقًا وآدابًا ومعاملةً؛ لأن هذا هو ثمرة العلم وهو نتيجة العلم، وحامل العلم كالحامل لسلاحه إما له وإما عليه؛ ولهذا ثبت عن النبي ﷺ: «القرآن حجة لك أو عليك»[1] لك إن عملت به؛ وعليك إن لم تعمل به، وكذلك يكون العمل بما صحَّ عن النبي ﷺ بتصديق الأخبار وامتثال الأحكام إذا جاء الخبرُ من الله ورسوله فصدَّقه وأخذه بالقبول والتسليم.

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦]. إذن فواجب طالب العلم أن يكون متعبِّدًا لله تعالى بما علمه من الشرع لا يزيد ولا ينقص، لا يقول: إن هذا الأمر الذي أريد أن تعبد لله به أمرٌ تسكنُ إليه نفسي ويطمئنُّ إليه قلبي، وينشرح له صدري، ولا يقول: هكذا حتى لو حصل هذا فليزنها بميزان الشرع، فإن شهد الكتاب والسُّنَّة لها بالقبول؛ فعلى العين والرأس وإلا فإنه قد يُزين له عمله: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [فاطر: ٨].

كذلك لا بد أن يكون عاملًا بعلمه في الأخلاق والمعاملة، والعلم الشرعي يدعو إلى كل خيرٍ فاضلٍ من الصدق، والوفاء، ومحبة الخير للمؤمنين حتى قال النبي ﷺ: «لا يؤمن

---

(١) مسلم (٥٢٣).

أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[١]. وقال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ أحبَّ أن يُزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأتِ إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه»[٢].

٦- الدعوة إلى الله

أن يكون واعيًا بعلمه إلى الله -عز وجل- يدعو في كل مناسبة: في المساجد، وفي المجالس، وفي الأسواق، وفي كل مناسبة، هذا النبي ﷺ بعد أن آتاه الله النبوة والرسالة ما جلس في بيته، بل كان يدعو الناس، ويتحرك وأنا لا أريد من طلبة العلم أن يكونوا نُسخًا من كتب؛ ولكني أريد منهم أن يكونوا علماء عاملين.

٧- الحكمة

أن يكون متحليًا بالحكمة، حيث يقول تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، والحكمة أن يكون طالب العلم مربيًا لغيره بما يتخلق به من الأخلاق، وبما يدعو إليه من دين الله -عز وجل- بحيث يخاطب كل إنسان بما يليق بحاله وإذا سلكنا هذا الطريق حصل بنا خيرٌ كثيرٌ، كما قال ربنا -عز وجل: ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦٩]

والحكيم: هو الذي ينزل الأشياء منازلها؛ لأن الحكيم مأخوذ من الإحكام وهو الإتقان، وإتقان الشيء أن ينزله منزلته، وقد ذكر الله مراتب الدعوة في قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]

وذكر الله مرتبة رابعة في جدال أهل الكتاب، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، فيختار طالب العلم من أساليب الدعوة ما يكون أقرب إلى القبول.

---

(١) البخاري (٣)، ومسلم (١٦٨).

(٢) مسلم (٤٦٩٤).

مثال ذلك في دعوة الرسولﷺ

أ- جاء أعرابي فبال في جهة من المسجد **فقام إليه الصحابة يزجرونه؛ فنهاهم النبي ﷺ**، ولما قضى بوله دعاه النبيﷺ وقال له: «**إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول والقذر وإنما هي لذكر الله -عز وجل- والصلاة وقراءة القرآن**»[1] **أو كما قال النبيﷺ**.

أرأيتم أحسن من هذه الحكمة؟! فهذا الأعرابي انشرح صدره واقتنع حتى إنه قال: (اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا).

ب- قصة أخرى: **عن معاوية بن الحكم السلمي، قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجلٌ من القوم فقلت: يرحمك الله فرماني القوم بأبصارهم؛ فقلت: واثكل أمياه، ما شأنكم تنظرون إليَّ؟! فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يصمتوني لكني سَكَّت، فلما صلى رسول اللهﷺ فبأبي هو أمي ما رأيت معلمًا بعدهُ أحسن تعليمًا منه، فوالله ما كهرني، ولا ضربني، ولا شتمني، قال: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن»**[2]. ومن هنا نجد أن الدعوة إلى الله يجب أن تكون بالحكمة كما أمر الله عز وجل.

جـ- ومثال آخر: **أن النبيﷺ رأى رجلًا في يده خاتم ذهب، وخاتم الذهب حرامٌ على الرجال، فنزعه النبيﷺ من يده ورمى به وقال: «يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيضعها في يده» ولما انصرف النبيﷺ قيل للرجل: خذ خاتمك انتفع به؛ فقال: والله لا آخذ خاتمًا طرحه رسول اللهﷺ**[3].

فأسلوب التوجيه هنا أشد؛ لأن لكل مقام مقالًا وهكذا ينبغي لكل من يدعو إلى الله، أن يُنزل الأمور منازلها وألا يجعل الناس على حدٍّ سواء والمقصود حصول المنفعة.

---

(١) مسلم (٦٤٨).
(٢) مسلم (١١٧٩).
(٣) مسلم (٥٣٧١).

٨- الصبر على العلم

أن يكون الطالب صابرًا على العلم، أي: مثابرًا عليه لا يقطعُه ولا يملُّ بل يكون مستمرًّا في تعلمه بقدر المستطاع، وليصبر على العلم، ولا يملُّ فإن الإنسان إذا طرقه الملل استحسر وترك؛ ولكن إذ كان مثابرًا على العلم فإنه ينال أجر الصابرين من وجه، وتكون له العاقبة من وجه آخر واستمع إلى قول الله -عز وجل- مخاطبًا نبيه: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[هود: ٤٩].

٩- احترام العلماء وتقديرهم

إن على طلبة العلم احترام العلماء وتقديرهم وأن تتسع صدورهم لما يحصل من اختلاف بين العلماء وغيرهم، وأن يقابلوا هذا بالاعتذار عمن سلك سبيلًا خطأً في اعتقادهم وهذه نقطةٌ مهمةٌ جدًّا؛ لأن بعض الناس يتتبع أخطاء الآخرين ليتخذ منهم ما ليس لائقًا في حقهم، ويُشوش على الناس سمعتهم.

وهذا أكبر الأخطاء وإن كان اغتياب العامي بين الناس من كبائر الذنوب فإن اغتياب العالم أكبر وأكبر؛ لأن اغتياب العالم لا يقتصر ضرره على العالم، بل عليه وعلى ما يحمله من العلم الشرعي، والناس إذا زهدوا في العالم أو سقط من أعينهم؛ تسقط كلمته أيضًا، وإذا كان يقول الحق ويهدي إليه فإن غيبة هذا الرجل لهذا العالم تكون حائلًا بين الناس وبين علمه الشرعي وهذا خطأٌ كبيرٌ وعظيمٌ.

١٠- التمسك بالكتاب والسُّنَّة

يجب على طالب العلم الحرص التام على تلقي العلم والأخذ من أصوله التي لا فلاح لطالب العلم إن لم يبدأ بها وهي:

أ- القرآن الكريم: فإنه يجب على طالب العلم الحرص عليه قراءةً، وحفظًا، وفهمًا وعملًا به، فإن القرآن هو حبل الله المتين، وهو أساس العلوم، وقد كان السلف يحرصون عليه غاية الحرص، فيُذكر عنهم الشيء العجيب من حرصهم على القرآن فتجد أحدهم حفظ القرآن وعمره سبع سنوات، وبعضهم حفظ القرآن؛ في أقل من شهر، وفي هذا دلالة على حرص السلف -رضوان الله عليهم- على القرآن فيجب على طالب العلم الحرص عليه وحفظه على يد أحد المعلمين؛ لأن القرآن يؤخذ عن طريق التلقي.

ب- السُّنَّة الصحيحة: فهي ثاني المصدرين للشريعة الإسلامية وهي الموضحة للقرآن الكريم، فيجب على طالب العلم حفظ السُّنَّة إما بحفظ نصوص الأحاديث أو بدارسة أسانيدها ومتونها، وتمييز الصحيح من الضعيف، وكذلك يكون حفظ السُّنَّة بالدفاع عنها والردِّ على شبهات أهل البدع في السُّنَّة؛ فيجب على طالب العلم أن يلتزم بالقرآن والسُّنَّة الصحيحة وهما له -أي: لطالب العلم- كالجناحين للطائر إذا انكسر أحدهما لم يطر.

لذلك لا تراعِ السُّنَّةَ وتغفلْ عن القرآن، أو تراعِ القرآن وتغفلْ عن السُّنَّة، فكثيرٌ من طلبة العلم يعتني بالسُّنَّة وشروحها، ورجالها، ومصطلحاتها اعتناءً كاملًا، لكن لو سألته عن آية من كتاب الله لرأيته جاهلًا بها وهو غلطٌ كبيرٌ فلا بد أن يكون الكتاب والسُّنَّة جناحين لك يا طالب العلم.

جـ- كلام العلماء (من السلف والخلف): هناك شيء ثالث مهم وهو كلام العلماء؛ فلا تهملْ كلام العلماء، ولا تغفل عنه؛ لأن العلماء أشدُّ رسوخًا منك في العلم، وعندهم من قواعد الشريعة وأسرارها وضوابطها ما ليس عندك؛ ولهذا كان العلماء الأجلاء المحققون إذا ترجح قول يقولون: إن كان أحدٌ قال به وإلا فلا نقول به.

١١- التثبت والثبات

من أهم الآداب التي يجب أن يتحلى بها طالب العلم التثبت فيما ينقل من الأخبار والتثبت فيما يصدر من الأحكام، فالأخبار إذا نُقلت فلا بد أن تثبت أولًا: هل صحت عمن نُقلت إليه أولًا أم لا؛ ثم إذا صحَّت فتثبت في الحكم؛ ربما يكون الحكم الذي سمعته مبنيًّا على أصلٍ تجهله أنت فتحكم أنه خطأٌ والواقع أنه ليس بخطإٍ.

١٢- الحرص على فهم مراد الله تعالى، ومراد رسوله

من الأمور المهمة في طلب العلم قضية الفهم أي: فهم مراد الله -عز وجل- ومراد رسوله ﷺ لأن كثيرًا من الناس أوتوا علمًا ولكن لم يؤتوا فهمًا، ولا يكفي أن تحفظ كتاب الله وما تيسر من سُنَّة رسوله ﷺ بدون فهم لا بد أن تفهم عن الله والرسول ما أراده الله ورسوله، وما أكثر الخلل من قوم استدلوا بالنصوص على غير مراد الله ورسوله؛ فحصل

بذلك الضلال!!

وهنا أُنبِّه على نقطة مهمة، ألا وهي: أن الخطأ في الفهم قد يكون أشدّ خطرًا من الخطأ بالجهل؛ لأن الجاهل الذي يُخطئ بجهله يعرف أنه جاهل ويتعلم، لكن الذي فهم خطأً يعتقد في نفسه أنه عالمٌ مصيبٌ، ويعتقد أن هذا هو مراد الله ورسوله.

أمثلة تطبيقية

١- المثال الأول: قال الله تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ۝ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨-٧٩]. فَضَّل الله -عز وجل- سليمان على داود في هذه القضية بالفهم: (ففهمناها سليمان) ولكن ليس هناك نقصٌ في علم داود: (وكلًّا أتينا حكمًا وعلمًا) وانظر إلى هذه الآية الكريمة لما ذكر الله -عز وجل- ما امتاز به سليمان من الفهم، فإنه ذكر أيضًا ميزة داود -عليه السلام فقال تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ [الأنبياء: ٧٩] ذلك حتى يتعادل كلٌّ منهما، فذكر الله تعالى ما اشتركا فيه من الحكم والعلم، ثم ذكر ما امتاز به كل واحد منهما عن الآخر وهذا يدلنا على أهمية الفهم وأن العلم ليس كل شيء.

٢- المثال الثاني: إذا كان عندك وعاءان أحدهما فيه ماءٌ ساخن دافئ والآخر فيه ماءٌ باردٌ قارسٌ والفصل فصل الشتاء، فجاء رجلٌ يريد الاغتسال من الجنابة فقال بعض الناس: الأفضل أن تستخدم الماء البارد؛ وذلك لأن الماء البارد فيه مشقة وقد قال النبي ﷺ: «ألا أخبركم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال :إسباغ الضوء على المكاره ...» الحديث[1].

يعني: إسباغ الوضوء في أيام البرد، فإذا أسبغت الوضوء بالماء البارد كان أفضل من أن تسبغ الوضوء بالماء المناسب لطبيعة الجو؛ فالرجل أفتى بأن استخدام الماء البارد أفضل

---

(١) مسلم (٥٧٦).

واستدل بالحديث السابق، فهل الخطأ في العلم أم في الفهم؟

الجواب: إن الخطأ في الفهم؛ لأن الرسول ﷺ يقول: إسباغ الوضوء على المكاره، ولم يقل: أن تختار الماء البارد للوضوء، وفرقٌ بين التعبيرين، لو كان الوارد في الحديث التعبير الثاني لقلنا: نعم اختر الماء البارد، ولكن قال: إسباغ الضوء على المكاره أي: إن الإنسان لا يمنعه برودة الماء من إسباغ الضوء، ثم نقول: هل يريد الله بعباده اليُسر أم يريد بهم العسر؟

والجواب: في قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٥٨]، وفي قول النبي ﷺ «إن الدين يسر» . فأقول لطلبة العلم: إن قضية الفهم قضيةٌ مهمة، فعلينا أن نفهم ماذا أراد الله من عباده؟ هل أراد أن يشقَّ عليهم في أداء العبادات أم أراد بهم اليسر؟ ولا شك أن الله -عز وجل- يريد بنا اليسر ولا يريد بنا العُسر.

فهذه بعض الآداب مما ينبغي لطالب العلم أن يكون متأثّرًا بها في علمه حتى يكون قدوة صالحةً وحتى يكون داعيًا إلى الخير وإمامًا في دين الله -عز وجل-، فبالصبر واليقين تُنال الإمامةُ في الدين كما قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤][1].

الأسباب المعينة على طلب العلم

قال ابن عثيمين رحمه الله: الأسباب المعينة على طلب العلم كثيرة، منها:

التقوى

١ - وهي وصية الله للأولين والآخرين من عباده، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾ [النساء: ١٣١].

وهي أيضًا وصية رسول الله ﷺ لأمته، فعن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب في حجة الوداع فقال: «اتقوا ربكم وصلُّوا خمسكم وصوموا شهرَكم وأدوا

---

(١) كتاب العلم لابن عثيمين (١٧ - ٣٧) باختصار.

زكاة أموالكم وأطيعوا أمراءكم تدخلوا جنة ربكم»[(١)].

ولم يزل السلف الصالح يتواصون بها في خطبهم، ومكاتباتهم ووصاياهم عند الوفاة، كتب عمر بن الخطاب ﷺ إلى ابنه عبد الله: أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله -عز وجل- فإنه مَنْ اتقاه وقاه، ومن أقرضه جزاه، ومن شكره زاده.

وأوصى عليٌّ ﷺ رجلًا فقال: أوصيك بتقوى الله -عز وجل- الذي لا بد لك من لقائه، ولا منتهى لك دونه، وهو يملك الدنيا والآخرة.

وكتب أحد الصالحين إلى أخٍ له في الله تعالى: أما بعد، أوصيك بتقوى الله الذي هو نَجيُّك في سريرتك ورقيبك في علانيتك، فاجعل الله من بالك على كل حال في ليلك ونهارك، وخف لله بقدر قربه منك وقدرته عليك، واعلم أنك بعينه لا تخرج من سلطانه إلى سلطان غيره ولا من ملكه إلى ملك غيره، فليعظم منه حذرك وليكثر وجلك والسلام، معنى التقوى: أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه وقايةً تقيه منه، وتقوى العبد ربه أي: يجعل بينه وبين من يخشاه من غضبه وسخطه وقايةً تقيه من ذلك بفعل طاعته واجتناب معاصيه.

واعلم ان التقوى أحيانًا تقترن بالبر فيقال: بر وتقوى، كما في قوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢] وقد ذكر الله تعالى في كتابه أن الجنة أعدت للمتقين فأهل التقوى هم أهل الجنة -جعلنا الله وإياكم منهم- ولذلك يجب على الإنسان أن يتقي الله -عز وجل- امتثالًا لأمره وطلبًا لثوابه والنجاة من عقابه؛ قال الله -عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[الأنفال: ٢٩] وهذه الآية فيها ثلاث فوائد:

الفائدة الأولى: ﴿ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ أي: يجعل لكم ما تفرقون به بين الحق والباطل، وبين الضار والنافع، وهذا يدخل فيه العلم بحيث يفتح الله على الإنسان من العلوم ما لا

---

(١) الترمذي (٦١٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٠٩).

يفتح لغيره، فإن التقوى يحصل بها زيادة الهدى، وزيادة العلم، وزيادة الحفظ، ولهذا يُذكر عن الشافعي -رحمه الله- أنه قال:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي

وقال اعلم بأن العلم نورٌ ... ونور الله لا يؤتاه عاصي

ولا شك أن الإنسان كلما ازداد علمًا ازداد معرفة، وفرقانًا بين الحق والباطل والضار والنافع، وكذلك يدخل فيه ما يفتح الله على الإنسان من الفهم، لأن التقوى سبب لقوة الفهم، وقوة الفهم يحصل بها زيادة العلم، فالتقوى سببٌ لزيادة الفهم، ويدخل في ذلك أيضًا الفراسة أن الله يُعطي المتقي فراسة يميز بها حتى بين الناس، فبمجرد ما يرى الإنسان يعرف أنه كاذبٌ أو صادقٌ أو برٌّ أو فاجرٌ، حتى إنه ربما يحكم على الشخص وهو لم يعاشره.

الفائدة الثانية: ﴿ وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ وتكفير السيئات يكون بالأعمال الصالحة، فإن الأعمال الصالحة تكفر الأعمال السيئة كما قال النبي ﷺ: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان كفارةٌ لما بينهم ما اجتنبت الكبائر»[1] وقال رسول الله ﷺ: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما»[2] فالكفارة تكون بالأعمال الصالحة، وهذا يعني أن الإنسان إذا اتقى الله سهَّل له الأعمال الصالحة التي يكفر الله بها عنه.

الفائدة الثالثة: ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ بأن يُيسر لكم الاستغفار والتوبة فإن هذا من نعمة الله على العبد أن يُيسِّر للاستغفار والتوبة.

المثابرة والاستمرار على طلب العلم

يتعينَّ على طالب العلم أن يبذل الجهد في إدراك العلم والصبر عليه وأن يحتفظ به

---

(١) مسلم (٥٤١).

(٢) البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (٣٢٣١).

بعد تحصيله، فإن العلم لا يُنال براحة الجسم، فيسلك المتعلم جميع الطرق الموصلة إلى العلم وهو مثابٌ على ذلك لما ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «**من سلك طريقًا يلتمس به علمًا سهَّل الله له طريقًا إلى الجنة**» فليثابر طالب العلم ويجتهد ويسهر الليالي ويدع عنه كل ما يصرفه أو يشغله عن طلب العلم.

مثال: يروى عن الشافعي -رحمه الله- أنه استضافه الإمام أحمد ذات ليلة فقدم له العشاء فأكل الشافعي حتى تفرق الرجلان إلى منامهما فبقي الشافعي -رحمه الله- يفكر في استنباط أحكام من حديث، وهو قول النبي ﷺ: «**يا أبا عمير ما فعل النغير**»[1].

أبو عمير كان معه طائرٌ صغيرٌ يُسمَّى النغير فمات هذا الطائر فحزن عليه الصبي، وكان النبي ﷺ يداعب الصبيان ويكلم كل إنسان بما يليق به فظلَّ طول الليل يستنبط من هذا الحديث، ويُقال: إنه استنبط منه أكثر من ألف فائدة ولعله إذا استنبط فائدة جرَّ إليها حديثًا آخر وهكذا حتى تتم فلما أذَّن الفجر قام الشافعي -رحمه الله- ولم يتوضأ، ثم انصرف إلى بيته وكان الإمام أحمد يثُني عليه عند أهله، فقالوا له: يا أبا عبد الله، كيف تُثني على هذا الرجل الذي أكل فشرب، ونام ولم يقم، وصلى الفجر دون وضوء؟!

فسألَ الأمامَ الشافعيَّ فقال: أما كوني أكلتُ حتى أفرغتُ الإناء فذلك لأني ما وجدتُ طعامًا أطيب من طعام الإمام أحمد فأردت أن أملأ بطني منه، وأما كوني لم أقم لصلاة الليل فإن العلم أفضل من قيام الليل وقد كنت أفكر في هذا الحديث، وأما كوني لم أتوضأ لصلاة الفجر فكنت على وضوء من صلاة العشاء ولا يحب أن يكلفهم بماء الوضوء.

الحفظ

فيجب على طالب العلم الحرص على المذاكرة، وضبط ما تعلَّمه إما بحفظه في صدره، أو كتابته، فإن الإنسان عُرضة للنسيان، فإذا لم يحرص على المراجعة وتكرار ما

---

(١) البخاري في الأدب (٦١٢٩) من حديث أنس بن مالك.

تعلمه؛ فإن ذلك يضيع منه وينساه، وقد قيل:

العلمُ صيدٌ والكتابةُ قيدُهُ ... قيّد صيودك بالحبال الواثقة

فمن الحماقة أن تصيد غزالة ... وتتركها بين الخلائق طالقة

ومن الطرق التي تُعين على حفظ العلم وضبطه، أن يهتدي الإنسان بعلمه، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ [محمد: ١٧] وقال: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى﴾ [مريم: ٧٦] فكلما عمل الإنسان بعلمه زاده الله حفظًا وفهمًا لعموم قوله: (زادهم هدى).

ملازمة العلماء

يجب على طالب العلم أن يستعين بالله -عز وجل- ثم بأهل العلم، ويستعين بما كتبوه في كتبهم؛ لأن الاقتصار على مجرد القراءة والمطالعة يحتاج إلى وقت طويل بخلاف مَنْ جلس إلى عالم يُبين له ويشرح له، وينير له الطريق، وأنا لا أقول: إنه لا يدرك العلم إلا بالتلقي من المشايخ فقد يدرك الإنسانُ بالقراءة والمطالعة، لكن الغالب أنه ما أكبَّ إكبابًا تامًا ليلًا، ورُزق الفهم؛ فإنه قد يخطئ كثيرًا، ولهذا يُقال: من كان دليله كتابه فخطؤه أكثر من صوابه.

ولكن هذا ليس على الإطلاق في الحقيقة، ولكن الطريقة المثلى أن يتلقى العلم على يد المشايخ، وأنا أنصح طالب العلم أيضًا ألا يتلقف من كل شيخ في فن واحد مثل أن يتعلم الفقه من أكثر من شيخ؛ لأن العلماء يختلفون في طريقة استدلالهم من الكتاب والسُّنَّة، ويختلفون في آرائهم فأنت تجعل لك عالمًا تتلقى علمه في الفقه أو البلاغة وهكذا، أي: تتلقى العلم في فنٍ واحد من شيخ واحد وإذا كان الشيخ عنده أكثر من فنٍ فتلزم معه؛ لأنك إذا تلقيت علم الفقه مثلًا من هذا وهذا واختلفوا في رأيهم، فماذا يكون موقفك وأنت طالب؟ يكون موقفك الحيرة والشك؛ لكن التزامك بعالمٍ في فن معين فهذا يؤدي إلى راحتك [1]

(١) كتاب العلم لابن عثيمين (٣٨- ٤٣) باختصار.

طريق تحصيل العلم

قال ابن عثيمين رحمه الله: من المعروف أن الإنسان إذا أراد مكانًا فلا بد أن يعرف الطريق الموصلة إليه، وإذا تعددت الطرق فإنه يبحث عن أقربها وأيسرها، لذلك كان من المهم لطالب العلم أن يبني طلبه على أصول، ولا يتخبط عشواء، فمن لم يتقن الأصول حُرم الوصول وقال الناظم:

وبعـد فـالعلمُ بحـورٌ زاخـرةٌ ... لـن يبلـغ الكـادحُ فيـه آخـره

لكـن في أصـوله تـسهيلًا ... لنيلـه فـاحرص تجـد سـبيلًا

اغتـنم القواعـد الأصـولا ... فمـن تفتـه يُحـرم الوصـولا

فالأصول: هي العلم والمسائل فروع، كأصل الشجرة وأغصانها إذا لم تكن الأغصان على أصلٍ جيدٍ؛ فإنها تذبل وتهلك، لكن: ما هي الأصول؟ هل هي الأدلة الصحيحة؟ أو القواعد والضوابط؟ أو كلاهما؟

والجواب: الأصول: هي أدلة الكتاب والسُّنَّة، والقواعدُ والضوابط المأخوذة بالتتبع والاستقراء من الكتاب والسُّنَّة، وهذه من أهم ما يكون لطالب العلم.

مثال: مثلًا: (المشقة تجلب التيسير) هذا من الأصول مأخوذ من الكتاب والسُّنَّة:

أ- من الكتاب من قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

ب- ومن السُّنَّة: قوله ﷺ لعمران بن حصين: «صل قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب»[١]، وقوله ﷺ «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم» هذا أصلٌ لو جاءتك ألف مسألة بصور متنوعة لأمكنك أن تحكم على هذه المسائل بُناءً على هذا الأصل، ولكن لو لم يكن عندك هذا الأصل وتأتيك مسألتان أُشكل عليك الأمر، ولنيل العلم طريقان:

---

(١) البخاري (١١١٧).

الطريق الأول

أن يُتلقى ذلك من الكتب الموثوق بها، والتي ألفها علماء معرفون بعلمهم وأمانتهم وسلامة عقيدتهم من البدع والخرافات وأخذ العلم من بطون الكتب لا بد أن يصل فيه الإنسان إلى غاية ما، لكن هناك عقبتان:

العقبة الأولى: الطول، فإن الإنسان يحتاج إلى وقت طويل، ومعاناة شديدة وجهد جهيد حتى يصل إلى ما يرومه من العلم، وهذه عقبة قد لا يقوى عليها كثير من الناسِ، لا سيما وهو يرى من حوله قد أضاعوا أوقاتهم بلا فائدة؛ فيأخذه الكسل ويكلُّ، ويملّ، ثم لا يدرك ما يريد.

العقبة الثانية: إن الذي يأخذ العلم من بطون الكتب علمه ضعيف غالبًا، لا ينبني عليه قواعد أو أصول؛ ولذلك نجد الخطأ الكثير من الذي يأخذ العلم من بطون الكتب؛ لأنه ليس له قواعد وأصول يقعِّد عليها، ويبني عليها الجزئيات التي في الكتاب والسُّنَّة.

نجد بعض الناس يمر بحديث ليس مذكورًا في كتب الحديث المعتمدة في الصحيح والمسانيد، وهذا الطريق يخالف ما في هذه الأصول المعتمدة عند أهل العلم، بل عند الأمة، ثم يأخذ بهذا الحديث ويبني عقيدته عليه وهذا لا شك أنه خطأ؛ لأن الكتاب والسُّنَّة لهما أصولٌ تدور عليها الجزئيات فلا بد أن تُردَّ هذه الجزئيات إلى أصول؛ بحيث إذا وجدنا في هذه الجزئيات شيئًا مخالفًا لهذه الأصول لا يمكن الجمع بينهما فإننا ندع هذه الجزئيات.

الطريق الثاني

من طرق تحصيل العلم: أن تتلقى ذلك من مُعلِّمٍ موثوقٍ في علمه، ودينه وهذا الطريق أسرع وأتقن للعلم؛ ولأن الطريق الأول قد يضلُّ فيه الطالب وهو لا يدري إما لسوء فهمه، أو قصور علمه، أو لغير ذلك من الأسباب، أما الطريق الثاني فيكون فيه المناقشة والأخذ والرد مع المعلم، فينفتح بذلك للطالب أبوابٌ كثيرةٌ في الفهم والتحقيق، وكيفية الدفاع عن الأقوال الصحيحة، ورد الأقوال الضعيفة.

وإذا جمع الطالب بين الطريقين كان ذلك أكمل وأتم، وليبدأ الطالب بالأهم، فالأهم، وبمختصرات العلوم قبل مطولاتها؛ حتى يكون مترقيًا من درجة إلى درجة، فلا يصعد إلى درجة حتى يتمكن من التي قبلها؛ ليكون صعوده سليمًا[1].

---

(١) كتاب العلم لابن عثيمين (٤٤- ٤٦).

سبل طلب العلم

قال جاسم بن محمد عن سبل طلب العلم:

أولًا: القراءة

قال تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١-٥].

ثانيًا: السير في الأرض والسياحة

قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦]، وقال سعيد: إن كنت لأسير الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد. وقال بشر بن عبيد الله الحضرمي: وإن كنت لأركب إلى المصر من الأمصار في الحديث الواحد لأسمعه، نعم بهذه الروح كانوا يتحركون ويبحثون، فلا الكسل، ولا النوم يورث العلم؛ ولكن الحركة والجد والاجتهاد.

وهناك ملاحظة يجب الانتباه إليها، وهي أن الرحلة ليست مقصودة لذاتها، ولكن المقصود من الرحلة أمران؛ أحدهما: تحصيل علو الإسناد وقدم السماع. والثاني: لقاء الحفاظ والمذاكرة لهم والاستفادة منهم؛ فإن كان الأمران موجودين في بلده ومعدومين في غيره فلا فائدة في الرحلة، أو موجودين في كل منهما، فليحصِّل حديث بلده ثم يرحل.

ثالثًا: عدم الاستحياء، أي: من السؤال عن العلم

قال عمر بن الخطاب ﷺ: من رقَّ وجهه رقةً علمه، وقيل: مَنْ رقَّ وجهُهُ عن السؤال ظهر نقصه في اجتماع الرجال، وقيل: لا ينال العلم مستحٍ، ولا متكبر، وقيل:

لا ينال العلم شخصٌ يستحي ... ولا الذي لنفسه يتكبرُ

نعم الحياء من شعب الإيمان، ولكن ليس في مجال التعليم، فأي إيمان أضخم من إيمان نساء الأنصار، اللاتي كانت إحداهن يُقتل زوجها وأولادها، ولا تسأل عنهم، وتسأل: كيف حال رسول الله ﷺ، وهن اللاتي قالت عائشة عنهن: نعم النساء نساء الأنصار، لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين، وعدم الاستحياء يعني: كثرة السؤال والتلمق:

أ- فأما السؤال: فاسمع أئمة الهدي يقولون: زيادة العلم الابتغاء، ودرك العلم السؤال، فتعلم ما جهلت واعمل بما علمت، بهذه الكلمات نطق ابن مسعود، وعليها عقَّب ابن شهاب حين قال: العلم خزانة مفاتيحها المسألة.

قيل:

إذا كنت لا تدري، ولم تك بالذي يسائل من يدري فكيف إذن تدري؟!

قصة

قدم رجلٌ على ابن المبارك وعنده أهل الحديث فاستحى أن يسأل وجعل أهل الحديث يسألونه، فذهب ابن المبارك إليه فكتب بطاقة وألقاها إليه، فإذا فيها:

إن تلبثت عن سؤال عبد الله ترجع غدًا بُخفَّيْ حُنين

وإذا أعنت الشيخ بالسؤال تجده سلسًا يلتقيك بالراحتين

وإذا لم تصح صياح الثكالى قمت عنه وأنت صفر اليدين

فبالسؤال تنال العز والعلم والرفعة؛ ولذلك عندما قيل للأصمعي: بِمَ نلت ما نلت؟ قال: بكثرة سؤال، وتلقي الحكمة الشرود.

وصية

اسمع وصية علي ﷺ حين قال: خمسٌ احفظوهن ولو ركبتم الإبل: لا يخاف العبد إلا ذنبه، ولا يرجو إلا ربه، ولا يستحي جاهلٌ أن يسأل، ولا يستحي عالم إن لم يعلم أن يقول: الله أعلم، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا خير في جسدٍ لا رأس له، ولا إيمان لمن لا صبر له، وقيل لأبي يوسف: بم أدركت العلم؟ قال: ما استنكفت من الإستفادة، وما بخلتُ بالإفادة؟ وكان بذلك متأسيًا بآل النبي ﷺ فها هو ابن عباس ﷺ عندما قيل له: بم أدركت العلم؟ قال: بلسان سئولٍ وقلبٍ عقولٍ.

ب- وأما التملق: فمذمومٌ إلا في طلب العلم، فإنه لا بأس أن يتملق طالب العلم أُستاذه، وشركاءه؛ ليستفيد منهم وينبغي لطالب العلم أن يستمع العلم والحكمة بالتعظيم والحُرمة وإن سمع المسألة الواحدة والكلمة الواحدة ألف مرة.

رابعًا: اختيار الأوقات والأماكن

أ- اختيار الأوقات: إن معرفة كل وقت وما يصلح له لأمرٌ مهمٌ ليستطيع الإنسان أن يستفيد من جميع ساعات حياته، كأحسن ما يستفيد منه الكيس من الناس، ولذلك قيل: أجمل الأوقات للحفظ: السحر، وللبحث: الإبكار، وللكتابة: النهار، وللمطالعة والمذاكرة: الليل، على أن هذا ليس بقاعدة عامة لا يخرج عنها المرء وإنما هي تجارب ولكل امرئ ظروفه وتجاربه.

ب- اختيار الأماكن: أما النسبة إلى الأماكن، فها هو ذا الخطيب البغدادي يخبرنا فيقول: أجود أماكن الحفظ الغرف، وموضعٌ بعيدٌ عن الملهيات، وليس بمحمود الحفظ بحضرة النبات، والخضرة، والأنهار، وقوارع الطرق، وضجيج الأصوات؛ لأنها تمنع من خلو القلب.

ومما يزيد ويثبت الحفظ من اتباع قانون الأوقات: التكرار، فينبغي لطالب العلم أن يكرر ما سبق بالأمس خمس مرات والذي قبله اثنين والذي قبله مرةً واحدة، فهذا أدعى الحفظ كما جرَّبه بعضُ طلبة العلم في مذاكرتهم وحفظهم، والناس في ذلك يتفاوتون كلٌّ حسب طاقته وقدرته.

المخافتة: ينبغي اعتياد المخافتة في التكرار؛ لأن الدرس والتكرار ينبغي أن يكون بقوة ونشاط لا يجهر جهرًا يجهد نفسه؛ كي لا ينقطع عن التكرار فخير الأمور أوسطها.

النشاط في المدارسة: والنشاط في المدارسة أمر مهم لطالب العلم، ولشحذ الهمم وهذا كان دأب السلف الصالح -رضوان الله عليهم- فعن أبي يوسف أنه كان يذاكر الفقه مع الفقهاء بقوةٍ، ونشاط، وكان صهره عنده يتعجب من أمره، ويقول: أنا أعلم أنه جائعٌ منذ خمسة أيام، ومع ذلك يناظر بقوةٍ ونشاط، وهذه القوة والنشاط في المدارسة لا بدَّ منها؛ لأن الإنسان يأتي في هذه الحياة مجردًا من العلم والمعرفة.

وإن كان مزودًا بالاستعداد والقوى والأدوات التي يمكن بها أن يعلم ويعرف، وبهذا يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨]

فالسمع والبصر والعقل أدواتٌ يكتسب بها الإنسانُ معلوماته وهي المنافذة التي يطلُّ منها على هذا الكون الفسيح، ليعرف أسراره، ويدرك شئونه، وينتفع بما أودع فيه من بركات والذين لا ينتفعون بهذه الأدوات قد انسلخوا من إنسانيتهم وانتظموا في عداد الحيوانات.

خامسًا: معرفة قوانين العلم

وهذه المعرفة تساعد على التعلم باعتبار أن الإنسان يتحرك بنور ومعرفة بعيدة عن الارتجال والتخبط والقوانين كثيرة، ومنها:

١- قانون الشدة: حيث يقرر هذا القانون أن معدل التعلم يعتمد على قوة الاستجابة للموقف المثير، فكلما كان للموقف أثرٌ في النفس متعلقًا بأمور يعيشها الفرد لها مساس بحياته العلمية، كان ذلك أدعى إلى ثبوت المسألة أو المادة في نفسه.

٢- قانون التنظيم: ويقرر أن التعلم يكون أكثر سرعة؛ عندما تكون المادة منتظمة في علاقات ذات معنى.

٣- قانون التقارب: وهو يعني التقارب خاصة التقارب الزمني، ويقرر هذا القانون أنه لكي يحدث الارتباط فإن الأحداث يجب أن تقع في حدود فترة زمنية معينة، ففي اختراق متاهة أو أفعال متسلسلة كتذكر قصيدة فإن كل جزء يصبح متصلًا بالجزء الذي سبق أداؤه أي: التجاور معه زمنيًا.

٤- قانون التدريب: وهو يقرر أنه إذا كان أداء فعل ما ممكنًا هذه المرة، فإن أداءه يكون أسهل في المرات التالية؛ وعلى هذا الأساس يعمد الإنسان إلى أن يتدارس الأمور التي يتعلمها ويحبها دائمًا بالمراجعة والمناقشة حتى تكون بالنسبة له من الأمور المسلم بها.

سادسًا: استغلال وقت الشباب

وأيـــام الحداثـــة فاغتنمهـــا ألا إن الحداثـــة لا تـــدوم

وقال الحسن البصري رحمه الله: طلب العلم في الصغر كالنقش في الحجر، وأي زمان هذا وأي رياح هذه التي تمحو ما نُقش على الحجر.

وقال الحسن بن علي لبني أخيه: تعلَّموا العلم فإنكم إن تكونوا صغار قومٍ تكونوا

كبارهم غدًا فمن لم يحفظ فليكتب:

قـد ينفـع الأدبُ الأحـداثَ في مهـل ... ولـيس ينفـع عنـد الكـبر الأدب

إن الغـصون إذا قوَّمتهـا اعتـدلت ... ولـن يلـين إذا قومتـه الخـشب

واستغلال وقت الحداثة يعني استغلال أوقات ليس فيها مشاغل، فعندما يكبر الإنسانُ وعندما يسود يُشغله من يسودهم عن تعليم نفسه وتفقيهها وتستنكف النفس أن تأخذ بعد أن سلمت إليها القيادة؛ لذلك قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه: تفقهوا قبل أن تسودوا.

وقال الشافعي رحمه الله: تفقه قبل أن ترأس، فإذا رأست فلا سبيل إلى التفقه. وهذا لا يعني أن الإنسان يطلب العلم أيام شبابه ثم يتركه بعد ذلك عند الاشتغال بالوظيفة والزوجة وغيرها من متطلبات الحياة، بل عليه أن يداوم على ذلك ويستمر، كما قال سعيد بن جبير: لا يزال الرجل عالمًا ما تعلَّم، فإذا ترك التعلم وظنَّ أنه قد استغنى فأسوأ جهلٍ ما يكون أي: أجهل ما يكون هو في تلك الحالة التي ظنَّ أنه في مرحلة ليس بحاجة إلى علمٍ فيها وأنه قد استغنى عن طلب العلم.

سابعًا: المناظرة

وهي نوعٌ من أنواع البحث العلمي، وقد عرفها العرب في أسواقهم الأدبية قبل الأسلام وبعده وعن طريق المناظرة يمكن أن يثبت العلم ويبلُغ، ولذلك بيَّن الله -عز وجل- هذة القضية وذكر فيها آيات فقال سبحانه: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ٨٣].

ثامنًا: الثقة بالنفس

وهي أمرٌ مهمٌّ لطالب العلم فبدونها تقصر الهمم وتتقاعد وتتكاسل العزائم، وذلك أن من جهل حقيقة (وهي أن العلم ليس شيئًا واحدًا لا يتجزأ أو يتبعَّض) فمن علم مسألة وجهل أخرى فهو عالمٌ بالأولى جاهلٌ بالثانية وذلك بيِّنٌ لمن درس حال الصحابة مع رسول الله ﷺ فمنهم من حمل عنه حديثًا واحدًا ومنهم من حفظ عنه القرآن كلَّه وحظًّا

كبيرًا من السُّنَّة ولكن مع هذا لا بد من السعي لا من أجل الكمال والتكميل إلا أنه لا بد من تحصيل مبادئ العلوم التي لا يتم للمرء علمٌ إلا بها [1]

أخطاء طالب العلم

قال ابن عثيمين رحمه الله: هناك أخطاء يرتكبها بعض طلبة العلم منها:

الحسد

وهو كراهة ما أنعم الله به على غيره وليس هو تمني زوال نعمة الله على الغير، بل هو مجرد أن يكره الإنسان ما أنعم الله به على غيره فهذا هو الحسد سواء تمنى زواله أو أن يبقى وهو كارهٌ له، والحسد قد لا تخلو منه النفوس يعني أنه قد يكون اضطراريًا لنفس ولكن الإنسان يجب عليه إذا رأى من قلبه حسدًا للغير ألا يبغي عليه بقولٍ أوفعلٍ، فإن ذلك من خصال اليهود الذين قال الله فيهم: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَـٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٥٤]

ثم إن الحاسد يقع في محاذير، منها:

أولًا: كراهية ما قدَّر الله، فإن كراهية ما أنعم الله به على هذا الشخص كراهية لما قدَّره الله كونا، ومعارضة لقضاء الله -عز وجل.

ثانيًا: إن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب؛ لأن الغالب أن الحاسد يعتدي على المحسود بذكر ما يكره، وتنفير الناس عنه والحطّ من قدره، وما أشبه ذلك، وهذا من كبائر الذنوب التي قد تحبط الحسنات.

ثالثًا: ما يقع في قلب الحاسد من الحسرة والجحيم والنار التي تأكله أكلًا، فكلما رأى نعمة من الله على هذا المحسود اغتمَّ، وضاق صدره.

رابعًا: إن في الحسد تشبهًا باليهود، ومعلوم أن من أتى خصلة من خصال الكفار

---

(١) العلم بين يدي العالم والمتعلم، جاسم محمد (٢٧- ٤٢) باختصار.

صار منهم، في هذه الخصلة، لقول النبيﷺ: «**من تشبه بالكفار فهو منهم**»(١).

خامسًا: إنه مهما كان يحسده، ومهما قوي لا يمكن أبدًا أن يرفع نعمة الله على الغير، وإذا كان هذا غير ممكن فكيف يقع في قلبه الحسد.

سادسًا: إن الحسد ينافي كمال الإيمان، لقول النبيﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»(٢). ولازم هذا أن تكره أن تزول نعمةُ الله من أخيك.

سابعًا: إن الحسد يوجب إعراض العبد عن سؤال الله -تعالى- من فضله فتجده دائمًا مهتمًا بهذه النعمة التي أنعم الله بها على غيره، ولا يسأل الله من فضله، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ﴾ [النساء: ٣٢].

ثامنًا: الحسدُ يوجب إزدراء نعمة الله عليه أي: إن الحاسد يرى أنه ليس في نعمة، وأن هذا المحسود في نعمة أكبر منه، وحينئذٍ يحتقر نعمة الله عليه، فلا يقوم بشكرها بل يتقاعس.

تاسعًا: الحسدُ خلقٌ ذميمٌ؛ لأن الحاسد يتتبع نعم الله على الخلق في مجتمعه، ويحاول بقدر ما يمكنه أن يحول بين الناس وبين هذا المحسود بالحطِّ من قدره أحيانًا وازدراء ما يقوم به من الخير أحيانًا إلى غير ذلك.

عاشرًا: الحاسدُ إذا حسد فالغالب أن يعتدي على المحسود، وحينئذ يأخذ المحسود من حسناته، فإن بقي من حسناته شيءٌ وإلا أخذ من سيئاته فطُرح عليه ثم طُرح في النار.

٢- الإفتاء بغير علم

الإفتاء منصبٌ عظيمٌ به يتصدى صاحبه لبيان ما يُشكل على العامة من أمور دينهم ويُرشدهم إلى الصراط المستقيم؛ لذلك كان هذا المنصب العظيم لا يتصدر له إلا مَنْ كان أهلًا له؛ ولذلك يجب على العباد أن يتقوا الله وأن لا يتكلموا إلا عن علمٍ وبصيرةٍ وأن

---

(١) أبو داود (٤٠٣١).

(٢) متفق عليه، وقال الألباني في صحيح أبي داود (٣٤٠١): حسن صحيح.

يعلموا أن الله وحده له الخلق والأمر، فلا خالق إلا الله ولا مدبِّر للخلق إلا الله ولا شريعة للخلق سوى شريعة الله.

فهو الذي يُوجب الشيء وهو يحرمه وهو الذي يندب إليه، ويُحلِّله، ولقد أنكر اللهُ على مَنْ يُحللون ويحرمون بأهوائهم فقال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ۝ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [يونس: ٥٩-٦٠].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۝ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النحل: ١١٦-١١٧]. وإن من أكبر الجنايات أن يقول الشخص عن شيء: إنه حلال وهو لا يدري ما حكم الله فيه، أو يقول عن الشيء: إنه حرام وهو لا يدري عن حكم الله فيه، أو يقول عن الشيء: إنه واجبٌ وهو لا يدري أن الله أوجبه، ويقول عن الشيء: إنه غير واجب وهو لا يدري أن الله لم يُوجبه، إن هذه جناية وسوء أدب مع الله -عز وجل؛ أفلا يعلم هؤلاء أنهم إذا أضلوا شخصًا فأحلوا له ما حرم الله أو حرموا عليه ما أحل الله، فقد باءوا بإثمه وكان عليهم مثل وزره وذلك بسبب ما أفتوه به؟!

أيها الإخوة، إن من العقل والإيمان، ومن تقوى الله وتعظيمه، أن يقول الرجل عما لا يعلم: لا أعلم، لا أدري، اسأل غيري، إن ذلك من تمام العقل؛ لأن الناس إذا رأوا تثبته وثقوا به ولأنه يعرف قدر نفسه حينئذٍ فينزلها منزلتها وإن ذلك أيضًا من تمام الإيمان بالله وتقوى الله، حيث لا يتقدم بين يدي ربه، ولا يقول عليه في دينه ما لا يعلم، ولقد كان رسول الله ﷺ -وهو أعلم الخلق بدين الله- كان يُسأل عما لم ينزل فيه الوحي فينظر حتى ينزل عليه الوحي، فيجيب الله عما سأل عنه نبيه: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ﴾ [المائدة: ٤]. ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾ [الكهف: ٨٣] ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ﴾ [الأعراف: ١٨٣] وكان الأجلاء من الصحابة تعرض لهم المسألة لا يدرون حكم الله فيها فيهابونها، ويتوقفون فيها:

١- فهاهو أبو بكر الصديق ﷺ يقول: أي سماء تُظلني، وأي أرضٍ تُقلني إذا أنا قلت

في كتاب الله بغير علم؟

٢- وها هو عمر بن الخطاب ﷺ تنزل به الحادثة فجمع لها الصحابة واستشارهم فيها.

قال ابن سيرين: لم يكن أحد أهيب مما لا يعلم من أبي بكر، ولم يكن أحدٌ بعد أبي بكر أهيب بما لا يعلم من عمر.

وقال ابن مسعود: أيها الناس، مَنْ سُئل عن علمٍ يعلمه فليقل به، ومنْ لم يكن عنده علمٌ فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم.

وسُئل الشعبي عن مسألة، فقال: لا أحسنها. فقال له أصحابه: قد استحيينا لك فقال: لكن الملائكة لم تستحِ حين قالت: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة: ٣٢].

الكبر

وقد فسَّره النبي ﷺ بأجمع التفسير وأبينه وأوضحه فقال: «الكبر بطر الحق وغمط الناس»[1]. وبطر الحق: ردُّ الحق، وغمط الناس: يعني احتقارهم، ومن الكبر ردُّك على معلمك والتطاول عليه وسوء الأدب معه وأيضًا استنكافك عمن يفيدك ممن هو دونك كبرًا.

التعصب للمذاهب والآراء

فيجب على طالب العلم أن يتخلى من الطائفية والحزبية بحيث يعقد الولاء والبراء على طائفةٍ معينة أو على حزبٍ معين، فهذا لا شك خلاف منهج السلف، فالسلف الصالح ليسوا أحزابًا، بل هم حزبٌ واحدٌ يدخلون تحت قول الله -عز وجل: ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ [الحج: ٧٨] فلا حزبية ولا تعدد، ولا موالاة، ولا معاداة إلا على حسب ما جاء في الكتاب والسُّنَّة.

التصدر قبل التأهل

مما يجب الحذر منه أن يتصدر طالبُ العلم قبل أن يكون أهلًا للتصدر؛ لأنه إن فعل

---

(١) مسلم (٢٥٩).

ذلك كان هذا دليلًا على أمور:

أ- إعجابه بنفسه حيث تصدَّر؛ فهو يرى نفسه عَلَمَ الأعلام.

ب- إن ذلك يدلُّ على عدم فقهه ومعرفته للأمور: **لأنه إن تصدَّر ربما يقع في أمرٍ لا يستطيع الخلاص منه، إذ أن الناس إذا رأوه متصدرًا أوردوا عليه المسائل وبان عواره.**

جـ- إنه إذا تصدَّر قبل أن يتأهل لزمه أن يقول على الله ما لا يعلم؛ **لأنه في الغالب من كان هذا قصده لا يبالي، ويجيب على كل ما سُئل، ويخاطر بدينه، ويقول على الله -عز وجل- بلا علمٍ.**

د- إن الإنسان إذا تصدر فإنه في الغالب لا يقبل الحق؛ **لأنه يظن بسفهه أنه إذا خضع لغيره -ولو كان معه الحق- كان هذا دليلًا على أنه ليس بعالم.**

سوءُ الظن

يجب على طالب العلم الحذر من أن يظن بغيره ظنًّا سيِّئًا مثل أن يقول : لم يتصدق هذا إلا رياءً، لم يُلقِ الطالب هذا السؤال إلا رياءً ليُعرف أنه طالب فاهم، فإياك وسوء الظن بمن ظاهره العدالة، ولا فرق بين أن تظن ظنًّا سيِّئًا بمعلمك أو بزميلك، فإن الواجب إحسان الظن بمن ظاهره العدالة أما من ظاهره غير العدالة فلا حرج أن يكون في نفسك سوء ظن به لكن مع ذلك عليك أن تتحقق حتى يزول ما في نفسك من هذا الوهم[١].

---

(١) كتاب العلم، لابن عثيمين (٤٧- ٥٥) باختصار.

فوائد هامة لطلبة العلم

قال ابن عثيمين رحمه الله: لا بد لطالب العلم من مراعاة عدة أمور عند طلبه لأي علم من العلوم.

أولًا حفظ متن مختصر فيه

أمثلة تطبيقية

أ- فإذا كنت تطلب النحو: إذا كنت مبتدئًا فلا أرى أحسن من متن الآجرومية، لأنه واضح وجامعٌ، وحاصرٌ وفيه بركة، ثم متن ألفية ابن مالك، لأنها خلاصة علم النحو.

ب- وأما في الفقه: فمتن زاد المستنقع؛ لأنه كتابٌ مخدومٌ بالشروح والحواشي والتدريس، وإن كان بعض المتون الأخرى أحسن منه من وجه؛ لكن هو أحسن من حيث كثرة المسائل المجودة فيه، من حيث إنه مخدوم.

جـ- وأما في الحديث: فمتن عمدة الأحكام وإن ترقيت فبلوغ المرام، وإن كنت تقول إما هذا وإما هذا؛ فبلوغ المرام أحسن؛ لأنه أكثر جمعًا للأحاديث؛ ولأن الحافظ ابن حجر -رحمه الله- بيَّن درجة الحديث.

د- أما في التوحيد: فمن أحسن ما قرأنا متن كتب التوحيد لشيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب. وأما في توحيد الأسماء والصفات: فمن أحسن ما قرأت العقيدة الواسطية لشيخ لإسلام ابن تيمية، فهو كتابٌ مفيدٌ مبارك.

وهلم جرًّا خذ من كل فن تطلبه مختصرًا فيه واحفظه.

ثانيًا: ضبطه، وشرحه على شيخٍ متقنٍ، وتحقيق ألفاظه، وماكان زائدًا أو ناقصًا.

ثالثًا: عدم الاشتغال بالمطولات وهذه الفقرة مهمة لطالب العلم، فلا بد لطالب العلم أن يتقن المختصرات أولًا حتى ترسخ العلوم في ذهنه ثم يفيض إلى المطولات. لكن بعض الطلبة قد يغرب فيطالع المطولات، ثم إذا جلس مجلسًا قال: قال صاحب المغنى، قال صاحب المجموع، قال صاحب الإنصاف، قال صاحب الحاوي؛ ليظهر أنه واسع الإطلاع وهذا خطأ، نحن نقول: ابدأ بالمختصرات حتى ترسخ العلوم في ذهنك، ثم إذا منَّ الله عليك فاشتغل بالمطولات.

رابعًا: لا تنتقل من مختصر إلى آخر بلا موجبٍ، فهذا من باب الضجر وهذه آفة عظيمة تقطع على الطالب طلبه، وتضيِّع عليه أوقاته، فإذا كان كل يوم له كتابٌ يقرأ فيه، فهذا خطأ في منهج طالب العلم.

خامسًا: اقتناص الفوائد والضوابط العلمية: فهناك الفوائد التي لا تكاد تطرأ على الذهن أو يندر ذكرها والتعرض لها، أو تكون مستجدَّة تحتاج إلى بيان الحكم فيها.

فهذه اقتنصها وقيدها بالكتابة، ولا تقل هذه معلومة عندي، ولا حاجة أن أقيدها؛ لأنها سرعان ما تُنسى، وكم من فائدة تمرُّ بالإنسان فيقول: هذه سهلة ما تحتاج إلى قيد، ثم بعد فترة وجيزة يتذكرها ولا يجدها!

لذلك احرص على اقتناص الفوائد التي يندر وقوعها أو يتجدد وقعها، ومن أحسن ما ألف في هذا الموضوع كتاب العلامة ابن القيم -رحمه الله- بدائع الفوائد، فقد جمع فيه من بدائع العلوم ما لا تكاد تجده في كتاب آخر، فهو جامعٌ في كل فن، كلما طرأ على باله مسألة أو سمع فائدة قيدها، ولهذا تجد فيه من علم العقائد والفقه والحديث والتفسير والنحو والبلاغة، وغيرها.

وأيضًا احرص على الاهتمام بالضوابط، ومن الضوابط: ما يذكره العلماء تعليلًا للأحكام، فإن كل التعليلات للأحكام الفقهية تعتبر ضوابط، لأنها تُبنى عليها الأحكام فهذه احتفظ بها.

مثال: إذ شك في طهارة ماء، أو بنجاسته فإنه يبني على اليقين فهذه العلة تعتبر حكمًا، وتُعتبر ضابطًا.

أيضًا يُعلل بأن الأصل بقاء ما كان على ما كان، فإذا شكَّ في نجاسة طاهر فهو طاهر أو في طهارة نجسٍ فهو نجسٌ؛ لأن الأصل بقاء ما كان على ما كان.

سادسًا: جمع النفس للطلب، فلا يُشتِّتها يمينًا ويسارًا، اجمع النفس على الطلب ما دمت مقتنعًا بأن هذا منهجك وسبيلك، وأيضًا اجمع نفسك على الترقِّي فيه، لا تبقَ ساكنًا،

فكرٌ فيما وصل إليه علمك من المسائل والدلائل حتى تترقى شيئًا فشيئًا.

الفائدة الثانية

مما ينبغي لطالب العلم مراعاته تلقي العلم عن الأشياخ؛ لأنه يستفيد بذلك فوائد عدة:

١ - **اختصار الطريق**: فبدلًا من أن يذهب يُقلِّب في بطون الكتب، وينظر ما هو القول الراجح، وما سبب رجحانه، وما هو القول الضعيف، وما سبب ضعفه بدلًا من ذلك كله، يمد إليه المعلم ذلك بطريق سهلٍ، ويعرض له خلاف أهل العلم في المسائل على قولين أو ثلاثة مع بيان الراجح والدليل كذا، وهذا لا شك أنه نافعٌ لطالب العلم .

٢ - **السرعة في الإدراك**: فطالب العلم إذا كان يقرأ على عالم فإنه يدرك بسرعة أكثر مما لو ذهب يقرأ في الكتب؛ لأنه إذا قرأ في الكتب تمر عليه العبارات المُشْكِلَةُ والغامضةُ؛ فيحتاج إلى التدبر، وتكرار العبارة مما يأخذ منه الوقت والجهد، وربما فهمها على وجه خطأ وعمل بها.

٣- الربط بين طلاب العلم والعلماء الربانيين. لذلك القراءة على العلماء أجدى وأفضل من قراءة الإنسان لنفسه.

الفائدة الثالثة

إذا دعت الحاجة للسؤال فليُحْسِن طالبُ العلم السؤال أما إذا لم تدعُ الحاجة فلا يسأل؛ لأنه لا ينبغي للإنسان أن يسأل إلا إذا احتاج هو أو ظن أن غيره يحتاج إلى السؤال.

فقد يكون مثلًا في درس هو فاهم الدرس، ولكنه فيه مسائل صعبة تحتاج إلى بيانها لبقية الطلبة، فليسأل من أجل حاجة غيره والسائل لحاجة غيره كالمعلم.

كذلك ينبغي أن يكون عند طالب العلم حسن الاستماع لجواب العالم، وصحة الفهم للجواب، فبعض الطلبة إذا سأل وأجيب تجده يستحي أن يقول: ما فهمت.

والذي ينبغي لطالب العلم إذا لم يفهم أن يقول: ما فهمت لكن بأدبٍ وتوقيرٍ للعالم.

الفائدة الرابعة

الحفظ ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: غريزي يهبه الله تعالى لمن يشاء ، فتجد الإنسان تمرُّ عليه المسألة والبحث فيحفظه ولا ينساه.

القسم الثاني: كسبي بمعنى أن يُمرِّن الإنسانُ نفسه على الحفظ، ويتذكر ما حفظ، فإذا عود نفسه تذكر ما حُفظ سهل عليه حفظُهُ.

الفائدة الخامسة

المجادلة والمناظرة نوعان:

١- النوع الأول: مجادلة مماراة: يماري بذلك السفهاء، ويجاري العلماء، ويريد أن ينتصر قوله، فهذه مذمومة.

٢- والنوع الثاني: مجادلة لإثبات الحق وإن كان عليه -فهي محمودة مأمورٌ بها وعلامة ذلك- أي المجادلة الحقة- أن الإنسان إذا بان له الحق اقتنع وأعلن الرجوع أما المجادل الذي يريد الانتصار لنفسه فتجده لو بان أن الحق مع خصمه يورد إيرادات، ومثل هذا عليه خطر ألا يقبل قلبه الحق لا بالنسبة للمجادلة مع الآخر ولكن في خلوته، وربما يورد الشيطان عليه هذه الإيرادات فيبقى في شك وحيرة، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٠] وقال تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٩] فعليك يا أخي بقبول الحق، سواء مع مجادلة غيرك أو مع نفسك، فمتى تبين لك الحق فقل: سمعنا وأطعنا وآمنا وصدقنا، فالحاصل أن المجادلة إذا كان المقصود بها إثبات الحق وإبطال الباطل فهي خير، وتعودها وتعلمها خيرٌ، لا سيما في وقتنا هذا، فإنه كثر فيه الجدال والمراء، حتى إن الشيء يكون ثابتًا ظاهرًا في القرآن والسُّنَّة ثم يورد عليه إشكالات.

الفائدة السادسة

من الأمور التي ينبغي لطالب العلم أن يهتم بها المذاكرة، وهي نوعان:

١ - مذاكرة مع النفس: بأن تجلس مثلًا جلسة وحدك ثم تعرض مسألة من المسائل أو مسألة قد مرت عليك، ثم تأخذ في محاولة عرض الأقوال وترجيح ما قيل في هذه المسألة، بعضها مع بعضٍ، وهذه سهلة على طالب العلم، وتساعد على مسالة المناظرة السابقة.

٢ - مذاكرة مع الغير: بأن يختار من إخوانه الطلبة من يكون عونًا له على طلب العلم مفيدًا له، فيجلس معه ويتذاكران ويقرآن مثلًا ما حفظاه، كل واحد يقرأ على الآخر، أو يتذاكران مسألة من المسائل بالمراجعة أو بالمفاهمة وإن قدرا على ذلك فإن هذا مما ينمي العلم ويزيده، لكن إياك والشغب والصلف، لأن هذا لا يفيد.

الفائدة السابعة

كراهية التزكية والمدح والتكبر على الخلق وهذه يُبتلى بها بعض الناس فيزكي نفسه، ويرى أن ما قاله هو الصواب وأن غيره إذا خالفه فهو مخطئ، وما أشبه ذلك، كذلك حب المدح تجده يسأل عما يُقال عنه، فإذا وجد أنهم مدحوه انتفخ وزاد انتفاخه، حتى يعجز جلده عن تحمل بدنه كذلك المتكبر على الخلق.

بعض الناس -والعياذ بالله- إذا آتاه الله علمًا تكبر، الغني بالمال ربما يتكبر، ولهذا جعل النبي ﷺ العائل المستكبر من الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم[1] لأنه ليس عنده مالٌ يوجب الكبرياء.

ولكن العالم لا ينبغي أن يكون كالغني، كلما ازداد علمًا ازداد كبرًا، بل ينبغي العكس، كلما ازداد علما ازداد تواضعًا؛ لأن من العلوم التي يقرؤها أخلاق النبي ﷺ، وأخلاقه كلها تواضع للحق وتواضع للخلق.

---

(١) مسلم (١٠٧)

الفائدة الثامنة

زكاة العلم تكون بأمور:

الأمر الأول: نشر العلم، نشر العلم من زكاته، فكما يتصدق الإنسان بشيء من ماله، فهذا العالم يتصدق بشيء من علمه، وصدقة العلم أبقى دومًا وأقل كُلفة ومؤنة.

وأبقى دومًا؛ لأنه ربما كلمة من عالم تُسمع ينتفع بها أجيالٌ من الناس، وما زلنا إلى الآن ننتفع بأحاديث أبي هريرة ﷺ ولم ننتفع بدرهم واحد من دراهم الخلفاء الراشدين الذين كانوا في عهده، وكذلك العلماء ننتفع بكتبهم، ومعهم زكاة وأي زكاة، وهذه الزكاة لا تُنقص العلم بل تزيده.

الأمر الثاني: العمل به؛ لأن العمل به دعوة بلا شك وكثير من الناس يتأسون بالعالم، بأخلاقه وأعماله أكثر مما يتأسون بأقواله، وهذا لا شك زكاة.

الأمر الثالث: الصدعُ بالحق؛ وهذا من جملة نشر العلم، ولكن النشر قد يكون في السلامة، وحال الأمن على النفس، وقد يكون في حال الخوف على النفس، فيكون صدعًا بالحق.

الأمر الرابع: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: لا شك أن هذا من زكاة العلم، لأن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر عارفٌ للمعروف وعارف للمنكر، ثم قائم بما يجب عليه من هذه المعرفة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الفائدة التاسعة

موقف طالب العلم من وهم وخطأ العلماء: هذا الموقف له جهتان:

الأولى: تصحيح الخطأ؛ وهذا أمرٌ واجبٌ يجب على من عثر على وهم إنسان- ولو كان من أكبر العلماء- أن يُنبه على هذا الوهم وعلى هذا الخطأ؛ لأن بيان الحق أمرٌ واجبٌ، وبالسكوت يمكن أن يضيع الحق لاحترام من قال بالباطل؛ لأن احترام الحق أولى بالمراعاة.

الثانية: أن لا يقصد بذلك بيان معايبه، بل بيان الحق من الباطل وهذه تقع من إنسان

حاسد والعياذ بالله يتمنى أن يجد قولًا ضعيفًا أو خطأً لشخص ما فينشره بين الناس، ولهذا نجد أهل البدع يتكلمون في شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- وينظرون إلى أقرب شيء يمكن أن يقدح فيه فينشرونه، ويعيبونه، مثلًا يقولون: خالف الإجماع في أن الطلاق الثلاث واحدة، فيقولون: هذا شاذ ومن شذَّ في النار، وأمثال هذا كثيرٌ.

الفائدة العاشرة

في المقصود ببركة العلم: قبل بيان المقصود ببركة العلم، لا بد أن نُعرِّف البركة؛ فهي كما يقول العلماء: الخير الكثير الثابت ويُعيدون ذلك إلى اشتقاق هذه الكلمة فإنها من البركة وهي مجمع الماء.

والبركة التي هي مجمع الماء مكانٌ واسعٌ وماؤه كثيرٌ ثابتٌ، فالبركة هي الخيرات الكثيرة الثابتة من كلِّ شيء من المال والولد، ومن العلم، وكل شيء أعطاه الله -عز وجل- لك تسأل الله سبحانه وتعالى البركة فيه؛ لأن الله سبحانه وتعالى إذا لم يبارك لك فيما أعطاك حُرمت خيرًا كثيرًا، أما البركة في العلم فلها مظاهر وسبل، ومنها:

أولًا: في نشرك العلم نشرٌ لدين الله -عز وجل- فتكون من المجاهدين، فالمجاهد في سبيل الله يفتح البلاد حتى ينشر فيها الدين وأنت تفتح القلوب بالعلم حتى تنشر فيها شريعة الله عز وجل.

ثانيًا: من بركة نشر العلم وتعليمه أن فيه حفظًا لشريعة الله وحماية لها؛ لأنه لولا العلم لم تُحفظ الشريعة، فالشريعة لا تُحفظ إلا برجالها رجال العلم، ولا يمكن حماية الشريعة إلا برجال العلم، فإذا نشرت العلم وانتفع الناس بعلم حصل في هذا حماية لشريعة الله وحفظ لها.

ثالثًا: أنك تحسن إلى هذا الذي علَّمته، لأنك تبصره بالدين، فإذا عبد الله على بصيرة كان لك من الأجر مثله؛ لأنك أنت الذي دللته على الخير، والدال على الخير كفاعله، فالعلم في نشره خيرٌ، وبركة لناشره، ولمن نُشِر إليه.

رابعًا: أن في نشر العلم وتعليمه زيادرة له فعلم العالم يزيد إذا علَّم الناس، لأنه استذكار لما حفظ وانفتاح لما لم يُحفظ، وما أكثر ما يستفيد العالم من طلبة العلم، فطلابه الذين عنده أحيانًا يأتون له بمعانٍ ليست له على بالٍ، ويستفيد منهم وهو يعلِّمهم، وهذا

شيء مشاهد.

ولهذا ينبغي للمعلم إذا استفاد من الطالب، وفتح له الطالب شيئًا من أبواب العلم، ينبغي له أن يُشجع الطالب وأن يشكره على ذلك خلافًا لما يظنه بعض الناس أن الطالب إذا فتح عليه وبُيِّن له شيئًا كان خفيًّا عليه تضايق المعلم.

يقول: هذا صبيٌّ يعلم شيخًا فيتضايق ويتحاشى بعد ذلك أن يتناقش معه، خوفًا من أن يُطلعه على أمرٍ قد خفي عليه وهذا من قصور علمه بل من قصور عقله؛ ولأنه إذا منَّ الله عليك بطلبة يذكرونك ما نسيت، ويفتحون عليك ما جهلت فهذا من نعمة الله عليك[1].

---

(١) كتاب العلم لابن عثيمين (١٦٩- ١٧٩). باختصار.

آداب المُعلِّم

أولًا: آدابه مع نفسه

أ-مراقبة الله عز وجل: وخير أدب يجب أن يتحلىَّ به دوام مراقبة الله تعالى في السر والعلن، والمحافظة على خوفه في جميع حركاته وسكناته وأقواله وأفعاله، فإنه أمينٌ على ما أودع من العلوم، وما مُنح من الحواس، وذلك مفهومٌ من قوله تعالى: ﴿ لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٧].

ب-مراقبة النفس: عليه أن يحترس من نفسه، ويقف على ما أُشكل عليه، وذلك بأن يحافظ على القيام بشعائر الإسلام، وظواهر الأحكام، كإقامة الصلاة في المساجد جماعة وإفشاء السلام للخواص والعوام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في سبيل ذلك، صادعًا باذلًا نفسه لله، لا يخاف فيه لومة لائم، ذاكرًا قوله تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧] محافظًا على المندوبات الشرعية القولية والفعلية فيلازم التلاوة للقرآن، ويذكر الله تعالى بالقلب واللسان، وذكر ما ورد من الدعوات والأذكار في آناء الليل النهار، ومن نوافل العبادات من صلاة وصيام، وحج البيت الحرام والصلاة على النبيﷺ.

جـ- الانتفاع بالوقت: كما أنه لا يضيع شيئًا من أوقات عمره في غير ما هو بصدده من العلم والعمل إلا بقدر الضرورة من أكل أو شربٍ أو نومٍ أو استراحةٍ من الملل، أو أداء حق الزوجة، أو زائر أو تحصيل قوت وغيره. مما يحتاج إليه، أو لألم أو غيره مما يتعذر معه الاشتغال بالعلم.

د- الإنصاف: وهو من أجمل ما يتحلى به العالم مع نفسه؛ حيث إنه أقل ما ينبغي أن يوجد في العالم كما قال الإمام مالك بن أنس: ما في زماننا شيءٌ أقل من الإنصاف، ومن نهج السلف في الإنصاف في العلم ما رواه محمد بن كعب القرظي قال: سأل رجل عليًّا عن مسألة فقال فيها، فقال الرجل: ليس كذلك يا أمير المؤمنين، ولكن كذا وكذا، فقال علي ﷺ: أصبتَ وأخطأتُ، وفوق كل ذي علم عليم.

وما قاله عبد الرحمن بن مهدي: ذاكرت عبد الله بن الحسين القاضي بحديث وهو يومئذٍ قاضٍ فخالفني فيه فدخلتُ عليه وعنده الناس، فقال لي: ذلك الحديث كما قلت

أنت وأرجع أنا هنا.

هـ- علاقته بالدنيا: عليه أن يطلب الدنيا بعلمه، والدنيا والعلم كقدحين أحدهما مملوء والآخر فارغ بقدر ما تصبُّ منه في الآخر حتى يمتلأ يفرغ الآخر؛ لذلك قال يحيى بن معاذ: إنما يذهب بهاء العلم والحكمة إذا طلب بهما الدنيا، وكتب رجلٌ إلى أخٍ له: إنك قد أوتيت علمًا، فلا تطفأنَّ نور علمك بظلمة الذنوب، فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم في نور علمهم.

وعلماء الدنيا يخاطبهم يحيى بن معاذ قائلًا: يا أصحاب العلم قصوركم وبيوتكم كسروية، وأثوابكم ظاهرية، وأخفافكم جالوتية، ومراكبكم قارونية، وآنيتكم فرعونية، ومآتمكم جاهلية، ومذاهبكم شيطانية، فأين الشريعة المحمدية؟!

وما أجمل ما ردَّ الحسن حين حمل إليه رجلٌ من خراسان كيسًا بعد انصرافه من مجلسه فيه خمسة آلاف درهم وعشرة أثواب من رقيق البر: يا أبا سعيد هذه نفقة وهذه كسوة، فقال الحسن، عافاك الله تعالى، ضم إليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك، إنه من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله تعالى يوم القيامة، ولا خَلاق له.

وعلى العالم كذلك أن يترفع عن أبواب الملوك إلا ناصحًا آخذًا بحديث رسول الله ﷺ: «إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون، وتنكرون، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع» قالوا: يا رسول الله، ألا نقاتلهم؟ قال: «لا، ما صلوا»[1].

و- عناية العالم بمظهره الخارجي: والعالم في مظهره يُحبَّذ له إذا عزم على مجلس التدريس التطهر من الحدث والخبث والتنظيف والتطيب، ولبس أحسن ثيابه اللائقة بأهل زمانه، قاصدًا بذلك تعظيم العلم، وتبجيل الشريعة، وفي ذلك تطبيق لحديث رسول الله ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال»[2] فهو يتناول جمال الثياب، ويدخل فيه بطريق العموم

---

(١) مسلم (١٨٥٤).

(٢) مسلم (مختصر ٥٤).

الجمال في كل شيء، وفي الصحيح: «إن الله طيبٌ لا يقبل إلا طيبًا»[(١)]، ولمحبته سبحانه للجمال أنزل على عباده لباسًا وزينة تُجمِّل بواطنهم فقال: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ ﴾ [الأعراف: ٢٦] وقال في أهل الجنة: ﴿ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ۝ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ﴾ [الإنسان: ١١-١٢] فجمَّل وجوههم بالنضرة وبواطنهم بالسرور وأبدانهم بالحرير، وهو سبحانه كما يحب الجمال في الأقوال والأفعال والثياب والهيئة فيبغض القبح وأهله، ويحب الجمال وأهله.

ثانيًا: آدابه مع غيره

أ- استشعار ضخامة الأمر: عليه في بداية الأمر أن يستشعر قولة عمر بن عبد العزيز ﷺ حين استلم الخلافة من بعد ما أصابها من أمور خارجة عن الطبيعة التي كانت على سمة الخلفاء الراشدين: (إني أعالج أمرًا لا يعين عليه إلا الله قد فني عليه الكبير، وكبر عليه الصغير، وفصح عليه الأعجمي وهاجر عليه الأعرابي، حتى حسبوه دينًا لا يرون الحق غيره).

ب- التمتع بمكارم الأخلاق: حتى يؤلف قلوب الناس عليه أن يعاملهم بمكارم الأخلاق من طلاقة الوجه وإفشاء السلام، وإطعام الطعام، وكظم الغيظ، وكف الأذى واحتماله فيهم الإيثار وترك الاستئثار، وشكر التفضل وإيجاد الراحة والسعي في قضاء الحاجات، وبذل الجاه في الشفاعات والتلطف بالفقراء والتحبب إلى الجيران والأقرباء والرفق بالطلبة وإعانتهم وبرهم، ويبتعد عن أسباب النزاع والشقاق، وأن يبعدهم عن ازدراء الآخرين والعيب عليهم، ويعودهم نظافة القلب، ونظافة اللسان، ويزجرهم عن سوء الأخلاق بطريق التلميح أولًا؛ فإن لم يُفد اتَّبع معهم أسلوب التصريح، ولكن مع العطف والرحمة والمودة إن نفع وإلا فبالشدة وهو في ذلك مهتدٍ بابن مسعود حين قال لأصحابه: كونوا ينابيع العلم، مصابيح الهدى أحلاس البيوت، سرج الليل جدد القلوب، تُعرفون في السماء، وتخفون على أهل الأرض[(٢)].

---

(١) مسلم (١٠١٥).

(٢) أبو داود (٤٨٥٥)، وصححه الألباني في الصحيحة (٧٧).

جـ- الحرص على التعليم: ألا يمتنع العالم عن تعليم أحدٍ منهم علمًا، أو بحثًا إذا آنس منهم الفهم وأن يتدرج معه في تفهيمه وأن يذكر له قواعد الفن وضوابطه، التي لا تُخرجه مطلقًا -أو غالبًا- مع مستثنياتها إن كانت موجودة.

وأن يبدأ بعدئذ بالأمور المتفرعة عن تلك القواعد فيصور له المسألة، ثم يوضحها بالأمثلة والشواهد؛ ليقربها إلى ذهن الطالب وأن يقتصر على قدر يفهمه بنفسه، فلا يُلقي إليه ما لا يبلغه عقله، فينفِّره أو يختلط عليه عقله، لذلك قيل: كن لكل عبد بمعيار عقله وَزِنْ له بميزان فهمه، حتى تسلم منه وينتفع بك وإلا وقع الإنكار؛ لتفاوت المعيار.

لذلك قال أحد العلماء لمن سأله في مسألة، ولم يُجب فأنكر عليه: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ [النساء: ٥] تنبيهًا على أن حفظ العلم ممن يفسده ويضره أولى.

ثالثًا: آدابه في درسه

أ- ذكر الله تعالى: على العالم أن يفتتح مجلسه بحمد الله -تعالى- والصلاة على النبي ﷺ: «ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا على مثل جيفة حمار وكان عليهم حسرة يوم القيامة»

ب- الموازنة في الصوت: وعلى العالم تأسيًا برسول الله ﷺ ألا يرفع صوته زائدًا على قدر الحاجة، ولا يُخفضه خفضًا لا يحصل معه كمال الفائدة حيث إن الأَوْلى ألا يجاوز صوته مجلسه، ولا يقصر عن إسماع الحاضرين إلا إن احتيج إلى ذلك لسبب ما.

جـ- الترتيب والإعادة: حتى تتم الفائدة عليه ألا يسرد الكلام سردًا، بل عليه أن يرتله ويرتبه ويتمهل فيه؛ ليفكر فيه هو وسامعه، وينبغي تحديث الناس بما عقلوا حتى لا يُفتنوا كما قال ابن مسعود ﷺ: (ما أنت بمحدثٍ قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة).

ولِمَ لا يكون فتنة إذا كان معلومًا أن الإنسان له حدود معينة في الفهم، وهناك فرقٌ في عملية الاستيعاب، فربما أخطأ إنسان في فهم الفتوى فأفتى وفق فهمه الخاطئ فضلَّ وأضلَّ، ولذلك أتى تحذير علي ﷺ: «حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟!»

د- اختيار الوقت المناسب لتبليغ العلم: فعن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: حدث الناس كل جمعة مرة، فإن أبيت فمرتين، فإن أكثرت فثلاث مرات، ولا تملَّ الناس هذا القرآن، ولا تأتِ القوم وهم في حديث فتقطع عليهم حديثهم، ولكن أنصت فإذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه[1].

هـ- كراهية الفتوى: إذا علم أن غيره يكفيه، ولم لا وهي أمانة سيُسأل عنها يوم القيامة وسيتناقلها الناس، ويسيرون على تبيانها؛ ولهذا كان الصحابة -رضوان الله عليهم- يتحرجون من الإجابة عند وجود من يكفيهم، وهذا ما قاله عبد الرحمن بن أبي ليلى وهو تابعي جليل اتَّفقوا على توثيقه: أدركت عشرين ومائة من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار إذا سُئل أحدهم عن الشيء أحب أن يكفيه صاحبه.

وعن يحيى بن سعيد أن قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: (إن كل من أفتى الناس في كل ما يسألونه عنه لمجنون).

و- عدم الاستحياء من الإجابة بـ (لا أدري): ذلك؛ لأن (لا أدري) نصف العلم، ومَنْ قال: (لا أدري) فقد أفتى.

ز- عدم التعجل بالإجابة: فيكون في إجابته متصفًا بصفات العلماء الذين كانوا إذا سُئل أحدهم عن المسألة فكأنما يقلع ضرسه، ولهذا قال أبو حفص النيسابوري: العالم هو الذي يخاف عند السؤال أن يقال له يوم القيامة: من أين أجبت؟

حـ- ترحيب العالم بطلبته: ينبغي للعالم أن يرفق بمن يقرأ عليه وأن يرحب به، ويحسن إليه بحسب حاله، فعن أبي هارون العبد قال: كنا نأتي أبا سعيد فيقول: مرحبًا بوصية رسول الله ﷺ.

ومن آثار الترحيب الاستفسار عن أحوال الغائبين، فالعالم إذا غاب عنه بعض الطلبة أو ملازمي الحلقة، غيابًا زائدًا عن العادة سأل عنهم وعن أحوالهم، فإن لم يُخبر عنهم بشيء

---

(١) البخاري.

أرسل إليهم أو قصد منازلهم بنفسه، وذلك أفضل، وإكرامهم لذلك.

قال ابن عباس: أكرم الناس عليَّ جليسي الذي يتخطَّى رقاب الناس إليَّ لو استطعت ألا يقع عليه الذباب لفعلت، وفي رواية: (إن الذباب ليقع عليه فيؤذيني).

وأن يشفق عليهم وأن يجريهم مجرى ابنه، فعندما يزجر تلميذه عن خُلقٍ سيء، فعليه أن يعمد إلى أسلوب التعريض متأسيًا برسول الله ﷺ، حين صعد إلى المنبر معلمًا للرهط الثلاثة الذين أتوا فسألوا عن عبادة الرسول ﷺ[١]، وإن احتاج إلى المواجهة فلا بأس برحمةٍ، وبدون صراخ أو توبيخ، بل كما فعل الرسول ﷺ، حين قال: يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل[٢].

رابعًا: آدابه في أخذ العلم

أ- **لا يمتنع من الأخذ من أية رتبة:** لذلك قال الحميدي وهو تلميذ الشافعي رحمه الله: صحبت الشافعي من مكة إلى مصر، فكنت أستفيد منه المسائل، وكان يستفيد مني الحديث، وبذلك قال الإمام أحمد بن حنبل: قال لنا الشافعي: أنتم أعلم بالحديث مني، فإذا صحَّ عندكم الحديث فقولوا لنا حتى نأخذ به.

ب- **التجمل بمكارم الأخلاق في طلب العلم:** وهو بذلك يتأسى بقول عمر رضي الله عنه حين قال: تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار والحلم.

بهذا قال الحسن: الحلم وزير العلم والرفق أبوه والتواضع سرباله، ولذلك قيل: إذا جمع العلم ثلاثًا تمت النعمة بها على المتعلم: الصبر، والتواضع، وحسن الخلق، وما أجمعها من كلمات يتجمَّل بها العالم في نفسه[٣].

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) العلم بين يدي العالم والمتعلم لجاسم المهلهل (٥٤- ٦٥) باختصار.

صور من علو الهمة في طلب العلم[١]

عروة بن الزبير يجلس على باب معلمه حتى يخرج

قال عروة: لقد كان يبلغني عن الرجل من المهاجرين الحديث، فأجده قد قال: أي: نام نومة القيلولة، فأجلس على بابه فأسأله عنه، أي: إذا خرج.

يعلم ثلاثة آلاف صبي القرآن

قال الثوري: كان الضَّحاك يُعلِّم ولا يأخذ أجرًا، كان -رحمه الله- فقيه مكتب كبير للغاية فيه ثلاثة آلاف صبي فكان يركب حمارًا ويدور على الصبيان، وقال رحمه الله: حقٌّ على من تعلم القرآن أن يكون فقيهًا، وتلا قوله تعالى: ﴿ كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ... ﴾ [آل عمران: ٧٩].

يرحل من فلسطين إلى الطائف طلبًا لحديث واحد

قال ابن الديلمي رحمه الله: بلغني حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، فركبت إليه إلى الطائف أسأل عنه، وكان ابن الديلمي بفلسطين، قال: فدخلتُ عليه وهو في حديقة له فوجدته مختصرًا بيد رجل، كنا نتحدث بالشام أن ذلك الرجل من شربة الخمر، قال: فقلت: يا أبا محمد هل سمعت رسول الله ﷺ يقول في شارب الخمر شيئًا؟ فاختلج[٢] الرجل يده من يد عبد الله بن عمرو، فقال[٣]: نعم، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من شرب الخمر لم تُقبل له صلاة أربعين صباحًا»[٤].

باع جزوع بيته وطست أمه طلبًا للحديث

قال الإمام أحمد عن شعبة[٥]، ومنزلته في الحديث: هو أُمَّةٌ وحده في هذا الشأن. وقال

---

(١) راجع خلق السلف في العلم والتعلم للمؤلف.

(٢) أي: سحبها من يده.

(٣) أي: عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٤) صحيح. انظر: صحيح الجامع (٦٣١٢).

(٥) هو شعبة بن الحجاج أبو بسطام.

أحمد أيضًا: أقام شعبة على الحكم بن عتيبة ثمانية عشر شهرًا حتى باع جذوع بيته، وكان -رحمه الله- عظيم العناية بالبحث عن الحديث وحال رواته، حتى قال: في طلب الحديث أَفْلَسْتُ، بعتُ طست أمي بسبعة دنانير.

حفظ القرآن في ثمانين ليلة

قال محمد بن شهاب الزهري: مسَّت ركبتي ركبة سعيد بن المسيب ثماني سنين (وحدث هو عن نفسه) فقال: نشأتُ وأنا غلام لا مال لي ولا أنا في ديوان، وكنت أتعلم نسب قومي عن عبد الله بن ثعلبة بن سعيد، وكان عالمًا بذلك وهو ابن أخت قومي وحليفهم.

وقال أبو الزياد: كنا نكتب الحلال والحرام، وكان ابن شهاب يكتب كل ما سمع، فلما احتيج إليه علمتُ أنه أعلم الناس، وتبصر عيني به ومعه ألواح وصحف يكتب فيها الحديث وهو يتعلم يومئذٍ.

قال يعقوب بن عبد الرحمن: إن الزهري كان يبتغي العلم عن عروة وعن غيره فيأتي جارية له وهي نائمة، فيوقظها، ويقول لها: حدثني فلان بكذا، وحدثني فلانٌ بكذا، فتقول: ما لي ولهذا؟! فيقول: قد علمت أنك لا تنتفعين به، ولكن سمعته الآن فأردتُ أن أستذكره، وقال عنه ابن أخيه: جمع[1] عمر[2] القرآن في ثمانين ليلة.

باع خشب سقف بيته طلبًا للعلم

قال الشافعي: إذا ذُكر العلماء فمالك النجم.

وقال ابن عيينة: مالك عالم أهل الحجاز وهو حجة زمانه.

وقال: إن مالك لا يبلِّغ من الحديث إلا صحيحًا.

ولا يُحدِّث إلا عن ثقة، وما أرى المدينة إلا ستخرب بعد موته، وقال ابن القاسم:

---

(١) جمع: حفظ.

(٢) هو: محمد بن شهاب الزهري.

أفضى مالك بها طلب العلم إلى أن نقض سقف بيته فباع خشبه، ثم مالت عليه الدنيا بعد.

يحفظ الموطأ قبل أن يحتلم ويفُتي وهو ابن خمس عشرة سنة

قال الإمام أحمد رحمه الله: الشافعي فيلسوف في أربعة أشياء : في اللغة واختلاف الناس، والمعاني، والفقه، وقال أيضًا: إن الله يُقيِّض للناس في رأس كل مائة مَنْ يعلمهم السنن، وينفي عن رسول الله ﷺ الكذب، قال: فنظرنا فإذا في رأس المائة: عمر بن عبد العزيز، وفي رأس المئتين: الشافعي.

وقال مصعب بن عبد الله: ما رأيت أحدًا أعلم بأيام الناس من الشافعي، وكان - رحمه الله- من أعلم الناس بالأنساب، لقد اجتمعوا معه ليلة فذكَّرهم بأنساب النساء إلى الصباح، وقال: أنساب الرجال يعرفها كل أحد.

وقال الشافعي رحمه الله: وددتُ أن الناس تعلموا هذا العلم على أن لا يُنسب إليَّ منه شيء، وقال رحمه الله: لم يكن لي مالٌ وكنتُ أطلب العلم في الحداثة، وكنت أكتب في الأكتاف والعظام، وكنت أذهب إلى الديوان استوهب الظهور[1] فأكتب فيها، وقال رحمه الله: حفظتُ الموطأ قبل أن أحتلم.

وقال الحميدي رحمه الله: سمعت مسلم بن خالد الزنجي يقول للشافعي: أَفْتِ يا أبا عبد الله آن لك أن تُفتي، وهو ابن خمس عشرة سنة.

افتقر في طلب العلم حتى رهن نعله وما تزوج إلا بعد الأربعين لانشغاله بطلب العلم.

قال الإمام أحمد رحمه الله: رحلتُ في طب العلم والسُّنَّة إلى الثغور والشام والسواحل والمغرب والجزائر، ومكة، والمدينة، والحجاز، واليمن، والعراق، وفارس، وخراسان، والجبال، والأطراف، ثم عدت إلى بغداد، وخرجت إلى الكوفة فكنت في بيت تحت رأسي لبنة فحميت فرجعت إلى أمي -رحمها الله- ولم أكن قد استأذنتها، ولو كان عندي تسعون درهمًا لرحلت إلى جرير بن عبد الحميد إلى الري، وخرج بعض أصحابنا، ولم يمكنِّي

(١) أي: ظهور الأوراق المكتوب عليها.

الخروج؛ لأنه لم يكن عندي شيء.

قال أبو اليمن العليمي: طلب الإمام أحمد الحديث وهو ابن ست عشرة، وخرج إلى الكوفة سنة ثلاث وثمانين ومائة، وهو أول سفر له، وخرج إلى البصرة سنة ست وثمانين، وخرج إلى سفيان بن عيينة إلى مكة سنة سبع وثمانين وهي أول سنة حجَّ فيها الإمام أحمد، وخرج إلى عبد الرزاق بصنعاء اليمن سنة سبع وتسعين، ورافق يحيى بن معين في رحلته إليه.

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل رحمهما الله: قال لي أبي: خذ أي كتاب شئت من كتب وكيع من المصنف، فإن شئت أن تسألني عن الكلام حتى أخبرك بالإسناد، وإن شئت بالإسناد حتى أخبرك أنا بالكلام.

وقال أحمد بن سنان الواسطي رحمه الله: بلغني أن أحمد رهن نعله عند خبَّاز على طعامٍ أخذه منه عند خروجه من اليمن، وقال الإمام أحمد رحمه الله: ما تزوجت إلا بعد الأربعين.

باع أبوه البيت لتجهيزه للحج وطلب العلم

قال هشام بن عمَّار (شيخ البخاري): باع أبي بيتًا له بعشرين دينارًا وجهزني للحج، فلما حضرتُ إلى المدينة، أتيتُ مجلس مالك بن أنس معي مسائل أريد أن أسأل عنها، فأتيته وهو جالسٌ في بيته في هيئة الملوك وغلمان قيامٌ والناس يسألونه وهو يجيبهم فلما انقضى المجلس، قال لي بعضُ أصحاب الحديث: سل عما بدا لك؛ فقلت له: يا أبا عبد الله، ما تقول في كذا، وكذا؟ فقال: حصَّلنا حتى الصبيان، يا غلام احمله، فحملني كما يُحمل الصبي وأنا يومئذٍ غلامٌ مدرك، فضربني بدرة مثل درة المعلمين سبع عشرة ضربة، فوقفت أبكي؛ فقال لي مالك بن أنس: ما يُبكيك أوجعتك هذه الدرة...؟! قلتُ: إن أبي باع منزله ووجه بي أتشرف بك وبالسماع منك، فضربتني. فقال: اكتب، فحدثني سبعة عشر حديثًا وسألته عما كان معي من مسائل فأجابني.

دخل السجن لشيخه لحفظ أربعين حديثًا

قال أبو أسامة: ما رأيت أطلب للعلم في الآفاق من ابن المبارك، وكان ابن المبارك يكثر الجلوس في بيته، فقيل له: ألا تستوحش؟ فقال: كيف أستوحش وأنا مع النبي ﷺ وأصحابه، وقال الذهبي: طلب العلم وهو ابن عشرين سنة، فأقدم شيخ لقيه هو الربيع بن أنس الخراساني، تحيل ودخل إليه السجن، فسمع منه نحوًا من أربعين حديثًا، ثم ارتحل في سنة إحدى وأربعين ومائة وأخذ عن بقايا التابعين وأكثر من الترحال والطواف إلى أن مات في طلب العلم، وفي الغزو والتجارة والإنفاق على الإخوان في الله وتجهيزهم معه إلى الحج.

وأخيرًا، قال زكريا بن عدي: رأيت ابن المبارك في النوم، فقلتُ له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي برحلتي في الحديث.

إمامُ الحديث وما في بيته رغيف

قال يعقوب الفسوي: أجمع أصحابنا أن أبا نعيم كان غاية في الإتقان، وقال أبو نعيم الفضل بن دكين رحمه الله: يلومونني على الأخذ وفي بيتي ثلاثة عشر نفسًا، وما في بيت رغيفٌ، وقال أحمد بن منصور الرمادي رحمه الله: خرجتُ مع أحمد ويحيى إلى عبد الرزاق خادمًا لهما، قال: فلما عُدنا إلى الكوفة: قال يحيى بن معين: أريد أن أختبر أبا نعيم. فقال أحمد : لا ترد، فالرجل ثقة.

قال يحيى: لا بد لي، فأخذ ورقة فكتب فيها ثلاثين حديثًا وجعل على رأس كل عشرة منها حديثًا ليس من حديثه، ثم إنهم جاءوا إلى أبي نعيم فخرج وجلس على دكان طين وأخذ أحمد بن حنبل فأجلسه عن يمينه ويحيى عن يساره وجلستُ أسفل الدكان، ثم أخرج يحيى الورق فقرأ عليه عشرة أحاديث فلما قرأ الحادي عشر، قال أبو نعيم: ليس هذا من حديثي اضرب عليه، ثم قرأ العشر الثاني و أبو نعيم ساكت فقرأ الحديث الثاني، فقال أبو نعيم: ليس من حديثي، اضرب عليه، ثم قرأ العشر الثالث ثم قرأ الحديث الثالث؛ فتغير أبو نعيم وانقلبت عيناه، ثم أقبل يحيى فقال: أما هذا -وذراع أحمد بيده- فأورع من أن يعمل مثل هذا، وأما هذا -يريد عبد الرزاق- فأقل من أن يفعل ذاك ولكن هذا من فعلك يا فاعل وأخرج رجله فرفس يحيى فرمى به من الدكان وقام فدخل داره. فقال أحمد بن حنبل ليحيى: ألم أمنعك وأقل لك: إنه ثبت؟! قال: والله لرفسته لي أحبُّ إلي من سفرتي.

باع ثيابه في رحلة طلب الحديث

قال أبو حاتم الرازي رحمه الله: خرجنا من المدينة عند داود الجعفري، وصرنا إلى الجار وركبنا البحر فكانت الريح في وجهنا، فبقينا في البحر ثلاثة أشهر وضاقت صدورنا وفني ما كان معنا وخرجنا إلى البر نمشي أيامًا حتى فني ما تبقَّى معنا من الزاد والماء، فمشينا يومًا ولم نأكل واليوم الثاني مثله، ولما كان المساء صلينا وكنا نلقي بأنفسنا حيث كنا، فلما أصبحنا في اليوم الثالث جعلنا نمشي على قدر طاقتنا، وكنا ثلاثة أنفس: شيخٌ نيسابوري، وأبو زهير المروزي فسقط الشيخ مغشيًّا عليه فجئنا نحركه وهو لا يعقل فتركناه ومشينا قدر فرسخٍ، فضعفتُ وسقطتُ مغشيًّا عليَّ، ومضى صاحبي يمشي فأبصر من بعد قومًا قربوا سفينتهم من البر، ونزلوا على بئر موسى؛ فلما عاينهم لوَّح بثوبه إليهم فجاءوا معهم ماء في إداوة فسقوه وأخذوا بيده، فقال لهم: الحقوا رفيقين لي، فما شعرت إلا برجل يصبُّ الماء على وجهي ففتحت عيني فقلتُ: اسقني، فصبَّ من الماء في مشربة قليلًا فشربت، ورجعت إليَّ نفسي، ثم سقاني قليلًا وأخذ بيدي فقلت: ورائي شيخٌ ملقى فذهب جماعةٌ إليه وأخذ بيدي وأنا أمشي وأجر رجلي حتى إذا بلغت سفينتهم وأتوا بالشيخ وأحسنوا إلينا فبقيتُ أيامًا حتى رجعت إلينا أنفسُنا، ثم كتبوا لنا كتابًا إلى المدينة التي يقال لها: (راية) إلى واليهم وزودونا من الكعك والسويق والماء، فلم نزل نمشي حتى نفذ ما كان معنا من الماء والقوت، فجعلنا نمشي جياعًا على شط البحر، حتى دفع لنا سلحفاء مثل الترس، فعمدنا إلى حجر كبير فضربنا على ظهرها فانفلق فإذا مثل صفرة البيض، فتحسيناه حتى سكن عنَّا الجوع، ثم وصلنا إلى مدينة الراية بفسطاط مصر وأوصلنا الكتاب إلى عاملنا فأنزلنا في داره فكان يقدم لنا كل يوم القرع ويقول لخادمه: هات لهم اليقطين المبارك فيقدمه مع الخبز أيامًا، فقال واحدٌ منا: ألا تدعو باللحم المشئوم؟!

فسمع صاحب الدار فقال: أنا أُحسن الفارسية فإن جدتي كانت هروية، وأتانا بعد ذلك باللحم ثم زودونا إلى مصر.

قال الرقام: سألت عبد الرحمن عن اتفاق كثرة السماع له وسؤالاته لأبيه فقال: ربما كان يأكل وأقرأ عليه ويمشي وأقرأ عليه ويدخل الخلاء وأقرأ عليه ويدخل البيت في طلب شيء وأقرأ عليه؟ وقال أبو حاتم: أول سنة خرجت في طلب الحديث أقمت سبع سنين

أحصيتُ ما مشيت على قدمي زيادة على ألف فرسخ.

وقال: ثم خرجت من البحرين إلى مصر ماشيًا، ثم إلى الرملة ماشيًا، ثم إلى دمشق، ثم أنطاكية، وطرسوس، ثم رجعت إلى حمص ثم إلى الرقة، ثم ركبت إلى العراق، كل هذا في سفري الأول وأنا ابن عشرين سنة.

وقال: بقيت في سنة أربع عشرة ثمانية أشهر بالبصرة، وكان في نفسي أن أقيم سنة، فانقطعت نفقتي فجعلت أبيع ثيابي حتى نفدت وبقيتُ بلا نفقة ومضيتُ أطوف مع صديق لي إلى المشيخة وأسمع إلى المساء، فانصرف رفيقي، ورجعت إلى بيتي فجعلتُ أشرب الماء من الجوع، ثم أصبحتُ فغدوت على رفيقي فجعلت أطوف معه في سماع الحديث على جوعٍ شديدٍ وانصرفت جائعًا، فلما كان من الغد غدا عليَّ فقال: مُرَّ بنا إلى المشايخ، قلت: أنا ضعيفٌ لا يمكنني قال: وما ضعفك؟ قلت: لا أكتمك أمري؛ قد مضى عليَّ يومان ما طعمتُ فيهما شيئًا فقال: قد بقي معي دينار فنصفه لك ونجعل النصف الآخر في الكراء فخرجنا من البصرة وأخذت منه النصف دينار.

ارتدى زي الشحاذين في رحلة طلب الحديث

قال حفيده (عبد الرحمن بن أحمد): سمعتُ أبي يقول: رحل أبي[1] من مكة إلى بغداد، وكان رجلًا بغيته ملاقاة الإمام أحمد بن حنبل.

قال: فلما قربت بلغتني المحنة[2] وأنه ممنوع، فاغتممتُ غمًّا شديدًا فاحتللتُ بغداد واكتريتُ بيتًا في فندق، ثم أتيتُ الجامع وأنا أريد أن أجلس إلى الناس فدفعت إلى حلقةٍ نبيلةٍ، فإذا برجل يتكلم في الرجال.

فقيل لي: هذا يحيى بن معين، ففرجت لي فُرجة، فقمت إليه فقلتُ: يا أبا زكريا - رحمك الله- رجلٌ غريبٌ ناءٍ عن وطنه يحب السؤال فلا تستجفني فقال: قل؛ فسألتُ عن

---

(١) بقي بن مخلد.

(٢) أي: محنة الإمام أحمد واضطهاده.



بعض من لقيته فبعضهم زكَّى، وبعضهم جرح.

فسألته عن هشام بن عمَّار فقال لي: أبو الوليد صاحب صلاة دمشق ثقة وفوق الثقة، لو كان تحت ردائه كبر أو متقلدًا كبرًا ما ضرَّه شيءٌ لخيره وفضله، فصاح أصحاب الحلقة: يكفيك -يرحمك الله- غيرك له سؤال.

فقلت: وأنا واقف على قدم، أكشف عن رجل واحدٍ: أحمد بن حنبل؟ فنظر إليَّ كالمتعجب، فقال لي: ومثلنا نحن نكشف عن أحمد!! ذاك إمام المسلمين وخيرهم، وفاضلهم؛ فخرجت أستدلُّ على منزل أحمد بن حنبل، فدللت عليه فقرعتُ بابه، فخرج إليَّ فقلت: يا أبا عبد الله رجلٌ غريبٌ نائي الدار، هذا أول دخولي هذا البلد وأنا طالب حديث، ومقيد سُنَّة، ولم تكن رحلتي إلا إليك فقال: ادخل الأصطوان، ولا يقع عليك عين، فدخلت فقال لي: وأين موضعك؟ قلت: المغرب الأقصى، فقال: إفريقية؟ قلت: أبعد من إفريقية، بلدي الأندلس، قال: إن موضعك لبعيد وما كان شيء أحب إليَّ من أن أحسن عون مثلك، غير أني ممتحَنٌ بما لعلَّه قد بلغك.

فقلت: بلى، قد بلغني وهذا أول دخولي وأنا مجهول العين عندكم، فإن أذنت لي أن آتي كلَّ يومٍ في زي السؤال فأقول عند الباب ما يقول السائل فتخرج إليَّ في هذا الموضع فلو لم تحدثني كل يوم إلا بحديث واحدٍ لكان لي كفاية، فقال لي: نعم، على شرط ألا تظهر في الخلق ولا عند المحدثين فقلتُ: لك شرطك.

فكنت آخذ عصًا بيدي وألفُّ رأسي بخرقة مُدنَّسة وأجعل كاغدي وأوراقي في كمِّي أي: جيبه وآتي عليه بابه فأصيح: الأجر -رحمك الله- فيخرج إليَّ ويغلق ويحدثني بالحديثين والثلاثة والأكثر، فالتزمت ذلك حتى مات الممتحِن له وولي بعده من كان على مذهب السُّنَّة، فظهر أحمد وعلت إمامته، وكانت تُضرب إليه آباط الإبل، فكان يعرف لي حق صبري، فكنتُ إذا أتيتُ حلقته فسَّح لي، ويقصُّ على أصحاب الحديث قصتي، فكان يناولني الحديث مناولة، ويقرؤه عليَّ وأقرؤه عليه[1].

---

(١) أخلاق السلف في العلم والتعلم للمؤلف (٣١- ٨٥).

من فتاوىٰ العلم (لابن عثيمين)

س١: يتحرج بعض طلبة العلم الشرعي عند قصدهم العلم والشهادة، فكيف يتخلص طالب العلم من هذا الحرج؟

ج١: قال ابن عثيمين رحمه الله: يجاب على ذلك بأمور:

أحدها: أن لا يقصدوا بذلك الشهادة لذاتها، بل يتخذون هذه الشهادات وسيلةً للعمل في الحقول النافعة للخلق.

الثاني: إن من أراد العلم قد لا يجده إلا في هذه الكليات[1] فيدخل فيها بنية طلب العلم، ولا يؤثر عليه ما يحصل له من الشهادة فيما بعد.

الثالث: إن الإنسان إذا أراد بعمله الحُسنيين -حسن الدنيا وحسن الآخرة- فلا شيء عليه في ذلك؛ لأن الله يقول: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق: ٢-٣] وهذا ترغيبٌ في التقوى بأمر دنيوي[2].

س٢: ما الوسائل والطرق التي تدفع إلى علو الهمة في طلب العلم؟

ج٢: قال ابن عثيمين رحمه الله: ضعف الهمم في طلب العلم الشرعي من المصائب الكبيرة وهناك أمورٌ لا بد منها:

١- الإخلاص لله عز وجل في الطلب: فالإنسان إذا أخلص لله في الطلب وعرف أنه يُثاب على طلبه وسيكون في الدرجة الثالثة من درجات الأمة، فإن همته تنشط: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾[النساء: ٦٩].

---

(١) يعني: الكليات الشرعية.

(٢) كتاب العلم لابن عثيمين.

٢ - أن يلازم زملاء يحثونه على العلم ويساعدونه على المناقشة والبحث وألا يملَّ من صحبتهم ما داموا يعينونه على العلم...

٣- أن يُصبِّر نفسه؛ بمعنى: أن يحبسها لو أرادت أن تتفلت؛ قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[الكهف: ٢٨].

فليصبر، وإذا صبر وتعوَّد الطلب، صار الطلب سجيةً له وصار اليوم الذي يفقد فيه الطلب يومًا طويلًا عليه، أما إذا أعطي نفسه العنان فلا فالنفس أمارةٌ بالسوء والشيطان يحثه على الكسل وعدم التعلم.

س٣- ذكر الخطيب البغدادي جانباً من جوانب التعلم، وهو لزوم أحد العلماء أو أحد المشايخ، فما رأى فضيلتكم؟

ج٣- قال ابن عثيمين رحمه الله: هذا جيدٌ، وكون الإنسان يركز على شيخ من المشايخ يجعله هو الأصل لا سيما المبتدئ الصغير وإذا طلب العلم على عدة أناسٍ تذبذب؛ لأن الناس ليسوا على رأيٍ واحدٍ خصوصًا في عصرنا الآن وقال: ملازمة عالمٍ واحدٍ مهمةٌ جدًّا ما دام الطالب في أوَّل الطريق؛ لكي لا يتذبذب، ولهذا كان مشايخنا ينهونا عن مطالعة المغني، وشرح المهذب، والكتب التي فيها أقوال متعددة، عندما كنا في زمن الطلبة، وذكر لنا بعض مشايخنا أن الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن -رحمه الله- وهو من أكبر مشايخ نجد، مفتي الديار النجدية، ذكروا أنه كان مكبًّا على الروض المربع لا يطالع إلا إياه، ويكرره كلما انتهى منه كرره.

أما إذا توسعت مدارك الإنسان فهذا ينبغي له أن ينظر في أقوال العلماء يستفيد منها فائدةً علمية، وفائدة تطبيقية؛ لكن في أول الطلب أنا أنصح الطالب أن يركز على شيخٍ معين لا يتعداه[1].

---

(١) كتاب العلم (٧٢).

س٤: ذُكر عن ابن الوزير رحمه الله: أن الصحابة؛ أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعليا ﷺ لم يحفظوا القرآن الكريم؛ وكذلك ما ورد عن الأئمة كعثمان بن أبي شبية -على قدره- أنه لم يحفظ القرآن من الأشياء التي تدعو بعض طلبة العلم إلى ترك حفظ كتاب الله، هل هذا صحيح؟

ج٤: قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: أنا أستبعد أن أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعليًّا وهؤلاء الأجلة من الصحابة لم يحفظوا كتاب الله فهذا بعيد، وتعلم أن القرآن جُمع على عهد أبي بكر وعلى عهد عثمان، فكيف يجمعون ولا يحفظون؟! بعيدٌ جدًّا، حتى لو روي عنهم فيجب أن ننظر في الإسناد أولًا، ثم إذا صحَّ الإسناد، فنقول: إن الذي تحدث عنهم قال: إنهم لم يحفظوا القرآن كله، تحدث عن غير علم، ويبعد جدًّا أن مثل هؤلاء لا يحفظون القرآن، ولا ينبغي أن يُثني الرجل عن حفظ القرآن مثل هذه الروايات[1].

س٥: ما توجيه فضيلتكم لطالب العلم المبتدئ، هل يُقلِّد إمامًا من أئمة المذاهب أم يخرج عنه؟

ج٥: قال ابن عثيمين رحمه الله: قال الله عز وجل: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٧] **فإذا كان هذا طالبًا ناشئًا لا يعرف كيف يُخرج الأدلة فليس له إلا التقليد، سواء قلَّد إمامًا سابقًا ميتًا ، أو إمامًا حاضرًا، عالمًا من العلماء وسأله. هذا هو الأحسن، لكن إن تبينَّ له أن هذا القول مخالفٌ للحديث الصحيح وجب عليه أن يأخذ بالحديث الصحيح**[2].

س٦: ما طريقة طلب العلم باختصار؟

ج٦: قال ابن عثيمين رحمه الله: طريقة طلب العلم باختصار في نقاط:

١- احرص على حفظ كتاب الله تعالى واجعل لك كل يوم شيئًا معينًا تحافظ على قراءته ولتكن قراءتك بتدبر وتفهم.

---

(١) كتاب العلم (٧٣).

(٢) السابق (٧٧).

٢- احرص على حفظ ما تيسَّر من صحيح سُنَّة رسول الله ﷺ، ومن ذلك حفظ عمدة الأحكام.

٣- احرص على التركيز والثبات، بحيث لا تأخذ العلم نُتفًا: من هذا شيئًا، ومن هذا شيئًا؛ لأن ذلك يضيع وقتك ويُشتت ذهنك.

٤- ابدأ بصغار الكتب، وتأملها جيدًا، ثم انتقل إلى ما فوقها، حتى تحصل على العلم شيئا فشيئًا على وجه يرسخ في قلبك وتطمئن إليه نفسك.

٥- احرص على معرفة أصول المسائل وقواعدها وقيد كلَّ شيء يمر بك من هذا القبيل، فقد قيل: من حُرم الأصول حُرم الوصول.

٦- ناقش المسائل مع شيخك أو مع من تثق به علمًا ودينًا من أقرانك، ولو بأن تقدر في ذهنك أن أحدًا يناقشك فيها، إذا لم تتمكن من المناقشة مع غيرك[١].

س٧: ما حكم تعلم اللغة الإنجليزية في الوقت الحاضر؟

ج٧: تعلمها وسيلة فإذا كنت محتاجًا إليها كوسيلة في الدعوة إلى الله فقد يكون تعلمها واجبًا، وإن لم تكن محتاجًا إليها فلا تشغل وقتك بها واشتغل بما هو أهم وأنفع والناس يختلفون في حاجتهم إلى تعلم اللغة الإنجليزية وقد أمر النبي ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم لغة اليهود[٢] فتعلم اللغة الإنجليزية وسيلة من الوسائل إن احتجت إليها تعلمها وإن لم تحتج إليها فلا تضيع وقتك فيها[٣].

س٨: إذا كانت الأمة أحوج إلى العلوم المادية كالطب والهندسة وغيرها، فهل الأفضل للإنسان أن يتخصص في العلوم المادية أم العلوم الشرعية؟

ج٨: لا شكَّ أن الأصل هو العلوم الشرعية، ولا يمكن للإنسان أن يعبد الله حق

---

(١) كتاب العلم (٨١).

(٢) كتاب العلم (٨١).

(٣) صحيح. أحمد في المسند (٥/ ١٨٦).

عبادته إلا بالعلم الشرعي كما قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: ١٠٨] فلابد من العلم الشرعي الذي تقوم به حياة المرء في الدنيا والآخرة، ولا يمكن لأية دعوة أن تقوم إلا وهي مبنية على العلم، قال: والعلوم الشرعية تنقسم إلى قسمين:

١- قسمٌ لا بد للإنسان من تعلمه وهو ما يحتاجه في أمور دينه ودنياه.

٢- قسم آخر وهو فرض كفاية، فإنه هنا يمكن الموازنة بينه وبين ما تحتاجه الأمة من العلوم الأخرى التي ليست من العلوم الشرعية، وكذلك العلوم الأخرى التي ليست من العلوم الشرعية تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- قسم علوم ضارة: فيحرم تعلمها.

٢- قسم علوم نافعة فإنه يتعلم منها ما فيه النفع.

٣- وقسم العلوم التي جهلها لا يضرُّ والعلمُ بها لا ينفع وهذه لا ينبغي للطالب أن يقضي وقته فيها[1].

س ٩: نلاحظ أن أكثر الشباب يهتم بقراءة الكتب الثقافية العامة متأثرًا بها، وغير مهتم بكتب الأصول فما نصيحتكم؟

ج٩: قال ابن عثيمين رحمه الله: نصيحتي لنفسي أولًا ثم لإخواننا الطلبة أن يعتنوا بكتب أهل العلم من السلف، لأن كتب السلف فيها من الخير الكثير والعلم الكثير وفيها من البركة ما هو معلوم[2].

س١٠: ما فائدة تعلم طلاب العلم فرق المعتزلة والجهمية والخوارج مع عدم وجودها في هذا العصر؟

ج١٠: قال ابن عثيمين رحمه الله: تعلم فرق المبتدعة في هذا الزمان فيه فائدة وهي: أن تعرف مآخذ هذه الفرق لتردَّ عليهم إذا وُجدوا -وهم موجودون فعلًا. وقول السائل: إنهم لا جود لهم الآن مبنيٌّ على علمه هو، ولكن المعلوم عندنا وعند غيرنا ممن يطلعون

---

(١) كتاب العلم (٨٣- ٨٥).

(٢) كتاب العلم (٨٣- ٨٥).

على أحوال الناس أن هذه الفرق موجودة وأن لها نشاطًا أيضًا في نشر بدعهم، ولذلك لا بد أن نتعلم هذه الآراء حتى نعرف زيفها، ونعرف الحق، ونردَّ على من يجادلون فيها[١].

س ١١: نحن طلاب علم نحفظ الكثير من الآيات على سبيل الاستشهاد، وفي نهاية العام نكون قد نسينا الكثير منها، فهل ندخل في حكم مَنْ يُعَذَّبون بسبب نسيان ما حفظوه؟

ج١١: قال ابن عثيمين رحمه الله: نسيان القرآن له سببان:

الأول: ما تقتضيه الطبيعة.

والثاني: الإعراض عن القرآن وعدم المبالاة به.

فالأول لا يأثم به الإنسان، ولا يعاقب عليه فقد وقع من رسول الله ﷺ حين صلى بالناس ونسي آية فلما انصرف ذكره بها أبي بن كعب، فقال له النبي ﷺ: «هلَّا كنت ذكرتنيها»[٢].

وسمع رسول الله قارئًا يقرأ فقال: «يرحم الله فلانًا فقد ذكرني آيةً كنت أنسيتها»[٣].

وهذا يدل على أن النسيان الذي يكون بمقتضى الطبيعة ليس فيه لوم على الإنسان.

أما ما سببه الإعراض وعدم المبالاة فهذا قد يأثم به وبعض الناس يكيد له الشيطان، ويوسوس له ألا يحفظ القرآن لئلا ينساه ويقع في الإثم[٤].

س١٢: قد يعلم الإنسانُ شيئًا ويأمر به غيره وهو نفسه لا يعمله سواء كان فرضا أم نفلًا، فهل يحِلُّ له أن يأمر غيره بما لا يعمل؟

ج١٢: هنا أمران:

الأول: هذا الذي يدعو إلى الخير وهو لا يفعله نقول له: قال الله -عز وجل:

---

(١) كتاب العلم (٨٣- ٨٥).

(٢) حسنٌ. أحمد (٤/ ٧٤).

(٣) البخاري (٥٠٣٨).

(٤) كتاب العلم (٨٧).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[الصف: ٢-٣].

فنقول لهذا الرجل: أنت آثمٌ بتركك العمل بما علمت، وبما تدعو إليه، ولو بدأت بنفسك لكان ذلك من العقل والحكمة.

الثاني: بالنسبة للمأمور، فإنه لا يصلح له أن يحتجَّ على هذا الرجل بفعله، فإذا أمره بخير وجب عليه القبول(١).

س١٣- هل يُعذر الشخص بعد طلبه للعلم بسبب انشغاله بدراسته التي ليس بها طلبٌ للعلم الشرعي أو بسبب عمله، أو غير ذلك؟

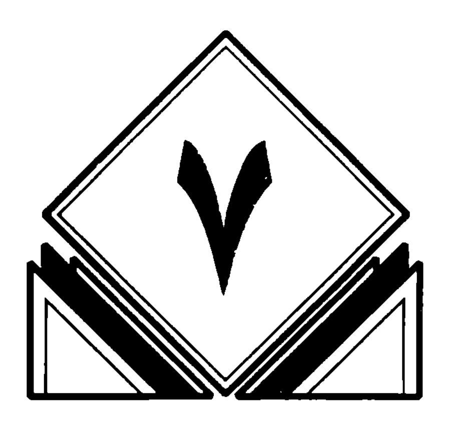
ج١٣: قال ابن عثيمين رحمه الله: طلب العلم الشرعي فرض كفاية إذا قام به مَنْ يكفي صار في حق الآخرين سُنَّة وقد يكون واجبًا على الإنسان عينًا، أي فرض عين، كما لو أراد الإنسان أن يتعبد الله بعبادة فإنه يجب عليه أن يعرف كيف يتعبد لله بهذه العبادة، وعلى هذا فهذا الذي يشغله عن طلب العلم الشرعي حاجة أهله أو غير ذلك من الصوارف مع المحافظة على ما يجب المحافظة عليه من العبادة نقول: إنه معذور ولا حرج عليه ولكن ينبغي أن يتعلم من العلم الشرعي بقدر ما يستطيع(٢).

---

(١) السابق (٨٨).

(٢) السابق (٩٥-٩٦).





التربية الفكرية



مقدمة

الحمد الله الذي تنزَّه عن النظير والعديل، وتقدَّس عما يقول أهلُ التعطيل، وتعالى عما يعتقد أهلُ التمثيل، أنعم على عباده بقبول القليل [1]، وتكرَّم عليهم بإعطاء الجزيل [2]، ونصب للعقل على وجوده أوضح دليل، وهدى إلى وجوده بأبين سبيل.

أحمده، كلما نطق بحمدٍ وقيل، وأشهد لا أن إله إلا الله وحده لا شريك له، تَنزَّه عما عنه قيل، وأصلِّ على النبي المصطفى النبيل، وعلى أبي بكر الذي لا يُبغضه إلا ثقيل، وعلى عمر وفضلُ عمر فضلٌ طويل، وعلى عثمان وكم لعثمان من فعلٍ جميل، وعلى عليٍّ وجحدُ قدر عليٍّ تغفيل [3].

---

(١) القليل: يقصد أنه لم يوجب عليهم إلا مفروضات قليلة، كالصلوات الخمس كل يوم وليلة، وكصيام شهر في العام -شهر رمضان- والزكاة، والحج للمستطيع وأشياء أخرى قليلة.

(٢) يُعطيهم على أعمالهم القليلة حسنات كثيرة، وذلك أن الحسنة بعشر أمثالها واللهُ يضاعف لمن يشاء.

(٣) التبصرة(١/ ١٦٠) بتصرف.

أهداف التربية الفكرية

١ – تنشئة الأولاد على الفكر السوي السليم.

٢ – تعليم الأولاد فكر الإسلام الشامل بمحاسنه ومآثره.

٣ – تأصيل وتأسيس نتيجة الفهم الإسلامي في سعادة الأولاد في حياتهم وفي آخرتهم.

٤ – حب الإسلام بفهمه والوقف على فكره البنَّاء، وأصوله الشاملة، وسماحته وأخلاقه الباهرة، والتي فيها صلاح البلاد والعباد.

٥ – التنفير من المذاهب الباطلة والأفكار الغير إسلامية المنحرفة والهدَّامة.

٦ – التحذير من مغبة اعتناق مذهب كفري أو عقيدة غير إسلامية باطلة، أو فكر ضالٍ.

٧ – التبصير بالآثار السلبية والنتائج الغير سوية في الدنيا والآخرة من جراء اعتناق فكرٍ باطل أو مذهب ساقط.

كيف نربي أولادنا فكريا؟

اعلم رحمك الله أن التربية الفكرية من أهم الأسس التربوية التي لا ينبغي بحال أن تُهمل من قِبَل المربين؛ حيث إن الولد يمكن أن يتربى على أسس تربوية أخرى بطريقة سليمة؛ ولكن دونها توجيه فكري على أساسٍ إسلامي، فترى العجب العجاب حينما ينشبُ الولد منحرفًا فكريًا، يحمل فكرًا شيعيًا، أو ينتهج نهج القدرية، أو الجهمية، أو المرجئة، أو الخوارج، أو يقع صريعًا في براثن المخططات العلمانية أو الشيوعية أو الماسونية أو الصليبية، هذا مُشاهدٌ في واقعنا المعاصر بلا خلاف.

لذا كانت هذه التربية الفكرية تربيةً ضرورية، وهي -كأنواع التربية الأخرى وأسسها- تحتاج إلى توجيهات نظرية إرشادية، تليها تفصيلاتٌ وتفسيراتٌ علمية، وتتبعها تطبيقاتٌ عملية من قبل الآباء والأمهات باتباع الفكر الإسلامي الرشيد - بشموله وكماله وجلاله وبهائه- علميًا وعمليًا في جميع المجالات والمعاملات، مع الحذر والتحذير والزجر والترهيب من المخططات التي تُحاك ليل نهار ضد الإسلام والمسلمين.

أما التوجيهات الإرشادية فتشمل الآتي:

١- تبصير الأولاد صغارهم وكبارهم وذكورهم وإناثهم بمحاسن الدين الإسلامي وشموله، وتمامه وكماله في جميع النواحي والمجالات، في العبادات، والعادات والمعاملات، والتشريعات، وفي السياسة والاقتصاد والاجتماع في بناء الأفراد والأمم والمجتمعات على أساسٍ إسلاميٍ كامل لا نقص فيه، تامٌ لا خلل فيه، لا كغيره من الأنظمة الوضعية والقوانين البشرية والعادات اللا أخلاقية والمعاملات الغير سوية.

٢- تبصير الأولاد بمناهج الفرق الضَّالة والجماعات المنحرفة الخارجة عن وسطية الإسلام والحاملة لأفكار باطلة ومذاهب ضالة مضلة، ومن أهمها الخوارج والشيعة والمرجئة والقدرية والجهمية والصوفية.

٣- تحذير الأولاد من المخططات التي يعكف عليها الأفاكون الآثمون من أعداء الإسلام على اختلاف مللهم ونحلهم، وما ذلك إلا للبغض والكراهية للإسلام وأهله، حسدًا من عند أنفسهم، ومن تلك المخططات المخططات الصليبية والماسونية والشيوعية والعلمانية.

٤- تبصير الآباء والأمهات ابتداءً ثم الأولاد ببعض الفتاوى الهامة حول تلك المذاهب الزائفة والأفكار الباطلة والفرق المنحرفة، هذا وإن ما سبق من توجيهات مجملة، مفصَّلٌ في الصفحات التالية بصورة أحسبها شافية كافية بإذن الله تعالى.

شمولية الدين الإسلامي ومحاسنه

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: إن دين الإسلام الذي جاء به محمدٌ ﷺ أكمل الأديان وأفضلها وأعلاها وأجلَّها، وقد حوى من المحاسن، والكمال، والصلاح، والرحمة، والعدل، والحكمة ما يشهد لله تعالى بالكمال المطلق، وسعة العلم والحكمة، ويشهد لنبيه ﷺ أنه رسول الله حقًّا، وأنه الصادق المصدوق، الذي لا ينطق عن الهوى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٤] فهذا الدين الإسلامي أعظم برهان، وأجلُّ شاهدٍ لله بالتفرد بالكمال المطلق كله، ولنبيه ﷺ بالرسالة والصدق.

واعلم أن محاسن الدين الإسلامي عامة؛ في جميع مسائله ودلائله، في أصوله وفروعه، وفيما دلَّ عليه من علوم الشرع والأحكام، وما دلَّ عليه من علوم الكون والاجتماع، وليس القصد هنا استيعاب ذلك وتتبعه، فإنه يستدعي بسطًا كثيرًا، وإنما الغرض ذكر أمثلة نافعة يُستدلُّ بها على سواها، وينفتح بها الباب لمن أراد الدخول، وهي أمثلة منتشرة في الأصول والفروع والعبادات والمعاملات.

المثال الأول: دين الإسلام مبنيٌّ على أصول الإيمان التي أمر الله بها عباده، وهي الأصول التي اتفق عليها الأنبياء والمرسلون، وهي محتوية على أجلِّ المعارف والاعتقادات؛ من الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه على ألسنة رسله، وعلى بذل الجهد في سلوك مرضاته.

فدينٌ أصله الإيمان بالله، وثمرته السعي في كل ما يحبه ويرضاه، وإخلاص ذلك لله هل يتصور أن يكون دينٌ أحسن منه وأجلَّ وأفضل؟! فهو يأمر بكل حق ويعترف بكل صدق، يأمر بمحاسن الأعمال ومكارم الأخلاق ومصالح العباد، ويحثُّ على العدل والفضل والرحمة والخير، ويزجر عن الظلم والبغي ومساوئ الأخلاق، وما من مصلحة دينية ودنيوية دعت إليها الشرائع إلا حثَّ عليها، ولا مفسدة إلا نهى عنها وأمر بمجانبتها.

المثال الثاني: شرائع الإسلام الكبار بعد الإيمان هي إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت الحرام، وانظر إلى ما تحتوي عليه الصلاة من الاشتغال بذكر الله الذي هو أكبر من كل شيء، وأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وانظر إلى حكم الزكاة وما فيها من التَّخلق بأخلاق الكرام من السخاء والجود والبعد عن أخلاق اللئام، والشكر لله على ما أولاه من الإنعام، وحفظ المال من المنغصات الحسية والمعنوية، وما فيها من الإحسان إلى الخلق ومواساة المحتاجين، وسداد المصالح المحتاج إليها، وفي الصوم من تمرين النفوس على ترك محبوبها الذي ألفته حبًا لله وتقربًا، وتعويد النفوس وتمرينها على قوة العزيمة والصبر.

وأما الحج والتنوع في عبوديات الله؛ في المشاعر التي هي موائد الله لعباده ووفود بيته، وما فيها من التعظيم والخضوع التام لله والتذكر لأحوال الأنبياء والمرسلين، وما فيها من التعارف بين المسلمين، والسعي في جمع كلمتهم، واتفاقهم على مصالحهم الخاصة والعامة مما لا يمكن تعداده؛ فإنه من أعظم محاسن الدين وأجل الفوائد الحاصلة للمؤمنين.

المثال الثالث: ما أمر به الشارع وحثَّ عليه من وجوب الاجتماع والائتلاف، ونهيه وتحذيره عن التفرق والاختلاف، وقد علم كل من له أدنى معقول منفعةَ هذا الأمر، وما يترتب عليه من المصالح الدينية والدنيوية، وما يندفع به من المضار والمفاسد.

المثال الرابع: إن دين الإسلام دين رحمة وبركة وإحسان، وحثَّ على منفعة نوع الإنسان، فما عليه هذا الدين من الرحمة وحسن المعاملة والدعوة إلى الإحسان والنهي عن كل ما يضاد ذلك هو الذي صيَّره نورًا وضياءً بين ظلمات الظلم والبغي وسوء المعاملة وانتهاك الحرمات.

المثال الخامس: دين الإسلام هو دين الحكمة، ودين الفطرة، ودين العقل والصلاح والفلاح، فليس في شريعة الإسلام ما تُحيله العقول، وإنما فيه ما تشهد العقول الزكية بصدقه ونفعه وصلاحه، وكذلك أوامره ونواهيه كلُّها عدلٌ لا ظلم فيها، فما أمر بشيءٍ إلا وهو خيرٌ خالصٌ أو راجحٌ، وما نهى إلا عن الشر الخالص، الذي مفسدته تزيد على مصلحته، وكلَّما تدبر اللبيب أحكامه ازداد إيمانًا بهذا الأصل، وعلم أنه تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ.

المثال السادس: ما جاء به هذا الدين من الجهاد والأمر بكل معروف والنهي عن كل منكرٍ، فإن الجهاد الذي جاء به مقصودٌ به دفع عدوان المعتدين على حقوق هذا الدين وعلى رد دعوته، وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لما كان لا يستقيم هذا الدين إلا باستقامة أهله على أصوله وشرائعه وامتثال أوامره، التي هي الغاية في الصلاح واجتناب نواهيه التي هي شرٌّ وفسادٌ، وكان ذلك لا يتم إلا بأمر ونهيٍ، بحسب ذلك كان ذلك من أجلِّ محاسن الدين.

المثال السابع: ما جاءت به الشريعة من إباحة البيوع، والإجارات، والشركات، وأنواع المعاملات التي تتبادل فيها المعاوضات بين الناس في الأعيان والديون والمنافع وغيرها، فمن تأمل المعاملات الشرعية رأى ارتباطها بصلاح الدين والدنيا وشهد لله بسعة الرحمة وتمام الحكمة؛ حيث أباح سبحانه لعباده جميع الطيبات من مكاسب ومطاعم ومشارب، وطرق المنافع المنظَّمة المحكمة.

المثال الثامن: ما جاءت به الشريعة من إباحة الطيبات من المطاعم، والمشارب، والملابس والمناكح وغيرها، فما أباحه فإنه من إحسانه سبحانه ومحاسن دينه، وما منعه فإنه من إحسانه حيث منعهم ما يضرهم، ومن محاسن دينه؛ وحيث إن الحسن تابعٌ للحكمة والمصلحة ومراعاة المضار.

المثال التاسع: ما شرعه الله ورسوله بين الخلق من الحقوق التي هي صلاحٌ وخيرٌ وإحسانٌ وعدلٌ وقسطٌ وتركٌ للظلم، وذلك كالحقوق التي أوجبها وشرعها للوالدين والأولاد والأقارب والجيران والأصحاب والمعاملين ولكل واحد من الزوجين على الآخر، وكلها حقوق ضروريات وكماليات، تستحسنها الفطر والعقول الزاكية، وتتم بها المخالطة، وتتبادل فيها المصالح والمنافع بحسب حال صاحب الحق ومرتبته.

المثال العاشر: ما جاءت به الشريعة من انتقال المال والتركات بعد الموت، وكيفية توزيع المال على الورثة، وضعها الله بنفسه بحسب ما يعلمه من قرب النفع، وما يحب العبد عادة أن يصل إليه ماله، وما هو أولى ببره وفضله.

المثال الحادي عشر: ما جاءت به الشريعة من الحدود وتنوعها بحسب الجرائم، وكلها فيها من المنافع والمصالح الخاصة والعامة ما يعرف به العاقل حسن الشريعة.

المثال الثاني عشر: ما جاءت به الشريعة من الأمر بالحجر على الإنسان عن التصرف في ماله إذا كان تصرفه مضرًّا به أو بغيره، كل هذا من محاسن الشريعة؛ حيث منعت الإنسان من التصرف في ماله الذي كان في الأصل مطلق التصرف فيه؛ ولكن لما كان تصرفه ضررَه أكثر من نفعه، وشرُّه أكبر من خيره حجر عليه الشارع حجرًا للتصرفات في ميدان المصالح وإرشادًا للعباد أن يسعوا في كل تصرف نافع غير ضار.

المثال الثالث عشر: ما جاءت به الشريعة من مشروعية الوثائق التي يتوثق بها أهل الحقوق، ولا يخفى ما في ذلك من المنافع المتنوعة وحفظ الحقوق وتوسيع المعاملات، وردها إلى القسط والعدل وصلاح الأحوال واستقامة المعاملات.

المثال الرابع عشر: ما حثَّ عليه الشارع من الإحسان الذي يُكسب صاحبه الأجر عند الله والمعروف عن الناس، ثم يرجع إليه ماله بعينه أو بدله، فيكون مكسب هذا النوع أجل المكاسب دون أن يلحق صاحبه ضررٌ.

المثال الخامس عشر: الأصول والقواعد التي جعلها الله أُسُسًا لفصل الخصومات وحل المشكلات وترجيح أحد المتداعيين على الآخر.

المثال السادس عشر: ما جاءت به الشريعة من الأمر بالشورى والثناء على المؤمنين؛ بأن جميع أمورهم؛ الدينية والدنيوية، الداخلية والخارجية- شورى بينهم، وهذا الأصل الكبير قد أجمع العقلاء على استحسانه وعلى أنه هو السبب الوحيد في سلوك أصلح الأحوال وأحسن الوسائل؛ لحصول المقاصد وإصابة الصواب، وسلوك طرق العدل.

المثال السابع عشر: أن هذه الشريعة جاءت بإصلاح الدين وإصلاح الدنيا، والجمع بين مصلحة الروح والجسد.

المثال الثامن عشر: أن الشرع جعل العلم والدين والولاية والحكم متآزرات متعاضدات، فالعلم والدين يقوِّم الولايات، وتنبني عليه السلطة والأحكام، والولايات كلها مقيدة بالعلم والدين الذي هو الحكمة وهو الصراط المستقيم وهو الصلاح والفلاح والنجاح، فحيث كان الدين والسلطة مقترنين متساعدين فإن الأمور تصلح كما أن الأحوال تستقيم.

المثال التاسع عشر: إن الشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولا بما ينقضه العلم الصحيح، وهذا من أكبر الأدلة على أن ما عند الله محكمٌ ثابتٌ صالحٌ لكل زمان ومكان.

المثال العشرون: دين الإسلام مبني على العقائد الصحيحة النافعة وعلى الأخلاق الكريمة المهذبة للأرواح والعقول، وعلى الأعمال المُصلِحة للأحوال، وعلى البراهين في أصوله وفروعه، وعلى نبذ الوثنيات والتعلق بالمخلوقين والمخلوقات، وإخلاص الدين لله رب العالمين، وعلى نبذ الخرافات والخزعبلات المنافية للحسّ والعقل المحيرة للفكر، وعلى الصلاح المطلق، وعلى رفع كل شرٍّ وفسادٍ، وعلى العدل ورفع الظلم بكل طريقٍ، وعلى الحث على الرقي لأنواع الكمالات[1].

---

(١) الدرة المختصرة في محاسن الدين الإسلامي للسعدي (٣- ٢٦) باختصار.

التبصير بالفرق الضالة والمذاهب الباطلة

على الوالدين مع أولادهم في البيت، والمدرس مع طلابه في المدرسة، والدكتور مع طلابه في الجامعات والمعاهد، وكل ولي مع رعيته أن يبصرهم بالفرق الضالة والمذاهب الباطلة، وحتى لا يقعوا في شراكها فيكون الضلال والإضلال، والفساد والإفساد، وما من أحد قد تم توعيته فكريًّا بهذه المذاهب الآثمة والفرق الزائفة الباطلة إلا وهو في مأمن من التلبس بها أو الوقوع في شراكها، وفيما يلي عرضٌ سريعٌ وموجزٌ يسيرٌ عن تلك الفرق والمذاهب حتى يكون الولد على بصيرة من أمره.

١ - الخوارج: هم أول الفرق خروجًا عن السُّنَّة والجماعة.

قال ابن تيمية رحمه الله: وكان المسلمون في خلافة أبي بكر وصدرٍ من خلافة عثمان في السنة الأولى متفقين لا تنازع بينهم، ثم حدث في أواخر خلافة عثمان أمورٌ أوجبت نوعًا من الترف، وقام قومٌ من أهل الفتنة والظلم فقتلوا عثمان فتفرق المسلمون بعد مقتل عثمان، ولما اقتتل المسلمون في صفين، واتفقوا على تحكيم حَكمين خرجت الخوارج على أمير المؤمنين عليٍ بن أبي طالب وفارقوه، وفارقوا جماعة المسلمين إلى مكان يقال له: (حاروراء) فكفَّ عنهم أمير المؤمنين، وقال: لكم علينا أن لا نمنعكم حقكم من الفيء ولا نمنعكم المساجد، إلى أن استحلوا دماء المسلمين وأموالهم فقتلوا عبد الله بن خباب، وأغاروا على سرح المسلمين فعلم عليٌّ أنهم الطائفة التي ذكرها رسول الله ﷺ حيث قال: « **يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم، ويقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمروقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، آتيهم فيهم رجل مخدج اليد عليها بضعة شعرات**» وفي رواية: « **يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان**» فخطب الناس وأخبرهم بما سمع من رسول الله ﷺ، وقال: هم هؤلاء القوم، قد سفكوا الدم الحرام وأغاروا على سرح الناس فقاتلهم، ووجد العلامة بعد أن كادت لا توجد فسجد لله شكرًا[1].

وقال أيضًا: وكانت البدعة الأولى مثل بدعة الخوارج إنما هي من سوء فهمهم للقرآن ولم يقصدوا معارضته؛ ولكن فهموا منه ما لم يدل عليه، فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٢).

الذنوب إذ كان المؤمن هو البر التقي، قالوا: فمن لم يكن برًّا تقيًّا فهو كافرٌ مخلدٌ في النار، ثم قالوا: وعثمان وعلي ومن والاهما ليسوا بمؤمنين؛ لأنهم حكموا بغير ما أنزل الله، فكانت بدعتهم لها مقدمتان:

١ - أن من خالف القرآن بعمل أو برأي أخطأ فيه فهو كافر.

٢ - أن عثمان وعليًّا ومن والاهما كانوا كذلك.

ولهذا يجب الاحتراز من تكفير المسلمين بالذنوب والخطايا، فإنه أول بدعة ظهرت في الإسلام فكفَّر أهلُها المسلمين واستحلوا دماءهم وأموالهم، وقد ثبت عن النبي ﷺ أحاديث صحيحة في ذمِّهم والأمر بقتالهم، وقال الإمام أحمد بن حنبل ؓ: صحَّ فيهم الحديث من عشرة أوجه، ولهذا قد أخرجها مسلم في صحيحه، وأفرد البخاري قطعة منها، وهم مع هذا إنما قصدوا اتِّباع القرآن، فكيف بمن تكون بدعته معارَضة القرآن والإعراض عنه[١].

وقال: والخوارج لا يتمسكون من السُّنَّة إلا بما فسر مجملها دون ما خالف ظاهر القرآن عندهم، فلا يرجمون الزاني، ولا يرون للسرقة نصابًا، وحينئذٍ فقد يقولون: ليس في القرآن مرتد، فقد يكون المرتد عندهم نوعين[٢].

وقال: وإذا عُرف أصل البدع فأصل قول الخوارج أنهم يكفرون بالذنب ويعتقدون ذنبًا ما ليس بذنب، ويرون اتباع الكتاب دون السُّنَّة التي تخالف ظاهر الكتاب، وإن كانت متواترة، ويكفِّرون من خالفهم ويستحلون منه -لارتداده عندهم- ما لا يستحلون من الكافر الأصلي[٣].

وقال: وأصل مذهبهم تعظيم القرآن وطلب اتباعه؛ لكن خرجوا عن السُّنَّة والجماعة، فهم لا يرون اتباع السُّنَّة التي يظنون أنها تخالف القرآن كالرجم ونصاب السرقة، وغير ذلك فضلُّوا.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٠).

(٢) السابق (١٣/ ٤٨).

(٣) السابق (٣/ ٣٥٥).

فإن الرسول أعلمُ بما أُنزل عليه، واللهُ قد أنزل الكتاب والحكمة، وجوَّزوا على النبي ﷺ أن يكون ظالمًا، فلم ينقادوا لحكم النبيﷺ ولا لحكم الأئمة بعده، بل قالوا: إن عثمان وعليًّا ومن والاهما قد حكموا بغير ما أنزل الله، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون؛ فكفَّروا عامة المسلمين بهذا وبغيره، وتكفيرهم وتكفير سائر أهل البدع مبنيٌّ على مقدمتين باطلتين؛ إحداهما: أن هذا يخالف القرآن. والثانية: أن مَنْ خالف القرآن يكفر وإن كان مخطئًا أو مذنبًا معتقدًا للوجوب والتحريم[1].

٢- الشيعة أو الرافضة

الشيعة أو الرافضة حدثوا أيضًا بعد مقتل عثمان ﷺ وإن كانوا مختفين بقولهم؛ حيث لم يكن لهم جماعة ولا إمام ولا دار ولا سيف يقاتلون به المسلمين؛ ولكنهم لا يقِلُّون خطرًا عن الخوارج إن لم يكونوا أخطر الفرق بإطلاق على السُّنَّة والجماعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وحدث في أيام عليٍّ الشيعة؛ لكن كانوا مختفين بقولهم لا يظهرونه لعليٍّ وشيعته، بل كانوا ثلاث طوائف:

١- طائفة تقول: إنَّه إله، وهؤلاء لما ظهر عليهم أحرقهم بالنار، وخدَّ لهم أخاديد عند باب مسجد بني كندة، وقد روُي أنه أجَّلهم ثلاثًا.

٢- والثانية: السَّابة[2]، وكان[3] قد بلغه عن أبي السوداء أنه كان يسبُّ أبا بكرٍ وعمر فطلبه؛ قيل: إنه طلبه ليقتله فهرب منه.

٣- والثالثة: المفضِّلة، الذين يفضِّلونه[4] على أبي بكر وعمر، فتواتر عنه أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، وروى ذلك البخاري في صحيحه عن محمد بن الحنفية أنه سأل أباه: من خير الناس بعد رسول الله؟ فقال: أبو بكر، قال: ثم من؟ قال: عمر.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٠٨).
(٢) أي: التي تسبُّ أبا بكر وعمر.
(٣) أي: علي.
(٤) أي: يفضلون عليًّا.

وكانت الشيعة الأولى لا يتنازعون في تفضيل أبي بكر وعمر، وإنما كان النزاع في عليٍّ وعثمان، ولهذا قال شريك بن عبد الله: إن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر، فقيل له: تقول هذا وأنت من الشيعة؟! فقال: كل الشيعة كانوا على هذا، وهو الذي قال هذا على أعواد منابره، أفنكذبه فيما قال؟! ولهذا قال سفيان الثوري: من فضَّل عليًّا على أبي بكر وعمر فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار، وما أرى يصعد له إلى الله -عز وجل- عملٌ وهو كذلك. رواه أبو داود في سننه، وكأنه يعرض بالحسن بن صالح بن حيي، فإن الزيدية الصالحة، وهم أصلح طوائف الزيدية يُنسبون إليه.

ولكن الشعية لم يكن لهم في ذلك الزمان جماعة ولا إمام ، ولا دار، وسيف يقاتلون به المسلمين، وإنما كان هذا للخوراج؛ تميزوا بالإمام والجماعة والدار، وسموا دارهم دار الهجرة، وجعلوا دار المسلمين دار كفرٍ وحربٍ؛ وكلا الطائفتين تطعن بل تُكفِّر ولاة المسلمين، وجمهور الخوارج يكفِّرون عثمان وعليًّا ومن والاهما.

والرافضة يلعنون أبا بكر وعمر وعثمان ومن والاهما، ولكن الفساد الظاهر كان في الخورج من سفك الدماء، وأخذ الأموال، والخروج بالسيف؛ ولهذا جاءت الأحاديث الصحيحة بقتالهم.

وأما لفظ الرافضة فهذا اللفظ أول ما ظهر في الإسلام لما خرج زيد بن علي بن الحسين في أوائل المائة الثانية في خلافة هشام بن عبد الملك، واتَّبعه الشيعة، فسئل عن أبي بكر وعمر، فتولاهما وترحَّم عليهما، فرفضه قومه، قال: رفضتموني، رفضتموني، فسُمُّوا الرافضة.

فالرافضة تتولى أخاه أبا جعفر محمد بن علي، والزيدية يتولون زيدًا ويُنسبون إليه، ومن حينئذٍ انقسمت الشيعة إلى زيدية ورافضة إمامية[1] غلوا[2] في الأئمة وجعلوهم معصومين، يعلمون كل شيء، وأوجبوا الرجوع إليهم في جميع ما جاءت به الرسل ، فلا يعرِّجون لا على القرآن ولا على السُّنَّة، بل على قول من ظنوه معصومًا.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٣- ٣٦).

(٢) يعني: الشيعة.

وانتهى الأمر بالائتمام بإمام معدومٍ لا حقيقة له، فكانوا أضل من الخوارج، فإن أولئك(١) يرجعون إلى القرآن وهو حقٌّ وإن غلطوا فيه، وهؤلاء لا يرجعون إلى شيء، بل إلى معدومٍ لا حقيقة له، ثم إنما يتمسكون بما يُنقل لهم عن بعض الموتى، فيتمسكون بنقل غير مصدقٍ عن قائل غير معصوم؛ ولهذا كانوا أكذب الطوائف.

والخوارج صادقون، فحديثهم من أصحِّ الحديث، وحديث الشيعة من أكذب الحديث، ولكن الخوارج دينهم المعظم مفارقة جماعة المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم، والشيعة تختار هذا لكنهم عاجزون، والزيدية تفعل هذا، والإمامية تفعله تارة، وتارةً يقولون: لا نقتل إلا تحت راية إمام معصومٍ.

والشيعة استتبعوا أعداء الملة من الملاحدة والباطنية وغيرهم، ولهذا أوصت الملاحدة -مثل القرامطة الذين كانوا في البحرين وهم من أكفر الخلق، ومثل قرامطة المغرب ومصر، وهم كانوا يستترون بالتشيُّع- أوصوا بأن يُدخل على المسلمين من باب التشيُّع، فإنهم يفتحون الباب لكل عدوٍّ للإسلام من المشركين وأهل الكتاب والمنافقين، وهم من أبعد الناس عن القرآن والحديث.

انتحلت الخوارج كتاب الله، وانتحلت الشيعة أهل البيت، وكلاهما غيرمتبع لما انتحله، فإن الخوارج خالفوا السُّنَّة التي أمر القرآن باتباعها، وكفَّروا المؤمنين الذين أمر القرآن بموالاتهم؛ ولهذا تأول سعد بن أبي وقاص فيهم هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٧] وصاروا يتتبعون المتشابه من القرآن، فيتأولونه على غير تأويله، من غير معرفةٍ منهم بمعناه، ولا رسوخٍ في العلم، ولا اتباعٍ للسنة، ولا مراجعة لجماعة المسلمين الذين يفهمون القرآن(٢).

وهؤلاء الروافض إن لم يكونوا شرًّا من الخوارج المنصوصين فليسوا دونهم، والرافضة كفَّرت أبا بكر وعمر وعثمان وعامة المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه، وكفَّروا جماهير أمة محمد ﷺ من المتقدمين والمتأخرين.

---

(١) يعني: الخوارج.

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٠٩).

ويُكفِّرون أعلام الملة، ويستحلون دماء من خرج عنهم، ويسمون مذهبهم مذهب الجمهور، ويرون أن كُفرهم أغلظ من كفر اليهود والنصارى؛ لأن أولئك عندهم كفارٌ أصليون وهؤلاء مرتدون، وكُفر الردة أغلظ بالإجماع من الكفر الأصلي؛ ولهذا السبب يعاونون الكفار على الجمهور من المسلمين، فهم أشدُّ ضررًا على الدين وأهله، وأبعد عن شرائع الإسلام من الخوارج الحرورية؛ ولهذا كانوا أكذب فرق الأمة، وقد أشبهوا اليهود في أمور كثيرة، لاسيما السامرة من اليهود، ويشبهون النصارى في الغلو في البشر والعبادات والمبتدعة وفي الشرك وغير ذلك، وهم يوالون اليهود والنصارى والمشركين على المسلمين وهذه شيم المنافقين.

وهم مع هذا يُعطِّلون المساجد التي أمر الله أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه، فلا يقيمون فيها جُمعةً ولا جماعة، فبهذا يتبيَّن أنهم شرٌّ من عامة أهل الأهواء وأحقُّ بالقتال من الخوارج[١].

وأصلُ قول الرافضة: إن النبي ﷺ نصَّ على عليٍّ نصًّا قاطعًا للعذر، وإنه إمامٌ معصومٌ، ومن خالفه كفر، وإن المهاجرين والأنصار كتموا النص، وكفروا بالإمام المعصوم، واتبعوا أهواءهم، وبدلوا الدين وغيَّروا الشريعة، وظلموا واعتدوا، بل كفروا إلا نفرًا قليلًا، إما بضعة عشر أو أكثر، ثم يقولون: إن أبا بكر وعمر ونحوهما ما زالا منافقين، وقد يقولون: بل آمنوا ثم كفروا، وأكثرهم يُكفِّر من خالف قولهم، ويُسمُّون أنفسهم المؤمنين ومن خالفهم كفَّارًا، ويجعلون مدائن الإسلام التي لا تظهر فيها أقوالهم دار ردَّة، أسوأ حالًا من مدائن المشركين والنصارى.

ولهذا يوالون اليهود والنصارى والمشركين على بعض جمهور المسلمين، ومعاداتهم ومحاربتهم كما عرف من موالاتهم الكفار المشركين على جمهور المسلمين ومن موالاتهم الإفرنج النصارى على جمهور المسلمين، ومن موالاتهم اليهود على جمهور المسلمين، ومنهم ظهرت أمهات الزندقة والنفاق، كزندقة القرامطة الباطنية وأمثالهم، ولا ريب أنهم أبعد طوائف المبتدعة عن الكتاب والسُّنَّة.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٧٧- ٤٨٣).

ولا ريب أنهم أشرُّ من الخوارج، لكن الخوارج كان لهم في مبدء الإسلام سيفٌ على أهل الجماعة، وموالاتهم الكفار أعظم من سيوف الخوارج. فإن القرامطة والإسماعيلية ونحوهم من أهل المحاربة لأهل الجماعة، وهم منتسبون إليها، وأما الخوارج فهم معروفون بالصدق، والروافض معروفون بالكذب، والخوارج مرقوا من الإسلام، وهؤلاء نبذوا الإسلام(١).

٣- المرجئة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وحدثت المرجئة، وكان أكثرهم من أهل الكوفة، ولم يكن أصحاب عبد الله من المرجئة ولا إبراهيم النخعي وأمثاله، فصاروا نقيض الخوارج والمعتزلة، فقالوا: إن الأعمال ليست من الإيمان، وكانت هذه البدعة أخف البدع، فإن كثيرًا من النزاع فيها نزاع في الاسم واللفظ دون الحكم، إذ كان الفقهاء يُضاف إليهم هذا القول؛ مثل حماد بن أبي سليمان، وأبي حنيفة وغيرهما، هم مع سائر أهل السُّنَّة متفقين على أن الله يعذب من يعذبه من أهل الكبائر بالنار، ثم يخرجهم بالشفاعة كما جاءت الأحاديث الصحيحة بذلك، وعلى أنه لا بد في الإيمان أن يتكلم بلسانه، وعلى أن الأعمال المفروضة واجبة، وتاركها مستحقٌّ للذم والعقاب(٢).

والمرجئة ثلاثة أصناف

١- الذين يقولون: الإيمان مجرد ما في القلب، ثم من هؤلاء من يُدخل فيه أعمال القلوب، وهم أكثر فرق المرجئة، ومنهم من لا يُدخلها في الإيمان كجَهم ومن اتَّبعه.

٢- والقول الثاني: من يقول: هو مجرد قول اللسان، وهذا لا يُعرف لأحدٍ قبل الكرَّامية.

٣- والقول الثالث: تصديق القلب وقول اللسان، وهذا هو المشهور عند أهل الفقه والعبادة منهم، وهؤلاء غلطوا من وجوه:

أحدها: ظنهم أن الإيمان الذي فرضه الله على العباد متماثل في حق العباد، وأن الإيمان الذي يجب على شخصٍ يجب مثله على كل شخصٍ، وليس الأمر كذلك.

---

(١) السابق (٣/ ٣٥٦).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٨- ٤٣).

والوجه الثاني: من غلط المرجئة ظنهم أن ما في القلب من الإيمان ليس إلا التصديق فقط، دون أعمال القلوب، كما تقدَّم عن جهمية المرجئة.

والثالث: ظنهم أن الإيمان الذي في القلب يكون تامًّا بدون شيء من الأعمال؛ ولهذا يجعلون الأعمال ثمرة الإيمان ومقتضاه، بمنزلة السبب مع المسبب، ولا يجعلونها لازمةً له. والتحقيق: أن إيمان القلب التام يستلزم العمل الظاهر بحسبه لا محالة ويمتنع أن يقوم بالقلب إيمانٌ تامٌّ بدون عمل ظاهرٍ[1].

٤- القدرية، ٥- الجهمية

ظهرت القدرية في آخر عصر الصحابة، حيث بدأ الخوض في القدر إلى أن تبلور إلى تيارين أساسين:

١- القدرية النفاة: المنكرون للقدر، والذين اشتهروا بعد ذلك باسم (القدرية) أو المعتزلة.

٢- والقدرية المجبرة: المنكرون للقدرة البشرية، والذين اشتهروا بعد ذلك باسم (الجهمية).

ثم أضافت كل فرقة منهما إلى مقالها في القدر مقالات أخرى مبتدعة وإن اتفقت الفرقتان على مبدأ نفي الصفات عن الله -عز وجل- بعضها أو كلها.

قال ابن تيمية رحمه الله: ثم في آخر عصر الصحابة حدثت القدرية، وأصل بدعتهم كانت من عجز عقولهم عن الإيمان بقدر الله والإيمان بأمره ونهيه، ووعده ووعيده، وظنوا أن ذلك ممتنع، وكانوا قد آمنوا بدين الله، وأمره ونهيه، ووعده ووعيده، وظنوا أنه إذا كان ذلك كذلك لم يكن قد علم قبل الأمر من يطيع ومن يعصي؛ لأنهم ظنوا أنه إن علم ما سيكون لم يحسن منه أن يأمر وهو يعلم أن المأمور يعصيه ولا يطيعه، وظنوا أيضًا أنه إذا علم أنهم يُفسدون لم يحسن أن يخلق من يعلم أنه يُفسد، فلما بلغ قولهم بإنكار القدر السابق الصحابة أنكروا إنكارًا عظيمًا، وتبرءوا منهم، حتى قال عبد الله بن عمر: لو أن لأحدهم مثل أحدٍ ذهبًا فأنفقه ما قَبِله الله منه حتى يؤمن بالقدر، وذكر عن أبيه حديث جبريل، وهذا أول حديث في صحيح مسلم، وقد أخرجه البخاري ومسلم من طريق أبي هريرة أيضًا مختصرًا.

---

(١) السابق (٧/ ١٩٤- ٢٠٤).

ثم كثُر الخوض في القدر، وكان أكثر الخوض فيه بالبصرة والشام وبعضه بالمدينة، فصار مقتصدوهم وجمهورهم يقرون بالقدر السابق وبالكتاب المتقدم، وصار نزاع الناس في الإرادة وخلق أفعال العباد؛ فصاروا في ذلك حزبين:

١ - النفاة يقولون: لا إرادة إلا بمعنى المشيئة، وهو لم يُرد إلا ما أمر به، ولم يخلق شيئًا من أفعال العباد.

٢ - وقابلهم الخائضون في القدر من (المجبرة)[1] مثل الجهم بن صفوان وأمثاله، فقالوا: ليست الإرادة إلا بمعنى المشيئة، والأمر والنهي لا يستلزم إرادة، وقالوا: العبد لا فعل له ألبتة ولا قدرة، بل الله هو الفاعل القادر فقط، وكان جهم مع ذلك ينفي الأسماء والصفات، ويُذكر عنه أنه قال: لا يُسمِّى الله شيئًا ولا غير ذلك من الأسماء التي تسمَّى بها العباد إلا القادر فقط؛ لأن العبد ليس بقادر.

وكان الخوارج قد تكلموا في تكفير أهل الذنوب من أهل القبلة، وقالوا: إنهم كفارٌ مخلدون في النار، فخاض الناس في ذلك، وخاض في ذلك القدريةُ بعد موت الحسن البصري؛ فقال عمرو بن عبيد وأصحابه: لا هم مسلمون ولا كفار، بل منزلة بين المنزلتين، وهم مخلدون في النار؛ فوافقوا الخوارج على أنهم مخلَّدون وعلى أنه ليس معهم من الإسلام والإيمان شيءٌ، ولكن لم يُسمُّوهم كفارًا.

وقيل: إن قتادة كان يقول: أولئك المعتزلة، وتنازع الناس في الأسماء والأحكام؛ أي في أسماء الدين، مثل مسلم ومؤمن، وكافر وفاسق، وفي أحكام هؤلاء في الدنيا والآخرة.

فالمعتزلة وافقوا الخوارج على حكمهم في الآخرة، دون الدنيا، فلم يستحلوا من دمائهم وأموالهم ما استحلته الخوارج، وفي الأسماء أحدثوا المنزلة بين المنزلتين، وهذه خاصة المعتزلة التي انفردوا بها وسائر أقوالهم قد شاركهم فيها غيرهم[2].

وأصل ضلال القدرية ظنهم أن القدر يناقض الشرع، فصاروا حزبين:

---

(١) الجبرية.

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٦- ٣٨).

١- حزبًا يعظمون الشرع والأمر والنهي، والوعد الوعيد، واتباع ما يحبه الله ويرضاه، وهجر ما يبغضه وما يسخطه، وظنوا أن هذا لا يمكن أن يجمع بينه وبين القدر.

٢- وحزبًا يُغلِّب الشرع فيُكذِّب بالقدر وينفيه، أو ينفي بعضه، وحزبًا يغلب القدر فينفي الشرع في الباطن أو ينفي حقيقته، ويقول: لا فرق بين ما أمر الله به وما نهى عنه في نفس الأمر، الجميع سواء، وكذلك أولياؤه وأعداؤه، وكذلك ما ذكر أنه يحبه وذكر أنه يبغضه، لكنه فرَّق بين المتماثلين بمحض المشيئة، يأمر بهذا وينهى عن مثله، فجحدوا الفرق والفصل بين التوحيد والشرك، وبين الإيمان والكفر، وبين الطاعة والمعصية، وبين الحلال والحرام.

فهؤلاء نفوا حكمته وعدله، وأولئك نفوا قدرته ومشيئته، أو قدرته ومشيئته وعلمه، وهؤلاء ضاهوا المجوس في الإشراك بربوبيته، حيث جعلوا غيره خالقًا، وأولئك ضاهوا المشركين الذين لا يفرقون بين عبادته وعبادة غيره، بل يجوِّزون عبادة غيره، كما يجوزون عبادته.

فالقدرية أصلهم أنه لا يمكن إثبات قدرته وحكمته، إذ لو كان قادرًا لفعل غير ما فعل، فلما لم يفعله دلَّ على أنه غير قادر، وقالوا: تثبت حكمته كما يثبت حكمه.

وقالت المجبرة: بل قدرته ثابتة بلا حكمة، ولا يجوز أن يفعل لحكمة، ثم من حقق منهم أنكر الشرع بالكلية وأنكر النبوات، وأما من كان منهم مقرًّا بالنبوة فأنكر الشرع في الباطن، وقال: العارف لا يستحسن حسنةً ولا يستقبح سيِّئةً؛ فصار منافقًا يظهر خلاف ما يُبطن، ويقول الشرع لأجل المارستان. ولهذا يُسمَّون باطنية، كما سموا الملاحدة باطنية. فإن كلاهما يُبطن خلاف ما يُظهر؛ يُبطنون تعطيل ما جاء به الرسول من الأمر والنهي، فمنتهى الجهمية المجبرة إما مشركون ظاهرًا وباطنًا، وإما منافقون يبطنون الشرك [1].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢١١- ٢١٤).

أقسام القدرية

قال ابن تيمية رحمه الله: القدرية ثلاثة أصناف:

١- قدرية مشركة ٢- قدرية مجوسية ٣- وقدرية إبليسية

١- فأما الأولون (القدرية المشركة)

فهم الذين اعترفوا بالقضاء والقدر، وزعموا أن ذاك يوافق الأمر والنهي، وقالوا: ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴾، فهؤلاء يؤول أمرهم إلى تعطيل الشرائع والأمر والنهي، مع الاعتراف بالربوبية العامة لكل مخلوق.

وقالوا: وأنه ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ﴾، وهو الذي يبتلي به كثيرًا طوائف من الصوفية والفقراء، حتى يخرج من يخرج منهم إلى الإباحة للمحرمات، وإسقاط الواجبات ورفع العقوبات، وقد يغلو أصحاب هذا الطريق حتى يجعلوا عين الموجودات هي الله، ويتمسكون بموافقة الإرادة القدرية في السيئات الواقعة منهم ومن غيرهم.

ولما كان في هؤلاء شوبٌ من النصارى، والنصارى فيهم شوبٌ من الشرك، تابعوا المشركين فيما كانوا عليه من التمسك بالقدر المخالف للشرع.

٢- المجوسية

الذين يجعلون لله شركاء في خلقه، كما جعل الأولون لله شركاء في عبادته، فيقولون: خالق الخير غير خالق الشر. ويقول من كان منهم في ملتنا: إن الذنوب الواقعة ليست واقعة بمشيئة الله تعالى، وربما قالوا: ولا يعلمها أيضًا. ويزعمون أن هذا هو العدل ويضمون إلى ذلك سلب الصفات، ويسمونه التوحيد، وهذا يقع كثيرًا -إما اعتقادًا وإما حالًا- في كثيرٍ من المتفقهة والمتكلمة، كما وقع اعتقاد ذلك في المعتزلة والشيعة المتأخرين.

ولما بين الطائفتين من التنافي تجد المعتزلة أبعد الناس عن الصوفية، ويميلون إلى اليهود، وينفرون عن النصارى، ويجعلون إثبات الصفات، وهو قول النصارى بالأقانيم.

٣- القدرية الإبليسية

الذين صدَّقوا بأن الله صدر عنه الأمران، لكن عندهم هذا تناقض، وهم «خصماء الله» كما جاء في الحديث.

وهؤلاء كثيرٌ في أهل الأقوال والأفعال من سفهاء الشعراء، ونحوهم من الزنادقة، كقول أبي العلاء المعري:

أنهيتُ عن قتل النفوس تعمُّدًا … وزعمت أن لها معادًا آتيًا

ما كان أغناها عن الحالين … ....

وقول بعض السفهاء الزنادقة:

يخلق نجومًا وبينها أقمارا … يا قوم غضوا عنها الأبصار

ترمي النسوان وتزعق معشر الحضار … اطفوا الحريق وبيدك قد رميت النار

ونحو ذلك مما يوجب كفر صاحبه وقتله [1].

وأما المعتزلة: فهم ينفون الصفات، ويقاربون قول جهم [2] لكنهم ينفون القدر، فهم وإن عظموا الأمر والنهي والوعد الوعيد وغلوا فيه فهم يكذبون بالقدر، ففيهم نوعٌ من الشرك من هذا الباب [3].

وأصولهم خمسة يسمونها:

١- التوحيد ٢- العدل ٣- والمنزلة بين المنزلتين ٤- إنفاذ الوعد ٥- والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

لكن معنى (التوحيد) عندهم يتضمن نفي الصفات. ومعنى (العدل) عندهم يتضمن التكذيب بالقدر، وهو خلق أفعال العباد، وإرادة الكائنات والقدرة على الشيء، ومنهم من ينكر تقدم العلم والكتاب.

وأما (المنزلة بين المنزلتين) فهي عندهم أن الفاسق لا يُسمى مؤمنًا بوجه من الوجوه، كما لا يُسمى كافرًا، فأنزلوه منزلة بين المنزلتين.

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٢٢٦- ٢٦٠) باختصار.

(٢) هو الجهم بن صفوان، الذي ينسب إليه فرقة الجهمية، وكان يقول: إن الإيمان مجرد تصديق القلب، ويقول: إن الله لا يُرى في الآخرة، ولا يكلم عباده، وإنه ليس له علمٌ ولا حياة ولا قدرة ونحو ذلك من الصفات، وكان يقول: القرآن مخلوق، وعلى ذلك أتباعه.

(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ١٠٣، ١٠٤).

و(إنفاذ الوعد) عندهم معناه أن فساق الملة مخلدون في النار، لا يخرجون منها بشفاعة ولا بغير ذلك، كما تقول الخوارج.

(والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) يتضمن عندهم جواز الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف(١).

٦- الصوفية ومخاطرها

للفكر الصوفي ضلالات ومخالفات ومخاطر ينبغي التنبيه عليها والتنويه إليها، وقد اخترت أشهرها وأخطرها ومنها:

١- صرف الناس عن القرآن والسُّنَّة

أ- يزعم الصوفية أن التدبر في القرآن يصرف النظر عن الله، وجعلوا الفناء في الله في زعمهم هو غاية الصوفي، وقال الشعراني في كتابه الأسود (الكبريت الأحمر) يقول الله -عز وجل- في بعض الهواتف الإلهية: يا عبادي الليل لي، لا للقرآن يُتلى، إن لك في النهار سبحًا طويلًا، فاجعل الليل كله لي، وما طلبتك إذا تلوت القرآن بالليل لتقف مع معانيه، فإن معانيه تفرقك عن المشاهدة... فآية تذهب بك إلى جنتي وما أعددت فيها لأوليائي، فأين أنا إذا كنت في جنتك؛ مع الحور متكئًا على فرش بطئنها من إستبرق... وآية تذهب بك إلى جهنم فتعاين ما فيها من أنواع العذاب، فأين أنا إذا كنت مشغولًا بما فيها من أنواع العذاب...(٢).

وهذه زندقة عظيمة، فهذا الكلام الذي ساقه هذا الأثيم لا يدل إلا على جهل عظيم، إذ هو كلامٌ لا أساس له من الصحة أولًا، ويخالف النصوص الواردة الصحيحة من جهة أخرى، فأين هو من قول الله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]وأين هو من قول الله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]

ب- ويزعمون أن أجر أذكارهم المبتدعة أفضل من القرآن، وقال أحمد التيجاني وغيره: إن صلاة الفاتح تعدل كل ذكر تُلي في الأرض ستة آلاف مرة.

---

(١) السابق (١٣/ ٣٨٦).

(٢) الكبريت الأحمر على هامش اليواقيت والجواهر (٢١).

جـ- ويزعمون أن من قرأ القرآن وفسَّره عاقبه الله؛ لأن للقرآن أسرارًا ورموزًا وظهرًا وبطنًا لا يفهمها إلا الشيوخ الكبار، ومن تعرَّض لشيء من تفسيره أو فهمه عاقبه الله عز وجل.

د- يجعلون القرآن والحديث هو الشريعة والعلم الظاهر، وأما العلوم الأخرى فهي في زعمهم أكمل وأعلى من القرآن، كما قال أبو يزيد البسطامي: خضنا بحرًا وقف الأنبياء بساحله.

٢- فتح باب التأويل الباطني لنصوص القرآن والحديث

قال ابن الجوزي في وصف ذلك: وقد جمع أبو عبد الرحمن السلمي في تفسير القرآن من كلامهم الذي أكثره هذيان نحو مجلدين سماها (حقائق التفسير) فقال في فاتحة الكتاب عنهم: إنهم قالوا إنما سُميِّت فاتحة الكتاب؛ لأنها أوائل ما فاتحناك به من خطابنا، فإن تأدبت بذلك وإلا حُرمت لطائف ما بعد.

من أمثلة تأويلاتهم:

١- ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ﴾ قال أبو عثمان: غرقى في الذنوب.

٢- ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ قال النوري أي: من هواجس نفسه ومن وساوس الشيطان.

٣- ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ قال سهل: هو القلب، ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ النفس، ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ الجوارح.

٤- ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ قال محمد بن علي: ما هذا بأهل أن يُدعى إلى المباشرة.

٣- إتلاف العقيدة الإسلامية

إن أول ما يستهدف الفكر الصوفي إتلاف وإفساد العقيدة الإسلامية النقية؛ عقيدة الكتاب والسُّنَّة، وذلك أن الفكر الصوفي خليطٌ كاملٌ لكل الفلسفات والخزعبلات والخرافات التي انتشرت في العالم قديمًا وحديثاً، فليس هناك من كفرٍ وزندقةٍ وإلحادٍ إلا دخل الفكر الصوفي، وتلبَّس بالعقيدة الصوفية.

فمن القول بوحدة الوجود، وأن كل موجود هو الله، وإلى القول بحلول ذات الله أو صفاته في المخلوقين، إلى القول بالعصمة، إلى الزعم بالتلقي من الغيب، إلى القول بأن محمدًا هو قبة العالم، وهو المستوي على عرش الله، إلى القول بأن الأولياء يديرون العالم ويتحكمون في الكون، وأستطيع أن أقول: إنه لا توجد عقيدة شركية في الأرض إلا وقد نُقلت إلى الفكر الصوفي.

فشيخ الصوفية هو ابن عربي الزنديق الذي زعم أن فرعون أعلم بالله من موسى، وأن من عبدوا العجل ما عبدوا إلا الله؛ لأن العجل في عقيدته الخبيثة مظهر من مظاهر الإله، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا، بل وعبدة الأصنام عنده ما عبدوا إلا الله؛ لأن الله عنده هو كل هذه المظاهر المتفرقة، فهو الشمس والقمر والإنس والجن والملائكة، والشياطين، بل والجنة والنار والحيوان والنبات والجماد، فما عُبد في الأرض إلا الله، وما إبليس عند ابن عربي إلا جزءٌ من الله، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وقد جعلت الصوفية هذه العقيدة هي سر الأسرار، وغاية الغايات، ومنتهى الإرادات، ودرجة الواصلين الكاملة، ومنتهى أمل العارفين.

٤- الدعوة إلى الفسق والفجور

قال ابن عقيل: وأنا أذم الصوفية لوجوهٍ يُوجب الشرع ذم فعلها؛ منها أنهم اتخذوا مناخ البطالة، وهي الأربطة، فانقطعوا إليها عن الجماعات في المساجد، فلا هي مساجد ولا بيوت ولا خانات، وصمدوا فيها للبطالة عن أعمال المعاش وبدنوا أنفسهم بدن البهائم للأكل والشرب والرقص والغناء ...

وقال: ويستصحبون المردان في السماعات؛ يجلبونهم في الجموع مع ضوء الشموع، ويخالطون النسوة الأجانب؛ ينصبون لذلك حجة إلباسهم الخرقة، ويستحلون بل يوجبون اقتسام ثياب الطرب ويسمون الطرب وجدًا، والدعوة وقتًا، واقتسام ثياب الناس حكمًا.

٥- استحلال الحشيش والمخدرات

قال ابن عقيل: وقد أبدلوا إزالة العقل بالخمر بشيء سموه الحشيش والمعجون والغناء المحرم.

ملخص عقيدة الصوفية

١- في الله: يعتقد المتصوفة في الله عقائد شتى؛ منها الحلال، ومنها وحدة الوجود، حيث لا انفصال بين الخالق والمخلوق، وأعلام هذه العقيدة: ابن عربي، وابن سبعين، والتلمساني، وعبد الكريم الجيلي، وعبد الغني النابلسي، وعامة رجال الصوفية.

٢- في الرسول: منهم من يزعم أن الرسول ﷺ لم يصل إلى مرتبتهم وحالهم، وأنه كان جاهلًا بعلوم رجال التصوف، كما قال البسطامي: خُضنا بحرًا وقف الأنبياء بساحله، ومنهم من يعتقد أن الرسول (محمدا) هو قبة الكون، وهو الله المستوي على العرش، وأن السموات والأرض والعرش والكرسي وكل الكائنات خُلقت من نوره، وأنه أول موجود، وهو المستوي على العرش، وهذه عقيدة ابن عربي ومن جاء بعده.

٣- في الأولياء: عامتهم يجعل الولي مساويًا لله في كل صفاته، فهو يخلق ويرزق ويحي ويميت ويتصرف في الكون، ولهم تقسيمات للولاية؛ فهناك الغوث المتحكم في كل شيء في العالم، والأقطاب الأربعة الذين يمسكون الأركان الأربعة في العالم بأمر الغوث، والأبدال السبعة الذين يتحكم كل واحد منهم في قارة من القارات السبع بأمر الغوث، ومنهم النجباء وهم المتحكمون في المدن، في كل نجيب في مدينة من المدن. وهكذا فشبكة الأولياء العالمية هذه تتحكم في الخلق، ولهم ديوان يجتمعون فيه في غار حراء كل ليلة ينظرون في المقادير، وباختصار عالم الأولياء عالمٌ خُرافي.

٤- في الجنة والنار: يعتقد الصوفية أن طلب الإنسان للجنة منقصَةٌ عظيمة، وأنه لايجوز للولي أن يسعى إليها، ومن فعل فهو ناقص، وإنما الطلب عندهم والرغبة في الفناء المزعوم في الله، والاطلاع على الغيب والتصرف في الكون، هذه هي جنة الصوفي المزعومة، وأما النار فيعتقد الصوفية أن الفرار من النار لا يليق بالصوفي الكامل؛ لأن الخوف منها طبع العبيد وليس الأحرار، ومنهم من تبجَّح أنه لو بصق على النار لأطفائها، ومنهم من يعتقد أن من أُدخل النار تكون عليه عذوبةً ونعيمًا لا يقلُّ عن نعيم الجنة بل يزيد، وهذه عقيدة ابن عربي ومن على شاكلته.

٥- في إبليس وفرعون: يعتقد عامة الصوفية أن إبليس أكمل العباد وأفضل الخلق توحيدًا؛ لأنه لم يسجد إلا لله بزعمهم، وأن الله قد غفر له ذنوبه وأدخله الجنة، وكذلك

فرعون عندهم أفضل الموحدين لأنه قال: (أنا ربكم الأعلى) فعرف الحقيقة؛ لأن كل موجود هو الله، وهو في زعمهم قد آمن ودخل الجنة.

٦- في العبادات: يعتقد الصوفية أن العبادات من صلاة وصيام وحج وزكاة وغيرها إنما هي عبادات العوام، وأما هم فيسمون أنفسهم الخاصة أو خاصة الخاصة، ولهم عبادات مخصوصة، كذكر مخصوص بكيفية مخصوصة، والخلوة والأطعمة المخصوصة والألبسة المخصوصة والحفلات الخاصة، وفي معتقدهم أن النبي قد بعث بهذه الشريعة للعوام، أما شريعة الصوفي للخواص، لذا لا يضرهم الاختلاط بين الرجال والنساء وشرب الخمور والمخدرات والغناء والرقص ونحو ذلك.

٧- في الحلال الحرام: بالنسبة لأهل وحدة الوجود في الصوفية لا يعتقدون أن هناك محرمًا عليهم؛ لذا ترى منهم اللوطية والزنادقة والمدمنين والزناة ونحوهم، ومنهم من يعتقد أن التكاليف قد سقطت عنه، وأُحلَّ له ما كان محرَّمًا على غيره.

٨- في الحكم والسلطان والسياسة: في المنهج الصوفي عدم جواز مقاومة الشر ومغالبة السلاطين والظلمة؛ لأن الله في زعمهم أقام العباد فيما أراد وأحب.

٩- في التربية: يستحوذون على عقول الناس ويلغونها بإدخالها في طريق متدرج، يبدأ بالتأنيس، ثم بالتهويل والتعظيم لشأن الصوفية ورجالها، ثم بالتلبيس على الشخص، ثم بالذبِّ لعلوم التصوف شيئًا فشيئًا، ثم بالربط بالعقيدة والطريقة، وسد جميع الطرق بعد ذلك للخروج[1].

---

(١) فضائح الصوفية، عبد الرحمن عبد الخالق (٥- ٥٥) باختصار وتصرف.

مخططات يجب الحذر منها

١ - مخططات صليبية

بعد انتهاء الحروب الصليبية ذهب الصليبيون المجرمون يفكرون ويخططون للإطاحة بالإسلام والقضاء على المسلمين، وانتهجوا في ذلك خطوات مدروسة منها:

أ- إنهاء الخلافة الإسلامية والإطاحة بالحكم الإسلامي

وكانت الخلافة الإسلامية بقيادة العثمانيين، ولكن دبَّ الضعف والوهن في الدولة العثمانية، حينها انتهزت الدول الصليبية هذه الفرصة للإطاحة بالحكم الإسلامي، فعقدت مفاوضات بمؤتمر (لوزان) لإبرام صلح بين المتحاربين، ولكن إنجلترا اشترطت شروطًا لخروجها من أرض تركيا وتشمل:

١ - إلغاء الخلافة الإسلامية، وطرد الخليفة من تركيا، ومصادرة أمواله.

٢ - تعهد تركيا بإخماد كل الحركات الإسلامية.

٣ - قطع تركيا لصلتها بالإسلام والارتباط بتعاليمه.

٤ - استبدال النظام الإسلامي بدستور مدني.

فنفَّذ المجرم الخائن مصطفى كمال أتاتورك هذه الشروط، واعترف الإنجليز والحلفاء باستقلال تركيا، وباركوا جهود أتاتورك في إلغاء الخلافة وعلمنة الدولة ومحاربة الإسلام.

ب- القضاء على القرآن وقطع علاقة المسلمين به

ولهم في ذلك نصائح قذرة، وكلمات إجرامية، ومنها قول الحاكم الفرنسي في الجزائر بمناسبة مرورة مائة عام على احتلالها: يجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم؛ حتى ننتصر عليهم.

وقول المبشر الصليبي (وليم جيفورد): متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذٍ أن نرى العرب يتدرجون في طريق الحضارة الغربية بعيدًا عن محمد وكتابه.

وقول المجرم غلادستون في مجلس العموم البريطاني، وقد رفع المصحف أمام المجتمعين: ما دام هذا القرآن موجودًا في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان.

جـ- إزالة الفكر الإسلامي ومحو الشخصية الإسلامية

ولهذا خرجت حملات التبشير التنصرية بغية سلخ المسلمين من إسلامهم وإذابتهم في الحضارات الغربية والديانات الكفرية، ولهم في ذلك أقوال منها قول المبشر (تكلي): يجب أن نُشجع إنشاء المدارس على النمط الغربي العلماني؛ لأن كثيرًا من المسلمين قد زُعزع اعتقادهم بالإسلام والقرآن حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية، وتعلموا اللغات الأجنبية.

وقول صموئيل زويمر (رئيس جمعيات التبشير) في مؤتمر القدس للمبشرين المنعقد عام ١٩٣٥م: إن للتبشير بالنسبة للحضارة الغربية ميزتين؛ مزية هدم، ومزية بناء؛ أما الهدم فنعني به انتزاع المسلم من دينه ولو بدفعه إلى لإلحاد، وأما البناء فنعني به تنصير المسلم إن أمكن؛ليقف مع الحضارة الغربية ضد قومه.

د- القضاء على وحدة المسلمين والسعي إلى تفكيكها

قال المبشر لورانس براون: إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية أمكن أن يُصبحوا لعنةً على العالم وخطرًا، أو أمكن أن يُصبحوا أيضًا نعمة له، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذٍ بلا وزن ولا تأثير.

هـ- تحرير المرأة من تعاليم الإسلام ومبادئه

بدعواتهم الكاذبة الآثمة للتحضر والمدنية، وتحرير المرأة من قيود الإسلام بزعمهم، والمطالبة بمساواتها مع الرجل في العمل والحقوق والميراث وغير ذلك، وتقلد المناصب ونحوها، والدعوة إلى الإباحية الساقطة، والانحلالية الآثمة، اقتداءً بالغرب والشرق، ولسلخ المرأة من عقيدتها الإسلامية وتربيتها الدينية، ولتقويض الإسلام عن طريق إغراق شبابه وشبَّاته في الفواحش والخمور والمخدرات والسهرات والحفلات، وكل ذلك سلاحهم فيه المرأة، فإنهم متى كسبوها وأخرجوها عن التزامها بإسلامها أصبحت طُعمًا يصطادون به ويفتنون به ويغررون به، حتى يسقط الشباب، ومن ثم يسقط الإسلام بسقوط أبنائه.

٢- الماسونية

الماسونية هي جمعية سرية سياسية تهدف إلى القضاء على الأديان والأخلاق الفاضلة، وإحلال القوانين الوضعية والنظم غير الدينية محلها، وتسعى جهدها في إحداث انقلابات مستمرة وإحلال سلطة مكان أخرى بدعوى حرية الفكر والرأي والعقيدة، ويؤيد ذلك ما أعلنه الماسوني في مؤتمر الطلاب الذي انعقد في ١٨٦٥م في مدينة ليج (التي تُعتبر أحد المراكز الماسونية) من قوله: يجب أن يتغلب الإنسان على الإله، وأن يعلن الحرب عليه، وأن يخرق السموات ويمزقها كالأوراق.

ويؤيده ما ذُكر في المحفل الماسوني الأكبر سنة ١٩٢٢م صفحة (٩٨) ونصه : سوف نُقوِّي حرية الضمير في الأفراد بكل ما أوتينا من طاقة، وسوف نعلنها حربًا شعواء على العدو الحقيقي للبشرية الذي هو الدين، ويؤيده أيضًا قول الماسونيين: إن الماسونية تتخذ من النفس الإنسانية معبودًا لها، وقولهم: إنا لا نكتفي بالانتصار على المتدينين ومعابدهم، وإنما غايتنا الأساسية إبادتهم من الوجود.

وقولهم: ستحل الماسونية محل الأديان، و أن محافلها ستحلُّ محل المعابد، إلى غير هذا مما فيه شدة عداوتهم للأديان وحربهم لها حربًا شعواء، لا هوادة فيها.

والجمعيات الماسونية من أقدم الجمعيات السرية التي لا تزال قائمة، ولا يزال مُنشئها غامضًا، وغايتها غامضة على كثير من الناس، بل لا تزال غامضة على كثير من أعضائها؛ لإحكام رؤسائها ما بيَّتوا من مكرٍ سيِّئٍ وخداعٍ دفين، ولشدة حرصهم على كتمان ما أبرموه من تخطيطٍ وما قصدوا إليه من نتائج وعنايات؛ ولذا يُدبَّر أكثر أمورها شفويًّا، وقد وضعت أسس الماسونية على نظريات فأخذت من مصادر عدة، وأكثرها التقاليد اليهودية.

ويؤيد ذلك أن النظم والتعاليم اليهودية هي التي اتخذت أساسًا لإنشاء المحفل الأكبر سنة ١٧١٧م، ولوضع رسومه ورموزه، وأن الماسونيين لا يزالون يقدسون حيرام اليهودي، ويقدسون الهيكل والمعبد الذي شيده، حتى اتخذوا منه نماذج للمحافل الماسونية في العالم، وأن كبار الأساتذة من اليهود لا يز ـ ـ العمود الفقري للماسونية، وهم الذين يمثلون الجمعيات اليهودية في المحافل الماسونية، وإليهم يرجع انتشار الماسونية والتعاون بين

الماسونيين في العالم، وهم القوة الكامنة وراء الماسونية، وإلى خواصهم تسند قيادة خلاياها السرية، يدبرون أمرها، ويرسمون الخطط لها ويوجهونها سرًّا كما يشاءون.

ويؤيد ذلك ما جاء في مجلة أكاسيا الماسونية سنة ١٩٠٨ م عدد (٦٦) فيه: أنه لا يوجد محفل ماسوني خالٍ من اليهود، وأن جميع اليهود لا تحتضن المذاهب، بل هنالك المبادئ فقط، وكذلك الحال عند الماسونية؛ ولهذه العلة تعتبر المعابد اليهودية خليفتنا.

ولذا نجد بين الماسونيين عددًا كبيرًا من اليهود، ويؤيد ذلك ما ذُكر في سجلات الماسونية من قولهم: لقد تيقَّن اليهود أن خير وسيلة لهدم الأديان هي الماسونية، وأن تاريخ الماسونية يشابه تاريخ اليهود في الاعتقاد، وأن شعارهم هو نجمة داود المسدسة، ويعتبر اليهود والماسونية أنفسهم معًا الأبناء الروحيين لبناة هيكل سليمان، وأن الماسونية التي تزيف الأديان الأخرى تفتح الباب على مصراعيه لإعلاء اليهودية وأنصارها.

وقد استفاد اليهود من بساطة الشعوب وحسن نيتها فدخلوا في الماسونية، واحتلوا فيها المراكز الممتازة، وبذلك نفثوا الروح اليهودية في المحافل الماسونية وسخَّروها لأغراضهم.

ومما يدل على شدة حرصهم على سِرِّيتها وبذلهم الجهد في كتمان ما يخططون لهدم الأديان وتبييتهم المكر السيِّئ لإحداث الانقلابات السياسية ما جاء في بروتوكولات حكماء صهيون من قولهم: سوف نركز هذه الخلايا تحت قيادة واحدة معروفة لنا وحدنا، وستتألف هذه القيادة من علمائنا، وسيكون لهذه الخلايا ممثلوها الخصوصيون؛ كي تحجب المكان الذي تقيم فيه قيادتنا حقيقة، وسيكون لهذه القيادة وحدها الحق في تعيين من يتكلم وفي رسم نظام اليوم، وفي هذه الخلايا سنضع الحبائل والمصايد لكل الاشتراكيين وطبقات المجتمع الثورية، وإن معظم الخطط السرية معروفة لنا وسنهديها إلى تنفيذها حالما تتشكل، ولكن الوكلاء في البوليس الدولي السري تقريبًا سيكونون أعضاء في هذه الخلايا، وحينما تبدأ المؤامرات خلال العالم فإن بدأها يعني أن واحدًا من أشد وكلائنا إخلاصًا يقوم على رأس هذه المؤامرات، وليس إلا طبيعيًّا أننا كنا الشعب الوحيد الذي يوجه المشروعات الماسونية، ونحن الشعب الوحيد الذي يعرف أن يوجهها، ونعرف الهدف الأخير لكل عمل على حين أن الأميين -أي غير اليهود- جاهلون بمعظم الأشياء الخاصة بالماسونية.



ولا يستطيعون حتى رؤية النتائج العاجلة لما هم فاعلون، إلى غير ذلك مما يدل على قوة الصلة بين اليهودية والماسونية، ومزيد التعاون بين الطائفتين في المؤامرات الثورية، وإحداث الحركات الهدامة، وعلى أن الماسونية في ظاهرها دعوة إلى الحرية في العقيدة والتسامح في الرأي والإصلاح العام للمجتمعات، ولكنها في حقيقتها ودخيلة أمرها دعوة إلى الإباحية والإنحلال، وعوامل هرج ومرج وتفكك في المجتمعات، وانفصام لعُرى الأمم ومعاول هدم وتقويض لصرح الشرائع ومكارم الأخلاق، وإفساد وتخريب العمران[1].

٣- الشيوعية

أظهرت إحدى الوثائق الشيوعية السرية أهداف الشيوعية القذرة للقضاء على الإسلام وأخلاقه وآدابه وسبلها إلى ذلك[2] في النقاط التالية:

١- مهادنة الإسلام لتتم الغلبة عليه لأجل، حتى نضمن أيضًا السيطرة ونجتذب الشعوب العربية للاشتراكية.

٢- تشويه سمعة رجال الدين، والحكام المتدينين، واتهامهم بالعمالة للاستعمار والصهيونية.

٣- تعميم دراسة الاشتراكية في جميع المعاهد والكليات والمدارس في جميع المراحل، ومزاحمة الإسلام ومحاصرته؛ حتى لا يصبح قوةً تهدد الاشتراكية.

٤- الحيلولة دون قيام حركات دينية في البلاد مهما كان شأنها ضعيفًا، والعمل الدائم بيقظة لمحو أي انبعاث ديني، والضرب بعنف لا رحمة فيه لكل من يدعو إلى الدين ولو أدى إلى الموت.

٥- ومع هذا لا يغيب عنا أن الدين له دوره الخطير في بناء المجتمعات؛ ولذا وجب أن نحاصره من كل الجهات وفي كل مكان، وإلصاق التهم به، وتنفير الناس منه بالأسلوب الذي لا ينمُّ عن معاداة الإسلام.

٦- تشجيع الكتاب الملحدين وإعطائهم الحرية كلها في مهاجمة الدين والشعور الديني والضمير الديني والعبقرية الدينية.

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٢/ ٣١٢- ٣١٤).

(٢) مجلة كلمة حق- محرم ١٣٨٧.

٧- قطع الروابط الدينية بين الشعوب قطعًا تامًّا، وإحلال الرابطة الاشتراكية محل الرابطة الإسلامية.

٨- المطلوب هو هدم الضمير الديني، وتعميم ما يهدم الدين من القصص والمسرحيات والمحاضرات والصحف والأخبار والمؤلفات التي تروج للإلحاد.

٩- مزاحمة الوعي الديني وطرد الوعي الديني.

١٠- خداع الجماهير بأن نزعم لهم أن المسيح اشتراكي وإمام الإشتراكية، ونقول عن محمد أنه إمام الاشتراكيين؛ لنجعلهم بشرًا عاديين؛ حتى يسهل علينا القضاء على الهالة التي أوجدوها لأنفسهم، وأوجدها لهم أتباعهم المهووسون.

١١- تفسير القرآن وقصصه تفسيرًا ماديًّا تاريخيًّا.

١٢- إخضاع جميع القوى الدينية للنظام الاشتراكي.

١٣- إشغال الجماهير بالشعارات الاشتراكية، والأناشيد الحماسية والوطنية والأغاني الوطنية، والشئون العسكرية والتنظيمات الحزبية، والمحاضرات المذهبية.

١٤- تحطيم القيم الدينية والروحية، بإظهار ما فيها من خلل وعيوب.

١٥- الهتاف الدائم بالثورة باعتبارها المنقذ الأول والأخير للشعوب من حكامها، والهتاف بأن الاشتراكية هي الجنة الموعود بها الجماهير الكادحة.

١٦- نشر الأفكار الإلحادية، وكل فكرة تضعف الشعور الديني، لا بأس باستخدام الدين لهدم الدين.

١٧- الإعلان بأن الاشتراكيين يؤمنون بالدين الصحيح وهو الاشتراكية، وترويج الإلحاد وإثبات أن الدين خرافة.

١٨- تحويل العرب إلى مسلمين اسمًا، اشتراكيين فعلًا.

١٩- الأخذ بتعاليم لينين ووصيته بأن يكون الحزب الاشتراكي خصمًا عنيدًا للدين.

٢٠- باسم تصحيح مفاهيم الإسلام وتنقيتها من الشوائب وتحت الستار الإسلامي يتم القضاء عليه بأن نستبدله بالاشتراكية.

٤- العلمانية

تعريف العلمانية: هي النظرية التي تقول: إن الأخلاق والتعليم يجب أن لا يكونا مبنيين على أسس دينية، وفي دائرة المعارف البرايطانية جاء تعريف العلمانية: بأنها حركة اجتماعية، تهدف إلى نقل الناس من العناية بالآخرة إلى العناية بالدار الدنيا فحسب، وقد قسَّمت دائرة المعارف البريطانية الإلحاد إلى قسمين:

١- إلحاد نظري ٢- إلحاد عملي

وجعلت العلمانية ضمن الإلحاد العملي.

تعريف كلمة علماني: جاء في القاموس الإنجليزي أن كلمة (علماني) تعني:

١- دنيوي أو مادي ٢- ليس بديني أو ليس بروحاني

٣- ليس بمترهب، ليس برهباني

صور العلمانية

١- العلمانية الملحدة: وهي التي تنكر الدين كلية، وتنكر وجود الله الخالق البارئ المصوِّر، ولا تعترف بشيء من ذلك، بل وتحارب وتُعادي من يدعو إلى مجرد الإيمان بوجود الله.

٢- العلمانية غير الملحدة: وهي علمانية لا تنكر وجود الله، وتؤمن به إيمانًا نظريًّا، لكنها تنكر تدخل الدين في شئون الدنيا، وتنادي بعزل الدين عن الدنيا.

حكم العلمانية في الإسلام

إن العلمانية بصورتيها السابقتين كفرٌ بواحٌ لا شكَّ فيه ولا ارتياب.

قال العلامة ابن باز -رحمه الله- وهو يتحدث عن نواقض الإسلام:

من اعتقد أن الأنظمة والقوانين التي يسنُّها الناس أفضل من شريعة الإسلام، أو أن نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في القرن العشرين، أو أنه كان سببًا في تخلف المسلمين، أو أنه يُحصر في علاقة المرء بربه، دون أن يتدخل في شئون الحياة الأخرى [١].

(١) العقيدة الصحيحة لابن باز (٢٨).

آثار وثمار العلمانية

١ - رفض الحكم بما أنزل الله، وإقصاء الشريعة عن كافة مجالات الحياة، والاستعاضة بالقوانين الوضعية عن الوحي الإلهي والسُّنَّة النبوية.

٢- تحريف التاريخ الإسلامي وتزييفه.

٣- إفساد التعليم وجعله خادمًا لنشر الفكر العلماني عن طريق:

أ- بث الأفكار العلمانية في ثنايا الكتب الدراسية.
ب- تقليص فترة تدريس المادة الدينية.
ج- منع تدريس نصوص دينية معينة.
د- تحريف النصوص الشرعية، بعرضها مبتورة؛ لتخدم أغراضهم وأهدافهم.
هـ- إبعاد المتدينين والملتزمين من التدريس.
و- تهميش المادة الدينية والتربية الإسلامية.

٤ - إذابة الفوارق بين حملة الرسالة الصحيحة وهم المسلمون وبين أهل التحريف والتبديل والإلحاد تحت مُسمًّى الوحدة الوطنية.

٥- نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية، عن طريق:

أ- محاربة الحجاب وفرض السفور والاختلاط في المدارس والمصالح والجامعات.
ب- إشاعة الرذيلة والإباحية والصور العارية عبر الشاشات والصحف والمجلات.
جـ- تقنين قوانين تبيح الرذيلة ولا تعاقب عليها، بل تحميها وتعتبرها من الحرية الشخصية ومن مظاهر الديمقراطية.

٦- محاربة الدعوة الإسلامية، عن طريق:

أ- تضييق الخناق على نشر الكتاب الإسلامي مع إفساح المجال للكتب الضالة والأفكار العلمانية الهدامة.
ب- إفساح المجال في وسائل الإعلام المختلفة للعلمانيين والمنحرفين.
ج- إعاقة الدعاة والخطباء والعلماء المسلمين وتكميم أفواههم ومنعهم من الدعوة بكل صورها.

د- التخلص من المسلمين الذين لا يهادنون العلمانية، عن طريق النفي أو السجن أو القتل والاغتيال.

هـ- منع الجهاد في سبيل الله، وإغلاق الحدود ومحاربة فكرة الجهاد في سبيل الله.

و- الدعوة إلى القومية الوطنية[1].

(١) العلمانية وآثارها الخبيثة للشيخ عبد الله بن جبرين باختصار (٦- ٢٨).

من فتاوىٰ التربية الفكرية

س١: هل يوجد في الإسلام طرق متعددة مثل الطريقة الشاذلية والطريقة الخلوتية وغيرها من الطرق؟

ج١: أجابت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد،،،

لا يوجد في الإسلام شيءٌ من الطرق المذكورة ولا ما أشبهها، والموجود في الإسلام هو ما دلت عليه الآيتان[1] والحديث وما دلّ عليه قولهﷺ «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**».

وقوله عليه الصلاة والسلام: «**لا تزال طائفةٌ من أمتي على الحق منصورة، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**» والحق هو اتباع القرآن الكريم، والسُّنَّة النبوية الصحيحة الصريحة، وهذا هو سبيل الله وهو الصراط المستقيم، وهو قصد السبيل وهو الخط الواضح المستقيم المذكور في حديث ابن مسعود[2]، والذي درج عليه أصحاب الرسولﷺ ورضي الله عنهم وأتباعهم من سلف الأمة ومن سار على نهجهم، وما سوى ذلك من الطرق والفرق هي السبل المذكورة في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم[3].

---

(١) يعني قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣] وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ...﴾ [النحل: ٩].

(٢) يعني حديث ابن مسعود الذي خط فيه النبي خطًا ثم قال: «**هذا سبيل الرشد...**» الحديث وأخرجه البخاري (٦٧١٧).

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة (٢/ ١٩٥، ١٩٦).



س٢- نرجو إلقاء الضوء على الفرق الصوفية، والشيعية؟

ج ٢- أجابت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد،،،

أولًا: من كان يدعو إلى كتاب الله تعالى وإلى ما ثبت عن رسول الله ﷺ من الأحاديث -ويعمل بذلك في نفسه وينكر ما خالف ذلك ويجتهد في إزالة ما أحدث من البدع ويتعاون مع أهل السُّنَّة ويواليهم ويعادي أهل البدع وينكر عليهم ما ابتدعوه في الإسلام على بينةٍ وبصيرةٍ- فهو من أهل السُّنَّة والجماعة.

ثانيًا: الطرق الصوفية طوائف شتى؛ منها التيجانية، والقادرية، والخلوتية... إلخ. ولا تخلو طائفة منها من البدع وإن تفاوتت في ذلك، فمنها المقلُّ ومنها المكثر.

ثالثًا: الشيعة فرقٌ كثيرةٌ، تزيد على العشرين فرقة، فاقرأ عنها في كتاب (الملل والنحل) للشهرستاني، وكتاب (الفصل في الملل والنحل) لابن حزم وكتاب (الفرق بين الفرق) للبغدادي، ومختصر كتاب الأئمة الاثنى عشرية، وكتاب (منهاج السُّنَّة) لابن تيمية، ففيها الكفاية، وفي وصف تلك الفرق وبيان منزلتها من الإسلام، وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم[1].

س٣- في الحي الذي أسكن فيه يوجد مسجد وتوجد زاوية تابعة لطريقة صوفية، هل تجوز الصلاة في هذه الزاوية؟

ج ٣: أجابت اللجنة الدائمة:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد،،،

لا تصلِّ مع هؤلاء الصوفية في زاويتهم، واحذر صحبتهم والاختلاط بهم؛ لئلا يصيبك ما أصابهم وتحرَّ الصلاة في مسجد جماعة يتحرون السُّنَّة ويحرصون عليها، وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم[2].

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٢/ ٢٠٥، ٢٠٦).

(٢) السابق (٢/ ٢٠٧).

س٤ : لقد ظهرت الآن فرق كثيرة من فرق الصوفية المتعددة؛ الشاذلية والإبراهيمية والقاديانية... إلخ، فما موقف الإسلام من هذه الفرق؟ وما موقفنا نحن كمسلمين نحوها، ونحو ما ينشر أتباعها من أفكار فاسدة تسيء إلى الدين الإسلامي؟

ج٤ - فأجابت اللجنة الدائمة:

الحمد الله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد،،،

نقرهم على ما وافقوا فيه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وننكرعليهم ما خالفوا فيه الكتاب والسُّنَّة، وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم[1].

س٥- هل تعتبر فرقة الإباضية من الفرق الضالة؛ من فرق الخوارج؟ وهل يجوز الصلاة خلفهم؟ مع الدليل.

ج٥ : أجابت اللجنة الدائمة:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد،،،

ففرقة الإباضية من الفرق الضالة؛ لما فيهم من البغي والعدوان والخروج على عثمان بن عفان وعلى رضي الله عنهما ولا تجوز الصلاة خلفهم وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم[2].

س٦ : بماذا تحكمون على الشيعة، وخاصة الذين قالوا: إن عليًّا في مرتبة النبي، وإن جبريل غلط بنزوله على محمدﷺ؟

ج٦ : أجابت اللجنة الدائمة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسوله وآله صحبه وبعد،،،

الشيعة فرقٌ كثيرةٌ، ومن قال منهم: إن عليًّا رضي الله عنه في مرتبة النبوة، وإن جبريل عليه السلام غلط فنزل على نبينا محمدٍ فهو كافرٌ، وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم[3].

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة (٢/ ٢١٣).

(٢) السابق (٢/ ٢٦٩، ٢٦١).

(٣) السابق (٢/ ٢٦٦).

س٧: هل يُعتبر الشيعة في حكم الكافرين؟ وهل يدعو المسلم الله تعالى أن ينصر الكفار عليهم؟

ج٧: أجاب ابن عثيمين -رحمه الله- قائلًا:

الشيعة، والصوب أن يقُال الرافضة؛ لأن تشيعهم لعلي بن أبي طالب ﷺ تشيعٌ متطرفٌ غالٍ لا يقبله علي ﷺ، فالرافضة كما وصفهم شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم) حيث قال: إنهم أكذب طوائف أهل الأهواء وأعظمهم شركًا، فلا يوجد في الأهواء أكذب منهم ولا أبعد عن التوحيد؛ حتى إنهم يخربون مساجد الله التي يُذكر فيها اسمه، فيعطلونها عن الجمعة والجماعات، ويعمرون المشاهد التي أقيمت على القبور، التي نهى الله ورسوله عن اتخاذها[1] وقال: الرافضة أمةٌ مخذولة ليس لَها عقلٌ صريحٌ، ولا نقلٌ صحيح، ولا دينٌ مقبولٌ، ولا دنيا منصورة[2].

وقال في الفتاوى[3]: وأصل قول الرافضة أن النبيﷺ نصَّ على عليٍّ نصًّا قاطعًا للعذر، وأنه إمامٌ معصومٌ ومن خالفه كفر، وأن المهاجرين والأنصار كتموا النصَّ، وكفروا بالإمام المعصوم، واتبعوا أهواءهم، وبدَّلوا الدين وغيروا الشريعة، وظلموا واعتدوا، بل كفروا إلا نفرًا قليلًا إما بضعة عشر أو أكثر، ثم يقولون: إن أبا بكر وعمر ونحوهما مازالا منافقين، وقد يقولون: بل آمنوا ثم كفروا، وأكثرهم يُكفِّر من خالف قولهم، ويسمون أنفسهم المؤمنين ومن خالفهم كفارًا، إلى أن قال: ومنهم ظهرت أمهات الزندقة والنفاق، كزندقة القرامطة الباطنية وأمثالهم.

وأما كوننا ندعو الله تعالى أن ينصر الكفار عليهم فلا حاجة إليه، وإنما ندعو الله تعالى: أن ينصر المسلمين الصادقين الذين يقولون بقلوبهم وألسنتهم: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠][4].

---

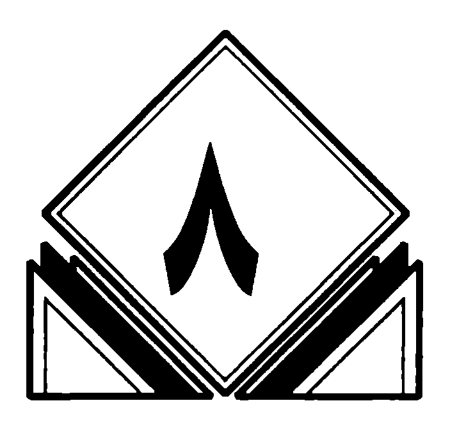
(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٣٩١).

(٢) السابق (٤٣٩).

(٣) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٥٦).

(٤) المجموع الثمين لابن عثيمين (٣/ ٨٦).





التربية الجهادية

مقدمة

الحمد لله الذي لطف بالبرايا إذ براهم وبرَّ ، وروَّح أوراح أهل الصلاح براح الفلاح وسَرَّ، واطَّلع على ضمير من نوى وسِرِّ مَنْ أسرَّ، قدَّر الأشياء فقضى الخير وقضى الشر، أمات وأحيا وأفقر وأغنى ونفع وضرَّ، جفَّ القلمُ بتقديره فمضى الأمرُ واستقر.

لطفُهُ عظيمٌ وجوده قد استمر، وما ألطفه بعبده إذ دعاه لدفع الضر، فلما كشف عنه ضُرَّه مَرَّ، رُبَّ أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبر، عليمٌ بانكسار من ندم، وإصرار من أصرَّ، وحليمٌ فإن سطا رأيت الأمر الأمرَّ، سميعٌ يسمع المذنب المضطر، بصيرٌ يرى في دجى الليل الذر.

أحمده على إنعام كلما احتلب دَرَّ، وأقرُّ بوحدانيته عن دليلٍ قد استقر، وأصلِّ على النبي المصطفى الذي عمَّت رسالته البحر والبَرَّ، وعلى أبي بكر الذي أنفق حتى تخلل وزرَّ[1]، وعلى عمر الزاهد فما غرَّه ما غرَّ، وعلى عثمان الذي ارتفع بالكرم فبرَّ وأبرَّ، وعلى عليٍّ الذي ما أقدم قطُّ ففرَّ[2].

---

(١) يعني زرَّر عباءته بشوكة؛ لأنه أنفق ماله كله على الإسلام وأرضاه.

(٢) التبصرة لابن الجوزي (٢/ ٢٩٦) بتصرف.



أهداف التربية الجهادية

١- تنمية روح الجهاد في نفوس الأبناء.

٢- توضيح أنواع الجهاد على اختلافها.

٣- الترغيب في الجهاد في سبيل الله بالآيات والأحاديث الصحيحة.

٤- إعلاء الهمم للجهاد في سبيل الله بذكر القصص الحقيقية والروايات الواقعية في جهاد السلف الصالح.

٥- التعريف بميادين الجهاد وأنواعها.

٦- التنفير من الركون إلى الدنيا وشهواتها، وترهيب أنفس الأولاد من التعلق بها.

٧- الترغيب في التضحية وبذل الأنفس والأموال ابتغاء مرضاة الله.

٨- تعويد الأولاد وترويضهم على التجلد والصبر والاخشوشان.

كيف نُربي أولادنا جهاديًا؟

اعلم -رحمك الله- أن كثيرين من ذوي النفوس الضعيفة المتخاذلة المتكاسلة المتصفة بالجبن والإحجام لا الإقدام، والتقاعس لا التنافس، إنما هي الثمرة المرة للتربية القاصرة والتي ما كان من أسسها الأساس الجهادي والذي هو أهم الأسباب، وهذا النوع من التربية يحتاج إلى توجيه وإرشاد من ناحية وتفصيل علمي من ناحية أخرى، ثم تطبيق عملي من قبل الآباء والأمهات من ناحية ثالثة، وأما عن التوجيهات النظرية فهاكم هي:

١- ينبغي على الآباء والأمهات زرع أهداف التربية الجهادية في نفوس أبنائهم وبناتهم من الصغر وعدم التقصير في ذلك، حتى يتلافى الآباء خروج جيل مُنْحَل لا عزيمة عنده ولا صبر، ولا شجاعة لديه ولا إقدام، ومن ثَمَّ تبوء تربيته بالفشل، ويجني الثمار السود للتربية القاصرة الخاوية.

٢- وعلى الآباء والأمهات تبصير أبنائهم وبناتهم بأنواع الجهاد وميادينه، وفهناك جهاد النفس الذي هو من الأهمية بمكان، بل لا تقوم لأي نوع آخر من الجهاد قائمة، إلا إذا قام جهاد النفس ابتداءً فهو بمثابة الأساس الذي عليه يقوم البنيان؛ فإنه عُدم الأساس فلا بناء بلا مراء.

وهناك جهاد الشيطان؛ لأن أعدى أعداء الإنسان هو الشيطان الذي يقعد للمسلم على صراطه المستقيم، ويأتيه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، فهو في جهاد دائم وصراع مستمر وحرب ضروس، يوشك أن يخرَّ صريعًا إن غفل في صراعة لحظة، فكيف لو غفل الساعات والأيام والشهور؛ لذا كان من الضرورة بمكان أن يعرِّف الآباء والأمهات أبناءهم كذا البنات بهذا العدو اللئيم من خلال كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ، وتعريفهم بالسبل الواقعية، والتحصينات الكافية التي بها يكونون في مأمن من هذا العدو اللدود.

وهناك جهاد الكفار والمشركين وقد ورد ذكره في العديد من الآيات وذُكِرَ فضله في العديد من الأحاديث، ومنزلته منزلة عظيمة، ومرتبته مرتبة كريمة، لا يحظى بأجرها وثوابها إلا الصادقون المتقون، الذين سلكوا الطريق القويم، مهتدين بآيات رب العالمين ومقتدين بسيد النبيين، فوفاهم الله أجرهم وآتاهم ثوابهم، فكانوا من المنعَّمين الخالدين في جنات رب العالمين.

وهناك جهاد المنافقين الذين عانى منهم الإسلام عناءً شديدًا وما سلم المسلمون منهم إلا ما شاء الله؛ لذا كان مصيرهم الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم وليًّا ولا نصيرًا، وهناك جهاد الظالمين، وقد سبق تعريف الظلم وأنواعه في التربية العقائدية، وهناك جهاد الفاسقين، وقد سبق تقسيم الفسق كذلك، فهذه الأنواع هي أهم أنواع الجهاد وميادينه، فينبغي التعريف بها والوقوف على أقسامها وهو أمر لا تخفى أهميته وتظهر دائما وأبدًا عظمته، فما بال كثير من المربين عنه غافلون؟!

٣- وعلى الآباء الحرص دائمًا خلال تربيتهم لأبنائهم أن يُعلوا هممهم ويزيدوا عزماتهم من خلال عرض قصص الشجعان والمجاهدين في سبيل الله، من الصَّحْب الكرام وأتباعهم الأبرار، فإن لذلك عظيم الأثر، وكبير الفائدة في تربية شخصية قوية فتية شجاعة مقدامة عالية الهمة، وتتوق نفسها إلى القمة، مع القمم الشامخة في الجنان بإذن ربهم الرحمن.

هذا وإن تفصيل المجمل السابق هو القادم اللاحق من خلال الصفحات التالية، التي أحسبها شافية كافية، بإذن الله تعالى.

اعلم -رحمك الله- أن الجنَّة تحت ظلال السيوف وأن الري الأعظم في شرب كئوس الحتوف وأن من اغبرت قدماه في سبيل الله... حرَّمه الله على النار، ومن أنفق الدينار... كتب له بسبعمائة دينار، وأن الشهداء حقًّا عند الله من الأحياء، وأن أرواحهم في جوف طير خضر تتبوأ من الجنة حيث تشاء، وأنه لا يحس ألم القتل إلا كمس القرصة، وكم للموت على الفراش من سكرة وغصَّة، فهذا فضل لا يضاهى وخيرٌ لا يتناهى، فهل من متعرض لهذه الرتب وإن كان نيلها مقسومًا، وصرف عمره في طلبها وإن كان منها محرومًا، ومشمر للجهاد عن ساق الاجتهاد، وهل من نفير إلى ذوي العناد من كل العباد وتجهيز الجيوش والسرايا، وبذل الصلات والعطايا وإقراض الأموال لمن يضاعفها ويزكيها، ودفع سلع النفوس من غير مماطلة لمشتريها، وأن ننفر في سبيل الله خفافًا وثقالًا، ونتوجه لجهاد أعداء الله ركبانًا ورجالًا، وأن نجرَّ الخميس القمقام إلى أولياء إبليس اللئام، حتى يخرجوا إلى الإسلام من أديانهم، ويعطوا الجزية صغرة بأيمانهم، أو نستلب نفوسهم من أبدانهم، ونجتذب رءوسهم من تيجانهم، فجموع ذوي الإلحاد مُكسَّرة، وجيوش أولي العناد مُدمَّرة وعزمات رجال الضلال مؤنثة مصغرة، أفلا نطير إليهم

زرافات ووحدانًا، ونُغير عليهم رجالًا وفرسانًا، ونخاطر بالنفوس والمهج، ونركب البحر لنيل الدرج، أفلا يبيت كل منا وسلاحه له ضجيعًا ويصبح معترك الحروب للمسلمين ربيعًا، وحر الوطيس لهم غيثًا مريعًا.

أفلا تبيد بأيد الجلاد حماة الشرك وأنصاره ونصول بنصول الحداد على دعاة الكفار لنهتك أستاره، ونتطهر بدماء المشركين والكفار من أرجاس الذنوب وأنجاس الأوزار.

ألا من أيام تعود: يلمع البيض البواتر في ظلمات نقع كالدياجي، وجريان الدم الزاخر من الحناجر بالخناجر، هنالك تفتح من الجنة أبوابها، وترتفع فرشها، وتوضع أكوابها، وتبرز الحور العين عروبها وأترابها، هنالك يقوم للجهاد خطابها، يضربون فوق الأعناق ويستعذبون من المنية مُرَّ المذاق، ويبيعون الحياة الفانية بالعيش الباق، يردون منهلًا لن يظمئوا بعده أبدًا، تربح تجارتهم وهم أسعد السعداء لا يشقون أبدًا.

يا رجال:

أتقفل أبواب الجهاد فلا تطرق ... وتُهمل أسبابه فلا تُرمق

وتُصفن خيوله فلا تركض ... وتصمت طبوله فلا تنبض

وتربض أسوده فلا تنهض ... .

أتمتد أيدي الكفرة الأرزلاء إلى المسلمين فلا تقبض أتغمد السيوف من أعداء الدين، إخلادًا إلى حضيض الدعة والأمان، وبخرس لسان النفير إليهم فصاح نفيرهم في أهل الإيمان، أيهوي نجم الجهاد بعد أن كان مُشرقًا سنيًا، وينمحي رسمه واسمه كأن لم يكن من قبل له سميًا؟!

أنواع الجهاد وميادينه

(أ) جهاد النفس

جعل العلماء لجهاد النفس أربعة ميادين، هي:

١- جهاد النفس على تعلم الهدى ودين الحق من كتاب الله وسُنَّة رسول الله، وسيرة الصحابة والصالحين، فإن هذا هو مبدأ جهاد النفس، ومن بدأ بغير هذه البداية في جهاد نفسه وتربيتها فقد عرَّض نفسه للإضلال والانحراف؛ لأن الله -عز وجل- هو الذي خلقها، وهو أعلم بما يصلحها، فمن ابتغى صلاح نفسه سار مع منهج الله سبحانه في تربيتها، ومنهجة مبين في كتابه الكريم وسُنَّة رسوله الأمين ﷺ.

وأفضل أنواع العلم هو ما أثمر معرفة الله -عز وجل- ومعرفة صفاته، وأسمائه الحسنى، وأفعاله وآلائه، مما أخبر به عن نفسه في كتابه الكريم وأخبر عنه به صلى الله عليه وسلم، ومما ظهرت آثاره في ملكوت السموات والأرض من الخلق والإبداع والتقدير والتدبير، وتصريف الأمور على أحسن وجه، ثم العلم بما أخبر به سبحانه من الحقائق سواء ما كان منها متعلقا بالحياة الدنيا وما كان متعلقًا بالأخرى، كمعرفة رسل الله -عز وجل- وما أرسلوا به من التوحيد، والدعوة إلى عبادة الله -عز وجل- وما أخبروا عنه من اليوم الآخر وقيام الساعة، والحساب، والجزاء، والجنة والنار، ثم العلم بمنهج الله سبحانه، المنزل للعباد للالتزام به في شئون حياتهم جميعها؛ لأن هذه العلوم هي أساس صلاح الإنسان في الدنيا وسعادته في الآخرة.

٢- جهاد النفس على العمل والالتزام بما تعلمت؛ لأن معرفة الطريق لا تجدي إلا إن أحجم الإنسان عن سلوكها، بل قد تضره المعرفة، إذ بها تقوم الحجة عليه عند ربه.

قال ابن تيمية رحمه الله: عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قال: حدثنا الذين كانوا يُقرئوننا القرآن: عثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود وغيرهما، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا العلم والعمل [١].

(١) الإكليل لابن تيمية، وآيات الجهاد في القرآن الكريم (٢١).

وقال الخطيب البغدادي رحمه الله: ثم إني موصيك بإخلاص النية في طلبه، وإجهاد النفس على العلم بموجبه، فإن العلم شجرة والعمل ثمرة، وليس يعد عالمًا من لم يكن بعلمه عاملًا، وقيل: العلم والد والعمل مولود.

والعلم مع العمل، والرواية مع الدراية، فلا تأنس بالعمل ما دمت مستوحشًا من العلم، ولا تأنس بالعلم ما كنت مقصرًا في العمل؛ ولكن اجمع بينهما وإن قلَّ نصيبك منهما.

وقال: العلم يُراد للعمل، كما العمل يُراد للنجاة، فإذا كان العمل قاصرًا عن العلم، كان العلم كلًّا على العالم، ونعوذ بالله من عمل عاد كلًّا وأورث ذلًّا، وصار في رقبة صاحبه غلًّا.

وقال بعض الحكماء: العلم خادم العمل، والعمل غاية العلم، فلولا العمل لم يُطلب علمٌ، ولولا العلم لم يُطلب عملٌ؛ ولأن أدع الحق جهلًا به أحبُّ إليَّ من أن أدعه زهدًا فيه، وهل وصية الحكماء إلى السعادة العظمى إلا بالتشمير في السعي، والرضى بالميسور وبذل ما فضل عن الحاجة للسائل والمحروم؟![1]

وهل جامع كتب العلم، إلا كجامع الفضة والذهب، وهل المنهوم بها إلا كالحريص الجشع عليهما؟! وهل المغرم بحبهما إلا ككانزهما؟! ولا تنفع الأموال إلا بإنفاقها، وكذلك لا تنفع العلوم إلا لمن عمل بها وراعى واجباتها، فلينظر امرؤ لنفسه وليغتنم وقته، فإن الثواء قليل، والرحيل قريب، والطريق مخوف، والاغترار غالب، والخطر عظيم، والناقد بصير، والله -تعالى- بالمرصاد وإليه المرجع والمعاد، فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره.

٣- جهاد النفس على الدعوة إلى ما تعلمت من الحق والهدى، وإلا كان صاحبها من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات، وهذا النوع من أهم أنواع الجهاد، وأخطرها، وخاصة عندما يكثر الخبث بين الناس، وينتشر الفساد وتعم الجاهلية، ويترك

---

(١) من كنوز السُّنَّة (كتاب اقتضاء العلم والعمل) (١٥٨، ١٥٩).

العباد حكم الله تعالى، فإن غيابه هو الذي يفسح المجال لأعداء الله، وأعداء الخير من شياطين الإنس والجن؛ لينشروا باطلهم وفسادهم.

٤- جهاد النفس على الصبر على مشاق الدعوة، فإن الجهاد من النوع السابق وهو الدعوة إلى الله -عز وجل- يتبعه حتمًا أذى ومضايقات من الناس بسبب جهلهم، وحفاظًا على مكاسبهم الدنيوية التي ارتبطت بالانحراف، فلا بد للمؤمن من جهاد نفسه على الصبر على ذلك كيلا تنحرف وتفتن، أو تتقاعس عن الدعوة في سبيل الله، وليكن للنفس مثلٌ أعلى في جهاد النبي ﷺ في دعوته وكذلك صحابته، فقد لاقوا من أصناف الأذى وألوان التعذيب ما لم يلاقه أحدٌ غيرهم؛ ولكنهم صبروا وصابروا ورابطوا واستعانوا بالله وتوكلوا عليه، فكان النصر حليفهم والفوز طريقهم والنجاة مصيرهم.

(ب) جهاد الشيطان

من فضل الله سبحانه على عبادة أن بصَّرهم بأعدائهم، وعرَّفهم بهم؛ ليحترزوا منهم ويتجنبوا طرقهم، وإن من أعدى الأعداء، الشيطان فقد أخبرنا الله -عز وجل- عنه وعن طريقته وسبيله لإغواء المؤمنين وصده عن سبيل رب العالمين، قال الله -جلَّ في علاه: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦-١٧].

سبل مجاهدة الشيطان

١ - الإخلاص

فالمخلصون ناجون من كيد الشيطان ومكره، قال الله حكاية عن الشيطان: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٣٩-٤٠]

فالإخلاص طريق للنجاة في الدارين، وهو أحد شرطين لا تُقبل العبادة ولا تصحُّ إلا بهما: الإخلاص والمتابعة، وضد الإخلاص الرياء، والرياء فضلًا عن كونه سببًا لاستحواذ الشياطين يُحبط الأعمال فليحذر المراءون من حبوط الأعمال ومن استحواذ الشياطين، والخسارة يوم الدين، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

٢-٣ ذكر الله والتوبة

وقد جمع الله بينهما في آية كريمة، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٥]وقال تعالى مبينًا أن الذكر وقاية من الشياطين: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١]
والشيطان قرين لكل مُعرض عن ذكر الرحمن: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦]

٤ - الاستعاذة بالله من الشيطان

قال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ [المؤمنون: ٩٧-٩٨] وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ [الناس: ١-٥]

٥ - العلم المنافي للجهل

فمن علم أن الشيطان يدخل غالبًا من باب الجهل وجب عليه أن يتسلَّح بسلاح العلم، وأفضل العلم وأعظمه علوم الكتاب والسُّنَّة والحلال والحرام، والحق والباطل والخير والشر، فمن تعلم ذلك كان في مأمنٍ من كيد الشياطين ومكرهم ووسوستهم،

وهناك العديد من الوسائل الأخرى للمجاهدة كأذكار الصباح والمساء وذكر الله عند دخول المنزل والخروج منه، وعند الطعام والشراب والجماع وغير ذلك، ولكن فيما ذكر كفاية بإذن الله.

ج- جهاد الكفار والمشركين

وقد سيق في كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة في الأمر بقتال الكفار والمشركين ومجاهدتهم والحثِّ على ذلك والترغيب فيه.

وفيما يلي عرض للعديد من الآيات القرآنية، ثم الأحاديث النبوية التي تُرَغِّب في الجهاد وتذكر فضائله ومآثره وأجوره وثوابه.

آيات بينات في الأمر بالجهاد وبيان فضله

قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾[البقرة: ١٩٠]. وقال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[البقرة: ١٩٣]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [البقرة: ٢١٨]. وقال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ [البقرة: ٢٤٤]. وقال تعالى: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[آل عمران: ١٤٢]. وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ۝ وَلَئِن مُّتُّمۡ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ ﴾[آل عمران: ١٥٧ - ١٥٨]. وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ يُرۡزَقُونَ[آل عمران: ١٦٩]. وقال تعالى: ﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴾[آل عمران: ١٩٥]. وقال تعالى: ﴿ فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [النساء: ٧٤]. وقال تعالى: ﴿ فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴾[النساء: ٨٤]. وقال تعالى: ﴿ لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾[النساء: ٩٥]. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[المائدة: ٣٥]. وقال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾[الأنفال: ٣٩]. وقال تعالى: ﴿ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴾[التوبة: ١٤]. وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾[التوبة: ٢٠]. وقال تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا

بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٩]. وقال تعالى: ﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٤١]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١١١]. وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الصف: ١٠-١١]. وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [التحريم: ٩].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴾ [المزمل: ٢٠].



منزلة الجهاد في سبيل الله وفضائله

منزلة الجهاد في سبيل الله

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ قلت: يا رسول الله، أي العمل أفضل؟ قال: «**الصلاة على ميقاتها...**» قلت: ثم أي؟ قال: «**بر الوالدين...**» قلت: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله...**» فسكت عن رسول الله ﷺ ولو استزدته لزادني[١].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سُئل النبي ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال: «**إيمان بالله ورسوله...**» قيل: ثم ماذا؟ قال: «**جهاد في سبيل الله...**» قيل: ثم ماذا؟ قال: «**حج مبرور**»[٢].

فضل المؤمن المجاهد

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قيل يا رسول الله، أي الناس أفضل؟ قال رسول الله ﷺ: «**مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله**» قالوا: ثم من؟ قال: «**مؤمن في شعب من الشعاب يتقي الله ويدع الناس من شره**»[٣].

مثل المجاهد وأجره

عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مثل المجاهد في سبيل الله - والله أعلم بمن يجاهد في سبيله- كمثل الصائم القائم وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة أو يُرجعه سالمًا مع أجر أو غنيمة**»[٤].

المجاهد ضامن على الله

عن أبي أمامة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثة كلهم ضامن على الله عز وجل: رجل خرج غازيًا في سبيل الله -عز وجل- فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة أو يرده بما نال من أجر وغنيمة ورجل راح إلى المسجد فهو ضامن على الله تعالى حتى يتوفاه فيدخله الجنة... أو يرده بما نال من أجر (وغنيمة). ورجل دخل بيته بسلام فهو**

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه.

ضامن على الله -عز وجل»[١].

عون الله للمجاهد

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة حقٌّ على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف**»[٢].

الجهاد منجاة من الهلكة

عن أسلم أبي عمران قال: غزونا من المدينة نريد القسطنطينية وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ... والروم مُلصقو ظهورهم بحائط المدينة فحمل رجل على العدو فقال الناس: مهِ مه ... **لا إله إلا الله يلقي بيديه إلى التهلكة**.

فقال أبو أيوب: إنما أنزلت (نزلت) هذه الآية فينا معشر الأنصار، لما نصر الله نبيه ﷺ وأظهر الإسلام قلنا: هلمَّ نقيم في أموالنا ونصلحها، فأنزل الله عز وجل: ﴿ **وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ** ﴾ [البقرة: ١٩٥]. **فالإلقاء بأيدينا إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد**[٣]، قال أبو عمران: فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله -عز وجل- حتى دُفن بالقسطنطينية.

فضل الغدوة والروحة في سبيل الله

وعن سهل بن سعد ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**الروحة والغدوة في سبيل الله أفضل من الدنيا وما فيها**»[٤].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**لقاب قوسٍ في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس أو تغرب**» وقال: «**لغدوة أو روحة في سبيل الله خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب**»[٥].

وعن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من**

---

(١) أبو داود، والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٥٣).

(٢) الترمذي، والنسائي، وحسنه الألباني، في صحيح الجامع (٣٠٥٠).

(٣) أبو داود والترمذي وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢١٩٣).

(٤) متفق عليه.

(٥) البخاري.

الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد -يعني سوطه- خير من الدينا وما فيها، ولو أن امرأة من أهل الجنة اطَّلعت على أهل الأرض لأضاءت ما بينهما وللأته ريحًا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها»[١].

فضل من اغبرت قدماه في سبيل الله

عن عبد الرحمن بن جبير ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**ما اغبرّت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار**»[٢].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**لا يلج النار رجل بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن في الضرع، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان نار جهنم**»[٣].

فضل من قاتل في سبيل الله فواق ناقة

عن معاذ بن جبل ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**من قاتل في سبيل الله -عز وجل- من رجل مسلم فواق ناقة وجبت له الجنة**»[٤]

فضل المرابط في سبيل الله

عن سلمان ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن الفتَّان**»[٥].

عن فضالة بن عبيد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**كل الميت يُختم على عمله إلا المرابط فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ويُؤمَّن من فُتَّان القبر**»[٦].

فضل الثبات في الجهاد

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**عجب ربنا -عز وجل- من**

---

(١) البخاري.

(٢) البخاري.

(٣) الترمذي (١٦٣٣، ٢٣١٢) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٣٣٣).

(٤) أبو داود (٢٥٤١) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٢١٦).

(٥) مسلم.

(٦) الترمذي وأبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٥٦٢).

رجل غزا في سبيل الله -عز وجل- فانهزم -يعني أصحابه- فعلم ما عليه فرجع حتى أهريق دمه فيقول الله -عز وجل- لملائكته: انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقة فيما عندي حتى أهريق دمه »[(١)].

فضل من جرح في سبيل الله

عن أبي هريرة ﷺأن رسول الله ﷺقال: «والذي نفسي بيده لا يُكلم أحد في سبيل الله - والله أعلم بمن يُكلم في سبيله- إلا جاء يوم القيامة، واللون لون الدم والريح ريح المسك »[(٢)].

الشهيد لا يجد مس القتل

عن أبي هريرة ﷺقال: قال رسول الله ﷺ: «ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة »[(٣)].

جهاد الصابر المحتسب المقبل غير المجبر يكفر الخطايا

عن أبي قتادة ﷺأن رسول الله ﷺقام فيهم فذكر لهم أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال، فقام رجل فقال: يا رسول الله، أرأيت إن قتلت في سبيل الله تُكفَّر عني خطاياي؟ فقال له رسول الله ﷺ: «نعم... إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر... » ثم قال رسول الله ﷺ:«كيف قلت؟ »قال: أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتُكفَّر عن خطاياي؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم، وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدَّين فإن جبريل -عليه السلام- قال لي ذلك »[(٤)].

مغفرة ذنوب الشهيد

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺأن رسول الله ﷺقال: «يغفر الله للشهيد كلَّ ذنب إلا الدين »[(٥)].

---

(١) أبو داود (٢٥٣٦) وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٢٢١١).

(٢) البخاري.

(٣) الترمذي، وقال الألباني في صحيح الترمذي (١٣٦٢) : حسن صحيح.

(٤) مسلم (١٨٨٥).

(٥) مسلم (١٨٨٦).

فضل الشهادة في سبيل الله

عن المقدام بن معد يكرب قال: قال رسول الله ﷺ: « **للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة، ويُرى مقعدة من الجنة، ويُجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوته منها خير من الدنيا وما فيها، ويُزوَّج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويُشَفَّع في سبعين من أقاربه**»[١].

المجاهدون يدخلون الجنة من باب الجهاد

عن أبي هريرة ﷺ **أن رسول الله** ﷺ **قال:** «**من أنفق زوجين في سبيل الله نُودي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة**» قال أبو بكر ﷺ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما على مَن دُعي من تلك الأبواب من ضرورة فهل يُدعى أحدٌ من تلك الأبواب كلها؟ **قال:** «**نعم، وأرجو أن تكون منهم**»[٢].

درجات المجاهدين في الجنة

عن أبي هريرة ﷺ **قال:** قال النبي ﷺ: «**من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقًّا على الله أن يدخله الجنة.. جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها**» **فقالوا:** يا رسول الله... **أفلا** نبشر الناس؟ **قال:** «**إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة. وأعلى الجنة**» أراه قال: «**وفوقه عرش الرحمن، منه تفجر أنهار الجنة**»[٣].

---

(١) الترمذي (١١٦٦٣) وصححه الألباني في أحكام الجنائز (٣٥، ٣٦) وصحيح الجامع بنحوه (٥١٨٢).

(٢) متفق عليه.

(٣) البخاري.

أرواح الشهداء تسرح من الجنة حيث شاءت

عن مسروق قال: سألنا عبد الله عن هذه الآية: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩] قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال: «**أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ... ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئًا؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يُتركوا من أن يُسألوا قالوا: يا رب، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نُقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا**»[1].

(د) جهاد المنافقين: أساليب جهاد المنافقين تنقسم إلى نوعين:

أساليب وقائية: وهذه تشمل الآتي:

أ- معرفة صفاتهم ودراستها من كتاب الله -عز وجل- وتبيُّنها من واقع مواقفهم مع المسلمين.

ب- ترك موالاتهم والتقرب إليهم: ﴿ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ٨٩].

جـ- مقاطعتهم واجتناب مجالسهم التي يخضون فيها فيما لا يرضي الله -عز وجل- قال تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٣٨-١٤٠].

د- وضعهم في وضع الشك وعدم الثقة بأقوالهم وإشاعاتهم وأراجيفهم، قال تعالى: ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [التوبة: ٤٧].

هـ- الحيلولة بينهم وبين المراكز الخطرة الهامة، وإخراجهم من صفوف المسلمين عند العزم على القيام بأعمال خطيرة، وخاصة عند الجهاد: فقد أمر تعالى نبيَّه إذا رجع من غزوة تبوك، أن لا يسمع للمنافقين الذين تخلفوا عنه بالخروج معه إلى الجهاد مرة أخرى، فقال تعالى: ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن

---

(١) مسلم.

تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ﴾ [التوبة: ٨٣].

و- صيانة الصف المسلم من التنازع والتدابر والتقاطع، قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ ﴾ [الأنفال: ٤٦] وقال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

ز- الحرص على رباط الأخوة الإيمانية بين المؤمنين، ورفعه وتقديمه على كل علاقة أخرى.

ح- حسن الظن بالإخوة المؤمنين، وعدم الالتفات إلى ما ينسبه المنافقون إليهم من التهم والفواحش.

ط- الاحتياط والحذر من أهل النفاق عند العزم على اتخاذ إجراءات مهمة والقيام بأعمال خطيرة؛ وذلك بالكتمان واللجوء إلى السرية وتعمية الأخبار على المنافقين والجهلة حتى لا ينقلها المنافقون إلى أوليائهم من الكفار.

فعن كعب بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ أنه كان إذا أراد غزوةً ورَّى بغيرها[1]. ولم يكن -عليه الصلاة والسلام- يفعل ذلك إلا احتياطًا من أهل النفاق والذين في قلوبهم مرض.

٢- أساليب علاجية:

أ- تذكيرهم بما سيكون لهم من العذاب الشديد في الآخرة مع فتح باب التوبة والأوبة لمن أراد التوبة منهم كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ١٤٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١٤٦ مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا ﴾ [النساء: ١٤٥-١٤٧].

ب- تذكيرهم بعلم الله بهم واطلاعه عليهم وعلى قلوبهم كما قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾ [التوبة: ٧٨].

تذكيرهم بأن الله بهم لمحيط، وبأعمالهم لعليم وإن أراد بهم ضرًّا فما لهم من نصير: ﴿ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ ضَرًّا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ نَفۡعَۢاۚ بَلۡ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا

---

(١) البخاري (فتح الباري ٦/ ٨٥).

تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [الفتح: ١١] وأن الموت سيأتيهم لا محالة فلا ينفعهم مكرهم ولا كيدهم ولا أنصارهم: ﴿ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

د- الغلظة عليهم وعدم التساهل معهم، وزجرهم ومجاهدتهم كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [التوبة: ٧٣].

هـ- حرمانهم من الفرص التي يحققون بها شهواتهم ويشبعون بها رغباتهم فقد قال تعالى عن الأعراب المتخلفين عن عمرة الحديبية: ﴿ سَيَقُولُ ٱلۡمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقۡتُمۡ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأۡخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعۡكُمۡۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمۡ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبۡلُۖ فَسَيَقُولُونَ بَلۡ تَحۡسُدُونَنَاۚ بَلۡ كَانُواْ لَا يَفۡقَهُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [الفتح: ١٥].

و- حرمانهم من الاستغفار وطلب الرحمة وعدم جواز ذلك لهم، كما قال تعالى: ﴿ ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٨٠].

هـ- جهاد الظالمين والفاسقين بالأمر المعروف والنهي عن المنكر:

هذا هو الواجب العظيم، واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي الوظيفة الربانية التي جعلها الله لجماعة المسلمين بين أهل الأرض جميعًا، فإن قامت به على الوجه الذي يرضي ربها حازت على الشهادة الخيرية على كل الأمم، وتأهلت بذلك لقيادة البشرية كلها في طريق الإيمان.

قال تعالى: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران:١١٠]. وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤١][1].

---

(١) الجهاد: محمد نعيم ياسين (٩- ٦٤)،(١٢٥ ١٣٥) باختصار.

قَصَصٌ وعبرٌ

النبي ﷺ سيد الشجعان

عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال لرجل قال له: أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمارة؟ فقال: أشهد على نبي الله ﷺ ما ولَّى ولكنه انطلق أخفاء من الناس وحُسَّرٌ إلى هذا الحي من هوازن وهم قوم رماة فرموهم برشق من نبْل كأنها رجلٌ من جراد فانكشفوا، فأقبل القوم إلى رسول الله ﷺ وأبو سفيان بن الحارث يقود به بغلته فنزل ودعا واستنصر وهو يقول: «**أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب اللهم نَزِّل نصرك**» فقال البراء: كنا والله إذا احمرَّ البأس نتقي به وإن الشجاع منا للذي يحاذي به يعني النبي ﷺ[1].

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال شهدتُ مع رسول الله ﷺ يوم حنين فلزمتُ أنا و أبوسفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسولَ الله ﷺ فلم نفارقه. ورسولُ الله ﷺ على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نُفاثة الجذامي، فلما التقى المسلمون والكفار ولَّى المسلمون مدبرين فطفق رسولُ الله ﷺ يركض بغلته قبل الكفار. قال عباس: وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكُفُّها إرادة أن لا تسرع وأبوَسفيان آخذٌ بركاب رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «**أي عباس ناد أصحاب السَمُرة**» فقال العباس (وكان رجلًا صيِّتًا) فقلتُ بأعلى صوتي: أين أصحاب السمرة؟ قال: فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفةُ البقر على أولادها فقالوا: يا لبيك يا لبيك. قال: فاقتتلوا والكفار والدعوة في الأنصار: يقولون: يا معشر الأنصار يا معشر الأنصار قال: ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج فقالوا: يا بني الحارث بن الخزرج! يا بني الحارث بن الخزرج!.

فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم، فقال رسول الله ﷺ: «**هذا حين حمي الوطيس**»[2]. قال: ثم أخذ رسولُ الله ﷺ من حَصَيَات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال: «**انهزموا وربِّ محمد**». قال فذهبتُ أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى،

---

(١) البخاري الفتح (٧/ ٤٣١٧) ومسلم (١٧٧٦) واللفظ له.

(٢) هذا حين حمي الوطيس: قيل الوطيس هو التنور المسجور.

قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حدَّهم كليلًا[١] وأمرهم مُدبرًا[٢].

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة قبل نجد وأدركنا رسولَ الله ﷺ في وادٍ كثير العِضاة[٣] فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من أغصانها، قال: وتفرَّق الناس في الوادي يستظلون بالشجر، قال: فقال رسول الله ﷺ: «إن رجلًا أتاني وأنا نائمٌ فأخذ السيف فاستيقظتُ وهو قائم على رأسي فلم أشعر إلا والسيف صلتًا[٤] في يده فقال لي: من يمنعك مني؟ قال: «قلتُ: الله، ثم قال في الثانية: من يمنعك مني؟ قال: قلتُ: الله قال: فشام[٥] السيف، فها هو ذا جالس. ثم لم يعرض له رسول الله ﷺ[٦].

خالد بن الوليد

قال الذهبي (في ترجمة خالد بن الوليد) ﷺ: سيف الله، وفارس الإسلام، وليث المشاهد، السيد الإمام الأمير الكبير قائد المجاهدين، تأمَّر على المسلمين يوم مؤتة بعد استشهاد الأمراء وأخذ الراية وحمل على العدو فكان النصر وسمَّاه النبي ﷺ: سيف الله، وشهد الفتح وحنينًا وحارب أهل الردة ومسيلمة وغزا العرق وشهد حروب الشام ولم يبق في جسده قيد شبر وإلا وعليه طابع الشهداء. ثم ذكر حادثة له وقال بعدها: هذه والله الكرامة وهذه الشجاعة[٧].

قال الإبشيهي -رحمه الله- عن هذا أيضًا: من الأبطال الشجعان سيف الله وسيف رسوله ﷺ بطلٌ مذكورٌ وفارسٌ مشهورٌ في الجاهلية والإسلام[٨].

---

(١) فما زلتُ أرى حدَّهم كليلًا: أي ما زلتُ أرى قوتهم ضعيفة.
(٢) البخاري (الفتح ٦/ ٢٩٣٠) ومسلم (١٧٧٥) واللفظ له.
(٣) العضاة: هي كل شجرة ذات شوك.
(٤) صلتًا: مسلولًا.
(٥) فشام السيف: رده في غمده.
(٦) مسلم (٨٤٣).
(٧) السير (١/ ٣٦٦- ٣٨٤).
(٨) المستطرف (١/ ٣١٦).

على بن أبي طالب

وقال الإبشيهي -رحمه الله- هو يعدِّد الأبطال الشجعان: منهم على بن أبي طالب، آيةٌ من آيات الله ومعجزة من معجزات رسول الله ﷺ مؤيَّد بالتأييد الإلهي مثبت قواعد الإسلام ومرسيها وهو المتقدم على ذوي الشحاعة كلهم بلا مرية ولا خلاف، وكان يقول: والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون عليَّ من موتة على فراش.

وقال بعض العرب: ما لقينا كتيبة فيها علي بن أبي طالب ﷺ إلا أوصى بعضُنا بعضًا[1].

عبد الله بن مسعود

قال الزبير بن العوام ﷺ: كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ بمكة عبد الله بن مسعود قال: اجتمع يومًا أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: والله ما سمعت قريشٌ هذا القرآن يُجهر به قط، فمن رجل يُسمعهموه؟ قال عبد الله بن مسعود: أنا، قالوا: إنا نخشاهم عليك.

إنما نريد رجلًا له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه، قال: دعوني فإن الله -عز وجل- سيمنعني قال: فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى وقريش في أنديتها فقام عند المقام ثم قال: (بسم الله الرحمن الرحيم) رافعًا صوته (الرحمن علم القرآن) قال: ثم استقبلها يقرأ فيها. قال: وتأملوا فجعلوا يقولون: ما يقول ابن أم عبد؟ قال: ثم قالوا: إنه يتلو بعض ما جاء به محمد ﷺ فقاموا إليه فجعلوا يضربون وجهه وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا في وجهه. فقالوا: هذا الذي خشينا عليك، قال: ما كان أعداء الله أهون عليَّ منهم الآن ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها؛ قالوا: حسبك فقد أسمعتمهم ما يكرهون[2].

---

(١) المستطرف (١/ ٣١٤، ٣١٥).

(٢) فضائل الصحابة للإمام أحمد (٢/ ٨٣٧- ٨٣٨) وسيرة ابن هشام (١/ ٣١٤) وأسد الغابة (٣/ ٢٥٦).

أبو دجانة

عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ أخذ سيفًا يوم أحد فقال: «من يأخذ مني هذا؟» فبسطوا أيديهم كل إنسان منهم يقول: أنا أنا، قال: «فمن يأخذه بحقه؟» قال: فأحجم القوم: فقال سماك بن خَرَشَة أبو دجانة: أنا آخذه بحقه قال: فأخذه ففلق به هام المشركين[(١)].

طلحة بن عبيد الله

قال موسى بن طلحة: إن طلحة رجع بسبعٍ وثلاثين أو خمسٍ وثلاثين بين ضربة وطعنةٍ ورميةٍ ترصَّع جبينُه وقطعت سبابتُه وشُلَّتِ الإصبع التي تليها[(٢)].

حمزة بن عبد المطلب

قال سعد بن أبي وقاص ﷺ: كان حمزة بن عبد المطلب يقاتل يوم أحد بين يدي رسول الله ﷺ ويقول: أنا أسدُ الله[(٣)].

وعن رجل من أسلم أنه قال: إن أبا جهل اعترض لرسول الله ﷺ عند الصفا فآذاه وشتمه وقال فيه ما يكره من العيب لدينه والتضعيف له، فلم يكلمه رسولُ الله ﷺ ومولاةٌ لعبد الله بن جدعان التيمي في مسكن لها فوق الصفا تسمع ذاك ثم انصرف عنه فعمد إلى نادي قريش عند الكعبة فجلس معهم ولم يلبث حمزة بن عبد المطلب أن أقبل متوشحًا قوسه راجعًا عن قنصٍ له وكان إذا فعل ذلك لم يمر على نادي قريش وأشدها شكيمةً وكان يومئذٍ مشركًا على دين قومه فجاءته المولاة وقد قام رسول الله ﷺ ليرجع إلى بيته فقالت له: يا أبا عمارة: لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد من أبي الحكم آنفًا وَجَدَه ههنا فآذاه وشتمه وبلغ ما يكره ثم انصرف عنه.

فعمد إلى نادي قريش عند الكعبة فجلس معهم ولم يكلم محمدًا فاحتمل حمزة

---

(١) مسلم (٢٤٧٠).

(٢) الحاكم (٣/ ٢٥- ٢٦) وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٣) الحاكم (٣/ ١٩٤) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

الغضب لما أراد الله من كرامته فخرج سريعًا لا يقف على أحدًا عما كان يصنع يريد الطواف بالبيت متعمدًا لأبي جهل أن يقع به؛ فلما دخل المسجد نظر إليه جالسًا في القوم فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه على رأسه ضربة مملوءة. وقامت رجال من قريش من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل فقالوا: ما نراك يا حمزة إلا صبأت، فقال حمزة: وما يمنعني وقد استبان لي ذلك منه أنا أشهد أنه رسول الله وأن الذي يقول حق، فوالله لا أنزع فامنعوني إن كنتم صادقين؛ فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة لقد سببتُ ابن أخيه سبًّا قبيحًا ومرَّ حمزةُ على إسلامه وتابع يخفف عن رسول الله ﷺ فلما أسلم حمزة علمت قريش أن رسول الله ﷺ قد عزَّ وامتنع وأن حمزة سيمنعه فكفُّوا عن بعض ما كانوا يتناولونه وينالون منه.

فقال في ذلك سعد حين ضرب أبا جهل فذكر رجزًا غير مستقرٍّ أوله: ذُق أبا جهل بما غشيت.

قال: ثم رجع حمزة إلى بيته فأتاه الشيطان فقال: أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابئ وتركت دين آبائك؛ للموت خيرٌ لك مما صنعت.

فأقبل علي حمزة شبه فقال: ما صنعت؟ اللهم إن كان رُشدًا فاجعل تصديقه في قلبي وإلا فاجعل لي مما وقعت فيه مخرجًا فبات بليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان حتى أصبح فغدا على رسول الله ﷺ فقال: يا بن أخي إني وقعت في أمرٍ لا أعرف المخرج منه وإقامة مثلي على ما لا أدري ما هو أرشد هو أم غيٌّ شديد؟ فحدثني حديثًا فقد اشتهيتُ يا بن أخي أن تحدثني فأقبل رسول الله ﷺ فألقى الله في نفسه الإيمان كما قال رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنك لصادق شهادة المصدق والعارف فأظهر يا بن أخي دينك؛ فوالله ما أحب أن لي ما ألمعت الشمسُ وأني على ديني الأول، قال: فكان حمزة ممن أعزَّ الله به الدين[1].

سعد بن أبي وقاص

عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: لما جال الناس عن رسول الله ﷺ تلك الجولة يوم

---

(١) الحاكم في المستدرك (٣/ ١٩٢، ١٩٣).

أحد تنحيتُ فقلتُ: أذود عن نفسي فإما أن أستشهد وإما أن أنجو حتى ألقى رسول الله ﷺ فبينا أنا كذلك إذا برجلٍ مُحْمَّر وجهه ما أدري من هو، فأقبل المشركون حتى قلت: قد ركبوه ملأ يده عن الحصى ثم رمى به في وجوههم فنكبوا على أعقابهم القهقرى حتى يأتوا الجبل ففعل ذلك مرارًا ولا أدري من هو وبيني وبينه المقداد بن الأسود فبينا أنا أريد أن أسأل المقداد عنه إذ قال المقداد: يا سعد، هذا رسول الله ﷺ يدعوك فقلتُ: وأين هو؟ فأشار لي المقداد إليه فقمتُ ولكأنه لم يصبني شيء من الأذى، فقال رسول الله ﷺ: **«أين كنت اليوم يا سعد؟»** فقلتُ: حيث رأيت يا رسول الله؛ فأجلسني أمامه فجعلتُ أرمي وأقول: اللهم سهمك فارمِ به عدوَّك، ورسول الله ﷺ يقول: **«اللهم استجب لسعد اللهم سدد لسعدٍ رميته إيهًا**[1] **سعد فداك أبي وأمي»** فما من سهم أرمي به إلا قال رسول الله ﷺ: **«اللهم سدِّد رميته وأجب دعوته إيهًا سعد»** حتى إذا فرغت من كنانتي نثر رسول الله ﷺ ما في كنانتي فنبلني سهمًا نضيًّا[2].

قال الزهري: إن السهام التي رمى بها سعدٌ يومئذٍ كانت ألف سهم[3].

خبيب بن عدي

عن أبي هريرة ﷺ قال: بعث رسول الله ﷺ عشرة منهم خبيب الأنصاري فأخبرني عبيد الله بن عياض أن ابنة الحارث أخبرته أنهم حين اجتمعوا استعار منهم موسى يستحد بها فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه قال خبيب الأنصاري:

ولستُ أبالي حين أقتل مسلمًا ... على أي شق كان لله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلوٍ ممزع

فقتله ابن الحارث فأخبر النبي ﷺ أصحابه خبره يوم أُصيبوا[4].

---

(١) إيه: اسم فعل للاستزادة من حديث أو عمل معهود.

(٢) السهم النضي: هو الذي قد ركب عليه الريش وكان أشد من غيره.

(٣) الحاكم (٣/ ٢٦) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٤) البخاري (الفتح ١٣/ ٧٤٠٢).

معاذ بن عمرو

قال معاذ بن عمرو ﷺ: جعلتُ أبا جهل يوم بدر من شأني فلما أمكنني حملتُ عليه فضربتُه فقطعتُ قدمه بنصف ساقه، وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي وبقيت مُعلقة بجلدة بجنبي وأجهضني عنها القتال فقاتلت عامة يومي وإني لأسحبها خلفي، فلما آذتني وضعتُ قدمي عليها ثم تمطَّأتُ عليها حتى طرحتها!!

قال الذهبي بعد هذه القصة: هذه والله الشجاعة لا كآخر من خدش بسهم ينقطع قلبُه وتخور قواه[1][2].

بلال بن رباح

قال الشعبي -رحمه الله: كان موالي بلال يضربونه على بطنه ويعصرونه ويقولون: دينك اللات والعزى، فيقول: ربي الله أَحَدٌ أحدٌ. ولو أعلم كلمة أحفظ لكم منها لقلتها، فمرَّ أبو بكر بهم فقالوا: اشترِ أخاك في دينك؛ فاشتراه بأربعين أوقية فأعتقه فقالوا: لو أبى إلا أُوقية لبعناه.

فقال: وأقسم بالله لو أبيتُم إلا بكذا وكذا بشيء كثير لاشتريته[3].

البراء بن مالك

قال الحافظ ابن عبد البر -رحمه الله- في ترجمة البراء بن مالك ﷺ: كان من الأبطال الأشداء قتل من المشركين مائة رجل مبارزة سوى من شارك فيه وقال رحمه الله: زحف المسلمون إلى المشركين في اليمامة حتى ألجأوهم إلى الحديقة وفيها عدو الله مسيلمة، فقال البراء : يا معشر المسلمين ألقوني عليهم فاحتمل حتى إذا أشرف على الجدار اقتحم فقاتلهم حتى فتح الله على المسلمين، ودخل عليهم المسلمون ووقع به يومها بضع وثمانون جراحة من بين رمية بسهم وضربة فحمل إلى رحله يُداوى[4].

---

(١) تخور قواه: تضعف قواه.
(٢) السير (١/ ٢٥٠، ٢٥١).
(٣) السير (١/ ٣٥٢).
(٤) الاستيعاب (١/ ١٣٧- ١٣٩) على صاحب حاشية الإصابة.

ابن فتحون

كان للعرب فارسٌ يقال له: ابن فتحون وكان أشجع العرب والعجم في زمانه وكان المستعين يكرمه ويعظمه ويجري له في كل عطية خمسمائة دينار وكانت جيوش الكفار تهابه وتعرف منه الشجاعة وتخشى لقاءه، فيُحكى أن الرومي كان إذا سقى فرسه ولم يشرب يقول له: ويلك لم لا تشرب هل رأيت ابن فتحون في الماء، فحسده نظراؤه على كثرة العطاء ومنزلته من السلطان فوشوا به عند المستعين فأبعده ومنعه من عطائه ثم إن المستعين أنشأ غزوة إلى بلاد الروم فتقابل المسلمون والمشركون صفوفًا ثم برز علج إلى وسط الميدان ونادى وقال: هل من مبارز؟ فبرز إليه فارسٌ من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله الرومي فصاح المشركون سرورًا وانكسرت نفوس المسلمين، وجعل الكلب الرومي يجول بين الصفين وينادي: هل من اثنين لواحد؟ فخرج إليه فارس من المسلمين فقتله الرومي، فصاح الكفار سرورًا وانكسرت نفوس المسلمين وجعل الكلب، يجول بين الصفين وينادي ويقول: ثلاثة لواحد فلم يجترئ أحدٌ من المسلمين أن يخرج إليه وبقي الناس في حيرة فقيل للسلطان: ما لها إلا أبو الوليد بن فتحون فدعاه وتلطف به.

قال: الساعة أكفي المسلمين شرَّه؛ فلبس قميص كتان واستوى على سرج فرسه بلا سلاح وأخذ بيده سوطًا طويلًا وفي طرفه عقدة معقودة ثم برز إليه فتعجب منه النصراني، ثم حمل كل واحدٍ منهما على صاحبه فلم تخطئ طعنة النصراني سرج ابن فتحون وإذا ابن فتحون متعلقٌ برقبة الفرس، ونزل إلى الأرض لا شيء منه في السرج ثم انقلب في سرجه وحمل على العلج وضربه بالسوط فالتوى على عنقه فجذبه بيده من السرج فاقتعله وجاء به يجره حتى ألقاه بين يدي المستعين فعلم المستعين أنه كان قد أخطأ في صنعه مع أبي الوليد ابن فتحون فاعتذر إليه وأكرمه وأحسن إليه وبالغ في الإنعام عليه وردَّه إلى أحسن أحواله وكان من أعز الناس إليه[1] .

ألب أرسلان

قال الإبشيهي: قهر ألبُ أرسلان ملكُ الترك ملكَ الروم وقمعه وقتل رجاله وأباد

---

(١) المستطرف: (١/ ٣١٣- ٣١٤).

جمعه وكانت الروم قد جمعت جيوشًا يقل أن يُجمع لغيرهم من بعدهم مثلُها، وكان قد بلغ عددهم ستمائة ألف مقاتل كتائب متواصلة وعساكر مترادفة وكراديس يتلو بعضها بعضًا، لا يدركهم الطرف ولا يحصيهم العدد وقد استعدوا من الكراع والسلاح المجانيق والآلات المعدة للحروب وفتح الحصون بما لا يُحصى.

وكانوا قد قسموا بلاد المسلمين؛ الشام والعراق ومصر وخراسان وديار بكر ولم يشكُّوا أن الدولة قد دارت لهم، وأن نجوم السعود قد خدمتهم ثم استقبلوا بلاد المسلمين فتواترت أخبارهم إلى بلاد المسلمين واضطربت لها ممالك أهل الإسلام. فاحتشد للقائهم الملكُ ألبُ أرسلان وهو الذي يُسمى الملك العادل وجمع جموعه بمدينة أصبهان واستعد بما قدر عليه ثم خرج يؤمهم فلم يزل العسكر يتدانيان إلى أن عادت طلائع المسلمين إلى المسلمين، وقالوا لألب أرسلان: غدًا يتراءى الجمعان فبات المسلمون ليلة الجمعة والروم في عدد لا يحصيهم إلا الله الذي خلقهم، وما المسلمون فيهم إلا أكلة جائع فبقي المسلمون وجلين لما دهمهم.

فلما أصبحوا صباح يوم الجمعة نظر بعضهم إلى بعض فهال المسلمون ما رأوا من كثرة العدو فأمر ألب أرسلان أن يُعَدَّ المسلمون فبلغوا اثني عشر ألفًا فكانوا كالشامة البيضاء في الثور الأسود.

فجمع ذوي الرأي من أهل الحرب والتدبير والشفقة على المسلمين والنظر في العواقب واستشارهم في استخلاص أصوب الرأي فتشاوروا بُرهة ثم اجتمع رأيهم على اللقاء فتوادع القوم وتحاللوا وناصحوا الإسلام وأهله وتأهبوا أُهبة اللقاء.

وقالوا لألب أرسلان: باسم الله نحمل عليهم؛ فقال ألب أرسلان: يا معشر أهل الإسلام أمهلوا فإن هذا يوم الجمعة والمسلمون يخطبون على المنابر ويدعون لنا في شرق البلاد وغربها فإذا زالت الشمس علمنا أن المسلمين قد صَلُّوا ودعوا الله أن ينصر دينه حملنا عليهم إذ ذاك.

وكان ألب أرسلان قد عرف خيمة ملك الروم وعلامته وزيَّه وزينته وفرسه ثم قال لرجاله: لا يتخلف أحدٌ منكم أن يفعل كفعلي ويتبع أثري ويضرب بسيفه ويرمي سهمه

حيث أضرب بسيفي وأرمي بسهمي ثم حمل برجاله حملة رجل واحد إلى خيمة ملك الروم فقتلوا من دونها ووصلوا إلى الملك فقتلوا من كان دونه وجعلوا ينادون بلسان الروم: قتل الملك، قتل الملك؛ فسمعت الروم أن ملكهم قد قُتل فتمزقوا كل ممزق وعمل السيف فيهم أيَّامًا وأخذ المسلمون أموالهم وغنائمهم وأتوا بالملك أسيرًا بين يدي ألب أرسلان والحبل في عنقه فقال له ألب أرسلان: ماذا كنت تصنع بي لو أسرتني قال: وهل تشك أنني كنت أقتلك، فقال له ألب أرسلان: أنت أقل في عيني من أن أقتلك، اذهبوا به فبيعوه لمن يزيد فيه.

فكان يقاد والحبل في عنقه وينادى عليه: من يشتري ملك الروم، وما زالوا كذلك يطوفون به على الخيام ومنازل المسلمين وينادون عليه بالدراهم والفلوس فلم يدفع فيه أحدٌ شيئًا حتى باعوه من إنسان بكلبٍ فأخذه الذي ينادي عليه وأخذ الكلب وأتى بهما إلى ألب أرسلان وقال: قد طفتُ به جميع العسكر وناديت عليه فلم يبذل أحدٌ فيه شيئًا سوى رجل واحد دفع فيه هذا الكلب، فقال: قد أنصفك إن الكلب خير منه! ثم أمر ألب أرسلان بعد ذلك بإطلاقه وذهب إلى القسطنطينية فعزلته الروم وكحَّلوه بالنار[1].

---

(١) المستطرف: (١/ ٣١١).

من فتاوىٰ التربية الجهادية

س١ : أيهما أفضل؛ الاشتغال بالعلم أم الجهاد؟

ج١ : فأجاب النووي رحمه الله: **ما دام الجهاد فرض كفاية فالاشتغال بالعلوم أفضل وإن صار الجهاد فرض عين فهو أفضل من العلم سواء أكان فرض عين أم فرض كفاية، والله أعلم**[1].

س٢ : سئل الشيخ ابن عثمين رحمه الله: **بالنسبة لمن أدى فريضة الحج وتيسَّر له أن يحج مرة أخرى هل يجوز له بدلًا من الحج أن يتبرع بقيمة نفقات الحج إلى المجاهدين المسلمين في أفغانستان وغيرها حيث إن الحج للمرة الثانية تطوع والتبرع للجهاد فرض أفيدونا جزاكم الله عن المسلمين خير الجزاء؟**

ج٢ : فأجاب رحمه الله: **إذا كان السائل يقول: إن الحج الثاني تطوع وبذل الجهاد فرض فمقتضى ذلك أن حكم لنفسه بأن التبرع للجهاد أفضل؛ لأنه واجب يأثم بتركه على حسب كلامه، وإنما الذي نراه أن الجهاد في أفغانستان ليس بفرض على الأعيان، ولكن نرى أيضًا بذل الدراهم فيه أفضل من بذلها في حج التطوع؛ لأن نفل الجهاد أفضل من نفل الحج**[2].

---

(١) فتاوى الإمام (النووي (١٨٤).

(٢) فتاوى الشيخ ابن عثيمين (٦٧٧).





التربية النفسية

مقدمة

الحمد لله، زيَّن السماء بالنجوم تزيين النقش[١]، وجمع الثريا وفرق بنات نعش[٢]، ومهَّد الأرض تمهيد الفرش، أنزل القطر[٣]، بين الوبل[٤] والطشِّ[٥]، وحمل الآدمي على النعش والفرش، فبينا هو كذلك[٦] وإذ آتاه أمرٌ أشدُّ من الحرش[٧]، فضجَّ به ولم يصبر حتى على الخدش، ويقيمه يوم القيامة بالبعثرة[٨] والنبش، سبحانه من عظيم شديد البطش رفيع الدرجات ذو العرش[٩].

---

(١) أي زين السماء بالنجوم كتزيين الأقمشة بالنقوش.

(٢) الثريا وبنات نعش مجموعتان من النجوم؛ الأولى مجتمعة في مكانها متقاربة، والأخرى متفرقة في مكانها متباعدة.

(٣) القطر: المطر.

(٤) الوبل: المطر الشديد.

(٥) الطشُّ: المطر الضعيف.

(٦) أي في سكرات الموت.

(٧) كناية عن شدة الكرب والهم.

(٨) أي البعث من القبور.

(٩) التبصرة (١/ ٣٨٧، ٣٨٨) بتصرف.

أهداف التربية النفسية

للتربية النفسية للأولاد أهدافٌ عديدة، يمكن إيجازها في نقاط معدودة، وسطور محدودة، حيث تشمل هذه الأهداف ما يلي:

١- تربية الأولاد تربية إسلامية بصفات إسلامية زكية مستقاة من كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ وكلمات السلف الصالح المباركة، والقصص الصحيحة الهادفة.

٢- بناء شخصية إسلامية قويمة، أساسها العمل بالكتاب والسُّنَّة، وفقًا لفهم وتطبيق سلف الأمة.

٣- زرع الخصال الزكية والصفات البهية في نفوس الأولاد صغيرهم وكبيرهم، وذكرهم وأنثاهم.

٤- قمع الصفات السيئة، من خلال تعليم الخصال الطيبة، فمن تربي على الشجاعة لا يعرف الجبن والتقاعس والتخاذل والإحجام، ومن تأدب بالعفة لا ترى في خلقه غيرها، ومن جاهد نفسه وحاسبها لا تراه لله عاصيًا، ومن عرف المحبة لله ورسوله عبد ربَّه واتبع رسوله، ومن اتصف بالمروءة وابتعد عن خوارمها فلا تراه إلا كريم الأخلاق طيب الخصال زكي الصفات، ويرى ذلك في أخلاقه وآدابه ومعاملاته، فمن عرف حقَّ ربه ومولاه وكان طيب الخلق مع عباد الله كان مسلمًا حقًّا مؤمنًا صدقًا مقتديًا طبعًا بالنبي المصطفى والرسول المجتبى الذي هو خير الورى وبه يقتدي جميع الورى.

كيف نربي أولادنا نفسيًّا؟

اعلم -رحمك الله- أن الطفل كيفما شكلته في صغره تشكَّل، فإن لم يتشكل على الصفات الزاكية والأخلاق الراقية شبَّت نفسه على سيِّئ الخصال، وبذيء الصفات، وقبيح السِّمات، وإذا كان ذلك كذلك كان من علامات سوء التربية وفساد الأدب؛ ولذا كانت هذه التربية من الأهمية بمكان، وهي تحتاج كغيرها إلى توجيهات نظرية للآباء وتفصيلات علمية لتلك التوجيهات، ثم تطبيقات علمية من قِبل الآباء والأمهات.

أما التوجيهات النظرية فتشمل:

١- تبصير الأبناء والبنات بالفرق بين شخصية المسلم النفسية وغيره من أصحاب الملل الأخرى.

٢- ترويض الأولاد على الصفات الطيبة والخصال الزكية، ومنها الشجاعة، والعفة، ومجاهدة النفس، ومحاسبتها، والمحبة، والمراقبة، والمروءة.

٣- تعريف الأولاد بالصفات النفسية الزاكية بصورة شاملة كاملة حتى تتوق أنفسهم للاتصاف بها، والاختصال بآدابها، ومن ذلك التعريف بالخُلُق لغة واصطلاحًا، والترغيب فيه من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وكلمات السلف الصالح عن الخُلُق المذكور.

٤- إعلاء الهمم وزيادة العزمات، وإشحاذ النفوس بذكر قصص الصحابة والتابعين والصالحين في الخُلُق المذكور، عسى أن تتمثل بذلك نفوس الأولاد؛ فتعلوا هممهم بإذن الله تعالى.

هذا وإن المجمل الحالي من التوجيهات مفصَّلٌ في الآتي من الصفحات، التي أحسبها شافية كافية بإذن الله تعالى.

صفات نفسية محمودة

الشجاعة لغة واصطلاحًا

الشجاعة لغة

مصدر شجع فلان؛ أي صار شجاعًا، وهو مأخوذ من مادة (ش ج ع) التي تدل على الجرأة والاطمئنان.

قال ابن فارس: ومن ذلك قولهم: الرجل الشجاع وهو المقدام والشجعة من النساء: الجريئة.

وقال ابن منظور: **شجع شجاعة؛ اشتد عند البأس، والشجاعة شدة القلب في البأس، ويقال: رجلٌ شجاع وشِجاع وشَجَاع وأشجع، من قوم شجاع وشُجعان وشِجعان، والمرأة شجاعة وشجعة وشجيعة وشجعاء، وقيل: لا توصف به المرأة، وتَشَجَّعَ فلان أي تكلف الشجاعة، وشَجَّعْتُه إذا قلت: له أنت شجاع، أو قويت قلبه، ورجل مشجوع أي مغلوب بالشجاعة**[1].

الشجاعة اصطلاحًا

قال الجاحظ: **الشجاعة هي الإقدام على المكاره والمهالك عند الحاجة إلى ذلك، وثبات الجأش عند المخاوف مع الاستهانة بالموت**[2].

وقال المناوي: **هي الإقدام الاختياري على مخاوفٍ نافعة في غير مبالاة**[3].

وقال ابن حزم رحمه الله: **هي بذل النفس للذود عن الدين أو الحريم أو عن الجار المضطهد أو عن المستجير المظلوم، وعمن هُضم ظلمًا في المال والعرض وسائر سبل الحق، سواء قَلَّ من يعارض أو كثُر**[4].

---

(١) لسان العرب (٤/ ٢٢٠٠، ٢٢٠١) والصحاح (٣/ ١٢٣٧- ١٢٣٨).

(٢) تهذيب الأخلاق للجاحظ صـ ٢٧.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف صـ٢٠٢.

(٤) مداواة النفوس (٨٠).

وقال الجُرجَاني: **هي هيئة حاصلة للقوة الغضبية بين التهور والجبن، بها يُقدم على أمور ينبغي أن يقدم عليها كالقتال مع الكفار الذين لم يزيدوا على ضِعف المسلمين**[١].

وقيل: **هي الصبر والثبات والإقدام على الأمور النافع تحصيلها أو دفعها، وتكون في الأفعال والأقوال**[٢].

---

(١) التعريفات ص ١٢٥.

(٢) الرياض النضرة ص ٥٤.

الشجاعة في القرآن

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

وقال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴾ [الأنفال: ١٥]

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥]

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ١٢٣]

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التحريم: ٩]

أقوال العلماء في الشجاعة

قال عمر بن الخطاب ﷺ: إن الشجاعة والجبن غرائز في الرجال، تجد الرجل يقاتل لا يبالي ألا يئوب إلى أهله، وتجد الرجل يفر عن أبيه وأمه، وتجد الرجل يقاتل ابتغاء وجه الله، فذلك الشهيد(١).

وقال ابن تيمية رحمه الله: إن الجميع يتمادحون بالشجاعة والكرم، حتى إن ذلك عامة ما تمدح به الشعراء ممدوحهم في شعرهم، وكذلك يتنافون بالجبن والبخل.

ولما كان صلاح بني آدم لا يتم في دينهم ودنياهم إلا بالشجاعة والكرم بيَّن الله سبحانه أنه من تولى عنه بترك الجهاد بنفسه أبدل الله من يقوم بذلك، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۝ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التوبة: ٣٨-٣٩]. وكذلك من تولى عنه بترك الإنفاق توعَّده كما في آخر سورة محمد ﷺ.

ثم قال رحمه الله: وبالشجاعة والكرم في سبيل الله فضَّل اللهُ السابقين، فقال تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الحديد: ١٠]، وقد ذكر الله -عزَّ وجلَّ- الجهاد بالنفس والمال في سبيله ومدحه في غير آية من كتابه، وذلك هو الشجاعة والسماحة في طاعته سبحانه وطاعة رسوله ﷺ(٢).

وقال بعضهم: الشجاع محببٌ حتى إلى عدوه، والجبان مبغضٌ حتى إلى أمه(٣).

وقال بعضهم: الشجاعة صبر ساعة، وقد جمع الله تعالى جميع ما يُحتاج إليه في الحرب في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ

---

(١) صفوة الأخيار صـ ٨٨.

(٢) الاستقامة لابن تيمية (٢/ ٢٦٣- ٢٧٠) باختصار.

(٣) صفوة الأخيار صـ ٨١.

تُفْلِحُونَ ۝ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[الأنفال: ٤٥-٤٦][1].

وقيل: الرجال ثلاثة؛ فارسٌ، وشجاعٌ، وبطلٌ، فالفارس الذي يشد إذا شدوا، والشجاع الداعي إلى البراز والمجيب داعيه، والبطل الحامي لظهورهم إذا انهزموا[2].

وقيل أيضًا: الشجاع يبادر للحرب غير مُبالٍ بها لثقته بنفسه، وعزمه على التغلب على عدوه، لكنه في نفس الوقت يفرق بين الشجاعة والتهور والإقدام وانتظار الفرصة المناسبة لينقض[3].

وقال بعضهم: الشجاع لا يقر له قرار ولا يهدأ له بال ولا يغمض له جفنٌ ولا يهنأ بطعام أو شارب إذا كان يرى عدوه طليقًا يتحداه وينغص عليه حياته، وبالطبع فإن الفارس الشجاع لابد أن يكون متمرسًا على الطعن والرمي والإبداع في إصابة الهدف برماة، ولا يعيب الشجاع أن يفر مرة أو مرتين[4].

وقال بعض الحكماء: أصل الخيرات كلها في ثبات القلب، ومنه تُستمد جميع الفضائل، وهو الثبوت والقوة على ما يوجبه العدل والعلم، والجبن غريزة يجمعها سوء الظن بالله تعالى، والشجاعة غريزة يجمعها حسن الظن بالله تعالى[5].

---

(١) صفوة الأخيار: ص ٨.
(٢) صفوة الأخيار: ص ٨٢.
(٣) صفوة الأخيار: ص ٨٥.
(٤) صفوة الأخيار: ص ٨٦.
(٥) سراج الملوك للطرطوشي (٢/ ٦٦٧).

من قصص الشجاعة

عبد الله بن مسعود

قال الزبير بن العوام ﷺ: كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ بمكة عبد الله بن مسعود، قال: اجتمع يومًا أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: والله ما سمعت قريشٌ هذا القرآن يُجهر به قط، فمن رجل يُسمعهموه؟ قال عبد الله بن مسعود: أنا، قالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلًا له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه، قال: دعوني فإن الله -عز وجل- سيمنعني، قال: فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى وقريش في أنديتها فقام عند المقام ثم قال: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ رافعًا صوته ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ قال: ثم استقبلها يقرأ فيها. قال: وتأملوا فجعلوا يقولون: ما يقول ابن أم عبد؟ قال: ثم قالوا إنه يتلو بعض ما جاء به محمد ﷺ فقاموا إليه فجعلوا يضربون وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ، ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا في وجهه، فقالوا: هذا الذي خشينا عليك، قال: ما كان أعداء الله أهون عليَّ منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها؛ قالوا: حسبك، فقد أسمعتهم ما يكرهون[١].

أبو دجانة

عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ أخذ سيفًا يوم أحد فقال: «من يأخذ مني هذا؟» فبسطوا أيديهم، كل إنسان منهم يقول: أنا أنا، قال: «فمن يأخذه بحقه؟» قال: فأحجم القوم، فقال سماك بن خَرَشَة (أبو دجانة): أنا آخذه بحقه، قال: فأخذه ففلق به هام المشركين[٢].

طلحة بن عبيد الله

قال موسى بن طلحة: إن طلحة رجع بسبعٍ وثلاثين أو خمسٍ وثلاثين؛ بين ضربة وطعنةٍ ورميةٍ، ترصَّع جبينُه وقطعت سبابتُه وشُلَّتِ الإصبع التي تليها[٣].

---

(١) فضائل الصحابة للإمام أحمد (٢/ ٨٣٧- ٨٣٨) وسيرة ابن هشام (١/ ٣١٤) وأُسد الغابة (٣/ ٢٥٦).

(٢) مسلم (٢٤٧٠).

(٣) الحاكم (٣/ ٢٥- ٢٦) وقال صحيح على شرط الشيخين.

حمزة بن عبد المطلب

قال سعد بن أبي وقاص ﷺ: كان حمزة بن عبد المطلب يقاتل يوم أحد بين يدي رسول الله ﷺ ويقول: أنا أسدُ الله(١).

وعن رجل من أسلم أنه قال: إن أبا جهل اعترض لرسول الله ﷺ عند الصفا فآذاه وشتمه، وقال فيه ما يكره من العيب لدينه والتضعيف له؛ فلم يكلِّمه رسولُ الله ﷺ - ومولاةٌ لعبد الله بن جدعان التيمي في مسكن لها فوق الصفا تسمع ذاك- ثم انصرف عنه فعمد إلى نادي قريش عند الكعبة فجلس معهم، ولم يلبث حمزة بن عبد المطلب أن أقبل متوشحًا قوسه راجعًا عن قنصٍ له، وكان إذا فعل ذلك لم يمر على نادي قريش وأشدها شكيمةً -وكان يومئذٍ مشركًا على دين قومه- فجاءته المولاة وقد قام رسول الله ﷺ ليرجع إلى بيته، فقالت له: يا أبا عمارة لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد من أبي الحكم آنفًا؟! وَجَدَه ههنا فآذاه وشتمه وبلغ ما يكره ثم انصرف عنه.

فعمد إلى نادي قريش عند الكعبة فجلس معهم ولم يكلم محمدًا فاحتمل حمزة الغضب -لما أراد الله من كرامته- فخرج سريعًا لا يقف على أحدٍ عما كان يصنع؛ يريد الطواف بالبيت متعمدًا لأبي جهل أن يقع به؛ فلما دخل المسجد نظر إليه جالسًا في القوم فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه على رأسه ضربة مملوءة، وقامت رجال من قرش من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل، فقالوا: ما نراك يا حمزة إلا صبأت. فقال حمزة: وما يمنعني وقد استبان لي ذلك منه، أنا أشهد أنه رسول الله، وأن الذي يقول حق، فوالله لا أنزع فامنعوني إن كنتم صادقين؛ فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة لقد سببتُ ابن أخيه سبًّا قبيحًا، ومرَّ حمزةُ على إسلامه وتابع يخفف رسول الله ﷺ فلما أسلم حمزة علمت قريش أن رسول الله ﷺ قد عزَّ وامتنع، وأن حمزة سيمنعه فكفُّوا عن بعض ما كانوا يتناولونه وينالون منه. فقال في ذلك سعد حين ضَرب أبا جهل فذكر رجزًا غير مستقرٍ أوله:

ذُق أبا جهل بما غشيت

---

(١) الحاكم (٣/ ١٩٤) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

قال: ثم رجع حمزة إلى بيته فأتاه الشيطان، فقال: أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابئ وتركت دين آبائك؛ للموت خيرٌ لك مما صنعت.

فأقبل علي حمزة شبه فقال: ما صنعت؟ اللهم إن كان رُشدًا فاجعل تصديقه في قلبي وإلا فاجعل لي مما وقعت فيه مخرجًا، فبات بليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان حتى أصبح فغدا على رسول الله ﷺ فقال: يا بن أخي إني وقعت في أمرٍ لا أعرف المخرج منه وإقامة مثلي على ما لا أدري ما هو أرشد هو أم غيٌّ شديد؟ فحدثني حديثًا فقد اشتهيتُ يا بن أخي أن تحدثني، فأقبل رسول الله ﷺ فألقى الله في نفسه الإيمان كما قال رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنك لصادق شهادة المصدق والعارف فأظهر يا بن أخي دينك؛ فوالله ما أحب أن لي ما ألمعت الشمسُ وأني على ديني الأول، قال: فكان حمزة ممن أعزَّ الله به الدين[1].

---

(١) الحاكم في المستدرك (٣/ ١٩٢، ١٩٣).

العِفَّةُ لغةً واصطلاحًا

العِفَّةُ لغةً

مصدرُ قولهم عفَّ عن الشيء يَعفُّ عِفَّةَ، وهذا مأخوذٌ من مادة (ع ف ف) التي تدلُّ على الكفِّ عن القبيح، ويُقال: عفَّ عن الحرام يَعِفُّ عفًّا وعفَّةً وعَفَافًا، وعفافةً أي: كفَّ.

قال ابن منظور: العِفَّةُ الكفُّ عما لا يحِلُّ ويجمل، والعفَّةُ أيضًا النزاهة ... ويُقال: عَفَّ وعفافة عن المحارم والأطماع الدنية ... يَعِفُّ عِفَّةَ وعَفًّا وعفافًا فهو عفيفٌ ... وتَعفَّفَ أي: تكلَّف العِفَّة ... والعفافُ أيضًا هو الكفُّ عن الحرام والسؤال من الناس ... والاستعفافُ: طلب العفاف ... والاستعفافُ أيضًا: الصبرُ والنزاهة عن الشيء ... ويُقال: رجلٌ عَفٌّ وعفيفٌ، والأنثى بالهاء (عفَّةٌ وعفيفةٌ) ... والجمعُ: أعفَّةٌ، وأعفَّاء ... وقيل: العفيفةُ من النساء: السيدة الخيِّرَةُ ... وقيل: هي عِفَّةُ الفرج، ونسوةٌ عفائف ... ورجلٌ عفيفٌ أيضًا معناه عفَّ عن المسألة والحرص ... وقيل في وصف قوم: أعِفَّةُ الفقر أي: إنهم إذا افتقروا لم يُفشوا المسألة القبيحة.

قال الراغبُ: أصلُ العِفَّة الاقتصارُ عن تناول الشيء القليل الجاري مجرى العُفَافةِ، (أي البقية من الشيء) أو مجرى العفعف وهو ثمرُ الأراك، والاستعفافُ: طلبُ العفة[1].

العِفَّةُ اصطلاحًا

قال الكفوي: العفَّةُ الكفُّ عما لا يحِلُّ[2].

قال الراغب: العفّةُ حصولُ حالةٍ للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة، والمتعففُ هو المتعاطي لذلك بضرب من الممارسة والقهر[3].

وقال أيضًا: العِفَّةُ هي ضبطُ النفس عن الملاذ الحيوانية، وهي حالةٌ متوسطةٌ من

---

(١) لسان العرب (٤/ ٣٠١٥)، والمقاييس (٤/ ٣)، والصحاح (٤/ ١٤٠٥، ١٤٠٦) والمفردات (٣٣٩).

(٢) الكليات (٦٥٦).

(٣) المفردات (٣٣٩).

إفراط هو الشَّرَهُ وتفريط وهو جمود الشهوة(١).

قال الجرجاني: العِفَّة هي هيئةٌ للقوة الشهوية، متوسطةٌ بين الفجور الذي هو إفراط هذه القوة والخمود الذي هو تفريطه، فالعفيفُ مَنْ يباشرُ الأمور على وفق الشرع والمروءة(٢).

قال الجاحظ: هي ضبطُ النفس عن الشهوات وقصرها على الاكتفاء بما يُقيم أَوَدَ الجسم ويحفظ صحته فقط، واجتنابُ السَّرَفِ في جميع الملذات وقصدُ الاعتدال، وأن يكون ما يُقتصر عليه من الشهوات على الوجه المستحب المتفق على ارتضائه وفي أوقاتِ الحاجة التي لا غنى عنها، وعلى القدر الذي لا يحتاج إلى أكثر منه، ولا يحرسُ النفس والقوةَ أقلَّ منه، وهذه الحالُ هي غايةُ العِفَّةِ(٣).

العِفَّةُ في القرآن

١-العِفَّة عن شهوة النكاح وأسبابه

قال تعالى: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٣٣]. وقال تعالى: ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّـٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَـٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٠]

٢- العِفَّة عن الأجر أو السؤال للحاجة

قال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ

---

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة (٣١٥).

(٢) التعريفات (١٥١).

(٣) تهذيب الأخلاق (٢١، ٢٢).

إِلۡحَافٗاۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٧٣]. وقال تعالى: ﴿ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴾ [النساء: ٦].

الأحاديثُ الواردةُ في العِفَّةِ

عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «**اللهم إني أسألك الهُدى والتقى، والعفافَ والغنى**»[١].

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أربعٌ إذا كُنَّ فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا؛ حفظ الأمانةِ، وصدقُ حديثٍ، وحُسْنُ خليقة، وعِفَّةٌ في طُعمةٍ**»[٢].

عن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «**ألا إن ربي أمرني أن أُعَلِّمكم ما جهلتم مما عَلَّمَني يومي هذا؛ كُلُّ مالٍ نحلتُه عبدًا حلالٌ، وإني خلقتُ عبادي حنفاء كُلَّهم، وإنهم أتتهم الشياطينُ فاجتالتهم**[٣] **عن دينهم، وحرَّمتُ عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أُنزل به سُلطانًا، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، عربَهم وعَجَمَهم إلا بقايا من أهل الكتاب، وقال: إنما بعثت لأبتليك وأبتلي بك، أنزلتُ عليك كتابًا لا يغسله الماء**[٤] **تقرؤه نائمًا ويقظان، وإن الله أمرني أن أحرق قريشًا، فقلتُ: رَبِّ إذن يثلغوا رأسي**[٥] **فيدعوه خُبزة، قال: استخرجهم كما استخرجوك، واغزهم نُغزك، وأنفق فسننفق عليك، وابعث جيشًا نبعث خمسةً مثله، وقاتل بمَنْ أطاعك مَنْ عصاك، قال: وأهل الجنة ثلاثةٌ؛ ذو سلطانٍ مقسطٌ متصدِّقٌ مُوَفَّقٌ، ورجلٌ رقيقُ القلبِ**

---

(١) مسلم (٢٧٢١).

(٢) أحمد (٢/ ١٧٧) رقم (٦٦٦١)، وصححه أحمد شاكر (١٠/ ١٣٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٣٠١) رقم (٨٨٦)، والصحيحة (٢/ ٣٧٠) رقم (٧٣٣).

(٣) اجتالتهم: استخفوهم فذهبوا بهم.

(٤) كناية عن حفظه على مدى العصور والأزمان.

(٥) يثلغوا رأسي: يشرخوه كما يشرخ الخبز (أي يُكسر).

لكل ذي قُربى ومسلم، وعفيفٌ ذو عيالٍ.

قال: وأهل النارُ خمسةٌ؛ الضعيفُ الذي لا زَبْرَ له[١]، الذين هم فيكم تبعًا لا يتبعون أهلًا ولا مالًا، والخائن الذي لا يخفى له طمعٌ وإن دق إلا خانه، ورجل لا يصبح ولا يُمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك، وذكر البُخلَ أو الكذب والشنظير[٢] الفحاش»[٣].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ثلاثة حقٌ على الله عونُهم؛ المجاهد في سبيل الله، والمكاتبُ الذي يريدُ الأداء، والناكحُ الذي يريد العفاف»[٤].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: سرَّحتني أمي إلى رسول الله ﷺ فأتيتُه وقعدتُ فاستقبلني، وقال: «مَنْ استغنى أغناه اللهُ -عزَّ وجلَّ- ومَنْ استعفَّ أعفَّهُ اللهُ -عز وجلَّ- ومنْ استكفى كفاه اللهُ -عزَّ وجلَّ- ومِنْ سأل وله قيمةُ أُوقيةٍ فقد ألحف»[٥] فقلتُ: ناقتي الياقوتة خيرٌ من أُوقية، فرجعتُ ولم أسأله.

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «عُرض عليَّ أولَ ثلاثةٍ يدخلون الجنة؛ شهيدٌ، وعفيفٌ متعففٌ ،وعبدٌ أحسن عبادة الله ونصح لمواليه»[٦].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس المسكينُ الذي تردُّهُ التمرةُ والتمرتان، ولا اللقمة ولا اللقمتان، إنما المسكينُ الذي يتعفَّفُ» اقرءوا إن شئتم: يعني

---

(١) لا زَبْرَ له: أي: لا عقل له يزبره، ويمنعه مما لا ينبغي.

(٢) الشنظير: السيِّئ الخلق.

(٣) مسلم (٢٨٦٥).

(٤) الترمذي (١٦٥٥) واللفظ له، والنسائي (٦/ ٦١)، وابن ماجه (٢٥١٨)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (١٦٥٥)، والمشكاة (٣٠٠٨٩).

(٥) النسائي (٥/ ٩٨) واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح النسائي (٢/ ٥٤٩) رقم (٢٤٣٢) أبو داود (١٦٨٢)، انظر صحيح أبي داود (١٤٤٠).

(٦) أحمد (٢/ ٤٢٥)، وحسنه أحمد شاكر (١٨/ ١٣٧٩)، والترمذي (١٦٤٢) واللفظ له.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣][١]

عن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال: **«مَنْ طالبَ حقًّا فليطلبه في عفافٍ وافٍ أو غير وافٍ»**[٢].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: **إن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم حتى إذا نفذ ما عنده، قال: «ما يكن عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومَنْ يصبر يُصبِّره اللهُ، وما أُعطي أحدٌ من عطاءٍ خيرٌ وأوسع من الصبر»**[٣].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ **قال وهو على المنبر وهو يذكر الصدقة** والتعفف عن المسألة: **«اليدُ العُليا خيرٌ من اليد السُّفلى، واليدُ العليا المنفقة، والسُّفلى السائلة»**[٤].

قال: **«يا أبا ذر، أرأيت إن أصاب الناسَ موتٌ شديدٌ يكون البيتُ فيه بالعبد -يعني القبر- كيف تصنع»**؟ قلتُ: الله ورسوله أعلمُ، قال: **«اصبر»**، قال: **«يا أبا ذر، أرأيت إن قتل الناسُ بعضُهم بعضًا -يعني حتى تغرق حجارةُ[٥] الزيت من الدماء- كيف تصنع»**؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: **«اقعد في بيتك، وأغلق عليه بابك»** قال: فإن لم أترك؟ قال: **«فأتِ مَنْ أنت منهم فكن فيهم»**، قال: فآخذُ سلاحي؟ قال: **«إذًا تشاركهم فيما هم فيه، ولكن إن خشيت أن يَرُوعَكَ شعاعُ السيف فألق طرف ردائك على وجهك حتى يبوء بإثمه وإثمك»**[٦].

---

(١) البخاري- الفتح (٨/ ٤٥٣٩) واللفظ له، ومسلم (١٠٣٩).

(٢) ابن ماجه (٢٤٢١) و صححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢/ ٥٤).

(٣) البخاري- الفتح (٣/ ١٤٢٩)، ومسلم (١٠٥٣) واللفظ له.

(٤) البخاري- الفتح (٣/ ١٤٢٩)، ومسلم (١٠٣٣) واللفظ له.

(٥) حجارة الزيت: اسم موضع بالقرب من المدينة أحجاره لامعة.

(٦) أبو داود (٤٢٦١)، وصححه الألباني (٣/ ٨٠٣) في صحيح أبي داود، وابن ماجه (٣٩٥٨) وصححه الألباني (٢/ ٣٥٥) في صحيح ابن ماجه، والحاكم (٤/ ٤٢٤) وأحمد (٥/ ١٤٩، ١٦٣) واللفظ له، انظر إرواء الغليل (٨/ ١٠١) رقم (٢٤٥١).

أقوالُ العلماءِ في العفَّة

قال عمر بن الخطاب ﷺ: لا تُكلِّفُوا الأَمَةَ غيرَ ذات الصنعة الكسب، فإنكم متى كلفتموها ذلك كسبت بفرجها، ولا تُكَلِّفوا الصغير الكسب؛ فإنه إذا لم يجد يسرق، وعفُّوا إذا أعفَّكم الله، وعليكم من المطاعم بما طاب منها(١).

قال ابن عمر ﷺ: نحن معشر قريش نعدُّ الحلم والجود والسُّؤدَدَ، ونعدُّ العفاف وإصلاح المال المروءة(٢).

وقال محمد بن الحنفية رحمه الله: الكمالُ في ثلاثةٍ؛ العِفَّةُ في الدين، والصبرُ على النوائب، وحسنُ التدبير في المعيشة(٣).

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: خمسٌ إذا أخطأ القاضي مِنهُنَّ خُطَّة كانت فيه وصمةٌ؛ أن يكون فَهِمًا، حليمًا، عفيفًا، صليبًا، عالمًا سئُولًا عن العلم(٤).

قال أبو قلابة رحمه الله: أي رجل أعظمُ أجرًا من رجل ينفق على عياله صغارٍ يُعفُّهم أو ينفعهم اللهُ به ويغنيهم؟!(٥)

قال أبو عمرو بن العلاء رحمه الله: كان أهلُ الجاهلية لا يُسوِّدون إلا مَنْ كانت فيه ستُّ خصالٍ، وتمامها في الإسلام سابعةٌ؛ السخاءُ، والنجدةُ، والصبرُ، والحلمُ، والبيانُ، والحسبُ، وفي الإسلام زيادةُ العفاف(٦).

قال منصور الفقيه رحمه الله: فضلُ التُّقي أفضل من فضل اللسان والحسب، إذا هما لم يجمعا إلى العفافِ والأدب(٧).

---

(١) الموطأ (٩٨١).

(٢) الآداب الشرعية (٢/ ١٥).

(٣) أدب الدنيا والدين (٣٩٣- ٣٩٤).

(٤) الفتح (١٣/ ١٥٦).

(٥) مسلم (٢/ ٦٩٢).

(٦) الآداب الشرعية (٢/ ٢١٥).

(٧) المرجع السابق (٢/ ٢٢١).

قال سفيان الثوري -رحمه الله- لأصحابه وقد خرجوا يوم عيد: **إن أوَّل ما نبدأُ به في يومنا عِفَّةُ أبصارنا**[١].

قال ابن مفلح رحمه الله: **كان يقال: الشكر زينةُ الغنى والعفاف زينة الفقر**[٢].

ويقال أيضًا: **حقُّ الله واجبٌ في الغنى والفقر، ففي الغنى العطف والشكر، وفي الفقر العفافُ والصبرُ**[٣].

قال الماوردي رحمه الله: **إن دين المرء يفضي إلى الستر والعفاف، ويُؤدي إلى القناعة والكفاف**[٤].

قال ابن حجر رحمه الله: **العالم إذا كان عليمًا ولم يكن عفيفًا كان ضرره أشدَّ من ضرر الجاهل**[٥].

قال ابن الجوزي رحمه الله: **الكمالُ عزيزٌ والكاملُ قليل الوجود، وأول أسباب الكمال تناسب أعضاء البدن وحسن صورة الباطن؛ فصورة البدن تسمى خَلقًا، وصورة الباطن تُسمَّى خُلُقًا، ودليل كمال صورة البدن حسن السمت واستعمال الأدب، ودليل كمال صورة الباطن حسن الطبائع والأخلاق.**

فالطبائع: العِفَّة، والنزاهة، والأَنَفَة من الجهل، ومباعدة الشَّرَهِ.

والأخلاق: الكرم والإيثار، وستر العيوب، وابتداء المعروف، والحلمُ عن الجاهل، فمن رزق هذه الأشياء رقَّته إلى الكمال، وظهر عنه أشرفُ الخِلال، وإن نقصت خَلَّةٌ أوجبت النقص[٦].

---

(١) الورع لابن أبي الدنيا (٦٣).

(٢) الآداب الشرعية (٢/ ٣١٠).

(٣) الآداب الشرعية (٢/ ٣١٠).

(٤) أدب الدنيا والدين (١٩٤).

(٥) الفتح (١٣/ ١٤٩).

(٦) صيد الخاطر (٢٨٩).

قصة في العفة

عفَّ عن اللؤلؤ فرزق المرأة اللؤلؤ

قال القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد البزار الأنصاري، المتوفَّى سنة ٥٣٥هـ ببغداد: كنتُ مجاورًا بمكة -حرسها الله تعالى- فأصابني يومًا من الأيام جوعٌ شديدٌ، لم أجد شيئًا أدفع به عني الجوع، فوجدتُ كيسًا من إبريسم مشدودًا بشرابه من إبريسيم أيضًا، فأخذته وجئتُ به إلى بيتي، فحللتُه فوجدتُ فيه عقدًا من لؤلؤ لم أرَ مثله، فخرجتُ فإذا بشيخ ينادي عليه، ومعه خرقةٌ فيها خمسمائة دينار، وهو يقول: هذا لمن يردُّ علينا الكيس الذي فيه اللؤلؤ، فقلتُ: أنا محتاجٌ وأنا جائعٌ، أفآخذُ هذا الذهب؛ فأنتفع به وأردُّ عليه الكيس؟

فقلتُ له: تعالَ إليَّ، فأخذتُه وجئتُ به إلى بيتي، فأعطاني علامة الكيس وعلامة الشرابة، وعلامة اللؤلؤ وعدده. والخيط الذي هو مشدودٌ به، فأخرجتُه ودفعتُه إليه فسلَّم إلى خمسمائة دينار، فما أخذتها وقلتُ: يجبُ عليَّ أن أعيده إليك ولا آخذُ له جزاءً. فقال لي: لا بدَّ أن تأخذ وألحَّ عليَّ كثيرًا، فلم أقبل ذلك منه فتركني ومضى.

وأما ما كان مني فإني خرجتُ من مكة وركبتُ البحر فانكسر المركبُ، وغرق الناس وهلكت أموالهم وسلِمتُ أنا على قطعة من المركب فبقيتُ مدة في البحر لا أدري أين أذهب، فوصلتُ إلى جزيرة فيها قومٌ فقعدتُ في بعض المساجد فسمعوني أقرأ فلم يبقَ في تلك الجزيرة أحدٌ إلا جاء إليَّ وقال: علمني القرآن، فحصل لي من أولئك القوم شيءٌ كثيرٌ من المال ثم إني رأيتُ في المسجد أوراقًا من مصحفٍ فأخذتها أقرأ فيها فقالوا لي: تُحسنُ تكتب؟ فقلت: نعم، فقالوا: علمنا الخط. فجاءوا بأولادهم من الصبيان والشباب فكنتُ أعلمهم، فحصل لي أيضًا من ذلك شيءٌ كثيرٌ.

فقالوا لي بعد ذلك عندنا صبيةٌ يتيمةٌ ولها شيء من الدنيا ونريد أن تتزوجَّ بها فامتنعت، فقالوا: لا بدَّ، وألزموني، فأجبتهم إلى ذلك، فلما زفُّوها إليَّ مددتُّ عيني أنظر إليها، فوجدتُ ذلك العقد بعينه معلَّقًا في عنقها، فما كان لي حينئذٍ إلا النظر إليه.

فقالوا: يا شيخ كسرت قلب هذه اليتيمة من نظرك إلى هذا العقد ولم تنظر إليها.

فقصصتُ عليهم قصة العقد، فصاحوا وصرخوا بالتهليل والتكبير حتى بلغ إلى جميع أهل الجزيرة.

فقلتُ: ما بكم؟! فقالوا: ذلك الشيخُ الذي أخذ منك العقد أبو هذه الصبية. وكان يقول: ما وجدتُ في الدنيا مسلمًا إلا هذا الذي ردَّ عليَّ هذا العقد.

وكان يدعو ويقول: اللهم اجمع بيني وبينه حتى أزوِّجه بابنتي والآن قد حصلت فبقيت معها مُدَّةً ورُزقت منها بولدين ثم إنها ماتت فورثتُ العقد أنا وولداي، ثم مات الولدان؛ فحصل العقدُ لي فبعتُه بمائة ألف دينار وهذا المالُ الذي ترونه معي من بقايا ذلك المال[1].

---

(١) قصصٌ إيمانية مع المتقين لعادل بن محمد العبد العالي (٢٢/ ٢٤).

مجاهدة النفس لغةً واصطلاحًا

المجاهدةُ لغةً

مصدر جاهد يجاهد جهادًا ومجاهدةً، وهو مأخوذٌ من مادة (ج هـ د) التي تدلُّ على المشقة.

يُقال: جهدتُ نفسي، وأجهدتُ. والجُهد: الطاقة، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾ [التوبة: ٧٩] ويُقال: إن المجهود؛ اللبنُ الذي أخرج زبده ولا يكاد ذلك يكون إلا بمشقة ونصب.

قال الجوهري: والجَهدُ والجُهْدُ: الطاقة.

قال الفرَّاءُ: الجُهْد بالضم: الطاقةُ، والجَهْدُ: المشقة. يُقال: جهد دابته وأجهدها إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها، وجُهد الرجلُ فهو مجهودٌ، من المشقة. وجَهَدَ الرجلُ في كذا أي: جدَّ فيه وبالغ.

قال ابنُ منظور: الجَهْدُ والجُهْدُ: الطاقةُ والمشقَّةُ وبذلُ الوسعِ مصدرٌ من جهد، والمجاهدةُ: مصدر جاهد. والمجاهدة فطامُ النفس عن الشهوات ونزعُ القلب عن الأماني والشهوات[١].

النَفسُ لُغةً

هي الروح، يُقال: فَرِحَتْ نفسُه، والنفسُ الدَّمُ؛ وذلك أنه إذا فقد الدمُ من الإنسان فقد نَفسه، أو لأن النفسَ تخرج بخروجه يُقال: سالت نَفْسُه.

والنفس أيضًا الجسد، والنفسُ العينُ يُقال أصابت فلانًا نفسٌ أي: عينٌ، والنافسُ العائنُ، ونفسُ الشيء عينهُ يؤكدُ به، يُقال رأيتُ فلانًا نفسه، والنَفَسُ بالتحريك واحد الأنفاس، وقد تنفَّس الرجلُ، وتنفَّس الصَّعَداءَ، وتنفَّس الصبح، أي: تبلَّجَ.

ويُقال: أبت في نفس من أمرك أي: في سعةٍ وشيٌّ، نفيس أي: يتنافس فيه ويُرغبُ،

---

(١) الصحاح (٢/ ٤٦٠) مقاييس اللغة (١/ ٤٨٦)، لسان العرب (٣/ ١٣٣- ١٣٥).

وهذا أنفسُ مالي أي: أحبُّه وأكرمُهُ عندي؛ ويُقال: نَفُسَ الشيءُ نفاسةً أي: صار نفيسًا، وتنافستُ في الشيء منافسةً ونفَاسًا إذا رغبتُ فيه على وجه المباراة في الكرم. وتنافسوا فيه أي: رغبوا.

قال ابن منظور: النفسُ في كلام العرب على ضربين؛ أحدهما: قولك خرجت نفسُ فلانٍ أي: روحه، وفي نفس فلان أن يفعل كذا أي: في روعه، والآخر: جملةُ الشيء وحقيقتُه، تقولُ: قتل فلانٌ نفسه، وأهلك نفسه أي: أوقع الإهلاك بذاته كلها.

وجمعُ النفس: أنفس (في القِلَّة) ونفُوس (في الكثرة).

قال ابن الأنباري: النفسُ: الغيب؛ لأن النفس لما كانت غائبةً أُوقعت على الغيب كأنه قال: تعلمُ غيبي يا علاَّم الغيوب.

قال ابن خَالَوَيْه: النفسُ: الروحُ، والنفسُ: ما يكون به التمييز، والنفسُ: الدمُ، والنفسُ: الأخ: والنفسُ: بمعنى عند.

أما النفس بمعنى الروح، والنفسُ ما يكون به التمييز فشاهده قولهُ تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾[الزمر: ٤٢] فالنفس هي التي تزولُ بزوال الحياة. والنفسُ الثانية هي التي تزولُ بزوال العقل، وأما النفسُ بمعنى الدم فشاهده قولُ السَّمَوْءلِ:

تسيلُ على حَدِّ الظُّبَاتِ نفوسُنا ... وليست على غير الظُّبات تسيلُ

وأما النفس بمعنى الأخ فشاهده قول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ﴾[النور: ٦١][1].

النفس اصطلاحًا

النفسُ هي الجوهرُ البخاريُّ اللطيفُ الحامل لقوة الحياة والحسِّ والحركة الإرادية[2].

---

(١) المقاييس (٥/ ٤٦٠)، والصحاح (٣/ ٩٨٤)، ولسان العرب (٦/ ٢٣٣- ٢٣٧).

(٢) التعريفات للجرجاني (٢٦٢).

مجاهدةُ النفس اصطلاحًا

محاربةُ النفس الأمارة بالسوء بتحميلها ما يشقُّ عليها لما هو مطلوبٌ في الشرع[١].

قال المناوي: وقيل المجاهدة هي حملُ النفس على المشاق البدنية ومخالفة الهوى. وقيل: هي بذل المستطاع في أمر المُطاع أي: المولى عز وجل[٢].

الأحاديث الواردة في المجاهدة

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟**» قالوا: بلى يا رسول الله: قال: «**إسباغُ الوضوء على المكاره وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط**»[٣].

وعن فضالة بن عبيد عن رسول الله ﷺ قال: «**كُلُّ ميتٍ يُختم على عمله إلا الذي مات مرُابطًا في سبيل الله، فإنه يُنمَّى له عملُهُ إلى يوم القيامة، ويأمنُ من فتنة القبر**» قال: وسمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**المجاهدُ مَنْ جاهد نفسه**»[٤].

وعن ربيعة بن كعب الأسلمي ﷺ قال: كنتُ أبيتُ مع رسول الله ﷺ فأتيتُه بوضوئه وحاجته. فقال لي: «**سَلْ**» فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة قال: «**أو غير ذلك؟**» قلتُ هو ذاك. قال: «**فأعنِّي على نفسك بكثرة السجود**»[٥].

وعن أبي بن كعب ﷺ قال: كان رجلٌ لا أعلم رجلًا أبعدَ من المسجد منه وكان لا تخطئه صلاة. قال: فقيل له: أو قلتُ له: لو اشتريت حمارًا تركبه في الظلماء وفي الرمضاء.

---

(١) التعريفات (٢٠٤).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (٢٩٧).

(٣) مسلم (٢٥١).

(٤) أحمد في المسند (٦/ ٢٠-٢٢) والترمذي (١٦٢١) واللفظ له، وأبو داود (٢٥٠٠) وإلى قوله (فتنة القبر) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٦٢١) وصحيح أبي داود (١٢٥٨) والصحيحة (٥٤٩)، المشكاة (٣٤).

(٥) مسلم (٤٨٩).

قال: ما يسرُّني أن منزلي إلى جنب المسجد. إني أريد أن يُكتب لي ممشاي إلى المسجد ورجوعي إذا رجعتُ إلى أهلي؛ فقال رسولُ الله ﷺ: «**قد جمع الله لك ذلك كله**»(١).

وعن معقل بن يسار أن رسول الله ﷺ قال: «**العبادة في الهرج كهجرة إليَّ**»(٢)

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **يقول الله عز وجل: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خيرٍ منهم، وإن تقرَّب إليَّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرَّب إليَّ ذراعًا تقربت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**»(٣).

وعن أبي هريرة ﷺ **أن رسول الله ﷺ قال: «ليس الشديد بالصُّرعة إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب**»(٤)

أقوال العلماء في مجاهدة النفس

قال أبو بكر الصديق ﷺ في وصيته لعمر حين استخلفه: **إنَّ أوَّل ما أحذرك: نفسك التي بين جنبيك**(٥).

قال على بن أبي طالب ﷺ: **أول ما تُنكرون من جهادكم أنفسكم**(٦).

قال ابن عمر ﷺ لما سُئل عن الجهاد: **ابدأ بنفسك فجاهدها، وابدأ بنفسك فاغزُها**(٧).

قال عمار بن ياسر: **ثلاثةٌ من جمعهن جمع الإيمان: الإنصاف من نفسه، والإنفاقُ من**

---

(١) مسلم (٦٦٣).
(٢) مسلم (٢٩٤٨).
(٣) البخاري الفتح (١٣/ ٧٤٠٥) واللفظ له ومسلم (٢٦٧٥).
(٤) البخاري الفتح (١٠/ ٦١١٤) واللفظ له، ومسلم (٢٦٠٩).
(٥) جامع العلوم والحكم (١٧٢).
(٦) نفس المصدر (١٧١).
(٧) نفس المصدر (١٧١).

الإقتار، وبذل السلام للعَالَمِ[١].

قال الحسن رحمه الله: ما الدابة الجَمُوحُ بأحوج إلى اللجام الشديد من نفسك[٢].

قال إبراهيمُ بن علقمة لقوم جاءوا من الغزو: قد جئتم من الجهاد الأصغر فما فعلتم في الجهاد الأكبر؟ قالوا: وما الجهاد الأكبر ؟ قال جهادُ القلب[٣].

قال ميمون بن مهران: لا يكونُ الرجلُ تقيًّا حتى يُحاسب نفسه محاسبة شريكه، وحتى يعلم من أين ملبسه ومطعمه ومشربه[٤].

وكان أبو العباس الموصلي يقول لنفسه: يا نفسُ لا في الدنيا مع أبناء الملوك تتنعمين، ولا في طلب الآخرة مع العُبَّاد تجتهدين، كأني بك بين الجنة والنار تحبسين، يا نفسُ ألا تستحين[٥].

قال ابن المبارك رحمه الله: إن النصر مع الصبر يشمل الجهادين: جهاد العدو الظاهر وجهاد العدو الباطن. فمَنْ صبر فيهما نُصِر وظفر بعدوه، ومَنْ لم يصبر فيهما وجزع قُهر وصار أسيرًا لعدوه أو قتيلًا له[٦].

قال يحيى بن معاذ الرازي: أعداء الإنسان ثلاثة: دنياه، وشيطانه، ونفسه؛ فاحترس من الدنيا بالزهد، ومن الشيطان بمخالفته، ومن النفس بترك الشهوات.

وقال أيضًا: جاهد نفسك بأسياف الرياضة.

والرياضة على أربعة أوجه:

١- القوت من الطعام
٢- والغمض من المنام
٣- والحاجة من الكلام
٤- وحمل الأذى من جميع الأنام

---

(١) نفس المصدر (١٧١).
(٢) الإحياء (٣/ ٧١).
(٣) جامع العلوم الحكم (١٧١).
(٤) الزهد لوكيع (٢/ ٥٠١-٥٠٢).
(٥) الإحياء (٣/ ٧١).
(٦) جامع العلوم والحكم (١٧٢).

فيتولد من قلة الطعام، موتُ الشهوات. ومن قلة المنام صفوُ الإرادات. ومن قلة الكلام السلامةُ من الآفات. ومن احتمال الأذى البلوغُ إلى الغايات. وليس على العبد شيءٌ أشدُّ من الحلم عند الجفاء، والصبر على الأذى، وإذا تحركت من النفس إرادةُ الشهوات والآثام، وهاجت منها حلاوةُ فضول الكلام جرَّدت سيوف قلة الطعام من غِمْدِ التهجد وقلة المنام، وضربتها بأيدي الخمول وقلة الكلام، وحتى تنقطع عن الظلم والانتقام، فتأمن من بوائقها من بين سائر الأنام، وتُصفِّيها من ظلمت شهواتها فتنجو من غوائل آفاتها، فتصيرُ عند ذلك نظيفة ونوريةً خفيفةً روحانية، فتجول في ميدان الخيرات، وتسيرُ في مسالك الطاعات، كالفرس الفاره في الميدان وكالملك المتنزه في البستان[١].

قال الفيروزآبادي: والحقُّ أن يُقال: المجاهدة ثلاثةُ أَضْرب: مجاهدة العدو الظاهر، ومجاهدة الشيطان، ومجاهدة النفس. والمجاهدةُ تكون باليد واللسان[٢].

قال الغزالي رحمه الله: إن النفس عدوٌّ منازعٌ يجب علينا مجاهدتُها[٣].

قال ابن القيم رحمه الله: لا يسيئ الظن بنفسه إلا مَنْ عرفها، ومن أحسن الظنَّ بنفسه فهو من أجهل الناس بنفسه[٤].

قال ابن رجب في مجاهدة النفس: عن أبي بكر قوله: وهذا الجهاد يحتاج أيضًا إلى صبر، فمَنْ صبر على مجاهدة نفسه وهواه وشيطانه غلبهم وحصل له النصرُ والظفرُ، وملك نفسه فصار ملكًا عزيزًا، ومَنْ جزع ولم يصبر على مجاهدة ذلك غُلب وقُهر وأُسر وصار عبدًا ذليلًا أسيرًا في يد شيطانه وهواه، وهو كما قيل:

إذا المرء لم يغلب هواه أقامه ... بمنزلةٍ فيها العزيزُ ذليلُ[٥]

وقال رحمه الله: وكذلك جهادُ العدو الباطن، وهو جهادُ النفس والهوى، فإن

---

(١) الإحياء (٣/ ٦٦، ٧١).
(٢) بصائر ذوي التمييز (٢/ ٤٠٢).
(٣) الإحياء (٣/ ٦٥).
(٤) المدارج (١/ ١٩١)
(٥) جامع العلوم والحكم (١٧٢).

جهادهم من أعظم الجهاد[1].

قال بعض الصالحين في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا ﴾ [العنكبوت: ٦٩]: **ومن جملة المجاهدات مجاهدةُ النفس بالصبر عند الابتلاء ليعقب ذلك أنسُ الصفاء، وينزع عنه** لباس الجفاء[2].

وقيل لبعض أهل الرياضة: كيف غلبت نفسك؟ **فقال: قمتُ في صف حربها بسلاح الجد، فخرج مرحبُ الهوى يدافع فعلاه عليُّ العز بصارم الحزم، فلم تمضِ ساعة حتى ملكتُ خيبر.**

وقيل لآخر: كيف قدرت على هواك؟ فقال: خدعتُه حتى أسرتُه، واستلبتُ عُودَه فكسرتُه، وقَيَّدَتُه بقيد العُزلة، وحفرتُ له مطمورَ الخمول في بيت التواضع، وضربته بسياط الجوع فلانَ.

يا فلان، ألك في مجاهدة النفس نيَّة؟ أم النيَّةُ نيَّةٌ؟ أتعبتني وأنت أنت... **إلى متى تجول في طلب هجول**[3]**؟! ما عزَّ يوسفُ إلا بترك ما ذلَّ به (ماعز).**

قال أحد الصالحين: **كلما عظُمَ المطلوبُ في قلبك، صَغُرت نفسُك عندك، وتضاءلت القيمةُ التي تبذلُها في تحصيله، وكلما شهدت حقيقةَ الربوبية وحقيقة العبودية، وعرفت الله وعرفت النفس، وتبيَّن لك أن ما معك من البضاعة لا يصلح للملك الحق، ولو جئت بعمل الثقلين خشيت عاقبته، وإنما يقبله بكرمه وجوده ومُفضِّلية، ويُثيبك عليه أيضًا، بكرمه وجُوده وتفضيله**[4].

يا أطيار القلوب، إلى كم في مزبلة الحبس؟ اكسري بالعزم قفص الحرص، واخرجي إلى فضاء القدس، روحي خماصًا من الهوى تعودي بطانًا من الهدى....

---

(١) نفس المرجع (١٧١).

(٢) دليل الفالحين (١/ ٣٠٢).

(٣) هجول: جمع هجل وهي المفازة الواسعة.

(٤) المدراج (١/ ١٩٦).

بين أبي الحركة وأم القصد ينتج ولدُ الظفر... لا يُنال الجسيمُ بالهُوَيْنِي... حملُ النفس على المشاق مدرجةٌ إلى الشرف.. واعجبًا من توقفُ الكسالى والدُّرُّ يُنثر، أشهودٌ كغياب؟!. أكانون في آب؟! الحربُ خصمٌ قائم، وأنت غلامٌ نائم، ادخل بسلامتك، لابس لامتك.

ليس في سلاح المحارب أحدٌ من نبله عزم... أجرأ الليوث أجرُّها للصيود. ياَ مَنْ نيتُك في الخير نية، لو أنضجتها نيرانُ خوفٍ أو شوقٍ لانتفعت بها، لو قد طلعت شمس العزيمة في نهار اليقظة لانبعث عالم النشاط في صحراء المجاهدة، واعجبًا لهمتك! أيُسال عن الهلال أعمى؟!. ويستملى الفصاحة من باقل؟! ويُنتظر الوفاء من عرقوب؟! يا من أخذ الهوى بأزمّته، وأمسك الردى بلمته، يا رهين ديون تعلَّقت بذمَّته، هذا أوان جدِّك إن كنت مُجِدًّا، هذا زمان استعدادك إن كنت مستعدًا، رُض مهرَّ النفس يتأتَّ ركوبُه، تلمَّح فجر الأجر يُهنْ ظلام التكليف.

ويحك... إنما يكون الجهاد بين الأمثال؛ ولذلك مُنع من قتل النساء والصبيان، فأيُّ قدرٍ للدنيا حتى يحتاج قلبُك إلى محاربةٍ لها؟! أما علمت أن شهواتها جيفٌ ملقاة؟! أفيحسنُ بباشق الملك أن يطير عن كَفِّه إلى ميتةٍ؟!

مهلًا... لا تمدَّنَ عينيكَ... لو علمت أن لذَّة قهر الهوى أطيبُ من نيله لما غلبك، أما ترى الهِرَّةَ تتلاعبُ بالفأرة ولا تقتلها لتبين أثر اقتدارها؟! وربما تغافلت عنها، فتمعن الفأرةُ في الهرب فتثب فتدركها ولا تقتلها إيثارًا للذة القهر على لذة الأكل. مَنْ ذبح حنجرة الطمع بخنجر اليأس أعتق القلب من أسرِ الرقِّ.

مَنْ ردم خندق الحرص بسكر القناعة ظفر بكيمياء السعادة...مَنْ تدرَّعَ بدرع الصدق على بدن الصبر، هزم عسكر الباطل...مَنْ حصد عُشبَ الذنوب بمنجل الورع طابت له روضةُ الاستقامة، مَنْ قطع فضول الكلام بشفرة الصمت وجد عذوبة الراحة في القلب...مَنْ ركب مركب الحذر مرَّت به رخاءُ الهدى إلى رجاء النجاة...منْ أرسى على ساحل الخوف لاحت له بلادُ الأمن... ألا عزيمة عُمَرِية؟! ألا هجرة سلمانيةٌ؟!.

يا هذا، إذا هممت بخيرٍ فبادر لئلا تُغلب، وإذا هممت بشرٌ فسوِّف هواك لعلَّك

تغلب... ثقِّف نفسك بالآداب قبل صحبة الملوك، فإن سياسة الأخلاق مراقي المعالي...غمِّض عينيك على الدواء يعمل، وافتحها لرؤية الهدى تُبصر، حَجُر المعصية تطحطح إناء الغلب.. وضبة التوبة شعاب.

يا مَنْ عزمُه في الإنابة جزرٌ بلا مَدٍّ، وقفت سفينةُ نجاتك... ليل كسلك قد أطبق آفاقَ التَرَدُّد، وقد طلبت فيه أطيارُ الهمَّة أوكار الدعة، فلو قد طلعت شمسُ العزيمة في نهار اليقظة لانبث عالم النشاط في صحراء المجاهدة...اترك الهوى محمودًا قبل أن يتركك مذمومًا.

المحاسبةُ لُغة واصطلاحًا

المحاسبةُ لغةً

مصدر حاسب يحاسبُ، هو مأخوذٌ من مادة (ح س ب) التي تدلُّ على العدِّ. وحاسبتُه من المحاسبة، واحتسبتُ عليه كذا: إذا أنكرته عليه، وشيءٌ حسابٌ أي: كافٍ، ومنه قوله تعالى: ﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴾ [النبأ: ٣٦] والحسيبُ والمحاسِبُ: مَنْ يحاسبُك. ثم عبَّر به عن المكافئ في الحساب.

قال ابن منظور: الحسابُ والمحاسبةُ: عدُّك الشيء، وحَسَبَ الشيءَ يَحْسُبُهُ بالضم، حَسْبًا وحِسَابًا وحسابةً: عدَّه، وحَاسَبَهُ من المحاسبةِ، ورجلٌ حاسبٌ من قوم حُسَّبٍ وحُسَّابٍ، وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [البقرة: ٢٠٢] أي: حسابه واقعٌ لا محالة، وكلُّ واقعٍ فهو سريعٌ، وسرعةُ حساب الله أنه لا يشغله حسابٌ واحدٍ عن محاسبة الآخر[١].

المحاسبةُ اصطلاحًا

قال الماوردي: المحاسبة هي: استيفاءُ الأعداد فيما للمرء أو عليه[٢].

وقال: محاسبةُ النفس أن يتصفَّح الإنسانُ في ليله ما صدر من أفعال نهاره، فإن كان محمودًا أمضاه، وأتبعه بما شاكله وضاهاه، وإن كان مذمومًا استدركه إن أمكن، وانتهى عن مثله في المستقبل[٣].

---

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٥٩) والصحاح (١/ ١١٠) والمفردات (١١٧)، لسان العرب (١/ ٣١٣، ٣١٤).

(٢) التوفيق على مهمات التعاريف (٢٩٨).

(٣) أدب الدنيا والدين (٣٤٢).

أقوال العلماء في المحاسبة

قال عمر بن الخطاب ﷺ: حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبُوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، فإنه أهونُ عليكم في الحساب غدًا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزيَّنُوا للعرض الأكبر: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨][(١)].

وكتب عمر بن الخطَّاب ﷺ إلى بعض عماله، فكان في آخر كتابه: أن حاسب نفسك في الرخاء، قبل حساب الشدَّةِ، فإنه مَنْ حاسب نفسه في الرخاء قبل حساب الشدَّة عاد مرجعه إلى الرضا والغبطة، ومن ألهته حياتُه وشغلته أهواؤه عاد أمرُهُ إلى الندامة والحسرة، فتذكر ما تُوعظُ به لكيما تنتهي عما ينهى عنه، وتكونَ عند التذكرة والعظة من أولي النُهى[(٢)].

وقال عمر بن الخطاب لفضيل بن زيد الرقاشي: لا يلهينَّك الناسُ عن ذات نفسك، فإن الأمر يخلُصُ إليك دونهم، ولا تقطع النهار بكيْت وكَيْتَ، فإنه محفوظٌ عليك ما قُلتَه، ولم ترَ شيئًا أحسنَ طلبًا ولا أسرع إدراكًا من حسنةٍ حديثةٍ لذنبٍ قديمٍ[(٣)].

قال الحسنُ رحمه الله: إن العبد لا يزالُ بخير ما كان له واعظٌ من نفسه، وكانت المحاسبةُ من همته[(٤)].

---

(١) إغاثة اللهفان (٩٤).

(٢) نفس المصدر (٩٥).

(٣) محاسبة النفس لابن أبي الدنيا (٣٨).

(٤) نفس المصدر (٣٤).

من قصص المحاسبة

رياحُ القيسي

قال مالكُ بن ضيغم: جاء رياح القيسي يسأل عن أبي بعد العصر فقلنا: إنه نائمٌ، فقال: أَنَوْمٌ هذه الساعة؟! أهذا وقتُ نوم؟! ثم ولَّى مُنصرفًا، فأتبعناه رسولًا. فقلنا: قُل له: ألا نوقظه لك؟

قال: فأبطأ علينا الرسول، ثم جاء وقد غربت الشمس، فقلنا: أبطأت جدًّا، فهل قلت له؟ قال: هو أشغل من أن يفهم عني شيئًا، أدركته وهو يدخل المقابر، وهو يعاتب نفسه، وهو يقول:

أقلت: أنومٌ هذه الساعة؟ أفكان هذا عليك؟ ينامُ الرجل متى يشاء، وقلتِ: هذا وقت نومٍ؟ تسألين عما لا يعنيك، وتكلمين بما لا يعنيك؟! أما إن لله عليَّ عهدًا لا أنقضه أبدًا، لا أُوسدُك الأرض لنومٍ حَوْلًا إلا لمرض جاء بك أو لذهاب عقل زائل، سوأةً لك، سوأةً لك، أما تستحين كم تُوبَخين؟! وعن غيِّك لا تنتهين!

قال: وجعل يبكي وهو لا يشعر بمكاني، فلما رأيت ذلك انصرفتُ وتركته[1].

زيادُ بنُ أبي زياد

قال محمد بن المنكدر: إني خلَّفتُ زياد بن أبي زياد مولى أبي عياش، وهو يخاصم نفسه في المسجد، يقول: اجلسي، أين تردين؟ أين تذهبين؟ أتخرجين إلى أحسن من هذا المسجد؟! انظري إلى ما فيه، تريدين أن تبصري دار فلان ودار فلان ودار فلان؟ قال: وكان يقول لنفسه: وما لك من النساء إلا هذه ا لعجوز، أفتحبين أن تموتي؟ فقالت: أنا أصبر على هذا العيش[2].

---

(١) صفة الصفوة: (٣/ ٣٦٨)، الحلية (٦/ ١٩٢)، محاسبة النفس (٥٧-٥٨).

(٢) محاسبة النفس (٩٣، ٩٤).

عطاءُ السُّليمي

قال سوار أبو عبيدة: قالت لي امرأةُ عطاء السُّليمي: عاتب عطاء في كثرة البكاء، فعاتبتُه، فقال لي: يا سوار، كيف تعاتبني في شيء هو إليَّ، إني إذا ذكرتُ أهل النار وما ينزل بهم من عذاب الله -عزَّ وجلَّ- وعقابه، تمثلت لي نفسي بهم، فكيف لنفس تغلُّ يدها إلى عنقها، وتسحب في النار أن لا تصيح ولا تبكي؟! وكيف لنفس تُعذب أن لا تبكي؟! ويحك يا سوار! ما أقلَّ عناء البكاء عن أهله، إن لم يرحمهم اللهُ عزَّ وجلَّ.

عَابِدٌ

قال كلابُ بنُ جري: رأيتُ شابًّا ببيت المقدس قد عمش من طول البكاء، فقلتُ له: يا فتى كم تكون العينُ سليمة على هذا البكاء؟ قال: فبكى، ثم قال: كم شاء ربي فلتكن، وإذا شاء سيدي فلتذهب، فليستْ بأكرم عليَّ من بدني، إنما أبكي رجاء السرور والفرح في الآخرة، وإن تكن الأخرى فهو والله شقاء الدهر، وحزن الأبد، والأمرُ الذي كنتُ أخافه وأحذره على نفسي، وإني أحتسبُ على الله غفلتي في نفسي وتقصيري في حظي، ثم غُشي عليه.

عَابِدٌ آخر

قال طلقُ بنُ معاوية: قدم رجلٌ منا -يُقال له: هندُ بنُ عوف- من سفر، فمهَّدت له امرأته فراشًا، وكانت له ساعةٌ من الليل يقومها فنام عنها حتى أصبح، فحلف أن لا ينام على فراشٍ أبدًا[1].

---

(١) أي على فراش لَيِّن، قلتُ: ولا ينبغي أن يشقَّ الإنسان على نفسه، ويُفضَّلُ أن يكون العقاب في حيز الاستطاعة وعدم المشقة التي ربما تُفضي إلى التهلكة بالنفس.

المحبةُ لغةً واصطلاحًا

المحبةُ لغةً

هي الاسم من الحُبِّ وكلاهما مأخوذٌ من مادة (ح ب ب) التي تدل على اللزوم والثبات.

قال ابن فارس: واشتقاق الحُبِّ والمحبة من أحَبَّه إذا لزمه، والمحبُّ هو البعيرُ الذي يحسرُ فيلزم مكانه.

وقال الراغب: حببتُ فلانًا، في الأصل بمعنى أصبتُ حَبَّةَ قلبِه، نحو شغفتُه، وكبدتُه وفأدتُه، وأما قولهم: أحببتُ فلانًا فمعناه: جعلتُ قلبي مُعرَّضًا لحُبِه، واستُعمل حببتُ في موضع أحببتُ.

قال: والمحبَّةُ إرادةُ ما تراه أو تظنُّه خيرًا، والاستحبابُ: أن يتحرى الإنسان في الشيء أن يحبَّه كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ [فصلت: ١٧] ومحبة الله تعالى للعبد: إنعامُهُ عليه، ومحبةُ العبدِ له: طلبُ الزلفى إليه.

وقال الجوهري: والحُبُّ: المحبَّةُ وكذلك الحِبُّ بالكسر، والحِبُّ أيضًا: الحبيب، ولقد حَبِبتَ بالكسر أي: صرتَ حبيبًا، وحُبَّ بفلانٍ أي: ما أحبَّهُ إليَّ! وأصله حَبُبَ بضم الباء، وتحابوا أحبَّ بعضهم بعضًا، وتحبَّب إليه: تودَّدَ.

وقال ابن منظور: الحُبُّ: الوداد والمحبةُ والحُبُّ: نقيضُ البُغض، وكذلك الحِبُّ بالكسر ويُقال للمحبوب، وأحبَّه فهو محبٌّ، وهو محبوبٌ على غير قياس، وقد قيل: مُحَبٌّ على القياس.

قال الأزهري: أحبَّه يُحِبُّهُ بالكسر فهو محبوبٌ.

وقال الجوهري: وهذا شاذٌّ.

وحكى سيبويه: حببتُه وأحببتُه بمعنى.

وقال أبو زيد: أحبَّهُ الله فهو محبوبٌ، واستحبهُ كأحبَّه، والاستحبابُ الاستحسان، والمحبَّةُ: اسمٌ للحُبِّ، وتحبَّبَ إليه: تودَّدَ، والأنثى حِبَّةٌ، وجمع الحِبِّ: أحبابٌ وحِبَّانٌ،

والحبيبُ والحُبابُ بالضم: الحِبُّ، والأنثى بالهاء، وحبَّب إليه الأمر: جعله يُحبُّه، وهم يتحابون أي: يحبُّ بعضهُم بعضًا، والتحبُّبُ: إظهارُ الحُبِّ، وحبَّانٌ وحُبَّانٌ: اسمان موضوعان من الحُبِّ، والمَحبَّةُ والمحبوبةُ جميعًا من أسماء مدينة رسول الله ﷺ[1].

المحبةُ اصطلاحًا

قال الكفوي: المحبَّةُ إفراطُ الرضا وهو قسمان؛ قسمٌ يكون لكل مُكلَّفٍ، وهو ما لا بد منه في الإيمان، وحقيقته قبول ما يراد من قبل الله من غير اعتراضٍ على حكمه وتقديره، وقسم لا يكون إلا لأرباب المقامات، وحقيقتُه ابتهاج القلب وسروره بالمقْضيِّ والرضا فوق التوكل؛ لأن المحبَّة في الجملة[2].

قال الراغب: المحبةُ ميلُ النفس إلى ما تراه وتظنُّهُ خيرًا، وذلك ضربان؛ أحدهما طبيعيٌّ وذلك يكون في الإنسان والحيوان، وقد يكون في الجمادات، والآخرُ اختياري ويختص به الإنسانُ[3].

والمحبةُ: الميلُ إلى ما يوافق المحب وقد تكون بحواسه كحسن الصورة، أو بفعله إما لذاته كالفضل والكمال وإما لإحسانه كجلب نفعٍ أو دفع ضرر.

(انتهى تلخيصًا من كلام النووي نقلًا عن ابن حجر)[4].

---

(١) المصباح المنير (١/ ١٢٧) المقايس (٢/ ٢٦)، والمفردات للراغب (١٠٥)، الصحاح للجوهري (١/ ١٠٦)، مختار الصحاح (١١٩) ولسان العرب (١/ ٢٨٩- ٢٩٠).

(٢) الكليات للكفوي (٤٧٨).

(٣) الذريعةُ إلى مكارم الشريعة (٣٦٣).

(٤) فتح الباري (١/ ٧٤).

الأحاديث الواردة في المحبة

عن أنس بن مالك ﷺ أن رجلًا سأل النبي ﷺ: متى الساعةُ يا رسول الله؟ قال: **«ما أعددت لها؟»** قال: ما أعددتُ لها من كثير صلاة ولا صومٍ ولا صدقةٍ، ولكني أحبُّ الله ورسوله، قال: **«أنت مع مَنْ أحببت»**(١).

عن عمر بن الخطاب ﷺ أن رجلًا كان على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله وكان يلقب حمارًا وكان يضحك رسول الله ﷺ وكان النبيُّ ﷺ قد جلده في الشراب، فأتي به يومًا فأمر به فجُلد، فقال رجلٌ من القوم: اللهم العنه ما أكثر ما يُؤتى به! فقال النبي ﷺ: **«ما(٢) علمتُ أنه يحب اللهَ ورسولَه»**(٣).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظلَّ إلا ظِلِّي»**(٤).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **إن الله قال: مَنْ عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افترضتُه عليه، وما يزالُ عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يبصرُ به، ويدَه التي يبطش بَها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنَّه، وما تردَّدْتُ عن شيءٍ أنا فاعله ترددِي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مَسَاءَتَهُ»**(٥).

عن عامر بن سعد قال: كان سعد بنُ أبي وقَّاص في إبله، فجاءه ابنُهُ عمر، فلما رآه سعدٌ قال: أعوذُ بالله من شر هذا الراكب، فنزل فقال له: أنزلت في إبلك وغنمك وتركت الناس يتنازعون الملكَ بينهم؟ فضرب سعدٌ في صدره فقال: اسكت، سمعتُ رسولُ الله

---

(١) البخاري: الفتح (١٠/ ٦١٧١)، واللفظ له، ومسلم (٢٦٣٩).

(٢) يحتمل أن يكون المعنى الذي علمت أنه يحب الله ورسوله، على أساس أن (ما) اسم موصول بمعنى الذي ويمكن أن تكون ما زائدة ويثبت نفس المعنى، والله أعلم.

(٣) البخاري -الفتح (١٢/ ٦٧٨٠).

(٤) مسلم (٢٥٦٦)

(٥) البخاري الفتح (١١/ ٦٠٥٢).

ﷺ يقول: «**إن الله يحبُّ العبدَ التقيَّ الغنيَّ الخفيَّ**»[١].

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»[٢].

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبيُّ ﷺ: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن؛ سبحان الله وبحمده، وسبحان الله العظيم**»[٣].

عن عائشة ﷺ أنها قالت: سُئل النبيﷺ أيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله؟ قال: «**أدومها وإن قَلَّ**»[٤].

عن ابن مسعود ﷺ قال: سألتُ النبيﷺ أيُّ العمل أحبُّ إلى الله؟ قال:«**الصلاةُ على وقتها**» قلتُ: ثم أيٌّ؟ قال: «**برُّ الوالدين**» قلتُ: ثم أيٌّ؟ قال: «**الجهادُ في سبيل الله**»[٥].

عن أبي أمامة الباهلي ﷺ أن رسول اللهﷺ قال: «**مَنْ أحبَّ لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**»[٦].

عن أنسٍ ﷺ عن النبي ﷺ: قال: «**لا يُؤمنُ أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه**»[٧].

وعن ابن عباسﷺ قال: قال رسولُ اللهﷺ لأشَجِّ عبد القيس: «**إن فيك لخصلتين يحبهما اللهُ: الحلمُ والأناةُ**»[٨].

عن أبي هريرة ﷺ عن النبيﷺ «**أن رجلًا زار أخًا له في قرية أخرى، فأرصد الله له**

---

(١) مسلم (٢٩٦٥).

(٢) مسلم (٥٤).

(٣) البخاري - الفتح (١١/ ٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤).

(٤) البخاري (الفتح (١/ ٤٣)، ومسلم (٧٨٢) واللفظ له.

(٥) البخاري -الفتح (١/ ٥٢٧) ومسلم (٨٥) واللفظ للبخاري.

(٦) أبو داود (٤٦٨١) واللفظ له، وأحمد (٣/ ٤٣٨، ٤٤٠)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٨٠).

(٧) البخاري - الفتح (١/ ١٣) واللفظ له، ومسلم (٤٥).

(٨) مسلم (١٧).

على مدرجته[١] ملكًا، فلما أتى عليه قال: أين تريدُ؟ قال: أريدُ أخًا لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة ترُبها[٢]؟ قال: لا، غير أني أحببتُه في الله -عز وجل- قال: فإني رسولُ الله إليك، بأن اللهَ قد أحبَّك كما أحببته فيه»[٣].

عن أنس بن مالك ﷺ أن رجلًا كان عند النبي ﷺ، فمرَّ به رجلٌ فقال: يا رسول الله إني لأحبُّ هذا، فقال له النبيُّ ﷺ «أعْلَمته؟» قال: لا، قال: «أعْلِمه» فلحقه، فقال: إني أحبُّك في الله، قال: أحبَّك اللهُ الذين أحببتني له[٤].

---

(١) أي: طريقه

(٢) أي: تقوم بإصلاحها وتنهض إليه بسببها.

(٣) مسلم(٢٥٦٧).

(٤) أبو داود (٥٢١٥) وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٣/ ٩٦٥).

من صور المحبة

خُليدُ العصري

قال خليدُ العصري: يا إخوتاه، هل منكم من أحد لا يحبُّ أن يلقى حبيبَه؟ ألا فأحِبُّوا ربَّكم -عز وجل- وسيروا إليه سيرًا جميلًا، لا مصعدًا ولا ميلًا[١].

عبدُ القادر الجيلانيُّ

قال الشيخ عبدُ القادر الجيلاني لغلامه: يا غلام لا يكن همُّك ما تأكلُ وما تشربُ وما تلبسُ وما تنكحُ وما تسكنُ وما تجمعُ، كُلُّ هذا هَمُّ النفس والطبعِ فأين همُّ القلب؟! همُّك ما أهمَّك، فليكُن همُّك ربَّكَ -عز وجل- وما عنده.

ضَيْغم بنُ مالك

قال ضيغمُ يومًا لمولىً له: منعني والله حبُّ الله من الاشتغال بحبِّ غيره ثم سقط مغشيًّا عليه[٢].

وكان -رحمه الله- يقول وهو ساجد: إلهي، كيف عزفتْ قلوبُ الخليقة عنك؟! وربما أصابته الفترةُ، فإذا وجد ذلك اغتسل، ثم دخل بيتًا فأغلق بابه وقال: إلهي، إليك جئت، فيعود إلى مكان من الركوع والسجود.

عُتبةُ الغلامُ

قال سليمُ النحيف: رمقتُ عتبة ذات ليلة فما زاد ليلته تلك على هذه الكلمات: إن تعذبني فإني لك مُحبٌّ، وإن ترحمني فإني لك محبٌّ، فلم يزل يُرددها ويبكي حتى طلع الفجر[٣].

قال محمد بن فهد المديني: كان عتبةُ يُصلي هذا الليل الطويل فإذا فرغ رفع رأسه فقال: سيدي، إن تُعذبني فإن أحبُّك، وإن تعفُ عني إني أحبُّك[٤].

---

(١) استنشاق نسيم الأنس (١٢٧).

(٢) المرجع السابق (١٣٣).

(٣) (١-٣) الحلية (٦/ ٢٣٦- ٢٣٦).

(٤) (١-٣) الحلية (٦/ ٢٣٦- ٢٣٦).

وقال عنبسةُ الخوَّاصُ: بات عندي عتبةُ ذات ليلة، فبكى من السَّحر بكاءً شديدًا، فلما أصبح قلتُ له: قد فزعت قلبي الليلة ببكائك، ففيم ذاك يا أخي؟! قال: يا عنبسةُ، إني والله ذكرتُ يومَ العرضَ على الله، ثم مال ليسقط فاحتضنته؛ فناديته في عتبة... عتبة، فأجَابني بصوتٍ خفيٍّ: قطَّع ذكرُ يوم العرض على الله أوصال المحبين، قال: ويردده، ثم جعل يتحشرج بالبكاء ويردده حشرجة الموت، ويقول: تُراك مولاي تُعذِّبُ محبيك، وأنت الحيُّ الكريمُ؟! قال: فلم يزل يُردِّدُها حتى والله أبكاني[1].

يحيى بنُ معاذ الرازي

كان -رحمه الله- يقول: يا مَنْ رجائي في الطريق بنعمه، وأشار لي في الورود إلى كرمه، معرفتي بك دليلي عليك، وحُبِّي لك شفيعي إليك.

قالت له أمُّه ذات يوم: ضيغم، قال: لبيك يا أماه، قالت: كيف فرحُك بالقدوم على الله؟ فصاح صيحةً لم يسمعوه صاح مثلها قطُّ وسقط مغشيًّا عليه فجلست العجوزُ تبكي عند رأسه وتقول: بأبي أنت!! ما تستطيع أن نذكر بين يديك شيئًا من أمر ربِّك[2].

الجنيدُ

قال الكتاني: جرت مسألةٌ في المحبة بمكة أيام الموسم فتكلَّم فيها الشيوخُ وكان الجنيد أصغرَهم سِنًّا، فقالوا: هاتِ ما عندك يا عراقي، فأطرق رأسه، ودمعت عيناه ثم قال: عبدٌ ذاهبٌ عن نفسه، مُتَّصلٌ بذكر ربه قائمٌ بأداء حقوقه ناظر إليه بقلبه أحرقت قلبه أنوار هيبته وصفا شربُه من كأس وُدِّهِ، وانكشف له الجبار من أستار غيبه[3] فإن تكلَّم فبالله، وإن نَطَقَ فعن الله، وإن تَحَرك فبأمرِ الله، وإن سكت فمع الله، فهو بالله ولله ومع الله؛ فبكى الشيوخ وقالوا: ما على هذا مزيدٌ -جبرك اللهُ يا تاج العارفين.

---

(١)(١-٣) الحلية (٦/ ٢٣٦- ٢٣٦).

(٢) صفة الصفوة (٣/ ٣٥٩- ٣٦٠).

(٣) كناية عن استقرار اليقين في قلبه.

المراقبة لغةً واصطلاحًا

المراقبة لغةً

مصدر قولهم رَاقَبَ مراقبةً، وهو مأخوذٌ من مادة رَقَبَ التي تدلُّ على انتصابٍ لمراعاة شيءٍ، ومن ذلك الرقيب: وهو الحافظ، ويُقال منه: رَقَبْتُ أرقُبُ رِقبةً ورقْبَانًا، والمرقَبُ: المكان العالي يقف عليه الناظر. ومن ذلك اشتقاق الرقبة؛ لأنها متصبة؛ ولأن الناظر لا بد أن ينتصب عند نظره، ويُقال: أرقبتُ فلانًا هذه الدار: وذلك أن تعطيه إياها يسكنها، ثم يقول: إن متَّ قبلي رجعت إليَّ وإن مُتُّ قبلك فهي لك، وهذا من المراقبة كأن كُلًّ واحدٍ منهما يرقُبُ موتَ صاحبه، والرقوبُ: المرأةُ التي لا يعيش لها ولدٌ كأنها ترقبه لعله يبقى لها.

قال الجوهري: الرقيبُ: المنتظر، والرقيبُ: الموكَّل بالضريب. والرقيب: الثالث من سهام الميسر، والترقُّبُ: الانتظار، وكذلك الارتقاب، قال تعالى: ﴿ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ﴾ [هود: ٩٣].

قال ابنُ منظور: راقب الله تعالى في أمره أي: خافه، ورقبه يرقُبُهُ رِقْبَةً ورِقبانًا بالكسر فيهما، ورُقُوبًا وترقَّبهُ وارتقبه: انتظرهُ ورصده، وارتقب: أشرف وعلا، والمرْقَبُ والمرْقَبَةُ: الموضع المُشرِفُ يرتفع عليه الرقيب، ورقب الشيء يرقبه: حرسه، وفي أسماء الله تعالى الرقيب: هو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيءٌ، فعيل بمعنى فاعل(١).

المراقبة صطلاحًا

قال المحاسبي: المراقبةُ دوامُ علم القلب بعلم الله -عزَّ وجلَّ- في السكون والحركة علمًا لازمًا مقترنًا بصفاء اليقين، أما أوَّل المراقبة فهو علمُ القلب بقرب الرب عز وجل(٢).

قال ابنُ القيم: المراقبةُ دوامُ علم العبد وتيقُّنِهِ باطِّلاعِ الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه(٣).

---

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٤٢٧)، لسان العرب (١/ ٤٢٤، ٤٢٦)، والصحاح للجوهري.

(٢) الوصايا للمحاسبي (٣١٣) بتصرف.

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٦٨).

أقوال العلماء في المراقبة

قال سفيان الثوري: عليك بالمراقبة مِمَّن لا تخفى عليه خافية، وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء[١].

قال أبو عثمان المغربي: أفضل ما يُلزمُ الإنسان نفسه في هذه الطريقة المحاسبةُ والمراقبةُ، وسياسةُ عمله بالعلم)[٢]

قال ابنُ عطاء: أفضل الطاعات مراقبةُ الحق على دوام الأوقات[٣].

قال رجلٌ للجنيد: بم أستعينُ على غَضِّ البصر؟ فقال: بعلمك أن نظر الناظر إليك أسبقُ من نظرك إلى المنظور إليه[٤].

قال حميد الطويل لسليمان بن عَلِي: عظني، فقال: لئن كنت إذا عصيت خاليًا ظننت أنه يراك لقد اجترأت على أمرٍ عظيم، ولئن كنت تظنُّ أنه لا يراك فلقد كفرتَ[٥].

قال عبد الواحد بن زيد: إذا كان سيدي رقيبًا عليَّ فلا أبالي بغيره[٦].

سُئل ذو النون: بما ينالُ العبدُ الجنة؟ فقال: بخمس؛ استقامةٌ ليس فيها روغان، واجتهادٌ ليس معه سهوٌ، ومراقبةُ الله تعالى في السر والعلانية، وانتظارُ الموت بالتأهب له، ومحاسبةُ نفسك قبل أن تحاسب[٧].

وسُئل المحاسبي عن المراقبة فقال: أولها علمُ القلب بقرب الله تعالى[٨].

---

(١) الإحياء (٤/ ٣٩٥، ٣٩٧، ٣٩٨).

(٢) نفسه.

(٣) نفسه.

(٤) نفسه.

(٥) نفسه.

(٦) نفسه.

(٧) نفسه.

(٨) نفسه.

قال الحسنُ: رحم الله عبدًا وقف عند همِّه، فإن كان لله مضى، وإن كان لغيره تأخَّر فهذه مراقبة العبد في الطاعة، وهو أن يكون مخلصًا فيها، ومراقبته في المعصية تكون بالتوبة والندم والإقلاع، ومراقبته في المباح تكون بمراعاة الأدب، والشكر على النعمة، فإنه لا يخلو من نعمة لا بد له من الشكر عليها، ولا يخلو من بليَّةٍ لا بد من الصبر عليها، وكل ذلك من المراقبة[١].

قال الحريري: أمرنا هذا مبنيٌّ على أصلين: أن تلزم نفسك المراقبة لله -عز وجل- ويكون العلمُ على ظاهرك قائمًا[٢].

قال أبو عثمان: قال لي أبو حفص: إذا جلست فكُنْ واعظًا لنفسك وقلبك، ولا يغرنَّك اجتماعهُم عليك، فإنهم يراقبون ظاهرك واللهُ رقيبٌ على باطنك[٣].

قال ابن الجوزي: الحقُّ-عزَّ وجلَّ- أقربُ إلى عبده من حبل الوريد، لكنه عامل العبد معاملة الغائب عنه البعيد منه، فأمر بقصد نيته، ورفع اليدين إليه، والسؤال له، فقلوب الجُهَّالِ تستشعرُ البُعد، ولذلك تقع منهم المعاصي، إذ لو تحققت مراقبتهم للحاضر الناظر لكفُّوا الأكُفَّ عن الخطايا، والمتيقظون علموا قُربه فحضرتهم المراقبة وكفتهم عن الانبساط[٤].

قال ابن منظور: فسَّرَ النبيُّ ﷺ الأحسانَ حين سأله جبريلُ صلواتُ الله عليهما وسلامه فقال: «هو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» أراد بالإحسان الإشارة إلى المراقبة وحسن الطاعة، فإن مَنْ راقَب اللهَ أحسن عمله[٥].

سُئل بعضهم عن قوله تعالى: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴾ [البينة: ٨]. فقال معناه: ذلك لمن راقب ربَّه -عز وجل- وحاسب نفسه وتزوَّد لمعاده[٦].

---

(١) إغاثة اللهفان (٣٩٢).
(٢) الإحياء (٤/ ٣٩٧).
(٣) الإحياء (٤/ ٣٩٧).
(٤) صيد الخاطر (٢٣٦).
(٥) لسان العرب (١٣/ ١١٥- ١١٧).
(٦) الإحياء (٤/ ٣٩٧).

قيل: مَنْ راقب الله في خواطره، عصمه في حركات جوارحه[١].

قال الجنيد رحمه الله: مَنْ تحقَّق في المراقبة خاف على فوات لحظة من ربه لا غير[٢].

قال إبراهيم الخوَّاصُ رحمه الله: المراقبة خلوصُ السرِّ والعلانية لله عز وجل[٣].

قال ذو النون رحمه الله: علامةُ المراقبة إيثار ما أنزل الله تعالى، وتعظيمُ ما عظمَّ اللهُ، وتصغيرُ ما صغر الله[٤].

وقيل: المراقبةُ مراعاةُ القلب لملاحظة الحق مع كل خطوة وخطوة[٥].

وقيل: مَنْ راقبَ الله في خواطره عصمه في حركات جوارحه[٦].

---

(١) المرجع السابق (٤/ ٣٩٦).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٤٩).

(٣) نفسه.

(٤) نفسه.

(٥) نفسه.

(٦) نفسه.

قصص وعبر في المراقبة

ومَنْ يتقِ الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب

ذكر أحد الإخوة عن أحد التجار في السعودية بداية رحلته مع التجارة، حيث نُقل عنه أنه كان يعمل في أحد ثغرات البلاد وكانت البضائع لا بد أن تمرَّ عليه حتى يُوقِّع عليها، فكان للمتلاعبين بالمرصاد، ولكن علم أن رئيسه يأخذ الرشاوي ولقد بلغت برئيسه الوقاحةُ أن نصح صاحبنا بعدم التشدُّد وأخذ المال تسهيلًا للراشي.

ولما سمع صاحبنا هذا الكلام ارتعدت فرائصُه وأحسَّ بالخوف فخرج من المكتب وهو يكاد يختنق من الحزن والأسى والتردد، ومرت الأيام، وكلٌّ يأتي إلى صاحبنا هذا يقول له: هذه هديةٌ من مؤسستنا. وهذا يقول: هذا المال إكراميةٌ من شركتنا لمجهودك الطيب، وهو يردُّ ذلك ويرفضه، ولكن إلى متى سيبقى على هذا الحال؟ وأحسَّ بالخوف أن تضعف نفسه وأن يأخذ مالًا حرامًا وأصبح بين أمرين؛ إما أن يتخلى عن منصبه وراتبه، أو أن يتعدَّ حدود الله ويأخذ الرشاوي، ولأن قلبه على الفطرة ولأن قلبه يستشعر قول الله عز وجل: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢-٣]. قدَّم استقالته.

يقول صاحبنا: ثم رزقني الله شاحنةً صغيرةً، وبدأت بمتابعة النقل، ثم رزقني الله شاحنةً أخرى وبدأ بعضُ التجار يطلبوني لنقل بضائعهم لحرصي عليها، وكأنها من مالي.

ومن الحوادث التي مرَّت عليَّ أن اصطدمت إحدى شاحناتي وتكسرت بسبب نوم السائق فلما اعتذر عفوتُ عنه، فاندهش رجلُ المرور من سماحتي، وأصرَّ على أن يتعرَّف عليَّ، وبعد أعوام كَبُرَ منصبُ رجل المرور وجاءت بضاعةٌ كبيرةٌ فما أراد هذا إلا أنا، فاختارني لحمل هذ البضاعة بشاحنتي دون مناقصةٍ.

فانظر أخي القارئ كيف تفتحت له أبواب الرزق، وهو الآن من أكبر التجار وله من التبرع لوجوه الخير والإحسان إلى الفقراء النصيب الكبير!![1]

---

(١) قصص إيمانية مع المتقين لعادل بن محمد العبد العالي (٣٢- ٣٣).

ومَنْ يتوكَّل على الله فهو حسبُه

حدَّثني أحدُ الإخوة عن نفسه وموقف حصل حينما كان طالبًا في جامعة عملية حيث إنه يستعد للامتحانات، فبذل ما يستطيعه فقام بحلِّ مسائل الكتاب، ثم عرج على الأسئلة القديمة لامتحانات سابقة فتعرف على أفكارها وكيف السبيل إلى حلِّها، ثم أتى موعدُ الإمتحان فأحسَّ بالرهبة وبخاصة أن المادة علمية دقيقة الأفكار، لكن من يتوكل على الله فهو حسبه.

يقول صاحبُنا: دخلتُ القاعة واستلمتُ ورقة الأسئلة ثم بدأ وقتُ الإجابة فهجمت على الأسئلة من أولها فهزمت الأول والثاني، وبينما أنا على ذلك إذا بالآلة الحاسبة تضعف إضاءةُ أرقامها فحركتُها فأضاءت ثم رجعت كما كانت فضربتها بيدي من الغضب والخوف على الوقت، فإذا بها تنطفئ تمامًا،

الله أكبر!! ياله من موقف فأحسست بحرارة جسمي ترتفع يا حاسبةُ ليس هذا وقتُ المداعبة، ثم تذكرتُ أنني لم أُخزن فيها طاقةً كهربائية لا نشغالي بالتمرن على حل المسائل.

إنا لله وإنا اليه راجعون، فالتفتُ إلى المراقبين وطلبتُ منهم آلةً حاسبةً، وسألوا الطلاب: هل من أحدٍ يملك آلة حاسبة احتياطية؟ فلا مجيب وكلهم مشغولٌ بحل المسائل المعقدة.

فعلمتُ أن الفأس وقع على الرأس فبدأتُ أفكر ماذا أفعل والوقتُ يمضي هكذا، فجاءتني الوساوسُ: لم لا تغش فأنت مضطرٌ والمراقبون سيتعاطفون معك؟ هذا إن أحسوا بك فهم قلَّةٌ والطلابُ كثرةٌ، فما عليك إلا أن تلتفت إلى اليمين أو الشمال ثم اختر الإجابة التي يختارها الطلاب بجوارك وانتهت القضية.

فقلت في نفسي أعوذ بالله من الأفكار، أنا الذي أنصح إخواني أن يغضوا أبصارهم، يزيغُ بصري!!

فبدأت أستغفر الله، ثم بدأت أجمع وأطرحُ وأضربُ وأقسمُ فكانت الحسابات تملأ الورقة، فخرجتْ بحمد الله أرقام جميلة، فكنتُ أختار الإجابة ذات الرقم المشابه، ثم

ماذا؟!! انتهى الوقتُ، وأُخذت الأجاباتُ منا فوضعتُ غترتي على كتفي وقلتُ: الحمد لله على كل حال.

وخرج صاحبُنا متعبًا حزينًا لا يُؤنسه إلا الصبر، وبعد أيام جاءت النتائج معلقةً وبدأ يبحث عن اسمه مع علامات نتائجهم، فجاء صاحبنُا وبدأ يبحثُ عن اسمه مع علامات الرسوب فلم يجد، قال: لعلَّ المدرس ألغى امتحاني لما كان من حالي ثم تابع قوله: ومن باب الفضول، نظرتُ إلى علامة مقبول وعدد الطلاب الذين حصلوا عليها، ثم علامة جيد فإذا بي أرى اسمي فلم أكد أصدِّق ما أرى وسجدتُ لله شكرًا: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُور ﴾ [سبأ: ١٣]، ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢-٣] فإلى الطلاب الذين يغشون من الآخرين هل كان لكم في قصة صاحبنا عبرةٌ وعظة، إلى متى تعتمدون على غيركم؟!! ألا تستشعرون قوله ﷺ: «مَنْ غشَّنا فليس منا»[1].

---

(١) قصص إيمانية مع المتقين (٣٧-٣٩).

المروءة لغة واصطلاحا

المروءةُ لغة

مصدر مرُؤَ الرجلُ يَمْرُؤُ وهو مأخوذ من مادة (م ر أ) التي ذكر ابنُ فارس أنها لا تنقاس، فليس لها معنى واحد ثابت ترجع إليه مشتقاتها.يُقال: امرؤٌ وامرآن امرِئ، وامرأةٌ تأنيث امرئ، المروءة: كمال الرجولية.

قال الأزهري: قد مَرُؤَ الرجلُ وتمرَّأ إذا تكلَّفَ المروءة، والمرآة مصدر الشيء المرئي، وجمع المرآة: مَرَاءٍ، أما مرايا فخطأ، والمراء: المماراة والجدل، والمريء: الرجلُ المقبول في خَلقه وخُلُقِه.

قال الجوهري: المروءةُ الإنسانيةُ، ولك أن تشدِّدَ، فتقول: مُروَّةٌ.

قال ابن منظور: المروءةُ كمال الرجولية، ومَرُؤَ الرجلُ يمرُؤ مروُءةً فهو مريءٌ على فعيل، وتَمَرَّأ: تكلَّف المروءة[1].

المروءةُ اصطلاحًا

قال الجرحاني: هي قوةٌ للنفس، مبدأ لصدور الأفعال الجميلة عنها، المستبعة للمدح شرعًا وعقلًا[2].

قال الكفوي: المروءة هي الإنسانية وقيل: هي الرجوليةُ الكاملةُ[3].

قال الماوردي: المروءة مراعاةُ الأحوال إلى أن تكون على أفضلها حتى لا يظهر منها قبيحٌ عن قصدٍ، ولا يتوجَّهُ إليها ذَمٌّ باستحقاق[4].

قال المَقَّريُّ: المروءةُ آدابٌ نفسانيةٌ، تحمل مراعاتُها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات[5].

---

(١) الصحاح (١/ ٧٢)، لسان العرب (١/ ١٥٦)، مقاييس اللغة (٥/ ٣١٥).

(٢) التعريفات (٢١٠).

(٣) الكليات (٨٧٤).

(٤) أدب الدنيا والدين (٣٠٦).

(٥) الصحاح للمرعشلي (٢/ ٤٨٥)، المصباح المنير (٢/ ٢٣٤).

قال ابن القيم: حقيقةُ المروءة: اتصاف النفس بصفات الإنسان التي فارق بها الحيوان البهيم والشيطان الرجيم، فإن في النفس ثلاثةٌ دواعٍ متجاذبةٌ:

١- داعٍ يدعوها إلى الاتصاف بأخلاق الشيطان من الكبر والحسد والعلو والبغي والشر والأذى والفساد والغش.

٢- وداعٍ يدعوها إلى أخلاق الحيوان، وهو داعي الشهوة.

٣- وداعٍ يدعوها إلى أخلاق الملك من الإحسان والنصح والبر والطاعة والعلم والمروءَةُ؛ بغض الداعيين الأولين وإجابةُ الداعي الثالث.

ولهذا قيل في حد المروءة: إنها غلبةُ العقل للشهوة، ونُقَلَ عن الفقهاء قولهم: حدُّ المروءة: استعمال ما يُجمِّل العبد ويزينه وترك ما يُدنِّسُه ويَشينُه، سواءٌ تعلَّق ذلك به وحده أو تعدَّاه إلى..[1].

قال أبو حاتم البُستي رحمه الله: اختلف الناس في كيفية المروءة على أقوال منها: المروءة: إكرام الرجل إخوانَ أبيه، وإصلاحه مالَه، وقعودُه على باب داره -ويقصد بهذا كرمه- وإتيان الحق وتقوى الله، وإصلاحُ الضيعة، وإنصاف الرجل من هو دونه، والسمو إلى مَنْ هو فوقه، والجزاءُ بما أتي إليه أي: يقبل الهدية ويُثيب عليها. ومروءةُ الرجل: صدق لسانه، واحتمال عثرات جيرانه، وبذلُ المعروف لأهل زمانه، وكَفُّهُ الأذى عن أباعده وجيرانه، وحسنُ العشرة وحفظ الفرج واللسان، وتركُ المرء ما يُعاب منه.

قال ربيعة: المروءةُ مروءتان: فللسفر مروءة وللحضر مروءة، فأما مروءةُ السفر: فبذلُ الزاد وقلةُ الخلاف على الأصحاب، وكثرةُ المزاح في غير مساخط الله.

وأما مروءةُ الحضر: فالإدمانُ إلى المساجد، وكثرة الإخوان في الله، وقراءةُ القرآن.

قال أبو حاتم: اختلفت ألفاظهم في كيفية المروءة، ومعاني ما قالوا قريبة بعضها من بعض، أورد لها أكثر من عشرين تعريفًا، ثم يقول: والمروءة عندي خصلتان:

١- اجتناب ما يكره الله والمسلمون من الفعال.

٢- استعمالُ ما يحب الله والمسلمون من الخصال[2].

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٣٦٦).

(٢) روضةُ العُقلاء ونزهةُ الفضلاء (٣٠٤- ٣١٠).

أقوال العلماء في المروءة

عن يحيى بن سعيد أن عمر بن الخطاب قال: **إكرام المؤمن تقواه، ودينه حسبه، ومروءته خلقه، والجرأة والجبن غرائز يضعها الله حيث شاء، فالجبان يفرُّ عن أبيه وأمه، والجريء يقاتل عما لا يئوب به إلى رحله، والقتل حتفٌ من الحتوف، والشهيد من** احتسب نفسه على الله[1].

كتب عمر بن الخطاب ﷺ إلى أبي موسى الأشعري ﷺ: خذ الناس بالعربية؛ فإنه يزيد في العقل ويثبت المروءة[2].

وحكي أن معاوية سأل عمرًا ﷺ عن المروءة؟ **فقال: تقوى الله تعالى وصلة الرحم.**

وسأل المغيرة؟ **فقال: هي العفة عما حرَّم الله تعالى والحرفة فيما أحلَّ الله تعالى.**

وسأل يزيد: **فقال: هي الصبر على البلوى والشكر على النعمة والعفو عند المقدرة. فقال معاوية**: أنت مني حقًّا[3].

وسُئل محمد بن علي عن المروءة؟ **فقال: أن لا تعمل عملًا في السرِّ تستحي منه في** العلانية[4]؟

وسئل الأحنف بن قيس عن المروءة **فقال: صدق اللسان ومواساة الإخوان وذكر الله تعالى في كل مكان**[5].

وقال مسروق: **كان يقال: مجالسة أهل الديانة تجلو عن القلب صدأ الذنوب ومجالسة ذوي المروءات تدل على مكارم الأخلاق، ومجالسة العلماء تذكي القلوب**[6].

---

(١) الموطأ(٢/ ١٩)

(٢) لسان العرب (١/ ١٥١).

(٣) أدب الدنيا والدين (٣١٠).

(٤) نفس المصدر (٣١٥).

(٥) نفس المصدر (٣٢٣).

(٦) المروءة الغائبة (٦٠).

قال الماوردي: اعلم أن من شواهد الفضل ودلائل الكرم المروءة، التي هي حليةُ النفوس وزينةُ الهمم[١].

قال أبو حاتم البُستي رحمه الله: فالواجب على العاقل أن يلزم إقامة المروءة بما قدر عليه من الخصال المحمودة وترك الخلال المذمومة.

وقال: الواجب على العاقل تفقُّد الأسباب المستحقرة عند العوام من نفسه حتى لا يثلم[٢] مروءته، فإن المحقرات ضدُّ المروءات تؤذي الكامل في الحال بالرجوع القهقرى إلى مراتب العوام وأوباش[٣] الناس[٤].

قال زياد لبعض الدَّهاقين[٥]: ما المروءةُ فيكم؟ قال: اجتناب الريب فإنه لا ينبلُ مريبٌ، وإصلاحُ الرجل مالَه فإنه من مروءته، وقيامه بحوائجه وحوائج أهله فإنه لا ينبلُ من احتاج إلى أهله ولا من احتاج أهلُه إلى غيره[٦].

سُئل سفيان الثوري عن المروءة ما هي؟ قال الإنصافُ من نفسك والتفضل: قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ﴾ [النحل: ٩٠]. وهو الإنصاف ﴿ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ وهو التفضل، ولا يتمُّ الأمرُ إلا بهما، ألا تراه لو أعطي جميع ما يملك ولم يُنصف من نفسه لم تكن له مروءة؟! لأنه لا يريد أن يُعطيَ شيئًا إلا أن يأخذ من صاحبه مثله، وليس مع هذا مروءة[٧].

وقيل لسفيان بن عيينة: قد استطبت من القرآن كلَّ شي فأين المروءةُ فيه؟ فقال: في قوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٩٩]. ففيه

---

(١) أدب الدنيا والدين (٣٠٦).

(٢) يثلم: من الثلم وهو الخلل.

(٣) أوباش الناس: أخلاطهم وسفلهم.

(٤) المروءة الغائبة (٥٥/ ٦١).

(٥) الدهاقين: جمع دُهقان وهو رئيس القرية أو الجماعة عند العجم.

(٦) أدب الدنيا والدين (٣١٨).

(٧) عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة (١٣٢).

المروءةُ وحسن الأدب، ومكارمُ الأخلاق، فجمع في قوله ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ ﴾ صلة القاطعين، والعفو عن المذنبين، والرفق بالمؤمنين، وغير ذلك من أخلاق المطيعين، ودخل في قوله ﴿ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴾ صلةُ الأرحام، وتقوى الله في الحلال والحرام، وغضُّ الأبصار، والاستعدادُ لدار القرار، ودخل في قوله: ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ الحضُّ على التخلُّق بالحلم، والإعراض عن أهل الظلم، والتنزُّه عن منازعة السفهاء، والمساواة بين الجهلة والأغبياء، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة، والأفعال الرشيدة.

وقال الله -عز وجل- حكايةً عن قوم قارون: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ٧٧] وفيها عينُ المروءة وحقيقتها[١].

قال عمرو بن عثمان المكي: المروءة التغافلُ عن زلل الإخوان.

قال الشعبي: تعامل الناسُ بالدين زمانًا طويلًا حتى ذهب الدين، ثم تعاشروا بالمروءة حتى ذهبت المروءة، ثم تعاشروا بالحياء ثم تعاشروا بالرغبة والرهبة، وأظنه سيأتي بعد ذلك ما هو شرٌّ منه[٢].

قال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين: كمالُ المروءة الفقه في الدين والصبر على النوائب، وحسنُ تدبير المعيشة[٣].

قال ميمون بن مهران: أول المروءة طلاقة الوجه، والثاني: التودُّدُ، والثالث: قضاء الحوائج.

قال سَلْمُ بن قتيبة: المروءةُ الصبرُ على الرجال، أي: الصبر على المكاره في معاشرتهم وقضاء مآربهم.

وقال: لا تتمُّ مروءةُ الرجل حتى يصبر على مناجاة الشيوخ الدُّرد[٤].

---

(١) عين الأدب والسياسة، وزين الحسب والرياسة لعلي بن عبد الرحمن بن هزيل (١٣٢ - ١٣٣)

(٢) آداب الصحبة لأبي عبد الرحمن السلمي ٨٢، الحية (٤/ ٣١٢).

(٣) الإلماع للقاضي عياض (١٧٣).

(٤) الدُّرْدُ: جمع أدرد وهو من ذهبت أسنانه.

قال ابن سلام: حدُّ المروءة رعيُ مساعي البر، ودفعُ دواعي الضر، والطهارة من جميع الأدناس، والتخلُّصُ من عوارض الالتباس، حتى لا يتعلقَّ بحاملها لومٌ، ولا يلحق به ذمٌّ، وما من شيء يحمل على صلاح الدين والدنيا ويبعث على شرف المهات والمحيا إلا وهو داخلٌ تحت المروءة.

سُئل الفضيلُ عن الرجل الكامل التام المروءة؟ فقال: الكامل مَنْ برَّ والديه، ووصل رحمه، وأكرم إخوانه، وحسن خلقه، وأحرز دينه، وأصلح ماله، وأنفق من فضله، وحسنَ لسانُه، ولزم بيته[1].

قال ابن العربي: ضبطُها مما عُسر على العلماء، والضابط: أن لا يأتي أحدٌ منكم ما يعتذر منه، مما يبخسه عن مرتبته عند أهل الفضل.

وقيل: لا مروءة لمن لا أدب له، ولا أدب لمن لا عقل له[2].

وقال بعضُ العلماء: اتقِ مصارع الدنيا بالتمسك بحبل المروءة، واتقِ مصارع الآخرة بالتعلق بحبل التقوى، تفُزْ بخير الدارين، وتحلَّ أرفع المنزلتين.

وقالوا: المروءةُ إنصاف الرجل مَن هو دونه، والسموُّ إلى مَنْ هو فوقه، والجزاءُ بما أُتِيَ إليه.

---

(١) بُهجة المجالس، لابن عبد البر (١/ ٦٤٤).

(٢) المروءة الغائبة (٣٨).

خوارمُ المروءة

١ - اتباع الهوى.

٢ - أخذ العوض على إطعام وسقيا الأسير.

٣- أخذ العوض على تعليم القرآن والتحديث من غير حاجة.

٤ - أخذ نثار العرس بفضل قوة.

٥- إخراج الريح بصوت وهو قادرٌ على كظمه.

٦ - إدامةُ تأخير الصلاة، وتأخيرها عمدًا.

٧- استخدام الضيف.

٨- الاستخفاف بالناس والتشهير بهم.

٩- الاستمناء، وكشف العورة من غير حاجة.

١٠ - الإعلان بالفسق كالمجاهرة بالمعصية.

١١ - إفساد المال، وشربُ الدخان والخمر وجميع المسكرات والمفترات والجلوس على القهاوي.

١٢ - الأكل من أمام من يؤاكله وعدم الأكل مما يليه.

١٣ - إنشاد الشعر للمدح والتكسب به، والغناء، والصفق بالأكف للرجال.

١٤ - التجشؤ بصوتٍ مزعج مع استطاعة كظمه.

١٥ - تحديث الناس بمضاجعة زوجته.

١٦ - التحية العسكرية.

١٧ - التصريح بأقوال الخنا وما يُستبشع في الملأ من غير ضرورة، والمجون، والرقص.

١٨ - تعاطي الإنسان ما لا يُحسنه ودعواه معرفة ما لا يعرفه.

١٩ - تقبيل الرجل زوجته أو مداعبته لها عند الناس في غير خلوة.

٢٠ - تكتيف اليدين على الدبر.

٢١ - الجشع عند الأكل سواء كان وحده أو عند الناس.

٢٢ - جعل النفس مسخرةً ليُضحك الآخرين والقهقهة.

٢٣ - الحرص والحسد.

٢٤ - حلق اللحية.

٢٥ - اللعب بالحمام، واللعب بالأرجوحة للكبار، والنرد والشطرنج، والدمينو.

٢٦- منع العارية والماعون.

٢٧- المزاح مع السفهاء واللئام ومصاحبة الأرازل.

٢٨- المماكسة في البيع والشراء.

٢٩- سوء العشرة مع الأهل والجيران والعشيرة.

٣٠- سبابُ الناس والدواب.

من صور المروءة

الخليلُ بنُ أحمد الفراهيدي

قال أيوبُ بن المتوكل: كان الخليل إذا أفاد إنسانًا شيئًا لم يُره بأنه أفاده، وإن استفاد من أحدٍ شيئًا أراه بأنه استفاد منه(١).

حاتمُ الأصم

قال أبو الدقاق: جاءت امرأة فسألت حاتمًا عن مسألة، فاتفقَّ أنه خرج منها صوتٌ في تلك الحالة فخجلت، فقال حاتم: ارفعي صوتك، فأوهمها أنه أصمُّ فسُرَّتْ المرأةُ بذلك وقالت: إنه لم يسمع الصوت، فلُقِّبَ بحاتم الأصم.

ابن تيمية

قال ابن القيم عن شيخه ابن تيمية: وجئتُ يومًا مُبشرًا له بموت أكبر أعدائه وأشدهم عداوةً وأذى له، فنهرني وتنكَّر لي واسترجع، ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزَّاهم وقال: إني لكم مكانه، ولا يكون لكم أمرٌ تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه، ونحو هذا من الكلام؛ فسُرُّوا به ودعوا له، وعظَّموا هذه الحال منه، فرحمه الله ورضي عنه(٢).

عبدُ الله بن عون

عن بكَّار بن محمد السيرني قال: وكان فيما حدَّثني بعضُ أصحابنا لابن عون ناقةٌ يغزو عليها ويحج فكان بها معجبًا، فأمر غلامًا له يستقي عليها، فجاء بها وقد ضربها على وجهها، فسالت عينُها على خدها، قلنا: إن كان من ابن عونٍ شيء فاليوم؟

قال: فلم يلبث أن نزل، فلما نظر إلى الناقة قال: سبحان الله !! أفلا غيَّر الوجه، بارك الله فيك، اخرج عني اشهدوا أنه حرٌّ(٣).

---

(١) السير (٧/ ٤٣١).
(٢) مدارج السالكين.
(٣) السير (٦/ ٣٧١).

سعيدُ بن العاص

قال ابن عيينة: كان سعيدُ بن العاص إذا قصده سائلٌ وليس عنده شيءٌ قال: اكتب عليَّ سجلًا بمسألتك إلى الميسرة.

وذكر عبد الأعلى بن حماد أن سعيد بن العاص استسقى من بيت فسقوه، واتفق أن صاحب المنزل أراد بيعه لدَيْنٍ عليه، فأدى عنه أربعة آلاف دينار[1].

رجلٌ مريءٌ

روى الخطيبُ البغدادي في ترجمة القاضي أبي بكر موسى بن إسحاق الخطمي، قال: تقدَّمت امرأةٌ فادَّعى وليُّها على زوجها خمسمائة دينار مهرًا، فأنكر.

فقال القاضي: شهودك، قال قد أحضرتهم، فاستدعى بعض الشهود أن ينظر المرأة ليشير إليها في شهادته، فقام الشاهد، وقال للمرأة: قومي، فقال الزوج: تفعل ماذا؟ فقال الوكيل: ينظرون إلى امرأتك وهي مسفرةٌ لتصحَّ عندهم معرفتُها.

فقال الزوج: فإني أشهد للقاضي أن لها عليَّ هذا المهر الذي تَدعيه ولا تُسفر عن وجهها، فردَّت المرأة وأخبرت بما كان من زوجها.

فقالت المرأةُ: فإني أشهد القاضي أني قد وهبتُ له هذا المهر وأبرأته منه في الدنيا والآخرة.

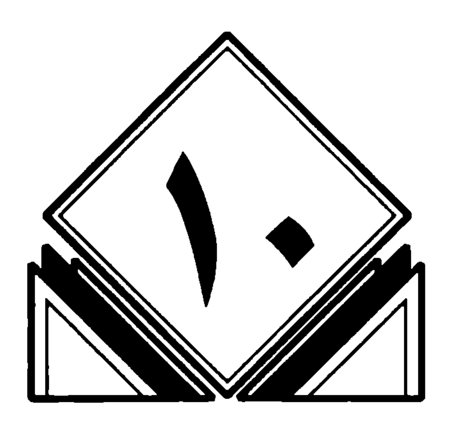
فقال القاضي: يُكتب هذا في مكارم الأخلاق[2].

---

(١) السير (٣/ ٤٤٤- ٤٤٩).

(٢) تاريخ بغداد (١٣/ ٥٣).





التربية العاطفية

مقدمة

الحمد لله العلي العظيم، الغفور الرحيم، العليم الحكيم، قضى فأسقم الصحيح وعافى السقيم، وقدَّر فأعان الضعيف وأوهى القويم، وقسم عباده قسمين؛ طائعٌ وأثيم، وجعل مآلهم إلى دارين؛ درا النعيم ودار الجحيم، فمنهم مَن عصمه من الخطايا كأنه في حريم[1]، ومنهم من قضى له أن يبقى على ذنوبه ويُقيم، ومنهم مَنْ يتردَّد بين الأمرين، والعمل بالخواتيم.

خرج موسى راعيًا وهو الحكيم، وذهب ذو النون مغاضبًا فالتقمه الحوتُ وهو مليم، وبعث محمدًا رسولًا وهو اليتيم، وعصى آدمُ وإبليس، فهذا مرحوم وذاك رجيم، وذلك تقدير العزيز العليم.

أنعم علينا بالفضل الوافر العميم، وهدانا بمنِّه إلى الصراط المستقيم، وحذَّرنا بلطفه من العذاب الأليم ومنَّ علينا بالكتاب العزيز القديم، فنعمُهُ تستحق الحمد وتستوجبُ التعظيم، وأصلي علي النبي المصطفى الذي سلك الطريق القويم، وعلى أبي بكر المحب الشفيق والرفيق الرقيق حين يسافر وحين يقيم، وعلى عمر الذي دفع الكف فدبَّر بأحسن تدبير وأقوم تقويم، وعلى عثمان الذي صبر وصابر على ما ضيم[2][3].

---

(١) أي: محفوظ مستور.

(٢) على ما ضيم: على ما ظلم.

(٣) التبصرة (١/ ٣٩٤) بتصرف.



أهداف التربية العاطفية

للتربية العاطفية أهداف من أجلها كانت هذه التربية، وهي أهداف عديدة ومتنوعة، ويمكننا تلخيصها في نقاط معدودة، هي:

١- إشعار الأولاد بشخصيتهم وكيانهم وأهمية وجودهم في الحياة.

٢- ترسيخ صفات المحبة والمودة والعطف والرأفة والشفقة والحنان في نفوس الأولاد.

٣- إظهار العدل والمساواة والقسط والإنصاف بين الأولاد في جميع الحقوق المادية، وعدم إظهار ميلٍ لأحدهم دون الآخر، ولا محاباة لبعضهم على حساب الآخر، حتى وإن كان هناك حبٌّ فطري جبلي لأحدهم عن الآخر.

٤- بناء الشخصية العاطفية المتزنة والشرعية في نفوس الأولاد بحيث يشبُّون عليها لترسخها في نفوسهم منذ صغرهم.

٥- تقييم الانحرافات العاطفية عند الأولاد من خلال التعليم والتدريب والقدوة الحسنة من قبل الولدين.

٦- ضبط عاطفة الأولاد من خلال المناسبات المتنوعة والظروف المختلفة والمواقف المتباينة.

٧- ربط أصول التربية العاطفية بالشخصية الإسلامية للأولاد؛ لأن مستقى التربية العاطفية ومنبعها الأصلي الأصيل هو دين الإسلام الحنيف التام الكامل، الذي يناسب جميع الشخصيات ويُربي جميع الطوائف ويقوِّم جميع العواطف ويضبط الإنسان ضبطًا من خلال تعاليمه السامية وصفات أنبيائه ورسله الزاكية.

وتتضح هذه الأهداف جلية، وتظهر بصورها ومظاهرها الزاكية من خلال سبل التربية العاطفية، التي سنعرض لها بتلخيص وإيجاز، بحيث يقف عليها الآباء، ويطبقونها تطبيقًا؛ ليكون نبتهم نبتًا طيبًا رشيدًا، ويكون لسان حالهم ومقتضى أحوالهم: ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٤]

سبل التربية العاطفية

(أ) إظهار المحبة والمودة والعطف والحنان، عن طريق:

١ - حسن استقبال الأولاد

فعن عبد الله بن بريدة عن أبيه ﵁ قال: رأيت النبي ﷺ يخطب، فجاء الحسن والحسين ﵄ وعليهما قميصان أحمران، يمشيان ويعثران، فنزل النبي ﷺ فحملهما ووضعهما بين يديه، ثم قال: «صدق الله عز وجل ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٌ ﴾ [الأنفال: ٢٨] نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما»[١].

فكم يكون لمثل هذه المواقف الطيبة حينما يستقبل الأب ولده أو الأم ولدها بعطف وحنان وشفقة ورحمة!! كم يكون لذلك في نفس الطفل من وقع عظيم وأثر كبير، فإذا ما شبَّ الولد كانت صفات الرحمة والرأفة والحنان في نفسه مترسخة، فما تراه إلا رحيمًا، وما تألفه إلا رءوفًا، ولن تعرف صفات الغلظة والشدة والظلم إلى قلبه طريقًا!! فذلك أبلغ من مواعظ الواعظين، وخطب الخطباء البلغاء.

٢ - تقبيل الأولاد

فعن أنس ﵁ قال: ما رأيت أحدًا كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ قال: كان إبراهيم مسترضعًا له في عوالي المدينة، فكان ينطلق ونحن معه، فيدخل البيت، فيأخذه فيقبله ثم يرجع[٢].

قال النووي رحمه الله: وفي الحديث بيان خلقه ﷺ ورحمته بالعيال والضعفاء، وفيه جواز الاسترضاع، وفيه فضيلة رحمة العيال والأطفال وتقبيلهم[٣].

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قبَّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالس، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبَّلتُ منهم أحدًا؛ فنظر إليه

---

(١) الترمذي وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٩٦٨).

(٢) مسلم (٤/ ١٨٨).

(٣) شرح مسلم (١٥/ ٢٧٦).

رسول الله ﷺ، ثم قال: «**مَنْ لا يرحم لا يُرحم**»(١).

قال ابن عثيمين رحمه الله: **أمَّا ما يفعله بعض الناس من الجفاء والغلظة بالنسبة للصبيان فتجده لا يُمكِّن صبيانه من أن يحضر إلى مجلسه، ولا يُمكِّن صبيه من أن يطلب منه شيئًا، وإذا رآه عند الرجال انتهره، فهذا خلاف السنة وخلاف الرحمة**(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم ناسٌ من الأعراب على رسول الله ﷺ **فقالوا: أتقبِّلون** صبيانكم؟ فقال: «نعم» قالوا: لكنا والله ما نُقبِّل. فقال رسول الله ﷺ: «**أو أملكُ إن كان الله نزع من قلوبكم الرحمة؟!**»(٣).

٣- ضم الصغار ومعانقتهم

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ضمني رسول الله ﷺ وقال: «**اللهم علمه الكتاب**»(٤).

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: **كان ابن عباس إذ ذاك غلامًا مميزًا، وفيه الحضُّ** والترغيب في تعليم الغلمان كتاب الله -عز وجل- **وفيه جواز احتضان الصبي القريب** على سبيل الشفقة(٥).

٤- مسح وجوه الصغار ورءوسهم رحمةً بهم

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: صليت مع رسول الله ﷺ **صلاة الأولى ثم خرج إلى أهله وخرجت معه، فاستقبله ولدان فجعل يمسح خدي أحدهم، واحدًا واحدًا، قال:** أما أنا فمسح خدي، قال: **فوجدت ليده بردًا أو ريحًا، كأنما أخرجها من جؤنة عطار**(٦).

وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ **يزور الأنصار ويسلِّم على صبيانهم ويمسحُ**

---

(١) متفق عليه.

(٢) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (١/ ٧٩١).

(٣) البخاري (١٠-/ ٣٦٠)، ومسلم (٢٣٧).

(٤) البخاري- فتح (١/ ٢٠٤).

(٥) فتح الباري (١/ ٢٠٤) بتصرف.

(٦) مسلم (٤/ ١٨١٤).

على رءوسهم[١].

٥- ملاعبتهم وملاطفتهم

عن يعلي بن مرة ﷺ قال: خرجنا مع النبي ﷺ ودُعينا إلى طعام، فإذا حسين يلعب في الطريق، فأسرع النبي ﷺ أمام القوم ثم بسط يديه، فجعل الغلام يفرُّ ههنا وههنا، ويضاحكه النبي ﷺ حتى أخذه فجعل إحدى يديه في ذقنه وأخرى في رأسه ثم اعتنقه، ثم قال النبي ﷺ: «**حسين مني، وأنا من حسين، أحبَّ الله من أحبَّ حُسينًا، الحسين سبطٌ من الأسباط**»[٢].

وعن عبد الله بن شداد عن أبيه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشي -الظهر أو العصر- وهو حاملٌ أحد ابنيه الحسن أو الحسين، فتقدَّم رسول الله ﷺ فوضعه عند قدمه اليمنى فسجد رسول الله ﷺ سجدةً أطالها، فقال أبي: فرفعتُ رأسي من بين الناس، فإذا رسول الله ﷺ ساجدٌ وإذا الغلام راكبٌ على ظهره، فعدتُ فسجدتُ فلما انصرف رسول الله ﷺ قال الناس: يا رسول الله لقد سجدت في صلاتك هذه سجدةً ما كنت تسجدها، أفشيءٌ أُمرت به، أو كان يُوحى إليك؟! قال: «**كل ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني؛ فكرهتُ أن أُعجِّله حتى يقضي حاجته**»[٣].

وعن أنسٍ ﷺ قال: وكان ﷺ يُلاعب زينب بنت أم سلمة، ويقول: «**يا زوينب، يا زوينب، مرارًا**»[٤].

وعن عقبة بن الحارس قال: صلى أبو بكر ﷺ العصر ثم خرج يمشي فرأى الحسن يلعب مع الصبيان فحمله على عاتقه، وقال: بأبي، شبيه بالنبي لا شبيه بعلي، وعليٌّ

---

(١) ابن حبان (٢١٤٥)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٢٩١)، والخطيب (٨١/ ٣٩٨)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٢٧٧٨).

(٢) حسن: صحيح الجامع (٣١٤٦).

(٣) صحيح: صحيح النسائي (١٢٠٩).

(٤) الضياء، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٠٢٥).

يضحك(١).

وأمر عمر بن الخطاب ﷺ بكتابة عهد لرجل قد ولّاه، فبينما الكاتب يكتب جاء صبيٌّ فجلس في حجر عمر، فلاطفه، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، لي عشرة أولاد مثله، ما دنا أحدٌ منهم مني، قال عمر: فما ذنبي إن كان الله -عز وجل- نزع الرحمة من قلبك؟! وإنما يرحم الله من عباده الرحماء، ثم قال: مزِّق الكتاب، فإنه إذا لم يرحم أولاده فكيف يرحم الرعية؟!(٢).

(ب) العدل بين الأولاد

ينبغي على الوالدين أن يعدلا بين أولادهم ذكورهم وإناثهم في المودة والعطايا والهدايا والمعاملات، وأن لا يُوجدا فروقًا بينهم، وأن لا يُميِّزوا أحدهم عن الآخرين إلا ما كان من تميز التشجيع بالمكافآت على حفظ القرآن والسُّنَّة والعلوم الشرعية ونحو ذلك.

وهاكم بعض النصوص من السُّنَّة النبوية الصحيحة التي تُرغِّب في العدل بين الأولاد وتنهى عن الظلم:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ **«إن المقسطين عند الله على منابر من نورٍ عن يمين الرحمن -عز وجل- وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا»**(٣).

قال ابن عثيمين رحمه الله: **يعني أن المقسطين العادلين في أهليهم وفيمن ولاهم الله عليه يكونون على منابر من نور يوم القيامة على يمين الرحمن.**

وهذا دليلٌ على فضل العدل في الأهل، وذلك في الأولاد، وكذلك أيضًا في كل من ولَّاك الله عليه، اعدل حتى تكون على منبر عن يمين الله -عز وجل- يوم القيامة(٤).

---

(١) البخاري (٦/ ٦٥١).

(٢) مناقب عمر لابن الجوزي (١٠٤- ١٠٥).

(٣) مسلم (٣/ ١٤٥٨).

(٤) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٢/ ٤٥٠).

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: أعطاني أبي عطيةً، فقالت عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تُشهد رسول الله ﷺ فأتى رسول الله ﷺ فقال: إني أعطيتُ ابني من عمرة بنت رواحة عطية فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله، قال: «**أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟**» قال: لا، قال: «**فاتقوا الله، واعدلوا بين أولادكم**»(١). وفي رواية: «**أيسرُّك أن يكونوا إليك في البرِّ سواء**»؟ قال: بلى، قال: «**فلا إذًا**»(٢) وفي رواية: «**لا تشهدني على جور**»(٣).

وقال النووي رحمه الله: وفي الحديث أنه ينبغي أن يُسوِّي بين أولاده في الهبة، ويهب لكل واحدٍ منهم مثل الآخر ولا يُفضِّل، ويُسويَّ بين الذكر والأنثى(٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كانت له أنثى فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها -قال: يعني الذكور- أدخله الله الجنة**»(٥).

قال محمد قطب: تحرص السنة المطهرة على ألا يولد في حسِّ الطفل شعورًا بالاضطهاد والظلم، فيدمر في نفسه القاعدة التي تُبنى عليها في المستقبل القيم العليا والمبادئ، لأنه يجد في أقرب الناس إليه وألصقهم به وهما الوالدان نموذجًا سيئًا، فكيف يتعلم هو العدل، وكيف يتعلم بقية القيم والمبادئ التي يقوم عليها الإسلام.

من أجل ذلك يوصي الرسول ﷺ بالعدل بين الأخوة، لأن شعور أي واحدٍ منهم بوقوع الظلم عليه من والديه يُفسد كيانه(٦).

جـ- تجنب احتقار الأولاد وإهانتهم

سواءٌ أكان ذلك بتسميتهم أو مناداتهم بأسماء محتقرة مكروهة، أو مخاطبتهم بالأساليب التي تحمل الإهانة لهم، أو زجرهم بكلماتٍ فيها احتقارهم.

---

(١) البخاري (٥/ ٢٥٠)، ومسلم (٣/ ١٢٤١).
(٢) مسلم (٣/ ١٢٤٤).
(٣) مسلم (٣/ ١٢٤٢).
(٤) شرح مسلم للنووي (١١/ ٦٦).
(٥) أحمد (١/ ٢٢٣). وحسَّنه أحمد شاكر.
(٦) منهج التربية الإسلامية (٢/ ١١٦، ١١٧).

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحاسدوا ولا تناجشوا[١] ولا تباغضوا ولا تدابروا[٢] ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله، والتقوى ههنا -ويُشير إلى صدره ثلاث مرات- بحسب امرئٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرامٌ؛ دمه وماله وعرضه»[٣].

من صور الإهانة والاحتقار

قال الدكتور مصطفى السباعي: يُغالي بعض الآباء والأمهات في زجر أولادهم حتى يُشهِّر أحدهم بالولد حين ينحرف عن سنن الأخلاق الكريمة والآداب الفاضلة حتى ولو لأول مرة: فإن كذب مرة نادیناه دائمًا بالكذاب، وإذا لطم أخاه مرةً واحدَة نادیناه دائمًا بالشرير، وإذا احتال على أخته الصغيرة فأخذ منها لُعبة أو ثمرةً أو شيئًا معها نادیناه دائمًا بالمحتال، وإذا أخذ من أبيه قلمًا أو شيئًا نادیناه دائمًا بالسارق، وإذا طُلب منه كوب ماءٍ أو نحوه فأبى نودي دائمًا بالكسول أو العاصي... وهكذا يشهِّرون بأبنائهم من الزلة الأولى.

من أمثلة الإهانة

١ - ذكر أن أبًا عيَّر ولده بأُمِّهِ وكانت أَمَةً وليست حرة وقال له: أتخالفني وأنت ابن أمة؟ فقال الولد لأبيه: إن أمي والله خيرٌ منك يا أبي!!.

قال الأب لم؟! فقال الولد: لأنها أحسنت الاختيار فولدتني من حُرٍّ، وأنت أسأت الاختيار فولدتني من أمة...

انظر إلى الأسلوب الفظ الغليظ الذي استعمله الأب عند زجر ابنه عن معصيته، فما اكتفى بإهانته فقط، بل وأهان أمَّه أيضًا حين قال له: وأنت ابنُ أمة؛ والجزاء من جنس

---

(١) النجش: أن يزيد المرء في ثمن سلعةٍ، يُنادي عليها في السوق ونحوه، ولا رغبة له في شرائها، بل يقصد أن يغرَّ غيره؛ وهذا حرامٌ.

(٢) والتدابر: أن يُعرض عن الإنسان ويهجره ويجعله كالشيء الذي وراء الظهر؛ الدبر.

(٣) مسلم (٢٥٦٤).

العمل، وكما تدين تدُان، أتظنُّ بعد هذا أن يُحسن الولد الرد على أبيه؟!

بالطبع لا، وهذا ما حدث كما قرأت.

٢- جاء رجل إلى عمر ﷺ يشكو إليه عقوق ابنه، فأحضر عمر الولد، وأنَّبَه على عقوقه لأبيه ونسيانه لحقوقه عليه، فقال الولد: يا أمير المؤمنين، أليس للولد حقوقٌ على أبيه؟ قال عمر: بلى. قال: فما هي يا أمير المؤمنين؟ قال عمر: أن ينتقي أمه، ويُحسن اسمه ويُعلِّمه الكتاب[1].

فقال الولد: يا أمير المؤمنين إن أبي لم يفعل شيئًا من ذلك، أمَّا أمي فهي زنجية، كانت لمجوسي، وقد سمَّاني جُعَلًا[2]، ولم يُعلمني من الكتاب حرفًا واحدًا.

فالتفت عمر إلى الرجل، وقال له: جئت إليَّ تشكو عقوق ابنك وقد عققته قبل أن يعقُكَّ، وأسأت إليه قبل أن يُسيء إليك.

د- تجنب أسباب الحسد والبغضاء بين الأولاد

وهي أسباب عديدة يصبُّ غالبها في مصبي عدم العدل والمساواة بين الأبناء، ومن أهمها:

١- تقريب بعض الأولاد وإبعاد الآخرين
٢- إظهار محبة بعضهم على بعض
٣- الاهتمام ببعضهم وإهمال بعض
٤- مدح بعضهم وذمٌّ بعض
٥- تخصيص بعضهم بالهدايا والعطايا وحرمان بعض
٦- تشجيع بعضهم وتثبيط بعض.
٧- ممازحة بعضهم وملاطفتهم والإغلاظ على غيرهم.
٨-إيثار بعضهم بالمكافآت المادية والهدايا العينية عن بعض.
٩- الانتقاص من شأن بعضهم بسبب بعض صفاته السيئة أو آدابه الغير سوية أو بما ابتُلي به من عاهةٍ أو عاهات جسدية أو فكرية أو عقلية، أو غير ذلك.
١٠- تخصيص بعضهم بالنُزه واللعب دون الآخرين.

---

(١) الكتاب: القرآن.

(٢) الجعل: الخنفساء.



ومن آثار ذلك

١- تأثم الوالدين أحدهما أو كليهما بسبب عدم العدل بين الأبناء.

٢- بُغض الأبناء للآباء والأمهات، ولا سيما المظلومين والمُساء إليهم من الأبناء.

٣- عصيان الأبناء للآباء، وعقوقهم.

٤- بغض بعض الأبناء لبعض، من جرَّاء المعاملة الحسنة التي عامل بها بعضهم في مقابل المعاملة المزرية السيئة التي يعامل بها الآخرون.

٥- دبُّ الشقاق والخلاف الدائم بين الإخوة والأخوات.

٦- تفكك الروابط الأسرية والقيم الأخلاقية بين أفراد الأسرة.

٧- تهديد مستقبل الأولاد المظلومين، مما يُفضي ببعضهم إلى الإجرام وسيئ الأخلاق.

٨- إفساد الأولاد المدللين دلالًا زائدًا وتقاعسهم عن النهضة والنهوض والتفوق والتميز والإقدام.

٩- شقاء الوالدين بشقاء أبنائهم؛ لأن الجزاء من جنس العمل، وكما تدين تدان.

١٠- غضب الحق وبغض الخلق؛ حيث يتعرض الوالدين الظالمين لغضب الله عليهم؛ لتفريقهم بين أولادهم وعدم المساواة بينهم، ثم يوضع لهم البغضاء في الأرض، فلا تراهم إلا ممقوتين، وعن الناس مبعدين، مكروهين، منبوذين، والعياذ بالله رب العالمين.

هـ- تجنب الدلال المفرط

وللدلال المفرط أسبابٌ ومظاهرٌ ونتائج.

أسبابه

* الجهل بأسس التربية ووسائل التأديب من قِبل الوالدين؛ أحدهما أو كليهما.

* سوء تربية الوالدين أحدهما أو كليهما؛ حيث تربَّى كل منهما أو أحدهما على الدلال.

* قصور فكر الوالدين أحدهما أو كليهما عن المسئوليات الملقاة على كاهل ولدهما إذا شبَّ وإذا كبرت سنُّهُ.

* قصور عقيدة الوالدين أحدهما أو كليهما باعتقادهما خطأ، أن الدلال المفرط

لولدهما -بتقريبه دائمًا وعدم فراقه- سببُ حفظه من البلايا والمصائب والإصابات والكسور ونحو ذلك.

ب- مظاهره

* تقريب الوالدين لولدهما دائمًا وعدم مفارقته حتى بعد تمييزه وإدراكه، وربما بعد احتلامه.

* ترك محاسبة الولد على الخطأ والإفساد دائمًا.

* تلبية جميع رغبات الطفل وشهواته دائمًا.

* عدم تحميل الولد أي مسئولية حتى بعد التمييز أو الاحتلام.

* تقاعس الولد المدلل عن معظم أو كل الأعمال التي يمكن أن يقوم بها وتكاسله.

* فطام الولد المدلل وتعوده على السكون والركون والدِّعة والراحة.

جـ- نتائجه

* فساد التربية الدينية للولد، فإن وُعِظَ لا يتعظ، وإن نُصِحَ لا ينتصح، وإن أمر لا يأتمر، وإن نُهي لا ينتهي، وأصبح كسولًا؛ لا يقيم صلاة، ولا يحفظ قرآنًا ولا سُنَّة، ولا يدعو إلى خيرٍ، ولا يأمر بمعروفٍ، ولا ينهى عن منكرٍ.

* فساد التربية الأخلاقية للولد، أو على الأقل بعض أخلاقه.

* فساد التربية الأدبية للولد، فعنده نقصٌ وخللٌ تجاه الوالدين وبرهما، وتجاه رحِمِهِ بالتقصير في صِلتهم، وتجاه الآداب الاجتماعية، والتقاعس عن الواجبات، والتكاسل عن الملمات، والتأخر عن اللحاق بركب المتفوقين والمتفوقات.

و- الاهتمام بذوي العاهات والظروف الاجتماعية

وقد يُبتلى الوالدان بولد أعمى أو أصم أو أبكم أو متخلف عقليًا أو مصاب بأي عاهة من العاهات، أو حدث له حادث فكسرت يده أو رجله، أو أصابه شللٌ أو نحو ذلك، فعليهما تجاهه حقوق وآداب منها:

١ - أن يعدلوا بينه وبين إخوته الأصحاء، بل يُفضل لهم أن يظهروا له محبةً ومودّة خاصة.

٢- أن لا يذكروا عاهته أمامه أو أمام إخوته أو أمام أي إنسان آخر؛ حرصًا على نفسيته وشعوره وأحاسيسه. فلا يقولون له إن غضبوا منه يومًا ما: يا أعرج، أو يا أعمى، أو يا أخرس، أو يا أطرش، أو يا متخلف، ونحو هذا، مما لا يليق بمسلمٍ عاقلٍ أبدًا (لا تلم أخاك بما فيه؛ فيبتليك ربك ويعافيه).

٣- أن يصبِّروه دائمًا ويذكِّروه بالأجر والثواب على الصبر على ابتلائه بالآيات والأحاديث الصحيحة في ذلك، وذلك عند إصابته بالضيق أو الضجر أو نحو ذلك من جراء تذكر عاهته، أو الإعاقة عن فعل بعض الأشياء التي لا يستطيعها.

٤- عدم تكليفه بما لا يطيق وبما يشقُّ عليه، فإن الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها، فكيف يكلف الخلق غيرهم من الخلق ما ليس في وسعهم ولا طاقاتهم.

٥- أن يحرصوا دائمًا على الحيلولة بين إخوته وبين ذكر عاهته أو تعييره بها، وزجرهم إن فعلوا وعقابهم عقابًا شديدًا.

٦- الحرص على مساعدته دائمًا بكل الوسائل التي من خلالها وبسببها يمكن التغلب على عاهته.

٧- الحرص على معالجة عاهته أو مرضه أو إصابته إن كان ذلك من النوع الذي يُرجى برؤه والشفاء منه.

ز- الإحسان إلى اليتامى وكفالتهم

عن سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وأشار بالسبابة والوسطى وفرَّج بينهما.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كافل اليتيم -له أو لغيره- أنا وهو كهاتين في الجنة» وأشار الراوي وهو مالك بن أنسٍ بالسبابة والوسطى[1].

قال ابن عثيمين رحمه الله: أشار بالسبابة والوسطى يعني بالإصبع السبابة والوسطى، والإصبع السبابة هي التي بين الوسطى والإبهام، وتسمى السبابة؛ لأن

---

(١) مسلم (٢٩٨٣).

الإنسان يشير بها عند السبِّ، فإذا سبَّ شخصًا قال هذا وأشار بها، وتُسمَّى السبابة؛ لأن الإنسان يشير بها أيضًا عند التسبيح، ولهذا يشير الإنسان بها في صلاته إذا جلس في صلاته، ويشير بها في التشهد إذا دعا.

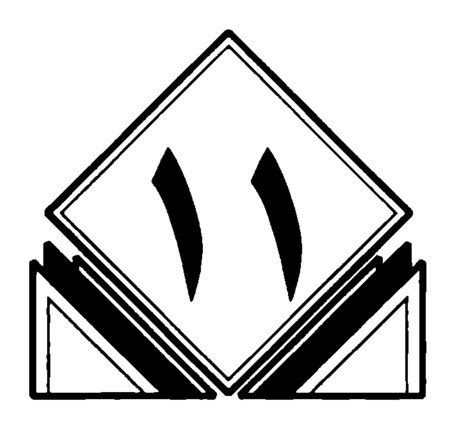
وفرَّج بينهما عليه السلام، يعني قارن بينهما وفرج، يعني: أنا وكافل اليتيم مع النبي ﷺ في الجنة قريبٌ منه، وفي هذا حثٌ على كفالة اليتيم، وكفالة اليتيم هي القيام بما يُصلحه في دينه ودنياه؛ بما يصلحه في دينه من التربية والتوجيه والتعليم وما أشبه ذلك، وما يصلحه في دنياه من الطعام والشراب والمسكن.

واليتيم حدُّهُ البلوغ، فإذا بلغ الصبي زال عنه اليتم، وإذا كان قبل البلوغ فهو يتيم، هذا إن مات أبوه، وأما إذا ماتت أمه دون أبيه فإنه ليس بيتيم[1].

---

(١) شرح رياض الصالحين (٢/ ٧٠/ ٧١) بتصرف.





التربية الجنسية

مقدمة

الحمد لله العلي القوي المتين، لا يعزب عن سمعه أقل الأنين[1]، ولا يخفى على بصره حركات الجنين[2]، ذل لكبريائه جبابرة السلاطين، وقل عند دفاعه كيد الشياطين، قضى قضاءه كما شاء على الخاطئين، وسبق اختياره لما اختار الماء والطين، ففريق من أهل الشمال، وفريق من أهل اليمين.

أحمده حمد الشاكرين، وأسأله معونة الصابرين، وأصلي على خاتم النبيين وعلى أبي بكر أول تابع له على الدين، وعلى عمر القوي الأمين، وعلى عثمان زوج ابنتيه ونعم القرين، وعلى علي بحر العلوم الأنزع البطين[3][4].

---

(١) كأنين المريض والمتوجع ونحوهم.

(٢) أي حركات الجنين في بطن أمه.

(٣) أي ذي العلوم الكثيرة الغزيرة.

(٤) أبو داود (٤٩٥) وقال الألباني في صحيح أبي داود (٤٦٦): حسن صحيح.

أهداف التربية الجنسية

اعلم -رحمك الله- أن الأساس الجنسي لهو من أهم الأسس التربوية والسبل التأديبية التي لا ينبغي تجاهلها بحال من الأحوال، ولا التفريط فيها من قبل الآباء ولا الأمهات، بل ينبغي أن توضع في الحسبان وأن يقوم الولدان بالآداب الجنسية، كما سترى في الصفحات التالية، هذا وإن للتربية الجنسية أهداف عديدة منها:

١- تعريف الأولاد بما عليهم من حقوق تجاه آبائهم وأمهاتهم فلا ينتهكوها، ولا ينبغي لهم ذلك، ومنها الحقوق الجنسية.

٢- تأديب الأولاد بأدب الإسلام من الناحية الجنسية.

٣- حفظ الأعراض من التدنيس بسيئ الأخلاق وقبيح الآداب، ومن أهمها أعراض الأسرة وأفرادها، فهي أولى بالحفظ بلا خلاف.

٤- الترهيب للأولاد من الشذوذ التربوي في الناحية الجنسية، من خلال تبصيرهم بأحكام الإسلام الخاصة بغض البصر وحفظ الفرج والترهيب من ضدها بإطلاق الأبصار وعدم حفظ الفروج، وكذلك بالترهيب الصحي بعرض الأمراض الفتاكة بأنواعها، تلك التي تصيب من يشذ بمعصيته ولا يحفظ فرجه ولا يغض بصره.

٥- صبغة أفراد المجتمع بالصبغة الإسلامية التأديبية، والتخلق بالآداب الجنسية الإسلامية.

٦- وقاية الأولاد خاصة، ومن ثم أفراد المجتمع عامة من الوقوع في الفواحش والموبقات، واقتراف المعاصي والسيئات.

كيفية التربية الجنسية

إن للتربية الجنسية سبلا وطرقا، إن سلكها السالك كانت التربية القويمة والآداب الكريمة، وكان في مأمن من الشذوذ والانحراف، وهذه السبل وتلك الطرق يمكن إيجازها في النقاط الآتية:

١- تعريف الأبناء ذكورهم وإناثهم بآداب الاستئذان التي ينبغي عليهم تعلمها وتطبيقها، كما أتى ذلك واضحا مفسرا في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ

٢- التفريق بين الأبناء ذكورهم وإناثهم في المضاجع، فينبغي أن ينام الذكر في فراش

والأنثى في فراش آخر، وقد أمر النبي المصطفى ﷺ بالتفريق بين الأولاد في المضاجع.

٣- أمر الأولاد بغض الأبصار وترغيبهم في ذلك بأدلة الكتاب وصحيح السنة، وتعليمهم أحكام النظر الشرعية، وما يجوز منها وما لا يجوز، وذلك بالنسبة للذكور والإناث، ولا يقتصر على الذكور والإناث، ولا يقتصر على الذكور فحسب، كما يعتقد ذلك أصحاب الفهم القاصر.

٤- أمر الأولاد ذكورهم وإناثهم بحفظ الفرج وترغيبهم في ذلك، وحثهم عليه بأدلة الكتاب وصحيح السنة وكلمات سلف الأمة، وتذكيرهم بجزاء ذلك وثوابه، وعظيم أجره عند الله.

٥- تعليم الأولاد الأسباب الواقية من إطلاق البصر والوقوع في الزنا والفواحش، ومنها تقوى الله تعالى، والتوكل على الله تعالى، ومراقبة الله في السر والعلن، والصبر والعفة، وتذكر الآخرة، ومجاهدة النفس، والصدق مع الله، وهجر أصدقاء السوء، واستغلال الأوقات في الطاعات، وقرار النساء في بيوتهن وعدم خروجهن إلا لحاجة، وإعفاف الزوجة زوجها، وإعفاف الزوج زوجته، واجتناب النساء للخضوع في القول، واجتناب الخلوة بالرجال، وضرورة التمسك الحجاب ووجوب ذلك، واجتناب تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال، واجتناب النساء التطيب والتعطر، والسفر بدون محرم.

٦- الحث على الزواج بالنسبة لمن يستطيع الباءة من الأولاد، فإن الزواج لهم وجاء ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء، وحتى يغنيه الله من فضله.

٧- اجتناب المثيرات الجنسية، مسموعها، ومقروئها، والمشاهد منها عبر الشاشات صغيرها وكبيرها.

٨- التحذير من الوقوع في الفواحش والموبقات، باقتراف الزنا واللواط والسحاق، وكلها من الكبائر، وفاعلها ممقوت من ربه، وممقوت من خلق الله، مهدد بالضياع في الدنيا بالأمراض الفتاكة والأدواء القتالة، وموعود في الآخرة بالنار إن لم يتب إلى العزيز الغفار، فما من عاقل يعلم هذا وتجرؤ نفسه على اقتراف مثل تلك الموبقات؟!! ومن يستطيع تحمل غضب العزيز القهار، ومن بعد غضبه التحريق بالنار؟!! فهل من مدكر؟!!

هذا وإن ما سبق من النقاط مجملا سيأتي في الصفحات التالية مفصلا بصورة أحسبها شافية وأراها كافية بإذن الله تعالى.

آداب الاستئذان

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور: ٥٨-٥٩].

قال السعدي رحمه الله: أمر المؤمنين أن يستأذنهم مماليكهم والذين لم يبلغوا الحلم منهم، وقد ذكر الله حكمته من ذلك، وبين ثلاث عورات للمستأذن عليهم:

١- وقت نومهم بالليل بعد العشاء.

٢- وعند انتباههم قبل صلاة الفجر، فهذا في الغالب أن النائم يستعمل للنوم في الليل ثوبا غير ثوبه المعتاد.

٣- وأما نوم النهار -فلما كان في الغالب قليلا، قد ينام العبد بثيابه المعتادة- قيده بقوله: ﴿ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ ﴾ أي: للقائلة وسط النهار.

ففي ثلاثة هذه الأحوال يكون المماليك والأولاد الصغار كغيرهم، لا يمكنون من الدخول إلا بإذن، وأما ما عدا هذه الأحوال الثلاثة فقال:﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ﴾ أي: ليسوا كغيرهم، فإنهم يحتاج إليهم دائما، فيشق الاستئذان منهم في كل وقت؛ ولهذا قال:﴿ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ ﴾ أي: يترددون عليكم في قضاء أشغالكم وحوائجكم ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ بيانا مقرونا بحكمته؛ ليتأكد ويتقوى ويعرف به رحمة شارعه وحكمته؛ ولهذا قال: ﴿ وَٱلله عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ وله العلم المحيط بالواجبات والمستحيلات والممكنات والحكمة التي وضعت كل شيء موضعه، فأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، ومنه هذه الأحكام التي بينها وبين مأخذها وحسنها ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ ﴾ وهو إنزال المني يقظة أو مناما ﴿ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ أي: في سائر الأوقات، والذين من قبلهم هم الذي ذكرهم

ﷲ بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ ﴾ [النور: ٢٧] ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.

وفي هاتين الآيتين فوائد:

١- منها أن السيد وولي الصغير مخاطبان بتعليم عبيدهما، ومن تحت ولايتهما من الأولاد العلم والآداب الشرعية؛ لأن الله -عز وجل- وجه الخطاب إليهم بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ ﴾ [النور: ٥٨].ولا يمكن ذلك، إلا بالتعليم والتأديب، ولقوله: ﴿ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّ ﴾ [النور: ٥٨].

٢- ومنها الأمر بحفظ العورات والاحتياط لذلك من كل وجه، وأن المحل والمكان الذي مظنة لرؤية عورة الإنسان فيه منهي عن الاغتسال فيه والاستنجاء ونحو ذلك.

٣- ومنها جواز كشف العورة عند الحاجة، كالحاجة عند النوم، وعند البول وعند الغائط ونحو ذلك.

٤- ومنها أن المسلمين كانوا معتادين للقيلولة وسط النهار، كما اعتادوا نوم الليل؛ لأن الله خاطبهم ببيان حالهم الموجودة.

٥- ومنها أن الصغير الذي دون البلوغ لا يمكن من رؤية العورة، ولا يجوز أن ترى عورته؛ لأن الله لم يأمر باستئذانهم إلا عن أمر ما يجوز.

٦- ومنها أن المملوك أيضا لايجوز أن يرى عورة سيده، كما أن سيده لا يجوز أن يرى عورته، كما ذكرنا في الصغير.

٧- ومنها أنه ينبغي للواعظ والمعلم ونحوهم، ممن يتكلم في مسائل العلم الشرعي أن يقرن بالحكم بيان مأخذه ووجهه، ولا يلقيه مجردا عن الدليل والتعليل؛ لأن الله لما بين الحكم المذكور علله بقوله: ﴿ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٍ لَّكُمۡ ﴾.

٨- ومنها أن الصغير والعبد مخاطبان، كما أن وليهما مخاطب؛ لقوله: ﴿ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ ﴾.

٩- ومنها أن ريق الصبي طاهر ولو كان بعد نجاسة كالقيء؛ لقوله تعالى: ﴿ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم ﴾ [النور: ٥٨] مع قول النبي ﷺ حين سئل عن الهرة: «**إنها ليست بنجس، إنها من الطوافين عليكم والطوفات**».

١٠- ومنها جواز استخدام الإنسان من تحت يده من الأطفال على وجه معتاد، لا يشق على الطفل؛ لقوله: ﴿ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم ﴾.

١١- ومنها أن الحكم المذكور المفصل إنما هو لمن دون البلوغ، فأما بعد البلوغ فليس إلا الاستئذان.

١٢- ومنها أن البلوغ يحصل بالإنزال فكل حكم شرعي رتب على البلوغ حصل بالإنزال، وهذا مجمع عليه، وإنما الخلاف: هل يحصل البلوغ بالسن أو بالإنبات للعانة، والله أعلم[1].

التفريق في المضاجع

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع**»[2].

من فوائد الحديث

١- الأمر النبوي بثلاثة أمور، هي من أهم وسائل وأسس التربية للأولاد ذكورهم وإناثهم.

٢- وجوب أمر الأولاد بالصلاة إذا بلغوا سبع سنين؛ حيث يكون التمييز ومعرفة الحلال من الحرام والواجب من غيره.

٣- الإتيان بكلمة الأولاد التي تشمل الجنسين: الذكور والإناث لذا فالأمر لهما كليهما، لا للذكور فقط، ولا للإناث فقط.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٥٧٣- ٥٧٤).

(٢) أبو داود (٤٩٥) وقال الألباني في صحيح أبي داود (٤٦٦): حسن صحيح.

٤- أهمية تدريب الأولاد في صغرهم على الطاعات، وترويضهم على العبادات، وحتى تسهل عليهم إذا شبوا وحتى لا تترك فطرهم لتشوه إن هي تركت من حيث التدريب على الطاعات في الصغر ، وقد صدق القائل حين قال: إن التعليم في الصغر كالنقش على الحجر، ومن ذلك سهولة حفظ القرآن الكريم وثباته لأمر النبي بالضرب على تركها في قوله: «**اضربوهم عليها وهم أبناء عشر**».

٦- وجوب التفريق بين الأولاد في مضاجعهم، ذكورهم وإناثهم، وذلك درءا لمفاسد الاختلاط في الفراش الذي يتضح أمره ويزيد شأنه مع كبر سن الطفل ورغبته في الاطلاع على العورات، ولذلك فوائد عديدة:

أ- منها تعويد كل جنس على الاستقلالية وعدم الاقتراب من الجنس الآخر، فتراه إذا شب كان في رهبة من الجنس الآخر والاقتراب منه.

ب- الوقاية من البلوغ المبكر، الذي يحدث بكثرة المثيرات المرئية والمسموعة ونحوها.

جـ- تعويد الصغار منذ صغرهم على عظم وحرمة المحارم، خاصة بين الأخ وأخته.

د ـ الوقاية من حدوث الفواحش والمنكرات من جراء التسيب والانحلال، وترك الذكور والإناث في فراش واحد؛ وكم من حوادث قد حدثت وأعراض قد انتهكت من جراء ذلك، وكم من لمسات وحركات والآباء في سبات عميق، وكم من تغرير وتدليس من قبل الأخ الذي يوهم أخته أن مداعبتها وربما مواقعتها أمر جبلي فطري لا حرمة فيه، بل هو مباح مشروع!!

فليتق الله آباء وأمهات تساهلوا بعدم تطبيق أمر نبيهم، وليتق الله من يقصرون في هذا الشأن، وغدا سيفجعون بتدمير الأنساب وانتهاك الأعراض.

الغض لغة

مصدر قولهم غض بصره يغضه غضا، وهو مأخوذ من مادة (غ ض ض) التي تدل على معنيين؛ أحدهما: الكف والنقص، والآخر: الطروة، وغض البصر من المعنى الأول، وكل شيء كففته فقد غضضته، وقال بعضهم: الغض: الخفض والكف والكسر، وأصل الكلمة: غض يغض غضا (بالكسر)، وغضا وغضاضة وغضاضا (بالفتح)، فقولك: غض طرفه أي: خفضه، وكذا غض صوته، وكل شيء غضضته كففته، والأمر منه في لغة أهل الحجاز: اغضض، وأهل نجد يقولون: غض طرفك، وانغضاض الطرف: انغماضه. والإغضاء: إدناء الجفون[١].

البصر لغة

اسم لآلة الإبصار، وهو مأخوذ من مادة (ب ص ر) التي تدل على العلم بالشيء، ومنه أيضا: البصيرة.

قال ابن سيده: البصر: حس العين، والجمع أبصار.

قال ابن منظور: بصر به بصرا وبصارة، وأبصره تبصرة: نظر إليه ببصره.

قال سيبويه: بصر: صار مبصرا، وأبصر: إذا أخبر بالذي وقعت عينه عليه. وأبصرت الشيء: رأيته، وباصره: نظر معه إلى شيء أيهما يبصره قبل صاحبه.

قال الجوهري: البصر: حاسة الرؤية، وأبصرت الشيء: رأيته، والبصير: خلاف الضرير. وباصرته: إذا أشرفت تنظر إليه من بعيد، والبصر: العلم، وبصرت: بالشيء: علمته. قال تعالى: ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ ﴾ [طه: ٩٦] والبصير: العالم. وقد بصر بصاره. والتبصر: التأمل والتعرف، والبصيرة: الحجة والاستبصار في الشيء[٢].

غض البصر اصطلاحا

أن يغمض المسلم بصره عما حرم عليه، ولا ينظر إلا لما أبيح له النظر إليه، ويدخل فيه أيضا إغماض الأبصار عن المحارمات، فإن اتفق أن وقع البصر على محرم من غير

---

(١) لسان العرب (٥/ ٣٢٦٦،٣٢٦٥)، والصحاح (٣/ ١٠٩٥)، ومقاييس اللغة (٤/ ٢٤٨).

(٢) لسان العرب (١/ ٢٩٠) الصحاح (٢/ ٥٩٢)، مقاييس اللغة (١/ ٢٥٣)، وتاج العروس (٥/ ٦١، ٦٢).

قصد فليصرف بصره سريعا[١].

الأحاديث الواردة في غض البصر

عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اضمنوا لي ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة؛ اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم**»[٢].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**»[٣]

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:«**إياكم والجلوس في الطرقات**» فقالوا: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد؛ نتحدث فيها، فقال: «**فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه**» قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: «**غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر**»[٤].

وعن جرير بن عبد الله ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ: عن نظر الفجأة؟ **فأمرني أن** أصرف بصري[٥].

عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد، ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد**»[٦].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٩٨) بتصرف.

(٢) أحمد (٥/ ٣٢٣) واللفظ له، والحاكم (٤/ ٣٥٨، ٣٥٩) والألباني في الصحيحة (٣/ ٤٥٤) برقم (١٤٧٠)، وصحيح الجامع (١/ ٣٣٩) برقم (١٠٢٩).

(٣) البخاري- الفتح (٤/ ١٩٠٥)، ومسلم (١٤٠٠) واللفظ له.

(٤) البخاري- الفتح (١١/ ٦٢٢٩) واللفظ له، ومسلم (٢١٢١).

(٥) مسلم (٢١٥٩).

(٦) مسلم (٣٣٨).

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدركٌ ذلك لا محالة؛ العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليدُ زناها البطش، والرجلُ زناها الخُطى، والقلبُ يهوى ويتمنى، ويُصدِّقُ ذلك الفرجُ أو يكذِّبهُ**»[1].

أقوالُ العلماء في غضِّ البصر

قال ابنُ مسعود: الإثم حوَّاز[2] القلوب، وما من نظرة إلا وللشيطان فيها مطمعٌ[3].

وقال: حفظُ البصر أشدُّ من حفظ اللسان[4].

قال أنس بن مالك: **إذا مرَّت بك امرأةٌ فغمِّض عينيك حتى تجاوزك**[5].

قال الزهري في النظر إلى التي لم تحض من النساء: **لا يصلح النظُر إلى شيء منهن ممن يُشتهى النظرُ إليه وإن كانت صغيرة**[6].

قال سعيدُ بنُ أبي الحسن: قلتُ للحسن: إن نساء العجم يكشفن صدورهنَّ ورءوسهنَّ؟ قال: اصرف بصرك، يقول الله تعالى: ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ** ﴾ [النور: ٣٠][7].

قال العلاءُ بن زياد العدوي: **لا تُتبع بصرَك حُسنَ رِدفِ المرأة، فإن النظر يجعل**

(١) البخاري (٦٢٤٣) في الاستئذان، باب زنا الجوارح، ومسلم (٢٦٥٧) في القدر، باب قُدِّرَ علي ابن آدم حظُّه من الزنا وغيره، واللفظ له.

(٢) حواز: يعني ما يحوزها ويغلبُ عليها حتى ترتكب ما لا يحسن. وقيل : بتخفيف الواو وتشديد الزاي (جمع حازه): وهي الأمور التي تحزُّ في القلوب.

(٣) الترغيب والترهيب (٣/ ٣٦، ٣٧).

(٤) الورع لابن أبي الدنيا (٦٢).

(٥) المرجع السابق (٦٦).

(٦) البخاري- الفتح (١١/ ٩).

(٧) أضواء البيان (٦/ ١٨٩، ١٩٠).

الشهوة في القلب [١].

قال وكيع بن الجراح: خرجنا مع سفيان الثوري في يوم عيد فقال: **إن أول ما نبدأ به في يومنا غضُّ أبصارنا** [٢].

قال ابن دقيق العيد: إن التقوى سببٌ لغضِّ البصر، وتحصين الفرج [٣].

قال شجاعُ بن شاه: **مَنْ عَمَّرَ ظاهره باتباع السُّنَّة، وباطنَه بدوام المراقبة، وغضَّ بصره عن المحارم، وكفَّ نفسه عن الشهوات، وذكر خصلةً سادسةً؛ هي أكلُ الحلال، قال: لم تخطئ له فراسةٌ** [٤].

قال ابن كثير: عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠] **هذا أمرٌ من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يغضُّوا من أبصارهم عما حُرِّمَ عليهم، فلا ينظروا إلا إلى ما أباح لهم النظر إليه، وأن يغضُّوا أبصارهم عن المحارم، فإن اتفق أن وقع البصرُ على مُحَرَّمٍ من غير قصدٍ فليصرف بصره عنه سريعًا** [٥].

قال بعضُ السلف: **مَنْ حفظ بصرَه أورثه الله نورًا في بصيرته** [٦]، قال بعضُ أهل العلم: **اتقوا النظر إلى أولاد الملوك، فإن فتنتهم كفتنة العذارى** [٧].

---

(١) الورع (٦٨).

(٢) المرجع السابق (٦٣).

(٣) الفتح (٩/ ١٠٩).

(٤) مجموع الفتاوى (١٥/ ٤٢٥، ٤٢٦).

(٥) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٨٢) بتصرف.

(٦) المرجع السابق (٣/ ٢٨٣).

(٧) مجموع الفتاوى (١٥/ ٤٢٠).

ثمرات غضِّ البصر

قال ابن القيم -رحمه الله- عن ثمرات غض البصر:

١- تسدُّ عن صاحبه بابًا من أبواب جهنم:

تفنى اللذاذة ممن نال شهوته ... من الحرام ويبقى الإثم والعارُ

تبقى عواقبُ سوء في مغبَّته ... لا خير في لذة من بعدها النارُ

٢- سببٌ في رضوان الله تعالى، ورضا الله هو سرُّ سعادة المرء في الدنيا والآخرة.

٣- يسدُّ على الشيطان مداخله إلى القلب عبر بوابة العين.

٤- يقي العبد من داء العشق، وهو داءٌ عضال؛ لأن النظرة كأسٌ من خمرٍ، والعشقُ سكرُ ذلك الشراب.

٥- يحفظ العين لتستحقَّ شرف النظر إلى رب العالمين يوم القيامة.

٦- سببٌ لنور البصيرة يوم القيامة، وذلك أنه يكون من المهديين للنور يوم القيامة.

وسرُّ هذا أن الجزاء من جنس العمل، فمن غضَّ بصره عما حرَّم الله عوَّضه الله من جنس ذلك، فكلما غضَّ بصره أطلق الله بصيرته، فيرى ببصيرته ما لا يراه من أطلق بصره ولم يغضه عن الحرام.

فحريٌّ بمن عرف هذه الثمرات الزاكية ووقف على جزاء هذه الخيرات الدانية أن يتقي الله ربه ومولاه، وأن يكفَّ عن اتباع شيطانه وهواه، فإنه إن فعل ذا هداه إلى جنته ونعم مثواه، وإلا فالنار مستقره ومأواه.

الضررُ الطبي لإطلاق البصر إلى المحرمات

قال الدكتور صادق محمد: ولقد ثبت بالدراسة والبحث أن تكرار النظر بِشِرِهٍ إلى الجنس الآخر:

١ - قد يصل بالشخص إلى إصابة جهازه التناسلي بأمراض احتقان غدة البروستاتا.

٢ - الضعف الجنسي.

٣- وبالتحليل النفسي لهذا الإنسان وُجد أنه يتعرض لأزمات نفسية؛ اكتئاب وتغيُّر في سلوكه وشخصيته، ويشير الباحث إلى أن حاسَّة النظر تعتبر أقوى وأخطر الحواس من ناحية الإثارة الجنسية، ولقد حذرنا الإسلام ونهانا عن إطلاق البصر، والذي ثبت في عصر العلم الحديث بالبحث والدراسة ضرر مخالفته[1].

وقال الشيخ عبد الله ناصح علوان عن الغارق في الشهوات المطلق للأبصار المنشغل في الليل والنهار بالتفكير في الثيِّبات والأبكار: تراه كأنه غبيٌّ مخمور، أو كأنه مكروبٌ محزون، كذلك يسبب له هذا المرض (مرض الهوس الجنسي) نحولًا في الجسم، وضعفًا في الذاكرة، قلقًا في النفس[2].

---

(١) أبو داود (٤٩٥) وقال الألباني في صحيح أبي داود (٤٦٦): حسن صحيح.

(٢) عقبات الزواج لعبد الله ناصح علوان (٢٤، ٢٥).



أحكام النظر

(١) نظر الرجل إلى الرجل

عورة الرجل من السُّرَّة إلى الركبة؛ لقول الرسول ﷺ: **«ما بين السرة والركبة عورة»**؛ لذا فلا يجوز كشف ما تحت السرة أو ما فوق الركبة، ولا يجوز النظر فيما بين السرة والركبة، وقد قال النبي ﷺ: **«لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة..»**[١]، وقال أيضًا: **«احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك»**[٢].

(٢) نظر الرجل إلى المرأة

وهذا يشمل:

أ- نظر الرجل إلى زوجته: يجوز نظر الرجل إلى زوجته بشهوة وبغير شهوة؛ لقوله تعالى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ** ﴾ [المؤمنون: ٥-٦]، ولقول النبي ﷺ: **«احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك»**.

ب- نظر الرجل إلى مخطوبته: يجوز نظر الرجل إلى من أراد خطبتها؛ لقول النبي ﷺ للمغيرة بن شعبة: **«انظر إليها؛ فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»**[٣]، وهناك محاذير يجب الانتباه إليها:

١- لا يجوز الخلوة بالمخطوبة، ويجوز الاجتماع بها عند الخطبة في وجود أحد محارمها.

٢- لا يجوز لمس المخطوبة ولا مصافحتها باليد؛ لأنها أجنبية عن خطيبها حتى يتم عقد النكاح.

٣- لا يجوز الخروج مع المخطوبة للضرورة ولا لغير الضرورة؛ لأنها أجنبية عن خطيبها حتى يُعقد عليها.

---

(١) مسلم.

(٢) أحمد وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٣).

(٣) مسلم.

٤- لا يجوز أن تظهر المخطوبة لخطيبها إلا كاشفة الوجه[١] والكفين.

ج ـ نظر الرجل إلى إحدى محارمه: والمحارم ثلاثة أنواع:

١- محارم بسبب النسب وهن سبعة: الأم، والبنت، والأخ، والعمة، والخالة، وبنت الأخ، وبنت الأخت.

٢- محارم بسبب المصاهرة، وهن أربعة؛ زوجة الأب، وأم الزوجة، زوجة ابنه الذي من صُلبه، وبنت الزوجة.

٣- محارم بسبب الرضاع، وهن سبعة؛ الأم من الرضاع، والعمة من الرضاع، والبنت من الرضاع، والخالة من الرضاع، والأخت من الرضاع، وبنت الأخ، وبنت الأخت من الرضاع.

وحكم النظر إلى المحارم: أنه يجوز النظر إلى الوجه والكفين بغير شهوة، ولا يجوز النظر مطلقًا بشهوة.

د- نظر الرجل إلى المرأة الأجنبية: والمرأة الأجنبية هي المرأة التي يحِلُّ للرجل الزواج منها، والرجل الأجنبي: هو الذي يحِلُّ للمرأة الزواج منه، ويُلحق بالرجل الصبي البالغ والصبي المراهق والمميز، ولا يجوز للرجل -أو من يُلحق به- النظر إلى المرأة الأجنبية، قال النبي ﷺ: **«كُتب على ابن آدم حظه من الزنا، مدركٌ ذلك لا محالة؛ العينان زناهما النظر، ... »**[٢]، عن جرير ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجأة؟ فقال: **«اصرف بصرك»**[٣].

(٣) نظر المرأة إلى المرأة

عورة المرأة المسلمة من السُّرَّة إلى الركبة بين النساء المسلمات الصالحات، وعورة المرأة المسلمة بين الكافرات -ومن لا تُؤمن منهن الفتنة- كلُّ جسمها عدا الوجه والكفين، ولا يجوز نظر المسلمة إلى المسلمة فيما بين سرتها وركبتها، وحتى وإن كانت أمها أو أختها...

---

(١) من غير زينة.

(٢) متفق عليه.

(٣) مسلم.

(٤) نظر المرأة إلى الرجل الأجنبي

يحرم نظر المرأة إلى الرجل الأجنبي؛ لقوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [النور: ٣١]

(٥) حالات يجوز فيها النظر بقدر الضرورة

١- ضرورة المعالجة والمداوة، وذلك كمعالجة الطبيب المسلم الأمين الثقة للمرأة، فيكشف عن عورتها بقدر الضرورة والحاجة، وعند عدم توفر امرأة مؤهلة طبيبة وتقدر الضرورة بقدرها.

٢- ضرورة الخطبة: وفي هذه الحالة لا يجوز إلا كشف الوجه -دونما تزيُّن- والكفين فقط من المرأة؛ لينظر إليها من يرغب في خطبتها، وفي وجود أحد المحارم، كما سبق.

٣- ضرورة الحكم والقضاء: إن احتاج القاضي إلى ذلك للضرورة.

حفظُ الفرج لغةً واصطلاحًا

حفظ الفرج لغةً

الحفظ لغة: مصدر قولهم حفظ يحفظ، هو مأخوذٌ من مادة (ح ف ظ) التي تدل على مراعاة الشيء، يُقال: حفظتُ الشيء حفظًا، والغضبُ: الحفيظة، وذلك أن تلك الحال تدعو إلى مراعاة الشيء، والتحفُّظ: قلةُ الغلفة. والحفاظ: المحافظة على الأمور[1].

قال الجوهري: حفظتُ الشيء حفظًا؛ أي حرستُه وحفظتهُ أيضًا؛ بمعنى استظهرتُه. والحَفَظَةُ: الملائكةُ الذين يكتبون أعمال بني آدم، والمحافظة: المراقبة، والحفيظ: المحافظ. والتَحفُّظ: التيقُّظ وقلّةُ الغفلة[2].

الفرج لغةً: مأخوذٌ من مادة (ف ر ج) التي تدل على تفتُّح في الشيء، ومن ذلك الفُرجةُ التي في الحائط وغيره، ومعناه الشقُّ، والفرجُ: ما بين رجلي الفرس. والفروج: الثغور التي بين مواضع المخافة. والفرج: ما بين الرجلين، وكُنِّي به عن السوأة[3].

حفظُ الفرج اصطلاحًا

قال البغوي في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥] الفرج اسمٌ يجمع سوأة الرجل والمرأة، وحفظ الفرج: التعفُّف عن الحرام[4].

الآيات الواردةُ في حفظ الفروج

قال تعالى: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝ ﴾ [المؤمنون: ١-٦].

وقال تعالى: ﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ۝ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٨٧).

(٢) لسان العرب (٧/ ٤٤١، ٤٤٢).

(٣) لسان العرب (٢/ ٣٤٢، ٤٤٢).

(٤) معالم التنزيل (١٨/ ٣٠٣).

يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣٠-٣١].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ [المعارج: ٢٢-٣١].

الأحاديث الواردة في حفظ الفروج

عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا صلَّت المرأةُ خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها؛ قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبوب الجنة شئت»**(١).

وعن عبادة بن الصامت ﷺ أن نبي الله ﷺ قال: **«اضمنوا لي ستًّا من أنفسكم أضمن لكم الجنة؛ اصدقوا إذا حدَّثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدُّوا إذا اؤتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكُفُّوا أيديكم»**(٢).

---

(١) أحمد في المسند (١/ ١٩١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٢٤٠) رقم (٦٧٣).

(٢) أحمد في المسند (٥/ ٣٢٣)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٥٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٠١٨) والصحيحة (١٤٧٠).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما رأيتُ شيئًا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة: إن النبي ﷺ قال: «**إن الله كتب على ابن آدم حظَّه من الزنا، أدرك ذلك لا محالة، فزنا العينين النظر، وزنا اللسان النُّطُقُ، والنفسُ تتمنى وتشتهي، والفرج يُصدِّق ذلك أو يُكذبه**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يُدخل الناسَ الجنَّة؟ فقال: «**تقوى الله، وحسنُ الخلق**» وسُئل عن أكثر ما يُدخلُ الناسَ النار؟ فقال: «**الفمُ والفرج**»(٢).

وعن علقمة رضي الله عنه قال: كنتُ أمشي مع عبد الله بمنى، فلقيه عثمان فقام معه يُحدِّثه، فقال له عثمان: يا أبا عبد الرحمن ألا نُزوِّجُك جاريةً شابةً لعلَّها تُذكرُك بعض ما مضى من زمانك؟ قال: فقال عبد الله: لئن قلتَ ذاك، لقد قال لنا رسولُ الله ﷺ: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغضُّ للبصر وأحصنُ للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء**»(٣).

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**مَنْ توكَّل لي ما بين رجليه وما بين لحييه(*) توكلت له بالجنة**»(٤).

وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «**إذا أحدكم أعجبته المرأة فوقعت في قلبه فليعمد إلى امرأته فليواقعها؛ فإن ذلك يردُّ ما في نفسه**»(٥).

وعن معاوية بن حيدة رضي الله عنه قال: قلتُ: يا رسول الله عوراتُنا ما نأتي منها وما نذر؟ قال: «**احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينُك**» قلتُ: يا رسول الله، فالرجل يكون مع الرجل؟ قال: «**إن استطعت أن لا يراها أحدٌ فافعل**» قلتُ: فالرجل يكون

---

(١) البخاري- الفتح (١١/ ٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧).
(٢) أحمد (٢/ ٢٩١،٤٧٢) والترمذي (٢٠٠٤) وصححه الألباني وصححه الترمذي (٢٠٠٤).
(٣) البخاري- الفتح (٤/ ١٩٠٥)، ومسلم (١٤٠٠) واللفظ له.
(*) ما بين لحييه: أي لسانه.
(٤) البخاري- الفتح (١٢/ ٦٨٠٧) وفي لفظ: «من يضمن... أضمن...» رقم (٦٤٧٤).
(٥) مسلم (١٤٠٣).

خاليًا؟ قال: «الله أحقُّ أن يستحي منه الناسُ» وفي وراية: قلتُ: يا رسول الله إذا كان القوم بعضُهم في بعض؟ قال: «إن استطعت أن لا يراها أحدٌ فلا ترينَّها» قلتُ: فإذا كان أحدُنا خاليًا؟ قال: «الله أحقُّ أن يستحي منه الناس»[١].

أقوالُ العلماء في حفظ الفرج

قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴾ [المعارج: ٢٩]. أي: يكُفُّونها عن الحرام ويمنعونها أن تُوضع في غير ما أذن الله فيه[٢].

وقال أيضًا في تفسيرها: والذين قد حفظوا فروجهم من الحرام، فلا يقعون فيما نهاهم الله عنه من زنا ولواط، ولا يقربون سوى أزواجهم التي أحلَّها الله لهم أو ما ملكت أيمانهم من السراري، ومن تعاطى ما أحلَّه الله له فلا لوم عليه ولا حرج؛ ولهذا قال: ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المعارج: ٣٠][٣].

وقال في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٥] أي: عن المحارم والمآثم، إلا عن المباح[٤].

قال ابن القيم رحمه الله: أمر الله تعالى نبيَّهُ ﷺ أن يأمر المؤمنين بغض أبصارهم وحفظ فروجهم، ولما كان مبدأ ذلك من قِبلِ البصر جعل الأمر بغضِّه مُقدمًا على حفظ الفرج؛ فإن الحوادث مبدؤها من النظر، فتكون نظرةً ثم خطرةً ثم خطوةً ثم خطيئةً؛ ولهذا قيل: من حفظ هذه الأربعة أحرز دينه؛ اللحظات، والخطرات، واللفظات، والخطوات[٥].

جزاء حفظ الفرج

(١) مغفرة الذنوب والأجر العظيم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ

---

(١) أبو داود (٤٠١٧)، والترمذي (١٧٩٤) وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢٧٩٤)، ٢٧٦٩).
(٢) تفسير ابن كثير (٢٩/ ٤٥٠).
(٣) تفسير ابن كثير (١٨/ ٢٤٩).
(٤) تفسير ابن كثير (٢٢/ ٤٩٧).
(٥) الداء والدواء (٢٣٢).

وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

(٢) دخول الجنة والنجاة من النار، عن سهل بن سعد الساعدي ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**مَنْ توكلَ**(١) **لي ما بين رجليه وما بين لحييه**(٢) **توكَّلتُ له بالجنة**»(٣).

وعن عبد الرحمن بن عوف ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا صلَّت المرأةُ خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت**»(٤).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال: «**تقوى الله وحسن الخلق**». وسُئل عن أكثر ما يُدخل الناس النار؟ فقال: «**الفمُ والفرج**»(٥).

غضُ الأبصار وحفظ الفروج

قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور: ٣٠].

قال ابن كثير رحمه الله: **هذا أمرٌ من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يغضُّوا من أبصارهم عما حُرِّم عليهم، فلا ينظروا إلا إلى ما أباح لهم النظر إليه، وأن يغضوا أبصارهم عن المحارم، فإن اتفق أن وقع البصرُ على محرمٍ من غير قصدٍ فليصرف بصره عنه سريعًا، كما رواه مسلمٌ في صحيحه عن جرير بن عبد الله ﷺ قال: سألت النبي ﷺ عن نظر الفجأة،**

---

(١) توكَّلَ: ضمن.
(٢) ما بين لحييه: لسانه.
(٣) البخاري الفتح (١٢/ ٦٨٠٧).
(٤) أحمد في المسند (١/ ١٩١) وصححه الألباني: انظر صحيح الجامع (١/ ٢٤٠) رقم (٦٧٣).
(٥) أحمد في المسند (٢/ ٢٩١/ ٤٧٢،٢) والترمذي (٢٠٠٤) وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (١٦٣٠).

فأمرني أن أصرف بصري(١).

وفي الصحيح عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول ﷺ: «إياكم والجلوس على الطرقات» قالوا: يا رسول الله لا بُدَّ لنا من مجالسنا نتحدث فيها، فقال رسول الله ﷺ: «إن أبيتم فأعطوا الطريق حقَّه» قالوا: وما حقُّ الطريق يا رسول الله؟ قال: «غضُّ البصر، وكفُّ الأذى، وردُّ السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر»(٢).

وعن أبي أمامة ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «اكفلوا لي ستًّا أكفل لكم الجنة؛ إذا حدَّث أحدكم فلا يكذب، وإذا اؤتمن فلا يخن، وإذا وعد فلا يُخلف، وغُضُّوا أبصاركم، وكفُّوا أيديكم، واحفظوا فروجكم»(٣).

وقال ابن كثير: ولما كان النظرُ داعية إلى فساد القلب كما قال بعضُ السلف: النظرُ سهمُ سُمٍّ إلى القلب، ولذلك أمر الله بحفظ الفروج، وكما أمر بحفظ الأبصار التي هي بواعث إلى ذلك فقال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾[النور: ٣٠].

وقال السعديُّ في تفسيره: فإن مَنْ حفظ فرجه وبصره طهُر من الخبث الذي يتدنس به أهلُ الفواحش، وزكت أعمالُه بسبب ترك المحرم الذي تطمع إليه النفس وتدعو إليه، فمن ترك شيئًا لله عوَّضه الله خيرًا منه، ومَنْ غضَّ بصره عن المحرَّم أنار الله بصيرته؛ ولأن العبد إذا حفظ فرجه وبصره عن الحرام ومقدماته مع داعي الشهوة كان حفظُهُ لغيره أبلغ، ولهذا سمَّاه الله حفظًا، فالشيء المحفوظ إن لم يجتهد حافظُهُ في مراقبته وحفظه لم ينحفظ، كذلك البصرُ والفرج إن لم يجتهد العبدُ في حفظهما أوقعاه في بلايا ومحنٍ، وتأمل كيف أمر بحفظ الفرج مطلقًا؛ لأنه لا يُباح في حالة من الأحوال، وأما البصر فقال: ﴿يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ أتى بأداة (من) الدالة على التبعيض، إنه يجوز النظرُ في بعض الأحوال لحاجة؛ كنظر الشاهد والعامل والخاطب ونحو ذلك، ثم ذكَّرهم بعلمه

---

(١) مسلم (٢١٥٩).

(٢) البخاري.

(٣) حسن: حسنه الألباني في صحيح الجامع (١٢٢٥).

بأعمالهم ليجتهدوا في حفظ أنفسهم من المحرمات[١].

وقال تعالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١].

قال ابن كثير رحمه الله: هذا أمرٌ من الله تعالى للنساء المؤمنات غيرةٌ منه لأزواجهن، وتمييزٌ لهن عن صفة نساء الجاهلية وفعال المشركات، وقوله:﴿ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ قال سعيد بن جبير: عن الفواحش، وقال قتادة وسفيان: عما لا يحلُّ لهن، وقال مقاتل: عن الزنا[٢].

وقال السعدي رحمه الله: لما أمر المؤمنين بغضِّ الأبصار وحفظ الفروج أمر المؤمنات بذلك، فقال: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ عن النظر إلى العورات والرجال بشهوةٍ ونحو ذلك من النظر الممنوع، ﴿ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ من التمكين من جماعها أو مسِّها أو النظر المحرم إليها، ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ كالثياب الجميلة والحلي وجميع البدن كله من الزينة، ولما كانت الثياب الظاهرة لابد لها منها قال: ﴿ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ أي: الثياب الظاهرة التي جرت العادةُ بلبسها إذا لم يكن في ذلك ما يدعو إلى الفتنة بها، ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ وهذا لكمال الاستتار، ويدلُّ ذلك على أن الزينة التي يُحَرَّم إبداؤها يدخل فيها جميع البدن كما ذكرنا، ثم كرر النهي عن إبداء زينتهن ليستثنى منه قوله: ﴿ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾ أي أزواجهن، ﴿ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ ﴾ يشمل الأب بنفسه والجد إن علا، ﴿ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ ﴾ ويدخل فيه الأبناء وأبناء البعولة مهما نزلوا، ﴿ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ ﴾ أشقاءً أو

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٥٦٦).

(٢) مختصر تفسير ابن كثير (٧٢٧، ٧٢٨).

لأبٍ أو لأمٍّ، ﴿ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ ﴾ أي: يجوز للنساء أن ينظر بعضهن إلى بعض مطلقًا، ويحتمل أن الإضافة تقتضي الجنسية: أي النساء المسلمات اللاتي من جنسكم، ففيه دليلٌ لمن قال: إن المسلمة لا يجوز أن تنظر إلى الذمِّيَّة، ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ﴾ فيجوز للمملوك إذا كان كله للأنثى أن ينظر لسيدته ما دامت مالكة له كله، فإن زال الملكُ أو بعضُهُ لم يجز النظرُ، ﴿ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ ﴾ أي: والذين يتبعونكم ويتعلقون بكم من الرجال الذين لا إربة لهم في هذه الشهوة؛ كالمعتوه الذي لا يدري ما هنالك، وكالعنين الذي لم يبقَ له شهوة لا في فرجه ولا في قلبه، فإن هذا لا محذور من نظره، ﴿ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ﴾ أي: الأطفال الذين دون التمييز، فإنه يجوز نظرهم للنساء الأجنبيات، وعلَّل تعالى ذلك بأنه لم يظهروا على عورات النساء؛ أي ليس لهم علمٌ بذلك ولا وُجدت فيهم الشهوةُ بعد، ودلَّ هذا أن المميِّز تستتر منه المرأةُ؛ لأنه يظهر على عورات النساء، ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ أي لا يضربن الأرض بأرجلهن ليصوت ما عليهن من حُليٍّ كخلاخل وغيرها، فتُعلم زينتها بسببه، فيكون وسيلة إلى الفتنة، ويؤخذ من هذا ونحوه قاعدةُ سدِّ الوسائل، وأن الأمر إذا كان مباحًا ولكنه يفضي إلى محرَّم أو يخاف من وقوعه فإنه يُمنع منه، فالضربُ بالرجل في الأرض الأصلُ أنه مباحٌ، ولكنْ لما كان وسيلة لعلم الزينة مُنع منه، ولما أمر الله تعالى بهذه الأوامر الحسنة ووصَّى بالوصايا المستحسنة -وكان لا بُدَّ من وقوع تقصير من المؤمن بذلك- أمر الله تعالى بالتوبة فقال: ﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١]؛ لأن المؤمن يدعوه إيمانه إلى التوبة، ثم علَّق على ذلك الفلاح فقال: ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ فلا سبيل إلى الفلاح إلا بالتوبة، وهي الرجوع مما يكرهه الله ظاهرًا وباطنًا إلى ما يُحبُّهُ الله ظاهرًا وباطنًا، ودلَّ هذا أن كل مؤمنٍ محتاجٌ إلى التوبة؛ لأن الله خاطب المؤمنين جميعًا، وفيه الحث على الإخلاص بالتوبة في قوله: ﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ أي: لا لمقصدٍ غير وجهه، من سلامة من آفات الدنيا، أو رياءٍ وسُمعة أو نحو ذلك من المقاصد الفاسدة[1].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٥٦٦، ٥٦٧).

سبل الوقاية من إطلاق البصر والوقوع في الزنا

١- تقوى الله عز وجل

فإنه من قدر الله حق قدره فإنه لن يعصيه بإطلاق بصره، ومن ثَمَّ عدم الوقوع في الفاحشة بإذن الله، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الأنفال: ٢٩]. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [الحديد: ٢٨].

٢- التوكل على الله

اعلم -رحمك الله- أن التوكل على الله في كل الأمور حصنٌ حصينٌ لا يصل إليك فيه شيطانٌ جنيٌّ رجيمٌ، ولا عدوٌّ أنسيٌّ لئيمٌ، ويحفظك فيه الحفيظ العليم، فالله خيرٌ حافظًا وهو أرحم الراحمين، فمن توكَّل على الله هداه، ومن استعان بالله أعانه ووقاه، ومن استنصر بالله نصره على من عاداه.

٣- مراقبة الله في السر والعلن

مَنْ علم أن الله يراه، كيف له يقترف ذنبًا عنه نهاه؟! ومَنْ علم أن الله يعلم السرَّ وما يخفى أنى له أن يعتقد أن ما يفعله على الله يخفى؟! ومن أيقن أن الله يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور كيف يعتقد المسكينُ أنه تحجبُه الحجُبُ عن ربه أو الستور؟! ثم إياك أن تنظر إلى صغر المعصية ولكن انظر إلى عظم من تعصي، ثم لو كانت المعصية صغيرة - وقد اقترفتها لأنها صغيرة- من يضمن لك مغفرتها لك؟! ثم من يضمن لك أن يختم لك بها فتسوء خاتمتك فتكون من الخاسرين، وفي الآخرة من النادمين؟! يوم لا ينفع ندمٌ ولا حسرةٌ ولا مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم.

سُئل الجنيد عليه رحمة الله: بم يُستعان على غضِّ البصر؟

فقال: بعلمك أن نظر الناظر إليك -يعني الرقيب عليك- أسبق من نظرك إلى المنظور له؛ أي كالفتاة مثلًا؛ فحيث إن الله يراك ويرى ما ترى قبل أن ترى كيف يليق بك مع علمك بهذا أن تنظر إلى ما حَرَّم الله.

٤- الصبر: والصبر ثلاثة أنواع

أ- صبرٌ على الطاعة حتى تؤديها ب- وصبرٌ عن المعاصي حتى لا تواقعها

ج- وصبرٌ على الابتلاء حتى تُثاب عليه، وحتى لا تتسخط قدر الله

والنوع الثاني هو المطلوب هنا، فحيثما كانت المعصية فلا بد من صبرٍ عنها حتى لا تقترفها، «ومن يصبر يصبره الله» هكذا صحَّ عن رسول الله ﷺ ومن والاه، ومع هذا القول الجميل لا أجدُ عذرًا لمن يقول: لا صبر لي، ولا أستطيع الصبر، والصبرٌ صعبٌ جدًّا، ونحو هذا.

أقول لك أخي الحبيب: اصبر يصبرك الله، وتصبَّر يصبرك الله، فإن كنت ضعيف العزيمة لا تستطيع الصبر بسهولة فاعلم أنك ضعيف الإيمان، وإذا كان ذلك كذلك فقوِّ إيمانك يقوَ صبرُك بإذن الله، ثم اعلم أن الصبر في معظم الأحيان يكون صعبًا لا سهلًا، حتى قال بعض السلف الصالح: الصبرُ مرٌّ مثلُ اسمه لكن حلاوته أحلى من العسل.

كأنه يعني أن الصبر سُمِّي بالصبر لأنه مُرٌّ كالصبر، ولكن من صبر وجد عاقبة الخير وجزاء الصبر برضا الرحمن، والثواب بخيرات حسان ودخول جنة الرحيم الرحمن. وهل هناك أفضل من ذلك ثوابًا؟! وهل هناك خيرٌ من ذلك جزاء؟!

٥- العفَّة

«ومن يستعفف يعفه الله» كلمات نبوية زكية، من عمل بها نال خيرًا كبيرًا، ومن التزم بها أُعطي جزاءً وفيرًا، ولم لا، هو إخبارُ رسول الله ﷺ الذي ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى.

وحيث إن ذلك كذلك، إذًا لو صلحت عندك صفةٌ واحدةٌ من صفات الصالحين لكفيت بإذن الله رب العالمين، ألا تعلم ما هي؟ إنها صفة العفَّة، فكيف بمن جمع صفات الخير وخصال البر؟! سيكون لا محالة من المفلحين الناجحين الفائزين برضوان رب العالمين والمقام الأمين في جنات أعدت للمتقين، فيها الحور العين وسررٌ تراهم عليها متقابلين يطافُ عليهم بكأسٍ من معين بيضاء لذة للشاربين، بإذن رب العالمين.

٦- تذكر الدار الآخرة

فما علمتُ عاصيًا إلا وقد كان للآخرة ناسيًا، وما ألفيتُ ساهيًا إلا وقد كان قلبه قاسيًا، وما وجدتُ أفضل لترقيق القلوب من ذكر علام الغيوب ومطالعة صحيح المنقول والمكتوب عن الدار الآخرة، بدءًا بالموت المفرِّق للجماعات والهاذم للذات، والناقل للسادات من أعالي القصور إلى أدنى الدور.

فحريٌّ بمن يتذكر أن لذته إلى فناء وشهوته إلى انتهاء وسيأتيه الموت بلا مراء، فلا ينفعه أصدقاء ولا أولياء، ولا يُسمن عنه من المال غناء، وسيُقبل لا محالة على إله رب الأرض والسماء، وسيكون القبر بيته، والتراب فراشه، والدود أنيسه، ومنكرٌ ونكيرٌ جليسه، فكيف بمن يكون هذا حاله أن يستلذ باللذات ويركن إلى الشهوات، ويتقاعس عن الطاعات وهنَّ الباقيات الصالحات، لذا فإن العقلاء والأتقياء يقبلون على الطاعة حقًا، ويشتغلون بعبادة ربهم صدقًا، ولا يغضون الأبصار عن المحرمات فحسب، بل يكفون الجوارح عن اجتراح الآثام، فمتى على دربهم يا هذا ستسير، وإلى متى أراك عن الهدى أعمى وأنت بصير، أما تعلم أن الرقيب لعملك خبير بصير؟! أما تعلم أنك بذنوبك في قبرك غدًا لفقير؟! أما تعلم أن الموت لكل حيٍّ مخلوقٍ هو المصير؟!

ثم تفكر في قبرك الضيق وظلمته وكربته وديدانه ووحشته، وانفرادك فيه وعزلتك فيه، وربما تُعذَّب فيه، فكم من صارخٍ فيه وأنت لا تسمعه، وكم من نادم فيه لا أحد معه، وعصى مولاه في دنياه فكيف يكون ربه بعد معصية معه؟!

تحوَّل الأُنسُ بالأهل والولدان إلى صحبة الهوام والديدان، وتحوَّل الفرح في الدنيا والمرح إلى حزنٍ بالذنوب في قبره وترح، فياله من هولٍ ما أفظعه ومنظر ما أبشعه وموقف فيه وحشةٌ ما أشنعه!!

ثم تفكر في بعثك بعد موتك ونشورك إلى موقف عرضك على الله عليك غضبان، وأنت ذليلٌ ضعيفٌ مذنبٌ عُريان، أين ملاعبتُك للزوجة والولدان؟ أين أنسك بصحبك والخلان؟ أصبحت بعد عزتك واحترامك بين أهل العصيان في ذلٍّ وصغارٍ وخذلانٍ، وبعد مكاسب الشهوات في الدنيا إلى بوار ودمار وخسران، ثم أخشى أن تكون في النهاية مصيرك إلى النيران.

وتفكَّر في طول الوقف يوم العرض والناسُ في همٍّ وغمٍّ وحزنٍ وكربٍ، والشمس فوق الرءوس، والعرقُ على ألوان؛ فمنهم من يبلغ العرقُ إلى قدميه، ومنهم من يصل إلى ركبتيه، ومنهم من يصل إلى حقويه، ومنهم من يصل إلى ترقوته، ومنهم من يغمره العرق، فياله من كرب وياله من هول، لا يثبت فيه إلا من ثَبَّته الله، ولا يقوى فيه إلا من اتقى الله، أولئك في ظل عرش الرحمن، والآخرون عصاةٌ أذلة في خذلان، وبعد عصيانهم في دنياهم في خسران.

ثم تفكر في الجنة ونعيمها والنار ولهيبها؛ أصحاب الجنة في الجنة ينعمون، وأهل النار في النار يعذبون، فهؤلاء فرحون والآخرون يصطرخون، وهؤلاء مكرمون والآخرون في العذاب المهين يهانون، فشتان شتان بين الفريقين؛ فريق في الجنة وفريق في السعير.

ويا ليت العذاب يتوقف أحيانًا، بل من فوقهم عذابٌ ومن تحتهم عذابٌ، وعن أيمانهم نار وعن شمائلهم نار وتغطيهم النار، وشرابهم من النار وطعامهم من النار، وتغلي أمعاؤهم من النار، ولباسهم قُطِّعت لهم من النار، وتغشى وجوههم النار، فيا حسرتهم يوم يفرح المؤمنون، ويا خسارتهم يوم يكسب الجنة المتقون!!

فجديرٌ بمن فكر في مصيره ومصرعه، وحريٌّ بها تذكر إن كان من العصاة سوء مضجعه أن يخر لربه مع الساجدين باكيًا، وأن يتذكر الآخرة وأهوالها، فطالما كان لها ناسيًا، وأن يسأل مولاه أن يهبه قلبًا خاشعًا بعد أن كان قاسيًا.

أخي الحبيب: انهض إلى التقوى بقريحة وابكِ الذنوب بعين قريحة وأزعج للجِدِّ أعضاءك المسترحية، ولئن لم تعمل بهذه النصحية لتندمن غدًا، أيحسب الإنسان أن يترك سُدى، إنما هي جنةٌ أو نارٌ، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

٧- المجاهدة

ومن مكارم الأخلاق التي ينبغي على كل مؤمن أن يتحلَّى بها مجاهدةُ النفس، ومن لم يؤتَ من هذا الخلق كان من الخائبين الخاسرين؛ لأنه بالمجاهدة تقام الطاعات والعبادات، وبالمجاهجة تجتنب المعاصي والسيئات، وبالمجاهدة تصبر على المصائب

والبليَّات، وبالمجاهدة تسمو النفوس التقية من نفوس الساذجات، وبالمجاهدة يرضى عنك باري البريات، وبالمجاهدة تنال أفضل جزاء وأعلى الدراجات، وبالمجاهدة تدخل الجنة التي عرضها الأرض والسموات، وبالمجاهدة تدخل الجنة بغير حساب ولا مساءلات، وبالمجاهدة تحظى بحور عين في الجنان خالدات.

والنفسُ كالطفل إن تهمله شبَّ على ... حُبِّ الرضاع وإن تفطمه ينفطم

قال أبو نعيم في الحلية: قال الحسن البصري رحمه الله: المؤمنُ قَوَّام على نفسه يحاسبها لله، وإنما خفَّ الحسابُ على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شقَّ الحسابُ يوم القيامة على الذين أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة[1].

٨-الصدق مع الله

إن كنت صادقًا حقًّا في الرغبة في ترك شهوتك لأعانك الله، ولكن إن كنت مُحقًّا في زعمك أنك صادق؛ أليس لكل قولٍ حقيقة؟! فما حقيقة قولك إذن؟! إن أقوامًا زعموا أنهم من الصادقين، وهم بأسباب ترك المعصية ليسوا من الآخذين السالكين، أليس في ذلك أقوى دليل على أنهم من الكاذبين؟!

تعصي الإله وتدَّعي حُبَّه ... هذا محالٌ في القياس بديعٌ
إن كنت صادقًا في حُبِّك لأطعته ... إن المحبَّ لمن يحبُّ مطيع

قال ابن القيم رحمه الله: إنما يجد المشقة في ترك المألوفات والعادات -فضلًا عن المحرمات- من تركها لغير الله، أما من تركها صادقًا مخلصًا من قلبه لله تعالى فإنه لا يجد في تركها مشقة إلا أول وهلة؛ ليُمتحن أصادقٌ هو في تركها أم كاذبٌ، فإن صبر على تلك المشقة قليلًا تحوَّلت إلى لذة.

وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله: مَنْ صدق الله في ترك شهوةٍ أذهبها الله من قلبه، والله أكرم من أن يُعذِّب قلبًا لشبهة تُركت له.

فاصدق أخي في الله في ترك المعصية واجتناب الشهوة بالاستعانة بالله تعالى والتوكل

---

(١) حلية الأولياء (٢/ ١٥٧).

عليه سبحانه، ومراقبته في السر والعلن، وحفظ أوامره واجتناب نواهيه وزواجره.

٩- هجر أصدقاء السوء

اعلم رحمك الله، أنه ليس من السهولة بمكان ترك العصيان إلا باجتناب أصدقاء السوء وسيِّئ الخلان، ولعلك تذكر قول النبي العدنان في حديثه عن قاتل المائة نفس لما همَّ بالتوبة وصدق في طلب الأوبة قال له العالم الذي استفتاه: **اذهب إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسًا يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك؛ فإنها أرض سوء.**

وكأني بك أكرر لك نفس الكلمات بطريقة عصرية، فأقول: انطلق إلى المساجد ودور العبادات وعليك بصحبة الصالحين، ولا ترجع إلى دور الفساد كالسينما والمسارح والكباريهات والمقاهي وبيوت الدعارة المفسدات وأصداقاء السوء وذكرى الموبقات، فإنك إن فعلت فأنت إذًا من الصالحين الصادقين، وإلا فلا أرجو لك توبة، ولا أراك ترجو إلى الله الأوبة.

١٠- اشغل جميع الأوقات بالطاعات

اعلم رحمك الله أن رأس مالك هو وقتك، فإن أضعته في الدنيا ضعت وخبت في الآخرة وستكون من المفلسين، بل إن وقفت على معنى قول بعض السلف: وددتُ ولو أن الوقت يُباعُ ويُشترى فاشتريته ولو بالذهب والفضة، وما ذلك إلا لعلمهم بقيمة الوقت وقدر الزمان، فإن عنه موقوفٌ مسئول، كما أخبر رسول الله ﷺ: «**لا تزول قدما عبد حتى يُسأل عن أربع، وذكر منها: وعن عمره فيما أفناه**» فيا من أضعت الأوقات واتبعت الشهوات، وشغلتك ملذاتك عن الطاعات- استفق يا هذا قبل أن لا تنفعك استفاقة، واحرص على الطاعة قبل أن تنزل بك بعد عزِّك في الدنيا عند الموت بذنوبك فاقة:

دقــات قلــب المــرء قائلــةٌ لــه ... إن الحيـــاة دقـــائق وثــــوان

فــارفع لنفســك بعــد موتــك ذكرهــا ... فالـــذكرُ للإنـــسان عمـــرٌ ثـــان

واحــرص عــلى نعــم الحيــاة وبؤســها ... فـــنعمُ الحيـــاة وبؤســـها ســـيَّان

واعلم أخي الحبيب أن الطاعات كثيرة متنوعة، ولعلَّ في تنوعها راحة وفي اختلافها

استراحة، فمن تعب من الصلاة قرأ القرآن، ومن تعب من القراءة وصل الأرحام أو برَّ بوالديه أو زار إخوانه في الله أو تصدَّق، ومن تعب من الصيام أمر بالمعروف أو نهى عن المنكر أو دعى إلى الخير، ومن سئم من عبادة أو مَلَّ من طاعة جاز له أن يتنقل إلى غيرها، ولكن إياك أن تُفرِّط في المفروض عليك من صوات خمس أو صيام رمضان أو الزكاة أو الحج عند الاستطاعة.

واعلم أن الصوم للمبتلى بالشهوات وجاء، كما صحَّ عن خاتم الأنبياءﷺ: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغضُّ للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاءٌ**»[1].

والشهوات المحرمة إنما هي من قبل الشياطين، والصيام يُضيِّقُ مجاري الدم وبالتالي يُضيِّق الخناق على الشيطان، فيُقضى على الشهوة من أول جولة، وصيام النافلة أنواع؛ منها صيام ثلاثة أيام من كل شهر، ومنها صيام الإثنين والخميس، ومنها صيام يومٍ وإفطار يومٍ، ومنها صيام أكثر شعبان والمحرم، وصيام يوم عرفة ويوم عاشوراء، وصيام ستة أيام من شوال، وصيام التسعة الأولى من ذي الحجة، وصيام يوم في سبيل الله، وكُلٌّ حسب طاقته، ولا يُكلف الله امرءً فوق استطاعته، فمن زُجرت نفسه وخمدت شهوتُه بصيام ثلاثة أيام من كل شهر فبها ونعمت، وإلا صام الإثنين والخميس من كل أسبوع، فإن كفاه ذلك وإلا صام يومًا أفطر يومًا.

فهذا أحب الصيام إلى الله، ومن الشباب من لا تنزجر شهوته إلا بصيام يوم وإفطار يوم، فإن عجز عن الصيام انشغل بباقي العبادات وصحبة الأخيار من الصالحين الذين يذكرونه بيوم الدين، وليصبر مع الذين يدعون ربهم غدوًّا وعشيًّا، وليعتد دور العبادات من المساجد وأماكن اللقاءات الدينية والدروس الشرعية؛ فإنها له غناء وفيها الوقاية وهي الوجاء.

وإنني على يقين جازم بأنه عما قريب سيألف الطاعة وسيعتاد العبادة وسيجد لذةً في قلبه لا تضاهيها لذات الشهوات الزائفة، ولا متعات الحرام الزائلة، وسيجد حلاوة في

---

(١) متفق عليه.

نفسه لن يجد حلاوة تضاهيها ولا مذاقًا يوازيها.

١١- قرارُ النساء في بيوتهن وعدم خروجهن إلا لضرورة

قال تعالى لأزواج النبي ﷺ وهُنَّ خيرُ أسوةٍ لنساء العالمين وبنات المؤمنين: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

فإن الصلاة وهي من خير الأعمال ومن أفضل ما يتقرب به إلى الكبير المتعال، أخبر النبي ﷺ بأن إقامتها من قبل النساء في بيوتهن خيرٌ لهُنَّ.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تمنعوا نسائكم المساجد، وبيوتهن خيرٌ لهن»**[(١)]، وإقامة المرأة للصلاة في مخدعها خيرٌ لها من إقامتها في بيتها، وصلاتها في حجرتها أفضل من صلاتها في بيتها.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها، وصلاتها في مخدعها أفضلُ من صلاتها في بيتها»**[(٢)].

وعن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: **«خيرُ مساجد النساء قعر بيوتهن»**[(٣)]، وأقرب ما تكون المرأةُ من ربها وهي في قعر بيتها، قال النبي ﷺ: **«المرأةُ عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان، وأقرب ما تكون المرأة من ربها وهي في قعر بيتها»**[(٤)].

فهنيئًا لك أختاه إن أطعت الله وكان بيتُك مقرك، تحفظين بذلك نفسك وغيرك.

١٢- إعفاف المرأة زوجها

وذلك بتجمُّلها له وتلبية رغبة زوجها في جماعها، حتى يستعف زوجها بها ولا يفكر

---

(١) أبو داود (٥٦٧) وأحمد (٢/ ٧٦،٧٧) وابن خزيمة (٣/ ٩٢، ٩٣) وصححه الألباني انظر صحيح الجامع (٧٤٥٨).

(٢) أبو داود (٥٧٠) وصححه الألباني، انظر صحيح الجامع (٣٨٣٣).

(٣) أحمد في المسند (٦/ ٢٩٧) وسنده صحيح. وصححه الألباني. انظر صحيح الجامع (٣٣٢٧) والصحيحة (١٣٩٦).

(٤) ابن خزيمة (٣/ ٩٥) والترمذي مختصرًا (١١٧٣) وصححه الألباني انظر صحيح الترمذي (٩٣٦).

في غيرها، فإنه من استكفى بالحلال استغنى به عن الحرام، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دعا الرجلُ امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء لعنتها الملائكة حتى تُصبح**»(١) وفي رواية مسلم قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها**»(٢).

١٣- إعفاف الزوج زوجته

فإن الزوج إذا لم يعفَّ زوجته بالحلال ربما سنحت له الفرصة في التفكير في الحرام، وربما وقعت في الفاحشة، وعليها وعلى زوجها الإثم والوزر، وله في شهوته الحلال أجرٌ وصوابٌ، كما جاء في صحيح مسلم قال النبي ﷺ: «**وفي بُضع أحدكم صدقة**» قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته، ويكون له فيها أجر؟ قال: «**أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر**»(٣).

وفي وطئه زوجته درء للشهوة التي وقعت في نفسه بسبب امرأةٍ رآها، كما صحَّ هذا عن رسول الله ﷺ في صحيح مسلم، فعن جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ رأى امرأةً فأتى امرأته زينب وهي تمعس منيئة(٤) لها، فقضى حاجته، ثم خرج إلى أصحابه فقال: «**إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتُدبر في صورة شيطان، فإذا أبصر أحدكم امرأةً فليأتِ أهله، فإن ذلك يردُّ ما في نفسه**»(٥).

١٤- اجتناب النساء لخضوع القول إلا مع أزواجهن

قال تعالى: ﴿ **فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا** ﴾ [الأحزاب: ٣٢]. فليتق الله نساء زماننا المسلمات اللاتي يخضعن بالقول غالبًا أو دائمًا، فيظنُّ بهن من يسمع كلامهن من الرجال ذوي أمراض القلوب الظنونَ، وربما سنحت الفرصةُ للزميل في العمل بالخلوة مع زميلته التي غالبًا ما تخضع بالقول عند حديثها معه، فوقع

---

(١) متفق عليه.

(٢) مسلم (٣/ ١١٦).

(٣) مسلم (٢/ ٤٣).

(٤) تمعس منيئةً: تدلك الجلد تهيئةً لدباغته.

(٥) مسلم (٣/ ٥٥١).

الاثنان في الفاحشة، ولا حول ولا قوة إلا بالله!!

والعجيب أنها ربما لا تخضع بالقول مع زوجها في بيتها، فإذا ما خرجت إلى عملها أو إلى السوق خضعت بالقول مع الرجال والنساء -إلا من رحم الله- نسأل الله الرحمة والسلامة والعافية.

خلاصة القول: إن خضوع المرأة من الكبائر ومن المناهي التي نهى الله عنها نساء النبي ﷺ، ومن ثمَّ فالنهي أيضًا يشمل نساء المؤمنات، وإذا كان ذلك كذلك فإنه لا يجوز بحالٍ من الأحوال أن تخضع المرأة بالقول أمام أجنبي، فإن في ذلك خطرًا وضررًا لها ولغيرها، وهو من أسباب تفشي الفاحشة وانتشارها، وأدهى من ذلك وأمر الابتسامات والضحكات، ونحو هذا مما ابتلي به شوارع المسلمين ومحلاتهم ولا حول ولا قوة إلا بالله!!

فاتق الله أختاه، واتق الله أماه، فاتق الله بنتاه، فكيف تفعلين ما يغضب عنك بسببه الله؟! وكيف ترتضين ما لا يرضى عنه الله؟!

١٥- اجتناب الخلوة بين الرجال والنساء

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم**»[١].

قال النووي رحمه الله: والمَحْرَمُ هو كل من حُرِّم عليه نكاحها على التأبيد لسبب مباح لحرمتها، فقولنا: (على التأبيد) احترازًا من أخت امرأته وعمتها وخالتها ونحوهن ومن بنتها قبل الدخول بالأم، وقولنا: (لسببٍ مباح) احترازًا من أم الموطوءة بشبهةٍ وبنتها، فإنه حرامٌ على التأبيد، لكن لا لسبب مباح، فإن وطء الشبهة لا يوصف بأنه مباحٌ ولا محرمٌ ولا بغيرهما من أحكام الشرع الخمسة؛ لأنه فعل مكلَّف، وقولنا: (لحرمتها) احترازًا من الملاعنة، فهي حرامٌ على التأبيد، لا لحرمتها بل تغليظًا والله أعلم[٢].

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم والدخول على النساء**» فقال

---

(١) البخاري (فتح ٩/ ٣٣٠) ومسلم (١٣٤١).

(٢) شرح النووي لمسلم (٥/ ١٦).

رجلٌ من الأنصار: يا رسول الله، أفرأيت الحمو؟ قال: «**الحمو الموت**»[١].

قال النووي رحمه الله: **اتفق أهل اللغة على أن الأحماء أقارب زوج المرأة كأبيه وعمه وأخيه وابن أخيه وابن عمه ونحوهم، والأختان أقارب زوج الرجل، والأصهار يقع على النوعين.**

أما قوله ﷺ: «الحمو الموت» فمعناه أن الخوف منه أكثر من غيره، والشرُّ يُتوقع منه، والفتنة أكثر؛ لتمكنه من الوصول إلى المرأة والخلوة من غير أن يُنكر عليه بخلاف الأجنبي، والمراد بالحمو هنا أقارب الزوج، غير آبائه وأبنائه، فأما الآباء والأبناء فمحارمٌ لزوجته، وتجوز لهم الخلوة بها، ولا يوصفون بالموت، وإنما المراد الأخ وابن الأخ والعم وابنه ونحوهم ممن ليس بمحرم، وعادة الناس المساهلة فيه، ويخلو بامرأة أخيه، فهذا هو الموت، وهو أولى بالمنع من الأجنبي.

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: **قيل: المراد أن الخلوة بالحمو تؤدي إلى هلاك الدين إن وقعت المعصية، أو إلى الموت إن وقعت المعصية ووجب الرجم؛ أو إلى هلاك المرأة بفراق زوجها إذا حملته الغيرة على تطليقها، أشار إلى ذلك كله القرطبي.**

وقال الطبري: **المعنى أن خلوة الرجل بامرأة أخيه أو ابن أخيه تُنزله بمنزلة الموت، والعربُ تصف الشيء المكروه بالموت.**

قال ابن الأعرابي: **هي كلمةٌ تقولها العرب مثلًا، كما تقول: الأسدُ الموت؛ أي لقاؤه فيه الموت؛ والمعنى: احذروه كما تحذرون الموت.**

وقال القرطبي: **والمعنى أن دخول قريب الزوج على امرأة الزوج يشبه الموت في الاستقباح والمفسدة، أي فهو محرمٌ معلوم التحريم، وإنما بالغ في الزجر عنه، وشبَّهه بالموت لتسامح الناس به من جهة الزوج والزوجة لإلفهم بذلك، حتى كأنه ليس بأجنبي من المرأة، فخرج هذا مخرج قول العرب: الأسد الموت، والحرب الموت؛ أي لقاؤه يُفضي إلى الموت، وكذلك دخوله على المرأة قد يُفضي إلى موت الدين، أو إلى موتها بطلاقها عند**

---

(١) مسلم (٥/ ١٧).

غيرة الزوج، أو إلى الرجم إن وقعت الفاحشة...»[١].

وليتجنب المرءُ مواقف ومواطن الشبهات، فها هو سيد البريات وأتقى المخلوقات محمد ﷺ كان واقفًا مع زوجته صفية بنت حيي يوصلها إلى بيتها، فلما رآه رجلان من الأنصار أسرعا فقال: «على رسلكما إنما هي صفية» ثم قال: «**إن الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئًا**»[٢].

١٦ - تمسك النساء بالحجاب وهو عليهن فرضٌ واجب

قال تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٥٩] وقال رسول الله ﷺ: «**المرأةُ عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان**»[٣].

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله: وإذا علمت بما ذكرنا أن حكم آية الحجاب عامٌ، وأن ما ذكرنا معها من الآيات فيه الدلالة على احتجاب جميع بدن المرأة عن الرجال الأجانب علمت أن القرآن دلَّ على الحجاب[٤].

وحجاب المرأة عفةٌ وطاعةٌ وطهارةٌ، تحفظ المرأةُ به نفسها وغيرها، وتصون عفتها وشرفها، فهل سمعت عن محجبة وقعت في الفاحشة مع الفاسقات؟! وهل سمعت باغتصاب منتقبة من بين المغتصبات؟!

ورهَّب النبي ﷺ من التبرج، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما؛ قومٌ معهم سياطٌ كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ مميلاتٌ مائلاتٌ، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**»[٥].

---

(١) فتح الباري (٩/ ٣٣١).

(٢) البخاري (٢٠٣٥)، ومسلم (نووي ١٤/ ١٥٦).

(٣) الترمذي (١١٧٣) وصححه الألباني.

(٤) أضواء البيان (٦/ ٥٩٢).

(٥) مسلم (٢١٢٨) انظر صحيح الجامع (٦٦٩٠).

١٧- اجتناب تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لعن رسول الله ﷺ المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء». وفي رواية: «لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لعن رسول الله ﷺ الرجلَ يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل(٢).

١٨- اجتناب مصافحة الرجال للنساء الأجنبيات

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يمتحن مَنْ هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية، يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الممتحنة: ١٢].

قال عروة: قالت عائشة: فمن أقرَّ بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله ﷺ: «قد بايعتُك». كلامًا، ولا والله ما مسَّت يده يد امرأةٍ قطُّ في المبايعة، ما يبايعهن إلا بقوله: «قد بايعتكن على ذلك»(٣).

هذا فعل النبي الكريم، وهذا خلق سيد المرسلين، وهو أتقى المتقين، سيدُ الأولين والآخرين، أما لنا في نبينا أسوة؟! أما لنا في رسولنا قدوة؟! إن كان ذلك كذلك فلنسرْ على طريقته ولنتبع هديه وشرعته، هذا وقد رهَّب نبيُّنا وحذَّر رسولنا من مسِّ الرجل لامرأةٍ أجنبية، قال رسول الله ﷺ: «لأن يُطعن في رأس أحدكم بمخيطٍ من حديدٍ خيرٌ له من أن يمسَّ يد امرأة لا تحل له»(٤).

---

(١) البخاري (٩/ ٢٩٠) ومسلم (١٣٤١).

(٢) أبو داود (٤٠٩٨) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٤٥٤).

(٣) البخاري- (الفتح ٨/ ٦٣٦).

(٤) الطبراني في الكبير (٢٠/ ٢١١)، وصححه الألباني انظر صحيح الجامع (٥٠٤٥).

١٩ - اجتناب النساء للتطيب والتعطر عند خروجهن

هذا من الكبائر التي زُجر النساء عنها وحُذِّرن من فعلها واقترافها؛ التعطر والتطيب عند الخروج، فعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «**أيما امرأة استعطرت ثم خرجت فمرَّت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية وكل عين زانية**»[١].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيما امرأة أصابت بخورًا فلا تشهد معنا العشاء الآخرة**»[٢].

٢٠ - اجتناب النساء للسفر ليس معهن محرم

عن أبي هريرة ﷺ قال النبي ﷺ «**لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة ليس معها ذي محرم عليها**»[٣].

وعن ابن عباس ﷺ قال: قال النبي ﷺ: « **لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، فقال له رجل يا رسول الله: إن امرأتي خرجت حاجةً وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا؟ قال انطلق فحجَّ مع امرأتك**»[٤].

---

(١) أحمد وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٧٠١)

(٢) مسلم (٢/ ٨٥)

(٣) البخاري (٢/ ٤٦٨)، ومسلم (١٣٣٩).

(٤) البخاري (٤/ ٦٤، ٦٥).

الزواج والحثُّ عليه

جاءت نصوصٌ صريحةٌ في الكتاب والسُّنَّة بالأمر بالزواج والحثِّ عليه، قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

قال السعدي رحمه الله: **يأمر الله تعالى الأولياء والأسياد بإنكاح من تحت ولايتهم من الأيامى، وهم من لا أزواج لهم من رجال ونساءٍ؛ ثيب وأبكار، فيجب على القريب وولي اليتيم أن يزوِّج من يحتاج للزواج ممن تجب نفقته عليه، وإذا كانوا مأمورين بإنكاح من تحت أيديهم كان أمرهم بالنكاح بأنفسهم من باب أولى**[١].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغضُّ للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء**»[٢].

وعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**تزوجوا الودود الولود؛ فإني مكاثر بكم**»[٣].

وعن أبي أمامة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**تزوجوا؛ فإني مكاثرٌ بكم الأمم يوم القيامة، ولا تكونوا كرهبانية النصارى**»[٤].

وقال الإمام أحمد رحمه الله: **فالعزوبية ليست من أمر الإسلام في شيء، والنبي ﷺ تزوج أربع عشرة، ومات عن تسع، ولو كان بشر الحافي تزوج كان تمَّ أمرُه كله، ولو ترك الناسُ النكاح لم يغزوا ولم يحجوا ولم يكن كذا، وقد كان رسول الله ﷺ يصبح وما عند أحد من أهله شيء، وقد كان يختار النكاح ويحث عليه، وينهى عن التبتل ، فمن رغب عن فعل النبي ﷺ فهو على غير الحق**[٥].

ومن عجز عن الزواج فإن الصوم له وجاء، ليصم ما استطاع إلى ذلك سبيلًا حتى يغنيه الله من فضله.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٥٦٧).

(٢) البخاري (٥٠٦٦) ومسلم (١٤٠٠).

(٣) صحيح: صحيح أبي داود (٢٩٤٠).

(٤) صحيح: الصحيحة (١٧٨٢).

(٥) الأمر بالاتباع، للسيوطي (٢١٠).

اجتناب المثيرات الجنسية

١- النظرة الحرام
٢- التحدث مع المرأة الأجنبية في غير ضرورة
٣- الخضوع بالقول من قبل النساء
٤- التبرج والسفور وتطيب النساء
٥- الخلوة بين الرجال والنساء
٦- الاختلاط بين الرجال والنساء
٧-سفر المرأة دون محرم
٨ - الصور العارية وشبة العارية في الجرائد والمجلات وغيرها
٩- القصص الجنسية والروايات المثيرة
١٠- أخطار ومفاسد الشاشات الصغيرة؛ كالتلفاز، والفيديو، والدش، والإنترنت، والكبيرة: كالسينما والمسرح ، وغيرها...

أ- أخطار عقائدية ومنها:

إظهار شعائر أهل الكفر ورموز أديانهم الباطلة؛ كالصليب وبوذا، والمعابد المقدسة، وآلهة الحب والخير والشرّ والظلام والنور والشفاء والمطر، وهكذا الأفلام التبشيرية الداعية إلى تعظيم دين النصارى والدخول فيه.

الإيحاء بقدرة بعض الخلق على مضاهاة الله في الخلق والإحياء والإماتة، ومثل بعض المشاهد المتضمنة لإحياء ميت باستخدام صليب أو عصا سحرية.

نشر الدجل والخرافة والشعوذة والسحر والعرافة والكهانة المنافية للتوحيد والعقيدة الإسلامية.

ما ينطبع في حسِّ المتفرج من توقير ممثلي الأديان الباطلة؛ كالأب والقسيس والراهبة التي تداوي المرضى وتفعل الخير...

في كثير من التمثيليات حلفٌ بغير الله، وتلاعب بأسماء الله، والتشكيك في قدرة الله أو خلقه، أو تصوير الحياة على أنها صراع بين الله والإنسان.

القضاء على مفهوم البراءة من أعداء الله في نفوس المشاهدين، بما يروونه من أمور تبعث على الإعجاب بشخصيات الكفار ومجتمعاتهم، وكسر الحواجز النفسية بين المسلم والكافر، فإذا زال البغضُ في الله بدأ التشبه والتلقي من هؤلاء الكفرة.

ب- أخطار اجتماعية منها:

الإعجاب بشخصيات الكفرة عند عرضهم أبطالًا في الأفلام.

الدعوة إلى الجريمة بعرض مشاهد العنف والقتل والخطف والاغتصاب.

تكوين العصابات على النمط المعروف في الأفلام للاعتداء والإجرام، إصلاحيات الأحداث والسجون شاهدةٌ على آثار الأفلام في هذا المجال.

تعليم فن السرقة والاحتيال والاختلاس والتزوير وقبض الرشاوي وغيرها من الكبائر.

الدعوة إلى تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال؛ فترى رجلًا يقلد امرأة في صوتها ومشيها والحلي وغير ذلك، وترى امرأة تضع شاربًا أو لحية مستعارة وتخشن صوتها، وهذا من أسباب نشر الميوعة في المجتمع وظهور الجنس الثالث.

إظهار الممثل والمغني والراقصة واللاعب في صورة القدوة والأسوة التي ينبغي الاقتداء بها والسير على طريقها والاهتداء بهداها.

زوال الشعور بالمسئولية تجاه الأسرة، واللامبالاة بالطلبات المهمة والولد المريض وغير ذلك؛ لأن رب الأسرة أمام الجهاز، وقد يضرب الولد ضربًا مبرحًا إذا قطع على الأب خلوته مع الفيلم.

تمرد الأبناء على الآباء بالمشاهد التي تدعو إلى ذلك.

قطع الأرحام بانشغال المشاهدين بالأفلام وغيرها عن الزيارات العائلية، وإن زاروا لهوا بمشاهدة التلفاز عن حل مشكلاتهم، وقضاء حاجاتهم، والاهتمام بشئون بعضهم.

الانشغال عن إكرام الضيف بمشاهدة التلفاز وغيره.

إشاعة الكسل والخمول وتعطيل الإنتاج بما تستهلكه تلك الأجهزة من أوقات المسلمين.

نشوء الخلافات الزوجية والكُرْهُ المتبادل بين الزوجين، وظهور الغيرة المذمومة، فترى رجلًا يتغزَّل بأوصاف امرأة على الشاشة أمام زوجته، وترد عليه زوجته بذكر

محاسن المذيع والممثل، ونحو ذلك.

ذهاب الغيرة المحمودة، من استمراء النظر إلى مشاهد الاختلاط، وكشف الزوجة على الأجانب، وسفور البنات والأخوات، والتأثر بالدعوة إلى تحرير المرأة.

جـ- أخطار أخلاقية

إثارة الشهوات.

دعوة المجتمع إلى إظهار العورات، بأنواع الملابس الفاضحة واعتياد الظهور بها.

الدعوة إلى إقامة العلاقات بين الجنسين، وتعليم المشاهد كيفية التعرف على الجنس الآخر ووسائل تطوير العلاقة المحرمة...

الوقوع في الزنا والفاحشة بفعل الأفلام، التي تعرض ذلك، حتى إن بعضهم يقلد ما يحدث في الفيلم مع بعض محارمه والعياذ بالله.

تعليم النساء أنواع الرقص، مما فيه إظهار العورات وإغراء الرجال، وأنواع الميوعة والانحلال.

اكتساب الشخصية الهزلية وانحسار الجدية، بالإضافة إلى الضحك الكثير المفسد للقلب بفعل أفلام (الكوميديا).

شيوع الألفاظ البذيئة، مما يُستخدم في كثير من الأفلام والمسلسلات.

د- أخطار تعبدية، منها:

تضييع صلاة الفجر، من جراء السهر أمام الشاشات.

تأخير الصلوات عن أوقاتها، والتهاون في صلاة الجماعة لنفس السبب.

التسبب في بُغض بعض الشعائر التعبدية، كما يحدث لبعضهم (بكلمات التأفف) إذا قطعت المباراة المثيرة؛ للآذان.

إنقاص أجر الصائمين أو إذهابه بالكلية بذنوب هذه المشاهدات المحرمة.

الطعن في بعض ما جاءت به الشريعة؛ كالحجاب واللحية وتعدد الزوجات.

هـ- أخطار تاريخية ، منها:

تشويه المجتمع الإسلامي وطمس الحقائق، وإهمال ذكر إنجازات المسلمين في الأفلام والمسلسلات التي تحكي التاريخ.

تحريف الحقائق التاريخية وتزييفها.

التقليل من شأن أبطال الإسلام في أعين المشاهدين بإظهارهم في هيئات مبتذلة، وأفعال مشينة ونحو ذلك.

إيقاع المسلمين تحت وطأة الهزيمة النفسية، وإشاعة الرعب من جراء ما يُعرض من آلات وأجهزة حربية متطورة لدى الكفار، وربما دبَّ اليأس في قلوب المسلمين؛ بسبب مشاهدتهم، وحسبوا أن لا نصر لهم على الكفرة المشركين.

و- أخطار نفسية منها

اكتساب العنف والطبع العدواني من مشاهدة المصارعة وأفلام العنف.

إشاعة الخوف في نفوس مشاهدي أفلام الرعب.

إفساد واقعية الأطفال واضطراب نفوسهم، بعرض المشاهد المنافية للواقع كأفلام الكرتون ونحوها.

ز-أخطار صحية، ومنها:

الإضرار بحاسة البصر، مما يؤدي إلى ضعفها، وهي نعمةٌ سيسأل عنها العبد يوم القيامة.

اضطراب القلب وارتفاع الضغط والتوتر العصبي عند رؤية مشاهد الحروب وأفلام الرعب والمشاهد المحزنة والمثيرة والمخيفة وغيرها.

الإضرار بالجسد من جراء السهر المفرط.

الضرر الصحي ومظاهره؛ كالإصابات والكسور ونحو ذلك، بسبب التقليد للمصارعين والملاكمين والسوبر مان وغيرهم، خاصة من قِبَل الأطفال والصغار.

ح- أخطار مالية

تضييع الأموال وصرفها فيما لا ينبغي؛ كأجهزة التلفاز والفيديو، وتصليحها إن فسدت وغير ذلك، والمال سيسأل عنه العبد يوم القيامة، فماذا سيجيب عند ربه غدًا؟!

التقليد الأعمى من قبل النساء بشراء أزياء غالية الثمن تشبهًا بالبطلة الممثلة أو المغنية ونحو ذلك[١].

---

(١) أخطار تهدد البيوت (٢١-٢٨) بتصرف يسير.

الأمراض الجنسية التي تنتقل بالعلاقات الجنسية الآثمة

١ - الأمراض الزهرية **venereal diseases**

سُمِّيت بهاذ الاسم نسبة إلى (فينوس) إله الحُب عند الإغريق، وتشمل عددًا محصورًا من الآفات تنتقل كلها بالجماع، والمصطلح الحديث الذي يجمعها هو الأمراض الجنسية المنتقلة بالجنس، والتي يمكن أن تنتقل بأي شكل من أشكال الاتصال الجنسي، طبيعيًا كان أم شاذًا، جماعيًا مهبليًا عاديًا أم شرجيًا، وأم فميًا جنسيًا.

ولا شكَّ أن ذلك عقابٌ من الله تعالى فوريٌّ وعاجلٌ لكل من تجرَّأ واعتدى على الفطرة الإنسانية السوية السليمة، وسلك غير سبيل الهدى بارتكاب الفواحش من زنا ولواط وسحاق وغيرها وتشمل:

أ- مرض الزهري **Syphilis**

ب- مرض السيلان **Gonorrhea AIDS**

٢- متلازم نقص المناعة المكتسب **Auto emmune Deficiency syndrome**

وهذا المرض الفتَّاك وهذا الداء العضال سنقف معه وقفة طويلة لأهميته وخطورته، من خلال نقاط هامة تهمُّ الداني والقاصي، خاصةً أننا في زمان انتشرت فيه الأوبئة الخطيرة والأمراض الفتاكة والأدواء القتالة، وعلى رأس كل الأدواء داء الإيدز؛ لذا كانت هذه الوقفات وتلك اللمحات، فهل من مُدَّكِرٍ؟!

الإيدز

تعريفه: تم تعريف الأيدز رسميًا في عام ١٩٨٢ من خلال مراكز مكافحة الأمراض بالولايات المتحدة كالآتي:

١ - وجود مرض تم تشخيصه بصورة معتمدة (كغرن كابوزي) أو ذات الرئة التي تدلُّ على نقص في نظام المناعة.

٢- نقص المناعة ليس سببه الأدوية، أو أنواع معينة من السرطان أو أمراض خلقية، أو أسباب أخرى معروفة.

٣- تم توسيع تعريف الإيدز عام ١٩٨٥م بعد اكتشاف فيروس (**HIV**) المسبب للإيدز؛ ليشمل أنواع معينة من الإصابات الانتهازية وسرطانات النسيج (أو الأنسجة)

اللمفاوية، التي وجد أنها تؤوي فيروس عوز المناعة البشري، أو تظهر فحوصات إيجابية لمضادات فيروس عوز المناعة البشري.

كيفية انتقال الإيدز

ينتقل فيروس الإيدز من المصاب الصحيح عن طريقين اثنين:

١- جنسيًّا   ٢- دمويًّا

أولا: الانتقال الجنسي

أ- أسباب انتشار الإيدز جنسيًّا (بين الشواذ جنسيًّا)

كبر حجم مجموعة الشواذ جنسيًّا المصابين بالإيدز.

الظهور المبكر لمرض الإيدز بين هؤلاء عن غيرهم، ويكمن سرُّ ذلك في حديث النبيﷺ: «**لم تظهر الفاحشة في قوم قطُّ حتى يُعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا**»[1].

كثرة أعداد المشاركين جنسيًّا للشخص الواحد المصاب بالإيدز، ومما يلاحظ أن المومسات المصابات بالإيدز يحرصن أشد الحرص على استقطاب أكبر عدد ممكن من الرجال ليمارسوا الجنس معهن؛ بُغية نقل العدوى إليهم وإصابتهم بهذا المرض العضال الإيدز.

سرعة انتشار مرض الإيدز بين النشيطين جنسيًّا.

ب- الانتقال الجنسي بين الرجل والمرأة

إذا جامع رجلٌ مصابٌ بالإيدز امرأةً سليمة منه أو العكس فإن فيروس الإيدز ينتقل من المصاب إلى السليم عن طريق:

١- المنى إذا كان الرجل هو المصاب، حيث تمَّ عزل فيروس الإيدز HIV من مني الرجال المصابين بالإيدز، وعليه فإن المني يحمل الفيروس.

٢- إفرازات المرأة كالمذي، والإفرازات المهبلية، والإفرازات الرحمية، حيث تمَّ عزل فيروس الإيدز HIV من هذه الإفرازات، وعليه فإنه يمكن إصابة الرجل السليم بواسطة

---

(١) متفق عليه.

الإفرازات المهبلية والرحمية من امرأة مصابة بفيروس **HIV**.

٣- دم الحيض للمرأة المصابة بفيروس الإيدز يحتوي أيضًا على فيروس الإيدز **HIV**.

٤- اللعاب: حيث تمَّ عزل فيروس الإيدز **HIV** من لُعاب المصابين بفيروس الإيدز، وعليه يمكن انتقال هذا المرض من السقيم إلى السليم عبر القُبلة التي يلتقي اللعابُ فيها باللعاب.

جـ- الانتقال الجنسي بين الشواذ جنسيًّا

إذا خالطت إفرازات السقيم؛ كاللعاب والإفرازات الجنسية والدم إفرازات السليم (كاللعاب أو الإفرازات الجنسية أو الدم) فإن مرض الإيدز ينتقل من السقيم إلى السليم.

أمثلةٌ توضيحية

١- مخالطة اللعاب للعاب؛ كالقُبلة الطويلة العميقة بين رجل وامرأة أو بين رجلين أو امرأتين؛ كالشواذ جنسيًّا.

٢- مخالطة اللعاب بالإفرازات الجنسية من رجلٍ وامرأة، أو من رجلين أو من امرأتين، وينتشر هذا الأمر بين الشواذ جنسيًّا.

٣- مخالطة الدم للدم عند نقل الدم من المصاب إلى السليم[1].

ملحوظات هامة

ينتقل الإيدز من السقيم إلى السليم أيضًا في حالتي:

١- اللواط: حيث يجامع الرجلُ الرجل أو المرأة في المستقيم، حيث إن ذلك يؤدي إلى تهتُّك بالغشاء المبطن للمستقيم، مما يؤدي إلى انتقال الفيروس من المني إلى الدم، ومن ثمَّ الأصابة بالإيدز.

٢- السحاق: وهو مباشرة المرأة للمرأة، وهو من الكبائر أيضًا، وهو نوعٌ من الشذوذ الجنسي بين النساء، وينتشر بصورة أكبر بين الغير مختونات من النساء، حيث تزداد شهوتهن الجنسية بصورة كبيرة عن غيرهن من المختونات، ويمكن انتقال فيروس الإيدز **HIV** من امرأةٍ لأخرى عبر السحاق.

---

(١) وأيضًا عن طريق الحقن الوريدي بسرنجات ملوثة بفيروس الإيدز.

تشخيص مرض الإيدز
(١) بالنسبة للبالغين

يُشخَّص الإيدز بوجود علامتين رئيستين، بالإضافة إلى علامة ثانوية بشرط عدم وجود أي سبب آخر لتقليل المناعة مثل السرطان من أي نوع.

(أ) العلامات الرئيسة

نقص الوزن لأكثر من شهر.

الإسهال المزمن لأكثر من شهر.

الحمى (ارتفاع درجة الحرارة) عن معدلاتها الطبيعية لأكثر من شهر.

(ب) العلامات الثانوية

تضخم عام في الغدد الليمفاوية بالإضافة إلى وجود (سدكومة كابوشي) أو التهاب الغشاء المبطن للمخ بالكريبتوكوكاس، وذلك كافٍ جدًّا لتشخيص الإيدز.

السعال المستمر لأكثر من شهر.

حكة الجلد والالتهابات الجلدية.

الإصابة بالهربس البسيط.

تكرار الإصابة بالهربس المنطقي والتهاب الفم والحلق.

(٢) في الأطفال

يتم تشخيص الإيدز في الأطفال بوجود علامتين رئيستين وعلامتين ثانويتين:

(أ) العلامات الرئيسة

الحمى (ارتفاع درجة الحرارة عن معدلها الطبيعي) واستمرار هذا العرض لأكثر من شهر.

الإسهال المزمن لأكثر من شهر.

التأخر في النمو وفقدان الوزن.

ب- العلامات الثانوية

التضخم العام في العقد الليمفاوية.

السعال المزمن لأكثر من شهر.

التهابات جلدية.

الالتهابات الفطرية بالفم والحلق.

التهابات الأذن الوسطى، وتكرار الإصابة بها.

تأثير مرض الإيدز على أجهزة الجسم المختلفة

١- الجهاز الهضمي

التهابات المريء.

العدوى الفطرية (كالكانديدا) التي تسبب القرح بالفم والحلق.

اضطرابات هضمية والإسهال.

٢- الجهاز التنفسي

السعال المزمن.

احتمالية الإصابة الرئوية بالميكروبات والبكتيريا المختلفة.

١- تنيمو سيستيس كارنيياي.

٢- سيتو مبجالو فيروس.

٣- كريبتوكوكاس نيوفورمانز.

٤- التهبات رئوية ونزلات شُعبية.

٥- الدرن (السل) **T.B**.

٣- المخ والجهاز العصبي

التهاب الأغشية السحائية للمخ عن طريق كريبتوكوكاس نيوفورمانز.

اضطرابات وظائف المخ.

الإصابة بالتوكسوبلازما جوندياي.

التهابات الأعصاب الطرفية.

٤- الجلد والأمراض الجلدية

الهربس البسيط، والهربس المنطقي.

المليساء السارية.

سدكوما كابوشي.

الالتهابات الجلدية المختلفة.

٥- العيون

يُصاب قليلٌ من مرضى الإيدز بالتهابات في شبكية العين، مما يؤدي إلى الإصابة

بالعمى، إلا أن هذا لا يحدث إلا في نسبة ضئيلة.

٦-الغدد الليمفاوية

يؤثر مرض الإيدز على الغدد الليمفاوية، وتحدث تغيُّرات في العقد الليمفاوية من جراء الإصابة ببكتريا لبكتيريا السُّل (الدرن) والكريبتوكوكاس.

إصابة الأطفال بالإيدز

يقلُّ انتشار مرض الإيدز بين الأطفال وذلك لانتفاء الشذوذ الجنسي، والذي ينتشر فقط بين البالغين من الرجال والنساء خاصة في الدول الإباحية، وتقتصر أسباب إصابة الأطفال بالإيدز على سببين:

١- نقل الدم من مصابين إلى أصحاء، أو الحقن الوريدي باستخدام إبر ملوثة بفيروس الإيدز.

٢- نقل الفيروس من الأم المصابة إلى جنينها.

أمراض انتهازية قد تُصيب مريض الإيدز

١- الحمى التيفودية.

٢- الدوسنتيريا الباسيلية.

٣- أمراض فطرية انتهازية، مثل:

أ- داء الرشاشات (الأسبر جيللوزس).

ب- داء المبيضات (الكانديد يازيس).

جـ- داء المكورات المخية (الكريبتوكوكو زميس).

د- داء الفطر الشعبي (الأكينومايكوزيس).

هـ- داء الفطر البوغي الأنفي (الراينوسبوريدايوزيس).

٤- الأمراض الطفيلية الانتهازية

أ- الدوسنتاريا الأميبية.

ب- الجيارديا.

ج- التوكسوبلازما.

د- الكريبتو سبور يدايوزيس (داء البوغيات الخفية).

من فتاوىٰ التربية الجنسية

س١: إن بعض الناس اعتادوا إلباس بناتهم ألبسةً قصيرةً وألبسةً ضيقةً تُبّين مفاصل الجسم، سواءٌ كانت للبنات الكبيرات أو الصغيرات، أرجو توجيه نصيحة لمثل هؤلاء؟

ج١: فأجاب ابن عثيمين -رحمه الله- قائلًا: يجب على الإنسان مراعاة المسئولية، فعليه أن يتقي الله ويمنع كافة من له ولاية عليهن من هذ الألبسة، فقد ثبت عنه ﷺأنه قال: «**صنفان من أهل النار لم أرهما بعد**» وذكر: «**نساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ مميلاتٌ مائلاتٌ، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها...** »وهؤلاء النسوة -كاللاتي يستعملن الثياب القصيرة- كاسيات لأن عليهن كسوة، لكنهن عاريات لظهور عوراتهن؛ لأن المرأة بالنسبة للنظر كلها عورة؛ وجهها ويداها ورجلاها وجميع أجزاء جسمها لغير المحارم، وكذلك الألبسة الضيقة وإن كانت كسوةً في الظاهر، لكنها عريٌ في الوقع، فإن إبانة مقاطع الجسم بالألبسة الضيقة هو تعرٍّ، فعلى المرأة أن تتقي ربها ولا تبين مفاتنها، وعليها ألا تخرج إلى السوق إلا وهي متبذلة لابسة ما لا يلفت النظر، ولا تكون متطيبة، لئلا تجرَّ الناس إلى نفسها، فيُخشى أن تكون زانية، وعلى المرأة ألا تترك بيتها إلا لحاجة لا بد منها، ولكن غير متبرجة بزينة، وبدون مشية خيلاء.

س٢: ما حكم لبس الكعب العالي، وما حكم وضع المناكير؟

ج٢: فأجاب ابن عثيمين قائلًا: لبس الكعب العالي مُحرَّم؛ لأنه من التبرج الذي نهى عنه الله بقوله لنساء النبي ﷺ: ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب: ٣٣] أما المناكير[1] فإن كانت المرأة تصلي فلا تستعملها؛ لأنها تمنع وصول الماء إلى ما تحتها، وإن كانت لا تصلي[2] فلا بأس باستعمالها.

س٣: ما رأي فضيلتكم في أن كثيرًا من النساء اللاتي يخرجن إلى الأسواق لقصد الشراء من أصحاب المحلات التجارية ويُخرجن أكف أيدهن، والبعض الآخر يخرجن الكف مع الساعد، وذلك عند غير محارمهن؟

ح٣- فأجاب ابن عثيمين قائلًا: لا شك أن إخراج المرأة كفيها وساعديها في الأسواق أمرٌ منكرٌ وسببٌ للفتنة، ولا سيما أن بعض هؤلاء النسوة يكون على أصابعهن خواتم، وعلى

---

(١) يعني الشيخ هؤلاء المتنقبات اللاتي يضعن المناكير ويلبسن القفازات، فيظهر هذا للعيان، ومن ثم يجوز وضعه لمن لا تصلي؛ أي كفترة حيضها مثلًا.

(٢) أي كمن تضع المناكير أيام حيضها أو نفاسها.

سواعدهن أسورة، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١]، وهذا يدل على أن المرأة المؤمنة لا تبدي شيئًا من زينتها وأنه لا يحلُّ لها أن تفعل شيئًا يُعلم به ما تخفيه من هذه الزينة، فكيف بمن تكشف زينة يديها ليراها الناس؟!

س٤: ما حكم تعطر المرأة وتزيُّنها وخروجها من بيتها إلى مدرستها مباشرة؟ هل لها أن تفعل هذا الفعل؟ وما هي الزينة التي لا يجوز إبداؤها للنساء؟

ج٤: فأجاب ابن عثيمين -رحمه الله- قائلًا: خروج المرأة متطيبةً إلى السوق محرمٌ؛ لما في ذلك من الفتنة، أما إذا كانت المرأة متطيبةً ستركب في السيارة ولا يظهر ريحها إلا لمن يحل لها أن تظهر الريح عنده، وستنزل فورًا بدون أن يكون هناك رجال حول المدرسة، فهذا لا بأس به، لأنه ليس في هذا محظورٌ، فهي في سيارتها كأنها في بيتها، ولهذا لا يحلُّ للإنسان أن يُمكن امرأته أو من له ولايةٌ عليها أن تركب وحدها مع السائق؛ لأن هذه خلوة، أما إذا كانت ستمر إلى جانب الرجال فإنه لا يحلُّ لها أن تتطيب.

وبهذه المناسبة أودُّ أن أذكِّر النساء بأن بعضهن في أيام رمضان تأتي بالطيب معها وتعطيه النساء، فتخرج النساء من المسجد وهن متطيبات بالبخور، وقد قال النبي ﷺ«أيما امرأة أصابت بخورًا فلا تشهد معنا صلاة العشاء» ولكن لا بأس أن تأتي بالبخور لتطيب المسجد، أما بالنسبة للزينة التي تظهرها النسـاء، فإن كل ما اعتيد بين النساء من الزينة المباحة فهو حلالٌ، وأما التي لا تحلُّ -كما لو كان الثوب خفيفًا جدًّا يصف البشرة، أو كان ضيقًا جدًّا يُبيِّن مفاتين المرأة- فإن ذلك لا يجوز؛ لدخوله في قول النبي ﷺ: «صنفان من أهل النار...».

س٥: ما حكم تحدُّث المرأة مع صاحب محل الملابس أو الخياط؟

ج٥: فأجاب د. صالح الفوزان -حفظه الله- قائلًا: تحدث المرأة مع صاحب المتجر (التحدث بقدر الحاجة وليس فيه فتنة) لا بأس به، فقد كانت النساء تكلم الرجال في الحاجات والأمور التي لا فتنة فيها في حدود الحاجة، أما إذا كان مصحوبًا بضحك أو مباسطة أو بصوت فاتن فهذا محرمٌ لا يجوز، يقول الله سبحانه وتعالى لأزواج نبيه رضي الله عنهن: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب: ٣٢]؛ القول المعروف ما يعرفه الناس وبقدر الحاجة.

أما ما زاد عن ذلك بأن كان على طريق الضحك والمباسطة أو بصوتٍ فاتنٍ أو غير ذلك، أو أن تكشف وجهها أمامه أو تكشف ذراعها أوكفيها فهذه كلها محرمات ومنكرات من أسباب

الفتنة ومن أسباب الوقوع في الفاحشة.

س٦: ما حكم لبس البنطلون للنساء عند غير أزوجهن.

ج٦: **أجاب ابن جبيرين -حفظه الله- قائلًا:** لا يجوز للمرأة عند غير زوجها مثل هذا اللباس، لأنه يُبيِّن تفاصيل جسمها، والمرأة مأمورة أن تلبس ما يستر جميع بدنها؛ لأنها فتنة، وكل شيء يبين جسمها يحرم لبسه عند الرجال أو النساء أو المحارم أو غيرهم إلا الزوج الذي يحلُّ له النظر إلى جميع بدن زوجته، فلا بأس أن تلبس عنده الرقيق أو الضيق أو نحوه، والله أعلم.

س٧: ما حكم قص شعر الفتاة إلى كتفيها للتجميل، سواء كانت متزوجة أو غير متزوجة؟ وما حكم استعمال أدوت التجميل المعروفة للزوج؟

ج٧: **فأجاب ابن عثيمين -رحمه الله- قائلًا:** قصُّ المرأة شعرها إما أن يكون على وجه يشبه شعر الرجال فهذا محرمٌ ومن كبائر الذنوب، لأن النبي ﷺ لعن المتشبهات من النساء بالرجال، وأما أن يكون على وجه لا يصل به إلى التشبه بالرجال، فقد اختلف أهل العلم في ذلك على ثلاثة أقوال:

منهم من قال: إنه جائزٌ، لا بأس به، ومنهم من قال: إنه محرمٌ، ومنهم من قال: إنه مكروه، والمشهور من مذهب الإمام أحمد أنه مكروهٌ.

وفي الحقيقة أنه لا ينبغي لنا أن نتلقي كل ما ورد علينا من عادات غيرنا، فنحنَ قبل زمن غير بعيد كنا نرى النساء يتباهين بكثرة شعر رءوسهن وطول شعورهن، فما بالهن يذهبن إلى هذا العمل الذي أتانا من غير بلادنا، وأنا لست أنكر كل شيءٍ جديدٍ، ولكني أنكر كل شيء يؤدي إلى أن ينتقل المجتمع إلى عادات متلقاة من غير المسلمين.

أما استعمال أدوات التجميل -كتحمير الشفاة- فلا بأس بها، وكذلك تحمير الخدود لا بأس به، لا سيما للمتزوجة، وأما التجميل الذي يفعله بعض النساء من النمص -وهو نتف شعر الحواجب وترقيقها- فحرامٌ؛ لأن النبي ﷺ لعن النامصة والمتنمصة، وكذلك وشر المرأة أسنانها للتجمل محرمٌ ملعونٌ فاعله.

س٨: ما الحكم فيما لو قام شابٌ غير متزوج وتكلم مع شابة غير متزوجة في التليفون؟

ج٨: **أجاب ابن جبرين -حفظه الله- قائلًا:** لا يجوز التكلم مع المرأة الأجنبية بما يثير الشهوة؛ كمغازلة وتغنج وخضوع في القول، سواءٌ كان في التليفون أو غيره؛ ولقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب: ٣٢]. فأما الكلام العارض لحاجة فلا بأس به، إذا سلم من المفسدة، ولكن بقدر الضرورة.

س٩: ما حكم شراء مجلات عرض الأزياء للاستفادة منها في بعض موديلات ملابس النساء الجديدة والمتنوعة؟ وما حكم اقتنائها بعد الاستفادة منها وهي مليئة بصور النساء؟

ج٩: فأجاب ابن باز -رحمه الله- قائلًا: **لا شك أن شراء المجلات التي ليس بها إلا صورٌ محرمٌ؛ لأن اقتناء الصور حرامٌ، لقول النبي ﷺ «لا تدخل الملائكة بيتًا فيه صورةً» ولأنه ﷺ لما شاهد الصورة في النمرقة عند عائشة وقف ولم يدخل وعُرفت الكراهة في وجهه، وهذه المجلات التي تعرض الأزياء يجب أن ينظر فيها، فما كل زيٍّ يكون حلالًا، قد يكون هذا الزي متضمنًا لظهور العورة، إما لضيقه أو لغير ذلك، وقد يكون هذا الزي من ملابس الكفار التي يختصون بها، والتشبه بالكفار محرمٌ؛ لقول الرسول ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم» فالذي أنصح به إخواننا المسلمين عامة ونساء المسلمين خاصة أن يتجنبن هذه الأزياء؛ لأن منها ما يكون تشبهًا بغير المسلمين، ومنها ما يكون مشتملًا على ظهور العورة، ثم إن تطلع النساء إلى كل زيٍّ جديدٍ يستلزم في الغالب أن تنتقل عادتنا إليه.**

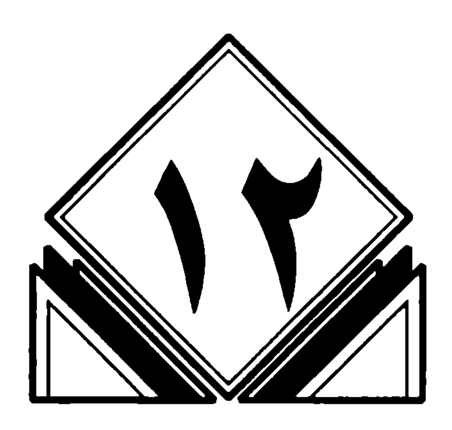
س١٠: بعض النساء -هداهن الله- يُلبس بناتهن الصغيرات ثيابًا قصيرةً تكشف عن الساقين، وإذا نصحنا هؤلاء الأمهات؛ قُلن: نحن كنا نلبس ذلك من قبل ولم يضرنا ذلك بعد أن كبرنا، فما رأيكم في ذلك؟

ج١٠: فأجاب ابن عثيمين -رحمه الله- قائلًا: **أرى أنه لا ينبغي للإنسان أن يُلبس ابنته هذا اللباس وهي صغيرة؛ لأنها إذا اعتادته بقيت عليه وهان عليها أمره، أما لو تعودت الحشمة من صغرها بقيت على تلك الحال في كبرها، والذي أنصح به أخواتنا المسلمات أن يتركن لباس أهل الخارج من أعداء الدين، وأن يُعوِّدن بناتهن على اللباس الساتر، وعلى الحياء، فالحياء من الإيمان**[1].

---

(١) مجموعة رسائل تهُم المرأة المسلمة (٨٠- ٨٦).





التربية الصحية

مقدمة

الحمد لله الذي لا ناقض لما بناه، ولا حافظ لما أفناه، ولا مانع لما أعطاه، ولا راد لما قضاه، ولا مظهر لما أخفاه، ولا ساتر لما أبداه، ولا مضل لمن هداه، ولا هادي لمن أعماه، أنشأ الكون بقدرته وما حواه، ورزق الصون بمنته وتولاه، وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه، خلق آدم بيده وسواه، وأسكنه في حرم قربه وحماه، وأمره كما شاء ونهاه، وأجرى القضاء بموافقة هواه، فنزعت يد التفريط ما كساه، ثم تاب عليه فرحمه واجتباه، وحاله ينذر من يسعى فيما اشتهاه، وطرد إبليس وكانت السماوات مأواه، فأصمه بمخالفته كما شاء وأعماه، وأبعده عن بابه للعصيان وأشقاه، وفي قصته نذير لمن خالفه وعصاه:

ألان الحديد لداود كما تمناه	يا من لابسه من يلقاه
ثم صرعه بسهم قدر ألقاه	فلما تسور المحراب خصماه
أظهر جدال التوبيخ فخصماه	وظن داود أنما فتناه

وذهب ذو النون مغاضبا فالتقمه الحوت وأخفاه، فندم إذ رأت عيناه ما جنت يداه، فلما أقله كرب ظلام تغشاه، تضرع مستغيثا ينادي مولاه: إني كنت من الظالمين فنجيناه.

تعالى ربنا وسبحانه حاشاه، أن يخيب راجيه وينسى من ينساه، أخذ موسى من أمه طفلا ورعاه، وساقه إلى حجر عدوه فرباه، وجاد عليه بنعم لا تحصى وأعطاه، فعبر البحر وما ابتلت قدماه، وتبعه العدو فأدركه الغرق وواراه، فقال: آمنت فإذا جبريل يسد فاه، وكان من غاية شرفه ومنتهاه، أن خرج يطلب نارا فناداه: يا موسى إني أنا الله، وشرف أمته شرفا بينا أولاه.

خلق محمدا واختاره على الكل واصطفاه، وأوحى إليه من سره المستور ما أوحاه، ووعده المقام المحمود وسيبلغه مناه، فالحمد لله الذي دلنا بنبيه وعرفناه، وأجلنا بالقرآن العظيم وعلمناه، وهدانا إلى بابه بتوفيق أودعناه، حمدا لا ينقضي أولاه ولا ينفد أخراه، وصلاة وسلاما على محمد ما تحركت الألسن والشفاه، وعلى آله وصحبه ومن والاه[1].

---

(١) التبصرة: (٢ /٦٠، ٦١) بتصرف.

أهداف التربية الصحية

إن للتربية الصحية أهدافا ثلاثة، هي:

١- المحافظة على صحة الأولاد جيدا: غذائيا، ورياضيا، وبدنيا، وطبيا، وجنسيا، ونفسيا، وعاطفيا، وقد تم التفصيل في أبواب سابقة فليراجعه من شاء؛ ليقف على السبل الكفيلة بحفظ صحة الولد من جميع النواحي بإذن الله تعالى.

٢- وقاية الأولاد من الأمراض، وذلك من خلال اتباعهم للهدي النبوي في جميع أحوالهم: من عبادات، ومعاملات، ومباحات، وعادات.

٣- معالجة الأولاد -إن أصابهم داء- من الأدواء القابلة للعلاج، مع التوكل على الله ودعائه؛ فهو الشافي ولا شافي غيره، مع بعض الملاحظات التي ينبغي التنبيه عليها، ومنها:

أ-التداوي بالمشروع والمباح، وعدم جواز التداوي بغيره من غير المشروع أو غير المباح.

ب-الترغيب في التداوي بالقرآن، والسنة، والدعاء، والرقى مما ثبت في صحيح السنة النبوية.

جـ ندب التداوي بالحجامة، والعسل، والحبة السوداء، وماء زمزم، والتلبينة، والكمأة، وغير ذلك مما ثبت في صحيح السنة.

د-جواز التداوي بالمباح من الأدوية الكيماوية التي ثبت أثرها، وانتفى ضررها، وتأكد خلوها من المحرمات؛ كالمواد المخدرة والمسكرة، والمفترات، والكحوليات، ونحوها.

كيف نربي أولادنا صحيا؟

اعلم -رحمك الله- أن التربية الصحية لها شقان:

شق وقائي: وهو قبل الإصابة بداء من الأدواء، وله سبل عديدة، منها:

١- تعريف الأولاد ببعض القواعد الصحية، والنصائح الطبية على ألسنة الأطباء القدامى والحكماء السابقين؛ عساهم أن يتبعوها فيكونوا في مأمن من الإصابة بالعديد من الأمراض إلى ما شاء الله.

٢- الوقاية باتباع الهدي النبوي في: سنن الفطرة. صيام النوافل. الطعام، والشراب، والنوم، واللباس، والنكاح، والعطاس، والتثاؤب

٣- الوقاية باجتناب المحرم والمكروه من: الطعام، والشراب، والجماع.

٤- الوقاية باجتناب التدخين، وشرب الخمور، والمسكرات، والمخدرات، والمفترات، والمحرمات الأخرى.

٥- الوقاية باجتناب الوشم، والميسر، واقتناء الكلاب إلا ما شرع.

٦- الوقاية باتباع الهدي النبوي عند الإصابة بالطاعون.

شق علاجي: وهو بعد الإصابة بداء من الأدواء، وله سبل عديدة، منها:

١- التعريف بأنواع الأمراض، وأحوال البدن المختلفة.

٢- التعريف بالأمر النبوي بالتداوي، والهدي النبوي في التداوي.

٣- التعريف بحكم التداوي بالمحرمات للترهيب والتحذير.

٤- التعريف ببعض الوسائل المشروعة، والسبل المندوبة للعلاج: كالعلاج بالقرآن، وبالرقى النبوية، والعلاج بالعسل وحبة البركة، والعلاج بالتلبينة، والعلاج بماء زمزم، والعلاج بالحجامة.

٥- التعريف بالهدي النبوي في علاج بعض الأمراض.

أولا: وقائيا

قواعد صحية ونصائح طبية

قواعد صحية

أربعة تقوي البدن

١- أكل اللحم.

٢- شم الطيب.

٣- كثرة الغسل من غير جماع.

٤- ولبس الكتان.

أربعة توهن البدن

١- كثرة الجماع.

٢- كثرة الهم.

٣- كثرة شرب الماء على الريق.

٤- كثرة أكل الحامض.

أربعة تقوي البصر

١- الجلوس حيال الكعبة.

٢- والكحل عند النوم.

٣- والنظر إلى الخضرة.

٤- وتنظيف المجالس.

أربعة توهن البصر

١- النظر إلى القذر.

٢- النظر إلى المصلوب.

٣- النظر إلى فرج المرأة.

٤- القعود مستدبر القبلة.

أربعة تزيد في الجماع

١- أكل العصافير.

٢- أكل الإطريفل.

٣- أكل الفستق.

٤- شرب الخروب.

أربعة تزيد في العقل

١- ترك الفضول من الكلام.

٢- مجالسة الصالحين.

٣- السواك.

٤- مجالسة العلماء(١).

قواعد أخرىٰ

أربعة أشياء تمرض الجسم

١- الكلام الكثير.

٢- الأكل الكثير.

٣- النوم الكثير.

٤- الجماع الكثير.

فالكلام الكثير يقلل مخ الدماغ ويضعفه، ويعجل الشيب. **والنوم الكثير**: يصفر الوجه، ويعمي القلب، ويهيج العين، ويكسل عن العمل، ويولد الرطوبات في البدن. **والأكل الكثير**: يفسد فم المعدة، ويضعف الجسم، ويولد الرياح الغليظة، والأدواء العسرة. **والجماع الكثير**: يهد البدن، ويضعف القوى، ويجفف رطوبات البدن، ويرخي العصب، ويورث السدد، ويعم ضرره جميع البدن. ويخص الدماغ لكثرة ما يتحلل به من الروح النفساني، وإضعافه أكثر من إضعاف جميع المستفرغات، ويستفرغ من جوهر الروح شيئا كثيرا.

وأنفع ما يكون إذا صادف شهوة صادقة من صورة جميلة حديثة السن حلالا مع سن الشبوبية، وحرارة المزاج، ورطوبته، وبعد العهد به، وخلاء القلب من الشواغل

---

(١) آداب الشافعي ٣٢٣، والآداب الشرعية ٢ ٣٩٠.

النفسانية، ولم يفرط فيه، ولم يقارنه ما ينبغي تركه معه من امتلاء مفرط، أو خواء، أو استفراغ، أو رياضة تامة، أو حر مفرط، أو برد مفرط، فإذا راعى فيه هذه الأمور العشرة انتفع به جدا. وأيها فقد فقد حصل له من الضرر بحسبه، وإن فقدت كلها أو أكثرها فهو الهلاك المعجل.

أربعة تهدم البدن

١ - الهم.
٢ - الجوع.
٣ - الحزن.
٤ - السهر.

أربعة تفرح

١ - النظر إلى الخضرة.
٢ - النظر إلى المحبوب.
٣ - النظر إلى الماء الجاري.
٤ - النظر إلى الثمار.

أربعة تظلم البصر

١ - المشي حافيا.
٢ - كثرة البكاء.
٣ - التصبح والتمسي بوجه بغيض.
٤ - كثرة النظر في الخط الدقيق.

أربعة تقوي الجسم

١ - لبس الثوب الناعم.
٢ - أكل الطعام الحلو والدسم.
٣ - دخول الحمام المعتدل.
٤ - شم الروائح الطيبة.

أربعة تيبس الوجه، وتذهب ماءه وبهجته وطلاوته

١- الكذب.

٢- كثرة السؤال عن غير علم.

٣- الوقاحة.

٤- كثرة الفجور.

أربعة تزيد في ماء الوجه وبهجته

١- المروءة.

٢- الكرم.

٣- الوفاء.

٤- التقوى.

أربعة تجلب البغضاء والمقت

١- الكبر.

٢- الكذب.

٣- الحسد.

٤- النميمة.

أربعة تجلب الرزق

١- قيام الليل.

٢- تعاهد الصدقة.

٣- كثرة الاستغفار بالأسحار.

٤- الذكر أول النهار وآخره.

أربعة تمنع الرزق

١- نوم الصبحة.

٢- الكسل.

٣- قلة الصلاة.

٤- الخيانة.

أربعة تضر بالفهم والذهن

١ - إدمان أكل الحامض والفواكه.

٢ - الهم.

٢ - النوم على القفا.

٤ - الغم.

أربعة تزيد في الفهم

١ - فراغ القلب.

٢ - قلة التملي من الطعام والشراب.

٣ - حسن تدبير الغذاء بالأشياء الحلوة والدسمة.

٤ - إخراج الفضلات الثقيلة.

مضرات العقل

١ - إدمان أكل البصل، والباقلاء، والزيتون، والباذنجان.

٢ - كثرة الجماع.

٣ - الوحدة.

٤ - الأفكار.

٥ - السكر.

٦ - كثرة الضحك.

٧ - الغم.

نصائح طبية

نصيحة ابن بختيشوع

١- احذر أن تجمع بين البيض والسمك؛ فإنهما يورثان القولنج[١] والبواسير ووجع الأضراس.

٢- وإدامة أكل البيض يولد الكلف في الوجه.

٣- وأكل المملوحة، والسمك المالح، والافتصاد بعد الحمام يولد البهق والجرب.

٤- وإدامة أكل كلى الغنم يعقر المثانة.

٥- والاغتسال بالماء البارد بعد أكل السمك الطري يولد الفالج[٢].

٦- ووطء المرأة الحائض يولد الجذام.

٧- والجماع من غير أن يهريق الماء عقيبه يولد الحصاة[٣].

٨- وطول المكث في المخرج يولد الداء الدوي.

نصيحة أبقراط

قال: استدعوا الصحة بترك التكاسل عن التعب، وبترك الامتلاء من الطعام والشراب. وقال: الإقلال من الضار خير من الإكثار من النافع.

نصيحة الحارث بن كلدة

قال: من سره البقاء -ولا بقاء- فليباكر الغداء، وليعجل العشاء، وليخفف الرداء، وليقلل غشيان النساء. ولما احتضر الحارث اجتمع إليه الناس، فقالوا: مرنا بأمر ننتهي إليه من بعدك. فقال:

١- لا تتزوجوا إلا من شابة.

٢- ولا تأكلوا من الفاكهة إلا في أوان نضجها.

٣- ولا يتعالجن[٤] أحدكم ما احتمل بدنه الداء.

---

(١) أي: التهاب القولون **Colitis**.

(٢) الشلل.

(٣) أي: الحصوات البولية.

(٤) أي: لا يطلب أحدكم الدواء إلا إذا أصابه داء.

٤- وعليكم بتنظيف المعدة في شهر (يعني التقيؤ) فإنها مذيبة للبلغم، مهلكة للمرة، منبتة للحم.

٥- وإذا تغدى أحدكم فلينم على إثر غدائه ساعة[1].

٦- وإذا تعشى فليمش أربعين خطوة[2].

قاعدة لأفلاطون

خمس يذبن البدن وربما قتلن:

١- قصر ذات اليد.

٢- فراق الأحبة.

٣- تجرع المغايظ.

٤- رد النصح.

٥- ضحك ذوي الجهل بالعقلاء.

نصيحة طبيب المأمون

عليك بخصال من حفظها فهو جدير أن لا يعتل إلا علة الموت:

١- لا تأكل طعاما وفي معدتك طعام[3].

٢- وإياك أن تأكل طعاما يتعب أضراسك في مضغه، فتعجز معدتك عن هضمه.

٣- وإياك وكثرة الجماع؛ فإنه يطفئ نور الحياة[4].

٤- وإياك ومجامعة العجوز؛ فإنه يورث موت الفجأة.

٥- وإياك والفصد إلا عند الحاجة إليه.

٦- وعليك بالقيء في الصيف.

---

(١) يعني: ساعة القيلولة.

(٢) أي: لا ينام مساء حتى يمشي ولو أربعين خطوة.

(٣) يعني: لا تأكل وأنت شبعان.

(٤) أي: يوهن القوى ويضعف البدن.

نصيحة طبيب لملكه

قال أحد الملوك لطبيبه: لعلك لا تبقى لي، فصف لي صفة آخذها عنك، فقال:

١- لا تنكح إلا شابة.
٢- ولا تأكل من اللحم إلا فتيا.
٣- ولا تشرب الدواء إلا من علة.
٤- ولا تأكل الفاكهة إلا في نضجها.
٥- وأجد مضغ الطعام.
٦- وإذا أكلت نهارا فلا بأس أن تنام.
٧- وإذا أكلت ليلا فلا تنم حتى تمشي ولو خمسين خطوة.
٨- ولا تأكلن حتى تجوع.
٩- ولا تتكارهن على الجماع(١).
١٠- ولا تحبس البول.
١١- وخذ من الحمام قبل أن يأخذ منك.
١٢- ولا تأكل طعاما وفي معدتك طعام.
١٣- وإياك أن تأكل ما تعجز أسنانك عن مضغه، فتعجز معدتك عن هضمه.
١٤- وعليك في كل أسبوع بقيئة تنقي جسمك.
١٥- ونعم الكنز في جسدك الدم، فلا تخرجه إلا عند الحاجة إليه.
١٦- وعليك بدخول الحمام، فإنه يخرج من الأطباق(٢) ما لا تصل الأدوية إلى إخراجه.

نصيحة جالينوس

قال جالينوس لأصحابه: اجتنبوا ثلاثا، وعليكم بأربع؛ ولا حاجة بكم إلى طبيب:

١- اجتنبوا الغبار والدخان والنتن.

---

(١) أي: لا تكره نفسك على الجماع، ولا تقدم عليه إلا من شهوة.

(٢) أي: الأدواء والوباء والفضلات الضارة.

٢- وعليكم بالدسم والطيب والحلوى والحمام.
٣- ولا تأكلوا فوق شبعكم.
٤- ولا تتخللوا بالباذروج [(١)] والريحان.
٥- ولا تأكلوا الجوز عند المساء.
٦- ولا ينم من به زكمة [(٢)] على قفا.
٧- ولا يأكل من به غم حامضا.
٨- ولا يسرع المشي من افتصد؛ فإنه مخاطرة الموت.
٩- ولا يتقيأ من تؤلمه عينه.
١٠- ولا تأكلوا في الصيف لحما كثيرا.
١١- ولا ينم صاحب الحمى الباردة في الشمس.
١٢- ولا تقربوا الباذنجان العتيق المبذر [(٣)].
١٣- ومن شرب كل يوم في الشتاء قدحا من ماء حار أمن من الأعلال [(٤)].
١٤- ومن دلك جسمه في الحمام بقشور الرمان أمن من الجرب والحكة.
١٥- ومن أكل خمس سوسنات، مع قليل مصطكي رومي، وعود خام، ومسك بقي طول عمره لا تضعف معدته ولا تفسد.
١٧- ومن أكل بذر البطيخ بالسكر نظف الحصى من معدته، وزالت عنه حرقة البول.

نصيحة حكيم

١- من أراد الصحة فليجود الغذاء [(٥)].

---

(١) الباذروج: بقلة معروفة تقوي القلب.
(٢) زكمة: زكام.
(٣) المبذر: كثير البذر.
(٤) الأعلال: الأمراض والأسقام.
(٥) أي: ليختر نوع الطعام المفيد صحيا، ولا يهتم بكم الطعام عن كيفيته؛ فالعبرة بالكيف هنا لا بالكم.

٢- وليأكل على نقاء[١].

٣- وليشرب على ظمأ، وليقلل من شرب الماء[٢].

٤- ويتمدد بعد الغداء[٣].

٥- ويتمش بعد العشاء[٤].

٦- ولا ينم حتى يعرض نفسه على الخلاء[٥].

٧- وليحذر دخول الحمام عقيب الامتلاء[٦].

٨- ومرة في الصيف خير من عشرة في الشتاء.

٩- وأكل القديد اليابس بالليل معين على الفناء.

١٠- ومجامعة العجائز تهرم أعمار الأحياء، وتسقم أبدان الأصحاء.

محاذير ابن ماسويه

١- من أكل البصل أربعين يوما وكلف[٧] فلا يلومن إلا نفسه.

٢- ومن افتصد فأكل مالحا فأصابه بهق[٨] أو جرب فلا يلومن إلا نفسه.

٣- ومن جمع في معدته البيض والسمك[٩] فأصابه

---

(١) أي: ليأكل على جوع، ولا يدخل طعاما على طعام.

(٢) ليس هذا القول على الإطلاق، بل هو صحيح فقط بعد الطعام؛ لأن الشرب كثيرا بعد الطعام يورث التخمة، والسمنة، والارتخاء، والخمول، والكسل، بيد أن الشرب كثيرا في الأوقات الأخرى (دون امتلاء المعدة) مفيد للكلى، ومدر للبول والحصوات، ومنظف للمجاري البولية.

(٣) يعني: نومة القيلولة بعد الغداء (قبيل العصر بساعة).

(٤) أي: لا ينام بعد تناول وجبة العشاء مباشرة قبل أن يمشي ولو خمسين خطوة قبل أن ينام.

(٥) أي: لا ينام حتى يدخل الخلاء فيفرغ ما استطاع من بول أو غائط؛ لأن النوم مثقلا بالفضلات ضار بالصحة.

(٦) أي: ليتجنب الاغتسال بعد الأكل مباشرة (خاصة بعد امتلاء المعدة) إلا بعد هضم الطعام (أي: بعد حوالي ساعتين).

(٧) أي: أصابه كلف (وهو مرض جلدي معروف).

(٨) بهق: البهاق (وهو مرض جلدي معروف).

(٩) أي: من أكل بيضا وسمكا في وجبة واحدة.

فالج[١] أو لقوة فلا يلومن إلا نفسه.

٤- ومن دخل الحمام وهو ممتلئ[٢] فأصابه فالج فلا يلومن إلا نفسه.

٥- ومن جمع في معدته اللبن والسمك فأصابه الجذام أو البرص أو النقرس فلا يلومن إلى نفسه.

٦- ومن جمع في معدته اللبن والنبيذ فأصابه برص أو نقرس فلا يلومن إلا نفسه.

٧- ومن احتلم فلم يغتسل حتى وطئ أهله فولدت مجنونا أو مخبولا فلا يلومن إلا نفسه.

٨- ومن أكل بيضا مسلوقا باردا وامتلأ منه فأصابه ربو فلا يلومن إلا نفسه.

٩- ومن جامع فلم يصبر حتى يفرغ فأصابه حصاة فلا يلومن إلا نفسه.

١٠- ومن نظر في المرآة ليلا فأصابه لقوة أو أصابه داء فلا يلومن إلا نفسه.

الوقاية من سنن الفطرة

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**خمس من الفطرة: الاستحداد[٣]، والختان، وقص الشارب، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار**»[٤].

وعن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم[٥]، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء -يعني الاستنجاء- قال زكريا: قال مصعب: ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة**»[٦].

---

(١) الفالج: هو الشلل الكلي. واللقوة: شلل الوجه والرقبة. ويمكن أن تطلق على الشلل النصفي.

(٢) أي: من اغتسل بعد الأكل وامتلاء المعدة بالطعام.

(٣) الاستحداد: هو حلق العانة، سمي استحدادا لاستعمال الحديدة وهي الموس (في الحلق) ويكون بالحلق والقص والنتف، وغير ذلك.

(٤) البخاري (٥٨٨٩)، ومسلم (٢٥٧).

(٥) البراجم: جمع برجمة وهي عقد الأصابع ومفاصلها.

(٦) مسلم (٢٦١).

قص الشارب وإعفاء اللحية

عن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**خالفوا المشركين وفِّروا اللحى وأحفوا الشوارب**»[١].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**جُزُّوا الشوارب وأرخوا اللحى، خالفوا المجوس**»[٢].

وذهب الأئمة الأربعة إلى القول بوجوب إعفاء اللحية وعليه يأثم حالقها.

فوائد قص الشارب

١- قصُّ الشارب اتِّباعٌ لهدي النبي ﷺ.
٢- قصُّ الشارب يُثاب فاعله، ويأثم مَنْ يتركه (للأمر النبوي الوجوبي).
٣- قصُّ الشارب مخالفة للكافرين والمشركين والمجوس.
٤- قصُّ الشارب نظافةٌ وجمالٌ.
٥- قصُّ الشارب وقاية من الأمراض.
٦- قصُّ الشارب يُعين على الطعام بسهولة ويُسر دونها إعاقة من الشعر.

فوائد إعفاء اللحية

١- اتِّباعٌ لهدي النبي الأمين.
٢- مخالفة للكافرين والمشركين.
٣- يُثاب عليه الفاعلون، ويأثم الحالقون.
٤- إعفاءُ اللحية نضارةٌ للوجه، وجمالٌ.
٥- إعفاءُ اللحية من مظاهر الرجولة والشهامة والفحولة.
٦- إعفاءُ اللحية يقي البشرة من معظم الأدواء الجلدية.

---

(١) البخاري (٥٨٩٢)، ومسلم (٢٥٩).
(٢) مسلم (٢٦٠).

السواك

تعــــريفه

قال النووي: السواك (لغة): يطلق على الفعل وهو الاستياك، وعلى الآلة التي يستاك بها والتي يقال لها المسواك.

حكم السواك

قال النووي: السواك سنة وليس بواجب في حال من الأحوال بإجماع من يعتد به في الإجماع.

مقامات التسوك

١- عند الوضوء: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع الوضوء»**[١].

٢- عند الصلاة: عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»**[٢].

٣- عند قراءة القرآن: عن علي ﷺ قال: أمرنا ﷺ بالسواك وقال: **«إن العبد إذا قام يصلي أتاه ملك فقام خلفه يستمع القرآن ويدنو فلا يزال يستمع ويدنو حتى يضع فاه على فيه، فلا يقرأ آية إلا كانت في جوف الملك»**[٣].

٤- عند دخول البيت: عن شريح بن هانئ قال: **قلت لعائشة -رضي الله عنها: بأي شيء كان يبدأ النبي ﷺ إذا دخل البيت؟ قالت: بالسواك**[٤].

٥- عند القيام من الليل: عن حذيفة ﷺ **قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام ليتهجد يشوص فاه بالسوك**[٥].

---

(١) صحيح: انظر: صحيح الجامع (٥٣١٦).

(٢) البخاري (٢ ١١ ٣)، ومسلم (٢٥٢).

(٣) صحيح لغيره: انظر: الصحيحة (١٢١٣).

(٤) مسلم (٢٥٣).

(٥) البخاري (٢ ١٢ ٣)، ومسلم (٢٥٥)، والشوص: هو الدلك.

السواك مطهرة للفم مرضاة للرب

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**السواك مطهرة للفم مرضاة للرب**»[1].

فضائل السواك وفوائده

١- تؤكد الأبحاث المختبرية الحديثة أن المسواك الأخضر من عود الأراك يحتوي على (العفص) بنسبة كبيرة وهي مادة مضادة للتعفن، مطهرة قابضة تعمل على قطع نزيف اللثة وتقويتها.

٢- توجد مادة خردلية هي السينجرين ذات رائحة حادة وطعم حراق تساعد على الفتك بالجراثيم.

٣- وأكد الفحص المجهري لمقطع المسواك على وجود بللورات السيليكا وحمض الكلس، ويفيد هذا في تنظيف الأسنان كمادة تزلق الأوساخ والقلح عن الأسنان.

٤- وأكد الدكتور طارق الخوري وجود الكلورايد مع السيليكا مما يزيد بياض الأسنان، ووجود مادة صمغية تغطي ميناء الأسنان وتحمي الأسنان من التسوس.

٥- كما يوجد فيتامين (C) وتراي ميثيل أمين الذي يعمل على التئام جروح اللثة وعلى نموها السليم.

٦- كما تبين وجود مادة كبريتية تمنع التسوس.

استنشاق الماء

قال رسول الله ﷺ: «**أسبغ الوضوء وخلل بين الأصابع وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائمًا**»[2]. أثبت العلم الحديث بعد الفحص الميكروسكوبي للمزارع البكتيرية التي عملت للمنتظمين في الوضوء ولغير المنتظمين أن الذين يتوضئون باستمرار قد ظهر الأنف على أغلبهم نظيفا خاليا من الميكروبات، ولذلك جاءت المزارع البكتيرية التي أجريت لهم خالية تماما من أي نوع من الميكروبات. وقد ثبت أن التسمم قد يحدث من جراء نمو الميكروبات الضارة في تجويفي الأنف ومنهما إلى داخل المعدة والأمعاء، ومن ثم إحداث التهابات وأمراض متعددة لا سيما عندما تدخل الدورة الدموية؛ لذلك شرع الاستنشاق بصورة متكررة ثلاث مرات في كل وضوء.

---

(١) النسائي (١٠١)، وصححه الألباني، انظر: صحيح الجامع (٣٦٩٥).

(٢) الترمذي، وصححه الألباني. انظر: صحيح الجامع (٩٢٧).

قص الأظفار

ويلاحظ ما في ذلك من التجمل والنظافة، وإزالة الوسخ المتراكم تحتها، والبعد عن مشابهة الكفار والمشركين، وكذلك مشابهة السباع البهيمية، وقد خالف هذه الفطرة النبوي طوائف من الشباب والشابات، فصاروا يطيلون أظافرهم مخالفة للهدي النبوي، وإمعانا في التقليد الأعمى، وكفاهم هما وغما أنهم سيحشرون يوم الدين مع هؤلاء المخالفين الذين يقلدونهم حبا لهم، ويحشر المرء مع من أحب، نسأل الله السلامة والعافية وحسن الخاتمة.

غسل البراجم

والبراجم: جمع برجمة، وهي عقد الأصابع ومفاصلها، ومعلوم ما في ذلك من إزالة الوسخ والنظافة التي تكون سببا للوقاية من كثير من الأمراض خاصة الأمراض الجلدية التي تنشأ من عدم النظافة.

نتف الإبط

أي: إزالة الشعر النابت في الإبط، فيسن إزالة هذه الشعر بالنتف أو بالحلق أو غير ذلك؛ لما في إزالة هذا الشعر من النظافة وقطع الرائحة الكريهة التي تزداد مع وجوده.

الاستحداد

وهو حلق العانة، وهي الشعر النابت حول الفرج، وسمي استحدادا لاستعمال الحديدة فيه، وهي الموس، وفي إزالته تجميل ونظافة، فيزيله بما شاء من حلق وغيره.

الاستنجاء

الاستنجاء نظافة وطهارة، وله آداب عديدة ينبغي الالتزام بها؛ لأنها من سنن النبي ﷺ، وهي:

ذكر اسم الله عند دخول الخلاء (بالذكر المأثور)

عن أنس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخل الخلاء قال: «اللهم إني أعوذ بك من

الخبث والخبائث»[١]، وعن علي ﷺ أن النبي ﷺ قال: **«ستر ما بين الجن وعورات بني آدم إذا دخل أحدهم الخلاء أن يقول: بسم الله»**[٢].

تقديم الرجل اليسرى عند دخول الخلاء، واليمنى عند الخروج منه

الاستتار عن أعين الناس في الفضاء

عن جابر ﷺ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر، وكان رسول الله ﷺ لا يأتي البراز حتى يتغيب فلا يرى[٣].

عدم رفع الثوب إلا عند الدنو من الأرض لقضاء الحاجة

عن ابن عمر ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا أراد الحاجة لا يرفع ثوبه حتى يدنو من الأرض[٤].

عدم استقبال القبلة أو استدبارها عند قضاء الحاجة

عن أبي أيوب ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبرها ولكن شرقوا أو غربوا»**[٥]، قال أبو أيوب: فقدمنا الشام فوجدنا مراحيض قد بنيت نحو الكعبة فننحرف عنها، ونستغفر الله تعالى[٦].

اجتناب التخلي في طريق الناس وظلهم

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«اتقوا اللاعنين»**. قالوا: وما اللاعنان يا رسول الله؟ قال: **«الذي يتخلى في طريق الناس أو في ظلهم»**[٧].

---

(١) البخاري (١٤٢١)، ومسلم (١٣٧٥).

(٢) الترمذي (٢٠٣٦)، وصححه الألباني، انظر: صحيح الجامع (٣٦١١).

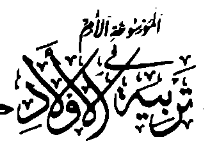
(٣) ابن ماجه (٣٣٥١)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٦٨).

(٤) الترمذي (١٤١)، وصححه الألباني، انظر: صحيح الجامع (٤٦٥٢).

(٥) مسلم (مختصر ١٠٩).

(٦) البخاري (٣٩٤١)، ومسلم (٢٦٤١).

(٧) مسلم (٢٦٩١) ولفظه «اتقوا اللعانين». قالوا: وما اللعانان؟، وأبو داود (٢٥١)، وصححه الألباني، انظر: صحيح الجامع (١١٠).



اجتناب البول في الماء الراكد

عن جابر ﷺ عن النبي ﷺ: «**أنه نهى أن يبال في الماء الراكد**»[١].

اجتناب البول في مكان الاغتسال

عن حميد الحميدي قال: لقيت رجلا صحب النبي ﷺ كما صحبه أبو هريرة، قال: نهى رسول الله ﷺ أن يمتشط أحدنا كل يوم أو يبول في مغتسله[٢].

اجتناب التبول قائما إلا عند العجز عن فعله قاعدا

عن عائشة رضي الله عنها قالت: من حدثكم أن رسول الله ﷺ بال قائما فلا تصدقوه، ما كان يبول إلا جالسا[٣].

وعن حذيفة ﷺ أن النبي ﷺ انتهى إلى سباطة قوم فبال قائما، فتنحيت فقال: «**ادنه**»، فدنوت حتى قمت عند عقبيه، فتوضأ ومسح على خفيه[٤]، وقول عائشة لا ينفي صحة قول حذيفة فكلاهما أخبر عما رأى وعلم، ومعلوم أن المثبت مقدم على النافي؛ لأن معه زيادة علم.

الاستنزاه من البول (وهو واجب)

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ مر بقبرين فقال: «**إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستنزه من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بين الناس بالنميمة**»[٥].

الاستنجاء والاستنزاه بالشمال لا باليمين

عن أبي قتادة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا بال أحدكم فلا يمس ذكره بيمينه، ولا يستنج بيمينه**»[٦].

---

(١) مسلم (١ ٢٨١).

(٢) النسائي (١ ١٣٠)، وصححه الألباني في صحيح النسائي (٢٣٢).

(٣) النسائي (١ ٢٦)، وصححه الألباني في صحيح النسائي (٢٩).

(٤) البخاري (١ ٢٢٥)، ومسلم (١ ٢٧٣).

(٥) البخاري (١٢١٦)، ومسلم (١ ٢٩٢).

(٦) ابن ماجه (١ ٣١٠)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٥٠).

الاستنجاء بالماء وبالأحجار، والماء أفضل

عن أنس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يدخل الخلاء فأحمل أنا وغلام نحوى إداوة[١] من ماء وعنزة[٢] فيستنجي بالماء[٣].

الاستنجاء بثلاثة أحجار لا أقل

عن عائشة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا ذهب أحدكم إلى الغائط فليذهب معه بثلاثة أحجار، فليستطب بها فإنها تجزئ عنه»**[٤].

وعن سلمان الفارسي ﷺ أنه قيل له: قد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة، فقال: أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول، أو نستنجي باليمين أو نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو نستنجي برجيع[٥] أو بعظم[٦].

اجتناب الاستجمار بالعظم والبعر

عن جابر ﷺ قال: نهى النبي ﷺ أن يتمسح بعظم أو ببعر[٧].

الغسل وقاية

اعلم رحمك الله أن الغسل شرعة نبوية، ووقاية صحية، وللغسل ركنان وصفة، وله موجبات ومستحبات، وفيما يلي موجز شرعي قبل عرض وجه الفائدة الطبي:

ركنا الغسل

١ - النية؛ لقول النبي ﷺ: **«إنما الأعمال بالنيات ... الحديث»**[٨].

---

(١) إداوة: إناء صغير.
(٢) عنزة: عصا قصيرة لها أسنان.
(٣) البخاري (١ ١٥٢)، ومسلم (١ ٢٧١).
(٤) أنس (١٤٢) وصححه الألباني في صحيح النسائي (٤٣).
(٥) الرجيع: الروث والعذرة.
(٦) مسلم (١ ٢٦٢).
(٧) مسلم (١ ٢٦٣).
(٨) البخاري (١ ٧، ١٥)، ومسلم (١٩٠٧).

٢- تعميم البدن بالماء.

صفة الغسل

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا اغتسل من الجنابة يبدأ فيغسل يديه، ثم يفرغ بيمينه على شماله، فيغسل فرجه، ثم يتوضأ وضوءه للصلاة، ثم يأخذ الماء فيدخل أصابعه في أصول الشعر، حتى إذا رأى أنه قد استبرأ حفن على رأسه ثلاث حفنات، ثم أفاض على سائر جسده، ثم غسل رجليه[(١)]، ولا يلزم المرأة نفض شعرها من غسلها من الجنابة، ويجب عليها نفضه عند غسلها من حيضها.

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، إني امرأة أشد ضفر رأسي أفأنفضه لغسل الجنابة؟ قال: «لا، إنما يكفيك أن تحثي على رأسك ثلاث حثيات، ثم تفيضي عليه الماء فتطهرين»[(٢)].

صفة غسل المرأة

عن عائشة رضي الله عنها أن أسماء سألت النبي ﷺ عن غسل المحيض، فقال: «تأخذ إحداكن ماءها وسدرتها، فتطهر فتحسن الطهور، ثم تصب على رأسها فتدلكه دلكا شديدا، حتى تبلغ شئون رأسها، ثم تصب عليه الماء، ثم تأخذ فرصة ممسكة[(٣)] فتطهر بها» فقالت أسماء: كيف تطهر بها؟ فقال: «سبحان الله، تطهري بها» فقالت عائشة كأنها تخفي بذلك: تتبعي بها أثر الدم. وسألته عن غسل الجنابة فقال: «تأخذ ماء فتطهر، فتحسن الطهور أو فتبلغ الطهور، ثم تصب على رأسها فتدلكه حتى تبلغ شئون رأسها، ثم تفيض عليها من الماء»[(٤)].

---

(١) متفق عليه.
(٢) مسلم (١ ٣٣٠).
(٣) أي: قطعة قطن قد بلت بالمسك
(٤) مسلم (١ ٣٣٢).

موجبات الغسل

١ - الجماع، وإن لم ينزل

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إذا جلس بين شعبها الأربع، ثم جهدها فقد وجب الغسل وإن لم ينزل**»[١].

٢ - خروج المني في اليقظة[٢] والنوم

قال رسول الله ﷺ: «**إنما الماء من الماء**»[٣] أي: الاغتسال من الجنابة.

وعن أم سلمة ﵂ أن أم سليم قالت: يا رسول الله، إن الله لا يستحي من الحق، فهل على المرأة غسل إذا احتلمت؟ قال: «**نعم إذا رأت الماء**»[٤].

ملحوظة: من احتلم ولم يجد الماء فلا غسل عليه، ومن وجد الماء ولم يذكر احتلاما فعليه الغسل.

وذلك لحديث عائشة ﵂ قال: سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يجد البلل ولا يذكر احتلاما؟ فقال: «**يغتسل**». وعن الرجل يرى أنه قد احتلم ولا يجد البلل؟ فقال: «**لا غسل عليه**»[٥] إذا العبرة في النوم بوجود الماء لا بالشهوة. وفي اليقظة بالشهوة ووجود الماء، أما من جامع فلم ينزل فعليه الغسل كما سبق.

٣- الطهارة من الحيض والنفاس

عن عائشة ﵂ أن النبي ﷺ قال لفاطمة بنت أبي حبيش: «**إذا أقبلت الحيضة فدعي**

---

(١) مسلم (١ ٣٤٨).

(٢) تشترط الشهوة في اليقظة دون النوم، وذلك مستفاد من حديث النبي ﷺ: «إذا حذفت الماء فاغتسل من الجنابة، فإذا لم تكن حاذفا فلا تغتسل» البخاري (١ ١٣٠)، ومسلم (١ ٣١٣)، قال الشوكاني في نيل الأوطار (١ ٢٧٥): الحذف هو الرمي، وهو لا يكون بهذه الصفة إلا لشهوة، ولهذا قال المصنف: وفيه تنبيه على أن ما يخرج لغير شهوة إما لمرض أو أبردة لا يوجب الغسل.

(٣) مسلم (١ ٣٤٣).

(٤) البخاري (١ ١٣٠)، ومسلم (١ ٣١٣).

(٥) أبو داود (١ ٢٣٣)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢١٦).

الصلاة، وإذا أدبرت فاغتسلي وصلي»[١].

٤ - إسلام الكافر

عن قيس بن عاصم أنه أسلم فأمره النبي ﷺ أن يغتسل بماء وسدر[٢].

الأغسال المستحبة

١ - غسل العيدين ويوم عرفة

عن زاذان قال: سأل رجل عليا رضي الله عنه عن الغسل؟ فقال: أغتسل كل يوم إن شئت؟ فقال: لا، الغسل الذي هو الغسل؟ قال: يوم الجمعة، ويوم عرفة، ويوم النحر، ويوم الفطر.

٢ - الغسل للإحرام

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه رأى النبي ﷺ تجرد لإهلاله واغتسل[٣].

٣- الغسل لدخول مكة

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان لا يقدم مكة إلا بات بذي طوى، حتى يصبح ويغتسل، ثم يدخل مكة نهارا، ويذكر عن النبي ﷺ أنه فعله[٤].

٤ - الاغتسال بعد الإغماء

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ثقل رسول الله ﷺ فقال: «أصلى الناس؟» فقلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله. قال: «ضعوا لي ماء في المخضب»[٥]، قالت: ففعلنا، فاغتسل، ثم ذهب لينوء[٦] فأغمي عليه، ثم أفاق، فقال: «أصلى الناس؟» فقلنا: لا، هم ينتظرونك يا

---

(١) البخاري (١ ٣٢٠)، ومسلم (١ ٣٣٣)، والنفاس كالحيض بالإجماع.

(٢) الترمذي (٢ ٦٠٢)، وأبو داود (٢ ٣٥١)، وصححه الألباني، انظر: الإرواء (١٢٨).

(٣) الترمذي (٢ ٨٣١)، وحسنه الألباني في الإرواء (١٤٩).

(٤) البخاري (٣ ١٥٧٣)، ومسلم (٢ ١٢٥٩) واللفظ له.

(٥) الإناء الذي يغسل فيه الثياب.

(٦) لينوء: لينهض بجهد.

رسول الله ... الحديث(١).

٥- اغتسال المستحاضة لكل صلاة

عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن أم حبيبة استحيضت في عهد رسول الله ﷺ، **فأمرها** بالغسل لكل صلاة، ... الحديث(٢).

وعنها رضي الله عنها قالت: أستحيضت امرأة على عهد رسول الله ﷺ فأمرت **أن تعجل** العصر، وتؤخر الظهر، وتغتسل لهما غسلا واحدا، وتؤخر المغرب وتعجل العشاء، وتغتسل لهما غسلا، وتغتسل لصلاة الصبح غسلا(٣).

٦- الاغتسال لكل جماع

عن رافع أن النبي ﷺ طاف ذات ليلة على نسائه يغتسل عند هذه، وعند هذه، قال: فقلت: يا رسول الله، ألا تجعله واحدا، قال: «**هذا أزكى وأطيب وأطهر**»(٤).

٧- اغتسال من غسل ميتا

لقول النبي ﷺ: «**من غسل ميتا فليغتسل**»(٥).

٨- اغتسال من دفن مشركا

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه أتى النبي ﷺ فقال: إن أبا طالب مات، **فقال: «اذهب فواره»**. فلما واريته رجعت إليه، فقال لي: «**اغتسل**»(٦).

---

(١) البخاري (١ ٦٨٧)، ومسلم (١ ٤١٨).

(٢) أبو داود (١ ٢٨٩)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

(٣) أبو داود (١٢٩١)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٧٣).

(٤) ابن ماجه (١ ٥٩٠)، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٤٨٠).

(٥) ابن ماجه (١ ١٤٦٣)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١١٩٥).

(٦) أبو داود (٩ ٣١٩٨)، والنسائي (١ ١١٠) وصححه الألباني (جنائز ١٣٤).



فوائد الغسل الصحية

١- إزالة الإفرازات العرقية والدهنية.

٢- إزالة رائحة العرق الكريهة.

٣- إزالة الغبار والأوساخ العالقة بالجلد.

٤- وقاية الجلد من الميكروبات والجراثيم السطحية.

الاغتسال من الجنابة وقاية

قال الدكتور قاسم سويدان: تبين الدارسات الحديثة حول العلاقة الجنسية، أن الجماع وقذف المني بأي سبب كان يؤدي إلى فتور وارتخاء يعبر عنه طبيا بوهن شديد في الأعصاب، وعند وصول الزوجين إلى القذف واللذة، ويحصل توسع في الأوعية الدموية المحيطة، مما يؤدي بصاحبه إلى فقدان قسط كبير من نشاطه العقلي والفكري، وإن الاغتسال عندها ينبه الشبكات العصبية والحسية لتوقظ الجهاز العصبي من سباته؛ ليسترجع بذلك حيويته ونشاطه كما ينشط الدورة الدموية، ويعيد إليه توازنه، إذا يتسبب عند اللقاء الجنسي وهن نفسي ورغبة في النوم، وعملية الاغتسال تفيد بتنشيط الجسم والروح، ويحس المغتسل بالبهجة والانشراح والفرح والسرور.

وقال الدكتور إبراهيم الراوي: إن وجوب الاغتسال بعد الجماع يحد من خطر الإفراط الجنسي، والذي يؤدي بصاحبه إلى الهلاك والمرض؛ فإن التفكير في الاغتسال والإعداد له يجبر المرء على الاعتدال في طلب اللقاء الجنسي، ويحفظ بذلك قدرته وحيويته لعمر مديد، وتدعو التوجيهات الصحية إلى الاغتسال عقب كل مجهود عضلي كبير وبعد التمرينات الرياضية الشاقة؛ فالاغتسال يزيل آثار الجهد العضلي[١].

الوضوء وقاية

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى

---

(١) الطب منبر الإسلام. د قاسم سويدان (بتصرف واختصار).

﴿ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦].

وقال ﷺ: «أسبغ الوضوء، وخلل بين الأصابع، وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائما»[١].

وقال ﷺ: «إذا توضأ أحدكم فليجعل في أنفه ماء، ثم ليستنثر»[٢]. وهل أمرنا ربنا إلا بما فيه صلاحنا، وهل دلنا نبينا إلا بما فيه فلاحنا؟!

تصريحات علمية وعالمية عن فوائد الوضوء الصحية والوقائية:

قال الدكتور أحمد شوقي: توصل العلماء أن سقوط أشعة الضوء على الماء أثناء الوضوء يؤدي إلى انطلاق أيونات سالبة ويقلل الأيونات الموجبة، مما يؤدي إلى استرخاء الأعصاب والعضلات، ويتخلص الجسم من ارتفاع ضغط الدم والآلام العضلية وحالات القلق والأرق.

ثبت أن المضمضة تحفظ الفم والبلعوم من الالتهابات ومن تقيح اللثة، وتقي الأسنان من النخر بإزالة الفضلات الطعامية التي فيها، ولغسل الوجه واليدين إلى المرفقين فائدة لإزالة الغبار وما يحتوي عليه من الجراثيم فضلا عن تنظيف البشرة من المواد الدهنية التي تفرزها الغدد الجلدية بالإضافة إلى إزالة العرق.

وقد ثبت أن الدورة الدموية في الأطراف العلوية من اليدين والساعدين والأطراف السفلية من القدمين والساقين أضعف منها في الأعضاء الأخرى لبعدها عن المركز[٣]، وإن غسلها مع دلكها يقوي الدورة الدموية لهذه الأعضاء من الجسم مما يزيد في النشاط الشخصي وفاعليته، ومن أجل ذلك كله يتجلى الإعجاز العلمي في مشروعية الوضوء في الإسلام.

وقد ثبت علميا أن الميكروبات لا تهاجم جلد الإنسان إلا إذا أهمل نظافته، وأن

---

(١) الترمذي وصححه الألباني. انظر: صحيح الجامع (٩٢٧).

(٢) متفق عليه.

(٣) يعني القلب.

الإنسان إذا مكث فترة طويلة بدون غسل لأعضائه فإن إفرازات الجلد المختلفة من دهون وعرق تتراكم على سطح الجلد محدثة حكة شديدة، وهذه الحكة غالبا تكون بأظافر غير نظيفة تدخل الميكروبات إلى الجلد، وكذلك الإفرازات المتراكمة هي دعوة للبكتيريا؛ كي تنمو وتتكاثر.

وقد أثبت البحث العلمي الحديث أن جلد اليدين يحمل العديد من الميكروبات التي قد تنتقل إلى الفم أو الأنف عند عدم غسلهما ولذلك يجب غسل اليدين جيدا عند البدء في الوضوء.

وأكد أحد العلماء الأمريكيين أن للماء قوة سحرية، بل إن رذاذ الماء على الوجه واليدين (يعني الوضوء) هو أفضل وسيلة للاسترخاء وإزالة التوتر.

الصلاة وقاية

فضل المشي إلى الصلوات

الفضائل الشرعية للمشي إلى الصلوات

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلا كلما غدا أو راح**»[1].

وعنه أن النبي ﷺ قال: «**من تطهر في بيته ثم مضى إلى بيت من بيوت الله، ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطواته إحداها تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة**»[2].

وعنه أن النبي ﷺ قال: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟**» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «**إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط فذلكم الرباط**»[3].

وعن بريدة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**بشروا المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام**

---

(١) البخاري (٢ ١٢٤)، ومسلم (٦٦٩).

(٢) مسلم (٦٦٦).

(٣) مسلم (٢٥١).

يوم القيامة»[١].

وعن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن أعظم الناس أجرا في الصلاة أبعدهم إليها ممشى فأبعدهم، والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام أعظم أجرا من الذي يصلي ثم ينام»**[٢].

فوائد المشي الطبية

١- اكتشف العلماء أن المشي ينظم التنفس، ويفيد القلب والرئتين ويحسن الدورة الدموية.

٢- والمشي من الرياضة المتوسطة الإجهاد التي تساعد في الحفاظ على اللياقة البدنية والرشاقة الجسدية عن طريق حرق الطاقة الزائدة.

٣- ويقوي المشي العضلات والجهاز الدوري، ويحسن من استخدام الأوكسجين والطاقة في الجسم، ولذلك يقلل من المخاطر المرتبطة بالسمنة والسكر وسرطان القولون وأمراض القلب.

٤- والمشي بقامة مستقيمة متزنة يقوي عضلات الأرجل والبطن والظهر ويقوي العظام ويمنع إصابتها بالهشاشة.

٥- ويفيد المشي في التخلص من الضغوط النفسية والاضطرابات العصبية والإجهاد اليومي، ويحسن من الوضع النفسي ومن تجاوب الجهاز العصبي ونشاطه.

٦- وأكدت مجلة BMT الشهيرة في مقالة لها أنه للوقاية من أمراض الشرايين وتصلبها، يجب على الإنسان أن يمارس نوعا من أنواع الرياضة البدنية؛ كالمشي السريع، أو الجري، أو السباحة لمدة (٢٠- ٣٠) دقيقة مرتين أو ثلاثة في الأسبوع[٣].

---

(١) أبو داود (٥٦١)، والترمذي (٢٢٣)، وابن ماجه (٧٨١)، وصححه الألباني. انظر: صحيح الجامع (٢٨٢٣).

(٢) البخاري (٢ ١١٦)، ومسلم (٦٦٢).

(٣) إسلام أون لاين ٢٠ ٨ ٢٠٠١م.

فوائد الصلاة

١- الصلاة مدرسة المؤمنين، وحفظ من رب العالمين، ودرع ضد همزات الشياطين.

٢- الصلاة تهدئ النفس، وتطمئن القلب، وتشرح الصدر، وتريح البال.

٣- الصلاة تنشط المخ، وتحفظ الذهن والعقل.

٤- الصلاة تحمي الإنسان من قرح الظهر وقرح الفراش التي تصيب قليلي الحركة.

٥- الصلاة تحمي الإنسان من جلطات الساق بسبب الانحناءات المتكررة فيها.

فضائل قيام الليل

الفضائل الشرعية لقيام الليل

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«يعقد الشيطان على قافية رأس(١) أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله تعالى، انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان»(٢)**.

وعن عبد الله بن سلام ﷺ أن النبي ﷺ قال: **«يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»(٣)**.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل»(٤)**.

وعن جابر ﷺ قال: سئل رسول الله ﷺ: أي الصلاة أفضل؟ قال: **«طول القنوت(٥)»(٦)**.

---

(١) قافية الرأس: آخره.

(٢) البخاري (٣٠٢٠، ٢١)، ومسلم (٧٧٦).

(٣) الترمذي (٢٤٨٧)، وصححه الألباني ... انظر: صحيح الجامع (٧٨٦٥).

(٤) مسلم (١١٦٣).

(٥) المراد بالقنوت هنا: القيام.

(٦) مسلم (٧٥٦).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«أحب الصلاة إلى الله صلاة داود وأحب الصيام إلى الله صيام داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه، ويصوم يوما، ويفطر يوما»**(١).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء»**(٢).

وعن أبي هريرة وأبي سعيدﷺ قالا: قال رسول الله ﷺ: **«إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا، أو صلى ركعتين جميعا كتبا في الذاكرين والذاكرات»**(٣).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»**(٤).

الفوائد الطبية لقيام الليل

١- يؤدي قيام الليل إلى تقليل إفراز هرمون ACTH خصوصا قبل الاستيقاظ بعدة ساعات، وهو ما يتوافق زمنيا مع وقت السحر، مما يقي من الزيادة المفاجئة في مستوى سكر الدم، والذي يشكل خطرا على مرضى السكر.

٢- ويقلل كذلك من الارتفاع المفاجئ في ضغط الدم، ويقي من السكتة المميتة والأزمات القلبية في المرضى المعرضين لذلك.

٢- كذلك يقلل من مخاطر تخثر الدم في وريد العين الشبكي، الذي يحدث نتيجة لبطء سريان الدم في أثناء النوم، وزيادة لزوجة الدم بسبب قلة تناول السوائل أو فقدانها أو بسبب السمنة المفرطة وصعوبة التنفس، مما يعوق ارتجاع الدم الوريدي من الرأس.

---

(١) البخاري (١٣١٣، ١٤)، ومسلم (٢ ١١٦٢).

(٢) أبو داود (١٣٠٨)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١١٦٠) وقال: حسن صحيح.

(٣) أبو داود (١٣٠٩)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١١٦١).

(٤) البخاري (٤ ٢١٧)، ومسلم (٧٥٩).

٤- ويؤدي قيام الليل إلى تحسن عند مرضى التهاب المفاصل المختلفة سواء كانت الروماتيزمية أو غيرها نتيجة الحركة الخفيفة والتدليك بالماء عند الوضوء.

٥- ويؤدي قيام الليل إلى التخلص من الدهون الثلاثية التي تتراكم في الدم خصوصا بعد تناول العشاء المحتوى على نسبة عالية من الدهون، والتي تزيد من مخاطر الإصابة بأمراض الشرايين، والشرايين التاجية بنسبة ٣٢٪ في هؤلاء المرضى بخلاف غيرهم.

٦- قيام الليل له دور كبير في تنشيط الذاكرة وتنبيه المخ ووظائفه المختلفة، وكذلك يعمل على قوة التركيز والانتباه لدى المعتادين عليه، لما فيه من قراءة مع خشوع وخضوع وتدبر وتفكر في آيات القرآن، وذكر للأدعية، واسترجاع للأذكار الخاصة في الصلاة.

٨- ويقي قيام الليل من مخاطر الشيخوخة وأمراضها.

٩- كذلك يقي قيام الليل من أمراض كثيرة وأدواء خطيرة؛ كمرض الزهايمر، والاكتئاب، وأمراض الأذنين والطنين وغيرها.

الصيام وقاية

فضائل الصيام الشرعية

١- فضائل صوم رمضان

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»**(١).

وعنه أن النبي ﷺ قال: **«قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي، وأنا أجزي به، والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث(٢)، ولا يصخب(٣)، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني صائم. والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه(٤)»**.

وعن سهل بن سعد ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«إن في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون، لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد»**(٥).

٢- فضل صيام يوم في سبيل الله تعالى

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من عبد يصوم يوما في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفا»**(٦).

٣- فضل صيام يوم عرفة ويوم عاشوراء

عن أبي قتادة ﷺ قال: سئل رسول الله ﷺ، عن صوم يوم عرفة فقال: **«يكفر السنة**

---

(١) البخاري (٤ ٢٢١)، ومسلم (٧٦٠).

(٢) الرفث: الكلام الفاحش.

(٣) الصخب: اللغط.

(٤) البخاري (٤ ٨٨، ٩٤)، ومسلم (١١٥١).

(٥) البخاري (٤ ٩٥، ٩٦)، ومسلم (١١٥٢).

(٦) البخاري (٦ ٣٥)، ومسلم (١١٥٣).

الماضية والباقية»، وسئل عن صيام يوم عاشوراء فقال: «يكفر السنة الماضية»[١].

٤- فضل صوم يوم الإثنين والخميس

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم**[٢]».

٥- فضل صوم ثلاثة أيام من كل شهر

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر كله**»[٣].

٦- فضل إتباع صيام رمضان بست من شوال

عن أبي ايوب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر**»[٤].

٧- فضل صوم شهر الله المحرم

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل**»[٥].

فوائد الصيام الطبية

١- يقوي الصيام النشاط الذهني العقلي عند الصائم.

٢- يخلص الصيام الجسم من الدهون والكوليسترول الزائد بالجسم.

٣- يقي الصيام من مخاطر الإصابة بتصلب الشرايين وأمراض القلب.

٤- يقلل الصيام من مستوى السكر بالدم مما يفيد مرضى ارتفاع السكر بالدم في

---

(١) مسلم (١١٦٢).

(٢) الترمذي (٧٤٧)، وحسنه الألباني، انظر: صحيح الجامع (٢٩٥٩).

(٣) البخاري (١٩٢٤)، ومسلم (١١٥٩).

(٤) مسلم (١١٦٤).

(٥) مسلم (١١٦٣).

ضبط مستوى السكر عندهم.

٥- يقي الصيام الجسم من مخاطر السمنة والبدانة والتخمة.

المعالجة بالصوم

في عام ١٩٢٨م ألقى الدكتور (وترمان) في المؤتمر الثامن لاختصاص الحمية الغذائية في أمستردام محاضرة دعا فيها إلى استخدام الجوع على فترات متقطعة في الممارسة الطبية، وقد أقر المجتمعون فائدة الصيام لمعالجة الأمراض الناجمة عن فرط التغذية، أو اضطراب الاستقلاب، وفي حالات تصلب الشرايين وارتفاع ضغط الدم وفي علاج الاختلاجات العضلية.

وفي عام ١٩٤١ صدر كتاب المعالجة بالصوم كطريقة بيولوجية (لبوخنجر)، وشرح فيه كيفية استخدام الصوم في معالجة كثير من الأمراض المستعصية، وبين أن الجوع يغير من تركيب البنية العضوية للجسم ويؤدي إلى طرح السموم منه.

وتوصي كتب الطب الإنسان البدين بالصيام لبضعة أيام كل أسبوع (حيث يساعد ذلك كثيرا في تخليص جسمه من الدهون المتراكمة، وتقليل وزنه إلى الحد الطبيعي الذي يستطيع معه ممارسة كافة أعماله اليومية وأشغاله الروتينية بشكل طبيعي، لا صعوبة فيه ولا مشقة).

وهناك مدارس توصي بالصيام عن الطعام لمدد زمنية مختلفة، ويرى (فيروتوف) أن البدين (السمين) يتحمل الجوع بشكل جيد ويوصيه بالصوم لمدة (٥- ١٥) يوما يعقب ذلك فترات استراحة يتناول فيها المريض وجبات خفيفة، ولم يلاحظ عند المعالجين من المرضى أي اضطرابات في حالاتهم الصحية أو تغيرات مخبرية مرضية.

وصدق الله العظيم: ﴿وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

٦- يساعد الصيام في تقليل وزن المرضى المصابين بالسمنة والبدانة.

٧- يكسب الصوم خفة في الحركة ونشاطا في العقل.

٨- يساعد الصيام في ضبط مواعيد الغذاء اليومي مما يفيد الجسم صحيا.



الفائدة الطبية لصيام أيام البيض

أولا: التحديد النبوي لأيام البيض

عن أبي الدرداء ﷺ قال: أوصاني حبيبي ﷺ بثلاث لم أدعهن ما عشت: **بصيام ثلاثة** أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، وبأن لا أنام حتى أوتر[1]. وعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا صمت من الشهر ثلاثا، فصم ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة**»[2].

ثانيا: الحكمة النبوية والفائدة الطبية لصيام أيام البيض

قال الدكتور ليبر (عالم النفس بميامي بالولايات المتحدة): **إن هناك علاقة قوية بين** العدوان البشري والدورة القمرية، وخاصة بينه وبين **مدمني الكحول وذوي الميل إلى** الحوادث والنزعات الإجرامية، وأولئك الذي **يعانون من عدم الاستقرار العقلي** والعاطفي، ويشرح ليبر نظريته قائلا: **إن جسم الإنسان مثل الأرض يتكون من ٨٠٪ من** الماء والباقي هو المواد الصلبة، ومن ثم **يعتقد أن جاذبية القمر التي تسبب المد والتجزر في** البحار والمحيطات تسبب أيضا المد في أجسامنا عندما **يبلغ القمر أوج اكتماله في أيام** البيض.

وهنا تلمس الحكمة النبوية والفائدة الطبية لصيام أيام البيض بالذات دون غيرها من أيام الشهر تخصيصا.

أكل الفواكه قبل الطعام صحة بدنية، ووقاية طبية

اعتاد كثير من الناس أكل الفاكهة بعد الطعام لا قبله وهذا مخالف لهدي النبي وشرع الرب العلي[3] **بل عكس ذلك هو الصحيح طبيا فضلا عن كونه هديا نبويا وشرعا ربانيا** فقد جاء في كتاب الله تقديم الفاكهة على الطعام (كاللحوم مثلا).

كما قال تعالى: ﴿ **وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ** ﴾ [الواقعة: ٢٠،

---

(١) مسلم (٧٢٢).

(٢) الترمذي (٧٦١)، وصححه الألباني، انظر: صحيح الجامع (٦٧٣).

(٣) ليس بمحرم، ولكنه غير صحي.

٢١]، وقال تعالى: ﴿ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [الطور: ٢٢].

وجاء في سنة النبي الأمين ﷺ، عن أنس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ **يفطر قبل أن** يصلي على رطبات، فإن لم تكن رطبات فتميرات، فإن لم تكن تميرات حسا حسوات من ماء[١].

تصريح طبي

صرح الطب الحديث بأن تناول الفاكهة قبل الوجبة الغذائية له فوائد صحية؛ لأن الفاكهة تحتوي على سكريات بسيطة سهلة الهضم وسريعة الامتصاص، وتمتص الأمعاء هذه السكريات في مدة قصيرة فيرتوي الجسم، وتزول أعراض الجوع ونقص السكر، في حين أن الذي يملأ معدته مباشرة بالطعام المتنوع يحتاج إلى ما يقارب ثلاث ساعات حتى تمتص أمعاؤه ما يكون في غذائه من سكر وتبقى عنده أعراض الجوع لفترة أطول.

وإن السكريات البسيطة بالإضافة إلى أنها سهلة الهضم والامتصاص فإنها مصدر الطاقة الأساسي لخلايا الجسم المختلفة[٢].

أضرار الإسراف في الطعام وأخطاره

١- الإسراف في الطعام يبغضه الرب العلي؛ قال تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١].

٢- الإسراف في الطعام مخالفة للهدي النبوي: قال رسول الله ﷺ: **«ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا بد فاعلا، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»**[٣].

٣- قال ابن القيم: الشبع المفرط يضعف القوى والبدن وإن أخصبه، وإنما يقوى

(١) أبو داود (٢٣٥٦)، والترمذي (٦٩٤)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٠٦٥).

(٢) مع الطب في القرآن، د عبد الحميد دياب.

(٣) الترمذي (١٣٨١)، وابن ماجه (٣٣٤٩)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٧٠٤).



البدن بحسب ما يقبل من الغذاء، لا بحسب كثرته[(١)] .

٤- قال ابن ماسويه (تعليقًا على حديث النبي السابق): لو استعمل الناس هذه الكلمات لسلموا من الأمراض والأسقام، ولتعطّلت المارشايات (المستشفيات) ودكاكين الصيادلة.

٥- يُسبب الإسرافُ التخمة وعسر الهضم.

٦- التهام كمية كبيرة من الطعام قد تؤدي إلى هجمة خناق صدري، وخاصة إذا كانت الوجبة دسمة، وهي حالة من الألم الشديد خلف القصّ تمتد إلى الكتف والذراع الأيسر والفك السفلي، بسبب نقص التروية القلبية (وتسمى طبيًّا بالذبحة الصدرية)، وتظهر هذه الحالة غالبًا عند المصابين بأمراض الأوعية الدموية القلبية إثر الجهد، فالوجبة الغذائية الكبيرة تشكّل على القلب عبئًا يماثل العبء الذي ينتج عن الجهد العنيف.

التهام الطعام قد يؤدي إلى الإصابة ببعض الجراثيم كالكوليرا والتيفويد وغيرهما، وذلك لعدم تعرض كامل الطعام لحموضة المعدة والهضم المبدئي في المعدة، حيث إن حموضة المعدة هي المسئولة عن القضاء على هذه الجراثيم.

٧- توسع المعدة الحاد، وهي حالةٌ خطيرةٌ قد تؤدي إلى الوفاة.

٨- تكون المعدة الممتلئة أكثر عُرضةً للتمزق إذا تعرَّضت لمرضٍ خارجي من المعدة الفارغة، وقد يتعرَّض المرءُ للموت بالنهى القلبي **Vagal Inhinition** إذا تعرض للضرب على المنطقة الفوقية للمعدة.

٩- انفتالُ المعدة: وهي إصابةٌ خطيرةٌ ونادرةٌ تحدث بسبب حركة معاكسة للأمعاء بعد امتلاء المعدة الزائد بالطعام.

١٠- السمنة والبدانة: مرضٌ خطيرٌ ينتشر غالبًا في أوساط الأثرياء ويحصل نتيجة الإكثار من الطعام وخاصة السكريات والدهون وبشكل خاص عند الأفراد الذين لديهم

---

(١) الطب النبوي (١٩).

استعداد وراثي.

١١- الشره ضار بالنفس والفكر، فكثرة الأكل تؤدي إلى جمود النفس وبلادة في التفكير، وميل إلى النوم.

١٢- تصلب الشرايين، وهو مرض خطير يلاحظ عند هؤلاء الذين يتناولون كميات كبيرة من الدسم والدهون حيث يصابون بفرط تدسم الدم.

١٣- النقرس (داء الملوك): وهو ألم مفصلي يأتي في شكل هجمات عنيفة وخاصة في مفاصل القدم والإبهام، ويلاحظ بشكل أكبر عند هؤلاء الذي يتناولون اللحوم بكميات كبيرة.

١٤- نخر الأسنان: وهو من الأمراض الشائعة بسبب الإكثار من تناول السكريات الصناعية، خاصة تلك التي تسمح بتخميرها للعصيات اللبنية بالنمو في جوف الفم.

أخطار السمنة

قال الدكتور محمد زكي شافعي(١):

١- إن من أخطار السمنة الاستعداد للأمراض المعدية والحادة.

٢- والإنذار السيئ للعمليات الجراحية.

٣- وكذلك الالتهاب بالحوصلة المرارية وحصواتها.

٤- والتهاب المفاصل ودوالي الأطراف.

٥- وارتشاح عضلة القلب والنزلة الشعبية المزمنة والذبحة الصدرية.

وقال: والتوقي من السمنة أول ما يلزم المستعدين لها القابلة أجسامهم لها، وذلك بالإقلال من الطعام، وعدم الإسراف فيه، كما أمر بذلك الله الخالق: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[الملك: ١٤]، وقد سبب ذلك عدم العلم بهذه الآية الشريفة: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[الأعراف: ٣١]

---

(١) زميل معهد الصحة العالمية بلندن.

وقال الدكتور سالم محمد: إن القلب هو مضخة ماصة كابسة يرفع الدم من هنا ليدفعه إلى هناك، وهو عضو في الجسم عليه أن يؤدي عمله المستمر الذي لا ينقطع، ولا شك أن القلب الذي يقوم بالخدمة لجسم يزن ثمانية كيلو جرامات أقل جهدا وإرهاقا من مثيله الذي يخدم جسما يزن مائة كيلو جرام، وكلنا يعلم أن الساقية التي تقوم بري ثلاثين فدانا أكثر جهدا وإرهاقا، وتبلى أسرع من أخت لها تقوم بخدمة عشرة فدادين، ويعبر عن الأخيرة بالساقية المرتاحة، فما بال الإنسان لا يريح قلبه فيخفف من العبء الملقى على عاتقه بأن يخفف من وزنه ويضبط أكله وشربه من غير ما تفريط ولا إفراط ولا إسراف في الطعام والشراب[1].

أضرار الأكل بالشمال وأخطاره

١ - مخالفة أمر النبي الكريم (بالأكل باليمين).

٢ - التشبه بالشياطين؛ فإن الشياطين يأكلون ويشربون بشمائلهم، فليحذر الذين يتشبهون بالشياطين من فعلهم هذا فإنه موجب لغضب الله -عز وجل.

٣ - التشبه بالكافرين؛ فإن الكافرين يأكلون بشمائلهم وقد حذر النبي المصطفى ﷺ من التشبه بالمخالفين العاصين أو الكافرين، فقد صح عنه ﷺ قوله: «من تشبه بقوم فهو منهم».

٤ - انتشار الطفيليات والأمراض؛ فهؤلاء الذين يأكلون بشمائلهم يستنجون بشمائلهم أيضا (في الغالب)؛ لذا فإن احتمالية إصابتهم بالطفيليات الممرضة والمتنقلة عبر البراز، خاصة عدم غسل الأيدي جيدا قبل الطعام تكون أكبر ما يكون، فضلا عن المخالفات والأضرار السابقة.

٥ - مخالفة الأعراف والتقاليد والفطرة السوية، فكيف لعاقل رشيد -لم يختل عقله، ولم تشوه فطرته- أن يأكل بتلك اليد التي يستنجي بها، وإنه لمن العرف المشهور والتقاليد المعروفة في أوساط المسلمين الأكل باليمين والاستنجاء بالشمال.

---

(١) الإشارات العلمية في الآيات القرآنية (١٣٢، ١٣٣)، بتصرف.

٦- استياء الناظرين، وكراهية المشاهدين، من الجالسين على مائدة واحدة من هذا الذي يأكل بشماله.

٧- العقاب الإلهي الفوري من الرب العلي، وبه أحذر كل مخالف لسنة النبي الأمين ولهدي الرسول الكريم، فقد خالف رجل بأكله بشماله والنبي شاهد لذلك على سلمة بن الأكوع فشلت يد الرجل على الفور.

الوقاية الصحية باجتناب الميتة، ولحم الخنزير، والمنخنقة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة، وما أكل السبع

قال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣].

في رحاب التفسير

قال ابن كثير رحمه الله: يخبر تعالى عباده خبرا متضمنا النهي عن تعاطي هذه المحرمات من الميتة، وهي ما مات من الحيوان حتف أنفه من غير ذكاة ولا اصطياد، وما ذاك إلا لما فيه من المضرة، ولما فيها من الدم المحتقن، فهي ضارة للدين والبدن، فلهذا حرمها الله -عز وجل، ويستثنى من الميتة السمك؛ فإنه حلال سواء مات بتذكية أو غيرها، لما رواه مالك في موطئه، والشافعي وأحمد في مسنديهما، وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه في سننهم، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ سئل عن ماء البحر، فقال: «**هو الطهور ماؤه الحل ميتته**» وكذلك الجراد.

وقوله: (والدم) ويعني به: المسفوح، كقوله: ﴿ أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا ﴾ [الأنعام: ١٤٥] قاله ابن عباس وسعيد بن جبير.

وروى ابن أبي حاتم عن عكرمة عن ابن عباس أنه سئل عن الطحال، فقال: كلوه، فقالوا: إنه دم!! فقال: إنما حرم عليكم الدم المسفوح، وكذا رواه القاسم عن عائشة رضي الله عنها قالت: إنما نهي عن الدم المسفوح، وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أحل لنا**

ميتان ودمان، فأما الميتتان: فالسمك والجراد، وأما الدمان: فالكبد والطحال»[١].

قوله: (ولحم الخنزير) يعني: إنسيه ووحشيه، واللحم يعم جميع أجزائه حتى الشحم.

وفي صحيح مسلم عن بريدة بن الخصيب الأسلمي، قال: قال رسول الله ﷺ: «من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم الخنزير ودمه»[٢]، فإذا كان هذا التنفير لمجرد اللمس، فكيف يكون التهديد والوعيد الأكيد على أكله والتغذي به؟! وفيه دلالة على شمول اللحم لجميع الأجزاء من الشحم وغيره، وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام» فقيل: يا رسول الله، أرأيت شحوم الميتة؛ فإنها تطلى بها السفن، وتدهن بها الجلود، ويستصبح بها الناس؟ قال: «لا هو حرام»[٣].

وقوله: (وما أهل لغير الله به) أي: ما ذبح فذكر عليه اسم غير الله فهو حرام؛ لأن الله تعالى أوجب أن تذبح مخلوقاته على اسمه العظيم، فمتى عدل بها عن ذلك، وذكر عليها اسم غيره من صنم، أو طاغوت، أو وثن، أو غير ذلك من سائر المخلوقات فإنها حرام بالإجماع.

وقوله: (والمنخنقة)؛ وهي التي تموت بالخنق إما قصدا، وإما اتفاقا بأن تتخبل في وثاقتها فتموت به، فهي حرام.

وأما (الموقوذة): فهي التي تضرب بشيء ثقيل غير محدد حتى تموت، كما قال ابن عباس، وغير واحد: هي التي تضرب بالخشبة حتى يوقذها فتموت، قال قتادة: كان أهل الجاهلية يضربونها بالعصى حتى إذا ماتت أكلوها، وفي الصحيحين أن عدي بن حاتم قال: قلت: يا رسول الله إني أرمي بالمعراض الصيد فأصيب، قال: «إذا رميت بالمعراض فخزق فكله، وإن أصاب بعرضه فإنما هو وقيذ فلا تأكله».

---

(١) صحيح: الصحيحة (١١١٨).

(٢) مسلم: (١٢٦٠).

(٣) متفق عليه.

وأما المتردية فهي التي تقع من شاهق أو موضع عال فتموت بذلك فلا تحل، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: المتردية هي التي تسقط من جبل، وقال قتادة: هي التي تتردى في بئر، وقال السدي: هي التي تقع من جبل، أو تتردى في بئر.

وأما النطيحة: فهي التي ماتت بسبب نطح غيرها لها، فهي حرام وإن جرحها القرن، وخرج منها الدم، ولو من مذبحها، والنطيحة فعيلة بمعنى مفعولة أي: منطوحة.

(وما أكل السبع): أي ما عدا عليها أسد، أو فهد، أو نمر، أو ذئب، أو كلب، فأكل بعضها فماتت بذلك فهي حرام، وإن كان قد سال منها الدم ولو من مذبحها فلا تحل بالإجماع، وقد كان أهل الجاهلية يأكلون ما أفضل السبع من الشاة، أو البعير، أو البقرة، أو نحو ذلك فحرم الله ذلك على المؤمنين.

وقوله (إلا ما ذكيتم): عائد على ما يمكن عوده عليه مما انعقد سبب موته فأمكن تداركه بذكاة، وفيه حياة مستقرة، وذلك إنما يعود على قوله: (والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع).

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: (إلا ما ذكيتم) يقول: إلا ما ذبحتم من هؤلاء وفيه روح فكلوه فهو ذكي، وكذا روي عن سعيد بن جبير والحسن البصري والسدى، وروى ابن جرير عن علي قال: إذا أدركت ذكاة الموقوذة، والمتردية، والنطيحة وهي تحرك يدا أو رجلا فكلها.

وهكذا روي عن طاوس، والحسن، وقتادة، وعبيد بن عمير، والضحاك، وغير واحد أن المذكاة من تحركت بحركة تدل على بقاء الحياة فيها بعد الذبح فهي حلال، وهذا مذهب جمهور الفقهاء، وبه قال أبو حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل.

وقوله: (وما ذبح على النصب) قال مجاهد وابن جريج: كانت النصب حجارة حول الكعبة، قال ابن جريج وهي ثلاثمائة وستون نصبا، كانت العرب في جاهليتها يذبحون عندها وينضحون ما أقبل منها إلى البيت بدماء تلك الذبائح، ويشرحون اللحم، ويضعونه على النصب، وكذا ذكره غير واحد، فنهى الله المؤمنين عن هذا الصنيع، وحرم عليهم أكل هذه الذبائح التي ذبحت عند النصب، حتى ولو كان يذكر عليها اسم الله في الذبح عند النصب من الشرك الذي حرمه الله ورسوله، وينبغي أن يحمل هذا على هذا؛

لأنه قد تقدم تحريم ما أهل به لغير الله.

وقوله تعالى: (وأن تستقسموا بالأزلام) أي: حرم عليكم أيها المؤمنون الاستقسام بالأزلام، واحدها (مفردها) زلم، قد كانت العرب في جاهليتها يتعاطون ذلك، روى ابن أبي حاتم عن عطاء عن ابن عباس، (وأن تستقسموا بالأزلام) قال: والأزلام قداح كانوا يستقسمون بها في الأمور.

وكذا روي عن مجاهد، وإبراهيم النخعي، والحسن البصري، ومقاتل بن حيان، وثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ لما دخل الكعبة وجد إبراهيم وإسماعيل مصورين فيها وفي أيديهما الأزلام، فقال: «قاتلهم الله لقد علموا أنهما لم يستقسما بها أبدا»[1].

الوقاية الصحية باجتناب أكل الميتة

قال الشيخ الزنداني: كانت العرب يمتدحون الميتة، ويفضلونها على ما يذبح، ويقولون: ما أماته الله خير مما أمتناه، لكن الله تعالى جاء بتحريم أكل الميتة صراحة في القرآن بقوله: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ ﴾، ويأتي علم الكائنات الدقيقة بدقائق هذا التحريم وأسراره، ووجد العلماء أن جسم الحيوان محصن ضد غزو الجراثيم ما دام الحيوان حيا، ولكن بمجرد موتها بعد (٥- ٦) ساعات، تتحول جثة الحيوان إلى مستودع للجراثيم والعفونات.

وقال الدكتور جون هانفر: إن القوانين عندنا في أوروبا تحرم جميع أنواع الميتة[2]، وقد انتهى أكل الميتة عندهم، فما أحد يأكلها، وهذا ممنوع، ولكن متى عرفوا هذا[3]؟! الآن بعد اكتشاف الجراثيم، وقد عرفه المسلمون قديما منذ عرفوا القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرنا من الزمان.

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير (١ ٥٧٦ - ٥٨٣) باختصار.

(٢) من الجدير بالذكر أن قتل الحيوانات والطيور يكون غالبا بالصعق الكهربائي، وهذا ما زال منتشرا في كثير من البلدان الأوروبية والأمريكية وغيرها.

(٣) يعني: أضرار أكل الميتة.

الوقاية الصحية باجتناب أكل الدم

قال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ ﴾ واستثنى من الدم: الكبد والطحال كما صح عن النبيﷺ في حديث سبق ذكره، ولكن ما هي وجوه التفاسير الطبية في الحكمة النبوية الربانية من تحريم أكل الدم؟

سأل الشيخ الزنداني الدكتور جون هانفر: هل الدم محرم عندكم؟ قال: لا، نحن ما نزال نأكله، فسأله الزنداني سؤالا آخر: ما الخطورة التي تصيب الدم من الجراثيم؟ قال: الدم إذا سقط عليه الجراثيم من السكين، أو من يد الجزار فإنها تتولد بسرعة هائلة، وتغزو الدم كله، وتتغذى بمواد الدم، والدم مادة خصبة لنمو هذه الجراثيم، وتستطيع هذه الكائنات أن تتحرك إلى أسفل نقطة من الدم في الإناء، وخاصة الجراثيم، فإن لها أسواطا تتحرك بها، فلو جئت بجرام من الدم، وجرام من اللحم، وحسبت عدد الجراثيم المتولدة في جرام من الدم وجرام من اللحم بعد خمس ساعات أو ست ساعات، ستجد فروقا هائلة جدا جدا، ستجد أن الدم قد أصبح مستودعا للجراثيم، بينما اللحم لا، لماذا؟ لأن الجراثيم تسقط على السطح، ولأن السطح صلب لا تستطيع الجراثيم أن تخترقه، وبالتالي تفقد غذاءها، فلا تتكاثر ولا تنمو. فاللحم إذا ليس بخطر على الصحة ، ولكن الدم يمثل خطرا كبيرا على الصحة، مع أن الدم من نفس الحيوان، فاللحم مباح، والدم حرام، ما السبب؟! تأتي الكشوف العلمية وتبين لنا هذه الأسباب إلى جانب من الهضم والمواد والفضلات التي تكون في الدم.

الوقاية الصحية باجتناب أكل لحم الخنزير

قال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾ [المائدة: ٣].

وأضع بين يديك الآن ملخصا لحوار علمي بين هيئة الإعجاز والدكتور جون هانفر حول جرثومة بلحم الخنزير تسبب أمراضا خطيرة.

قال متحدث الهيئة: بلغنا أنكم اكتشفتم جرثومة جديدة في لحم الخنزير، فهل هذا صحيح؟ قال الدكتور جون هانفر: الكلام الذي صرحت به يدور حول جرثومة خطيرة يحملها الخنزير، وأنا لم أنشر الكثير عن هذا الموضوع غير ما كتب في الصحف والمجلات الطبية؛ لأنه ليس بالشيء الجديد، بل هو معروف في معظم أنحاء العالم، وهذا المرض الذي تسببه الجرثومة يظهر بأعراض ثلاثة:

١- إسهال شديد.

٢- آلام بالمعدة تشبه أعراض الزائدة الدودية.

٣- حمى مصاحبة بارتفاع درجة الحرارة لفترة من الوقت.

وقال الدكتور جون هانفر: وتكمن خطورة هذا المرض في أنه يظهر بأعراض أمراض أخرى مثل الروماتيزم في المفاصل، والذي يبدأ بآلام في العظام، وينتهي في المفاصل، وقد ينتهي إلى روماتيزم القلب، أو إلى روماتيزم الكلى، كما تظهر بعض الأعراض التي تداخل مع بعض الأمراض الجلدية، وهذا ما كان يهمني كثيرا في استمرار البحث عن حقيقة المرض، ويشاركني في ذلك بعض الأطباء بمدينة (مالمو) بالسويد وفنلندا.

وقال أيضا: عند دراسة عدة أمراض وبائية وجد أن الجرثومة التي اكتشفتها في الخنزير من مجموعة جراثيم اليارسينيا، وهي موجودة في الطبيعة من حولنا، ولكن لا يعرف حتى الآن، كيف تتم العدوى بها، وهذه الجرثومة التي تسبب الوباء لا توجد في الدنمارك فقط، فكيف إذا تحصل العدوى بها من الطبيعة ؟! لا يوجد أمامنا إلا مصدر واحد فقط، هو الخنزير، ومن العجيب أنه عند إجراء التجارب المعملية على الخنزير وجد أنه الناقل لهذه الجرثومة.

قال متحدث الهيئة: هل تنتقل العدوى بهذه الجرثومة من جراء تناول قطعة معينة من لحم الخنزير فقط، أم أنه يحمل العدوى في كل أجزائه؟ قال الدكتور جون هانفر: جوابي أنها توجد في لسان الخنزير، ولكن من يأكل لسان الخنزير؟! ثم كيف يباع وكيف يستعمل؟ من الواضح أن اللسان لا يباع بكثرة في المحلات على هيئته، ولكن يدخل في صناعة بعض المنتجات التي نأكلها كوجبات باردة، ونستطيع أن نتصور ذلك بسهولة إذا علمنا أن أكثر من (١٣- ١٤) مليون لسان خنزير سنويا، تدخل في إنتاج هذه الوجبات الباردة.

قال متحدث الهيئة: هل يحمل اللبن هذه البكتيريا؟ قال الدكتور جون هانفر: أثبتت الأبحاث الطبية الأمريكية وجود هذه البكتيريا في الماء وفي كثير من الأطعمة ولكن عندما يتناولها الإنسان فإنها ليست بالدرجة القوية التي في فم الخنزير؛ لأن فم الخنزير يعد بيئة

صالحة لنموها. قال متحدث الهيئة: يعالج الخنزير الدنماركي بالبنسلين والمضادات الحيوية، ومع ذلك يحمل هذه البكتيريا، فهل يعني ذلك أن الخنزير يحمل أمراضا كثيرة غير ما ذكرت؟! قال الدكتور جون هانفر: لا نستطيع أن نقول أن الخنزير خال من الأمراض برغم أنه يعالج بالمضادات الحيوية الكثيرة، وفي الإحصائيات الأخيرة ظهر لنا عدوى جديدة تعرف بالدودة الشريطية في الخنزير بالدنمارك، والمعروف أن دورة حياتها لا تتم إلا في الإنسان أو الخنزير(١).

تصريحات عالمية بالجرثومة الخنزيرية

في تشيكوسلوفاكيا وألمانيا وكندا، وأيضا في أمريكا وإيطاليا: أثبتت الأبحاث وجود البكتيريا في ألسنة الخنازير بنسبة كبيرة جدا، مع أنها دول ذات نسبة أقل في عدد الخنازير.

وفي الدنمارك: قامت مجموعة من مدرسة الزراعة العليا، ليس لها صلة بأبحاث الدكتور جون هانفر، واكتشفت وجود بكتيريا هذا المرض بنسبة ٢٥٪ في الخنزير.

وفي بلجيكا: قام شغص بجمع ألسنة الخنزير من المسالخ والمحلات ووجد أن هذه البكتيريا يتراوح وجودها بين (٨٠- ٩٠٪) في هذه الألسنة.

الوقاية الصحية باجتناب أكل المنخنقة

قال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ ﴾ [المائدة: ٣].

وسأل الزنداني الدكتور جون هانفر عن (المنخنقة): ما رأيك فيها؟ فقال الدكتور جون هانفر: القانون عندنا في الدنمارك الآن يحرم أكل لحم الحيوان الذي يموت خنقا. قال الزنداني: متى هذا؟ قال الدكتور جون هانفر: يعتبر من القوانين الحديثة نسبيا، بعد أن اكتشفنا أن الموت البطيء بسبب الخنق يمكن أن يجعل الحيوان مستودعا ضخما للجراثيم.

لأنه عندما يبدأ يموت خنقا؛ فإن مقاومة جدر الأمعاء الغليظة، والمقاومة ضد الجراثيم تضعف فتغزو الجراثيم الجسم، وتجد الدماء الموجودة فتتغذى عليها في عروق

---

(١) مجلة الإعجاز -العدد الرابع- بتصرف.

الكائن الحي، وهو لا يزال حيا، فتدخل أجزاء جسم الحيوان كلها، وبذلك يكون مصدرا للخطر الكبير على آكله.

الوقاية الصحية باجتناب أكل الموقوذة

قال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ ﴾ [المائدة: ٣].

سأل الزنداني الدكتور جون هانفر عن الموقوذة، فقال الدكتور جون هانفر: هذا الضرب الشديد يجعل العروق تتحطم وتختلط بالدماء وتختلط باللحم، وهذا يفرز مادة أو مواد سامة، هي التي تسبب هذا التورم نتيجة الضرب، وهي عبارة عن سموم نشأت من تحطيم اللحم واختلاطه مع الدم والخلايا، هذه مواد سمية معروفة، والآن نجد أن موت الكائن بالضرب يفقد جهاز المناعة مقاومته للجراثيم، كما أن الدماء الموجودة في جسم الكائن الحي تمثل بيئة خصبة لنموه، فتغذوه مرة ثانية، ويصبح بيئة خصبة لذلك.

الوقاية الصحية باجتناب أكل المتردية والنطيحة وما أكل السبع

قال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ ﴾[المائدة: ٣] .

سأل الزنداني الدكتور جون هانفر عن المتردية فقال: وما رأيك فيها؟ قال الدكتور جون هانفر: كذلك (أي: يحدث لها ما يحدث للموقوذة من تسمم دمها بالجراثيم والإضرار بصحة الإنسان كثيرا)، قال الزنداني: والنطيحة؟ قال جون هانفر: كذلك، نفس الشيء يحدث، تموت ببطء، والجراثيم تغزو، والدماء الموجودة في جسم الكائن تمثل مستودعا خصبا للجراثيم، قال الزنداني: وما أكل السبع؟ قال جون هانفر: كذلك.

﴿ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ﴾

قال الزنداني: ﴿ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ﴾ (يعني ما رأيك في هذا الاستثناء؟).

قال جون هانفر: الدم له دور كبير في انتشار الجراثيم في جسم الكائن الحي، فالتذكية سهلة، تعينها على النمو والانتشار بسهولة؛ فالحيوان إذا أدركناه لم يمت، معنى ذلك أنه لا

يزال يقاوم، وأن الحياة ما زالت موجودة وتقاوم الخطر، وأن الخطر لم يوجد بعد بدرجة كبيرة، فإذا أزلنا الدماء شفي الجسم من المادة التي تعين على تكوين هذه الجراثيم[١].

الوقاية باجتناب أكل لحم الجلالة[٢]

نهى النبي ﷺ عن أكل لحم الجلالة وشرب ألبانها والركوب عليها، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: نهى رسول الله ﷺ عن الجلالة أن يركب عليها، أو يشرب من ألبانها.

وقد أثبتت الأبحاث العلمية أن الأقذار (التي تتغذى عليها الجلالة) تحتوي على نسبة عالية ومتنوعة من السموم الخطيرة على صحة الإنسان، فإذا تناولها حيوان أو طير انتشرت هذه الجراثيم في دمه ولحمه وتسربت في أنسجته وعندما يتناول الإنسان لحم هذا الحيوان أو لبنه يصاب بالعلل والأمراض[٣].

الوقاية باجتناب لحوم الجوارح

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نهى رسول الله ﷺ عن كل ذي ناب من السباع، وعن كل ذي مخلب من الطير[٤].

وعن جابر رضي الله عنه قال: حرم رسول الله ﷺ -يعني: يوم خيبر- الحمر الإنسية، ولحوم البغال، وكل ذي ناب من السباع، وذي مخلب من الطير[٥].

وقد أثبت العلم الحديث أن لحوم الجوارح تحمل العديد من الطفيليات التي تسبب أمراضا خطيرة للإنسان، ومنها:

١- طفيل الشعرنية: الذي ينتشر بين الثعالب القطبية والدببة، ويصيب الإنسان فور تناوله لحوم هذه الحيوانات، والحيوانات الحاضنة لهذا الطفيل بصورة ثانوية كالقطط.

---

(١) دينكم دين الحق - للزنداني (٣٦- ٣٨) بتصرف.

(٢) الجلالة: هي كل دابة تأكل الأقذار وخصوصا العذرة، التي تعتبر بيئة خصبة لنمو الديدان والطفيليات والجراثيم الضارة وتكاثرها؛ إذ تحتوي على عدد هائل منها.

(٣) مجلة الإعجاز العلمي، العدد الرابع.

(٤) مسلم (١٩٣٤).

(٥) الترمذي (١٥٢٢)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١١٩٥).

٢- الشعرنيات شبه الحلزونية: التي تنتشر في الطيور الجوارح مثل: (تريخينيلا سود، وسيربرالس) ويصاب الإنسان بالعدوى إذا تناول لحم الجوارح من الطيور كالنسور والعقبان والصقور وغيرها.

٣- طفيل تريخنيلا نلسوني: الذي ينتشر في الضباع والنمور والأسود وبعض الحيوانات المفترسة الأخرى.

وترجع معظم الإصابات البشرية في إفريقيا إلى تناول لحم الخنزير الداجن والوحشي، وهما حاضنان ثانويان لطفيل تريخنيلا؛ لأنهما يتغذيان على الجيف.

وأثبت علم التغذية الحديث أن الشعوب تكتسب بعض صفات الحيوانات التي تأكلها لاحتواء لحومها على سموم وإفرازات داخلية تسري في الدماء، وتنتقل إلى معدة الإنسان، وقد تبين أن الحيوان المفترس عندما يهم باقتناص فريسته تفرز في جسمه هرمونات ومواد تساعده على القتال واقتناص الفريسة.

وأظهرت بعض الدراسات والأبحاث أن ظاهرة العنف والشراسة، تظهر بوضوح في القبائل المتخلفة التي تستمرئ مثل تلك اللحوم إلى حد أن بعضها يصاب بالضراوة فيأكل لحوم البشر.

وأوضحت دراسات أخرى ظاهرة أخرى في هذه القبائل، وهي إصابتها بنوع من الفوضى الجنسية، وانعدام الغيرة على الجنس الآخر، فضلا عن عدم احترام نظام الأسرة ومسألة العرض والشرف، وهي حالة أقرب إلى حياة تلك الحيوانات المفترسة؛ حيث يهجم الذكر على ذكر آخر من القطيع ويقتله؛ لكي يحظى بإناثه، إلى أن يأتي ذكر آخر أكثر شبابا وحيوية فيقتل الذكر المغتصب وهكذا[١].

الوقاية بغمس الذباب في الإناء الذي سقط فيه

قال رسول الله ﷺ: **«إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه فإن في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء»**.

---

(١) الإعجاز العلمي في الإسلام والسنة النبوية، محمد كامل عبد الصمد.



حقيقة طبية

أثبت الطب الحديث أن الذباب يحمل جرثومات ممرضة على أحد جناحيه، ويحمل على الجناح الآخر الأجسام المضادة لهذه الجرثومات، ولذلك فإن الذبابة إذا وقعت بأحد جناحيها في إناء لامتلاء الإناء من الجراثيم التي تسبب للشارب أمراضا عديدة، وقد يتسبب ذلك في وفاته.

ولكن الأمر العجيب أن الذبابة إذا وقعت في إناء فتم غمسها فيه ثم إخراجها، وشرب المرء مما في الإناء لن يمرض بإذن الله؛ وتفسير ذلك طبيا أن الأجسام المضادة المحمولة على الجناح الآخر قد قضت على الميكروبات والجراثيم التي تسقط من الجناح الأول، وبذا يكون تطبيقنا لسنة نبيناﷺ وجاء وشفاء.

الذباب سبب في إنقاذ شعب

هذا ما صرح به الشيخ الزنداني قائلا: حدث في الهند في الثلاثينيات وباء الكوليرا، قالت الأمم المتحدة: شعب الهند سيموت، لماذا؟ الكوليرا والذباب، قضي الأمر، لا صحة ولا وقاية، الشعب كله سيموت والمفاجأة بعد أسبوعين، وجد المراقبون العلميون أن شعب الهند تماثل للشفاء، وبدت الصحة والعافية. وبدأ المرض يتلاشى، ما السبب؟ جاء المختصون يدرسون السبب، فوجدوا أن الذباب ينقل بكتيريا هذا المرض وينقل كائنا آخر اسمه البكتيريوفاج يعني قاتل البكتيريا في الجناح الثاني، فإذا نزل الذباب في الآبار، وفي المياه يصب هذا في هذا (يعني قاتل البكتيريا في الماء)، والناس يشربون فيشفون، والحمد لله، بدأت الصحة تدب في أجسامهم[1].

فمن علم النبي الأمي هذا العلم الطبي؟ ومن أين تخرج الحبيب النبي؟ وهل كان يعلم النبي بالوصف التشريحي لجناح الذباب؟ ومن أين للنبي بدقائق الطب البيطري؟ ومن علم النبي قواعد الطب الوقائي وأساسياته إن لم يكن الكبير العلي؟

حقا: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣، ٤]

---

(١) آيات في الآفاق، للزنداني (٣٦- ٣٨).

الوقاية بغسل الإناء الذي ولغ فيه الكلب سبع مرات أولاهن بالتراب

قال رسول الله ﷺ: «**طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولهن بالتراب**»[١].

حقيقة طبية

كشف الطب حديثا أن الكلب يتسبب في كثير من الأمراض والأدواء للإنسان عن طريق العديد من الجراثيم والطفيليات التي يحملها، وأثبت أن للكلاب أخطارا عديدة منها:

١- احتواء أمعاء الكلب على أعداد كبيرة من الديدان الشريطية التي تنتقل إلى الإنسان عن طريق ابتلاع بيضها الموجود في الطعام والماء الملوث ببراز الكلب.

٢- داء الكلب المعروف وبعض أنواع داء الليشمانيات.

٣- مرض الكيسة المائية الكلابية والتي تكون الكلاب فيها هي السبب الغالب في إصابة الإنسان والحيوانات الأليفة التي تتغذى على الجيف؛ وذلك لأن الكلب ينظف جسمه بلسانه، فينقل بعض الديدان الشريطية المكورة المشوكة، والتي تعيش في أمعائه إلى الإنسان عن طريق الطعام أو الماء الملوث بها، وتسبب له داء الكيسات المائية الخطير.

٤- كثير من الأمراض الطفيلية وأشهرها وأخطرها تسببه الدودة الشريطية إكيونوكوكاس جرانيولوساس **Echinococcus Granulosus** والتي توجد في كل مناطق العالم التي تعيش فيه الكلاب على مقربة من الحيوانات الداجنة آكلة الأعشاب.

الحكمة النبوية والتفسيرات الطبية

إذا تأملت في حديث النبي ﷺ بالأمر بغسل الإناء الذي ولغ فيه الكلب سبع مرات أولهن بالتراب، لتعجبت ولتساءلت:

لم الغسل سبع مرات؟ وما فائدة الغسل أول مرة بالتراب؟ وماذا لو لم يغسل الإناء إلا بالماء؟ وما سبب تخصيص هذا الأمر بالكلب دون غيره من الحيوانات؟!

---

(١) مسلم (٩١، ٩٢).

والإجابة: إن الحكمة في الغسل سبع مرات أولهن بالتراب أن فيروس الكلب رقيق متناه في الصغر، ومعروف أنه كلما صغر حجم الميكروب كلما زادت فاعلية سطحه للتعلق بجدار الإناء والتصاقه به، ولعاب الكلب المحتوي على الفيروس يكون على هيئة شريط لعابي سائل، ودور التراب هنا هو امتزاج الميكروب بالالتصاق السطحي من الإناء على سطح دقائق التراب، وهي الطريقة الوحيدة لإزالة الفيروسات والميكروبات العالقة.

البارد الحلو

والماء الفاتر ينضخ ويفعل ضد هذه الأشياء. ولما كان الماء البائت أنفع من الذي يشرب وقت استقائه، قال النبي ﷺ وقد دخل إلى حائط[1] أبي الهيثم بن التيهان: **«هل من ماء بات في شنة؟»** فأتاه به، فشرب منه، رواه البخاري، ولفظه: **«إن كان عندك ماء بات في شنة وإلا كرعنا»**[2].

والماء البائت بمنزل العجين الخمير، والذي شرب لوقته بمنزلة الفطير، وأيضا فإن الأجزاء الترابية والأرضية تفارقه إذا بات، والماء الذي في القرب والشنان ألذ من الذي يكون في آنية الفخار والأحجار، وغيرهما، لا سيما أسقية الأدم، ولهذا التمس النبي ﷺ ماء بات في شنة دون غيرها من الأواني.

وفي الماء إذا وضع في الشنان وقرب الأدم خاصية لطيفة، لما فيها من المسام المنفتحة التي يرشح منها الماء، ولهذا كان الماء في الفخار الذي يرشح ألذ منه، وأبرد في الذي لا يرشح.

فصلاة الله وسلامه على أكمل الخلق وأشرفهم نفسا، وأفضلهم هديا في كل شيء، لقد دل أمته على أفضل الأمور وأنفعها لهم في القلوب والأبدان والدنيا والآخرة.

قالت عائشة ﵂: **«كان أحب الشراب إلى رسول الله ﷺ الحلو البارد»**[3].

---

(١) حائط: بستان.

(٢) البخاري (١٠ ٧٧).

(٣) الترمذي في الجامع (١٨٩٦)، وأحمد (٦ ٣٨، ٤٠)، وقال الأرناؤوط: وإسناده صحيح، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٥٤٥).

أضرار وأخطار الشرب واقفا

قال الدكتور إبراهيم الراوي: إن الإنسان في حالة الوقوف يكون متوترا، ويكون جهاز التوازن في مراكزه العصبية في حالة فعالة شديدة؛ حتى يتمكن من السيطرة على جميع عضلات الجسم لتقوم بعملية التوازن والوقوف منتصبا، وهي عملية دقيقة يشترك فيها الجهاز العصبي والعضلي في آن واحد مما يجعل الإنسان غير قادر على الحصول على الطمأنينة العضوية التي تعتبر من أهم الشروط الواجبة عند الطعام والشراب، وهذه الطمأنينة يحصل عليها الإنسان في حالة الجلوس؛ حيث تكون الجملة العصبية والعضلية في حالة من الهدوء والاسترخاء، وحيث تنشط الأحاسيس وتزداد قابلية الجهاز الهضمي لتقبل الطعام والشراب وتمثيله بشكل صحيح.

وقال أيضا: إن الطعام والشراب قد يؤدي تناوله في حالة الوقوف (القيام) إلى انعكاسات عصبية شديدة تقوم بها نهايات العصب المبهم المنتشرة في بطانة المعدة، وإن هذه الانعكاسات إذا حدثت بشكل شديد ومفاجئ قد تؤدي إلى إنطلاق شرارة النهى العصبي الخطيرة **Vagal inhibition** لتوجيه ضربتها القاضية إلى القلب محدثة الإغماء أو الموت المفاجئ، كما أن الاستمرار على عادة الأكل والشرب واقفا تعتبر خطيرة على سلامة جدران المعدة وإمكانية حدوث تقرحات بها، حيث يلاحظ الأطباء أن قرحات المعدة تكثر في المناطق التي تكون عرضة لصدمات اللقم الطعامية، وجرعات الأشربة بنسبة ٩٥٪ من حالات الإصابة بالقرحة، كما أن حالة عدم التوازن أثناء الوقوف ترافقها تشنجات عضلية في المريء، تعوق مرور الطعام بسهولة إلى المعدة، وتحدث في بعض الأحيان آلاما شديدة تضطرب معها وظيفة الجهاز الهضمي، وتفقد صاحبها البهجة عند تناول الطعام والشراب.

وقال الدكتور الكيلاني: أما الشرب واقفا فيؤدي إلى تساقط السائل بعنف إلى قعر المعدة ويصدمها صدما، وإن تكرار هذه العملية يؤدي مع طول الزمن إلى استرخاء المعدة وهبوطها، وما يلي ذلك من عسر الهضم، كما أن الأكل ماشيا ليس من الصحة في شيء، ومع عرف عند العرب والمسلمين[١].

---

(١) استشارات طبية في ضوء الإسلام والحضارة، د إبراهيم الرواي.

آفات الشرب قائما

قال ابن القيم رحمه الله: وللشرب قائما آفات عديدة منها:

١ - أنه لا يحصل به الري التام.

٢ - ولا يستقر في المعدة حتى يقسمه الكبد على الأعضاء.

٣ - وينزل بسرعة وحدة إلى المعدة، فيخشى منه أن يبرد حرارتها ويشوشها.

٤ - ويسرع النفوذ إلى أسفل البدن بغير تدريج.

وكل هذا يضر بالشارب، وأما إذا فعله نادرا أو لحاجة لم يضره ولا يعترض بالعوائد على هذا؛ فإن العوائد طبائع ثوان، ولها أحكام أخرى، وهي بمنزلة الخارج من القياس عند الفقهاء.

التنفس في الشراب ثلاثا

عن أنس بن مالك ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يتنفس في الشراب ثلاثا، ويقول: **«إنه أروى، وأمرأ، وأبرأ»**[(١)].

قال ابن القيم رحمه الله: الشراب في لسان الشرع وحملة الشرع: هو الماء، ومعنى تنفسه في الشراب: إبانته القدح عن فيه، وتنفسه خارجه، ثم يعود إلى الشراب، كما جاء مصرحا به في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ نهى عن النفخ في الشراب، فقال رجل: القذاة أراها في الإناء؟ قال: **«أهرقها»**[(٢)]، قال: إني لا أروى من نفس واحد!! قال: **«فأبن القدح**[(٣)] **عن فيك»**[(٤)].

---

(١) مسلم (٢٠٢٨).

(٢) أهرقها: أرقها.

(٣) ابن القدح: أزله.

(٤) الترمذي (١٨٨٨)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (١٥٣٨).

النهي عن الشرب من فم السقاء

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: نهى رسول الله ﷺ عن اختناث الأسقية، يعني أن تكسر أفواهها ويشرب منها[١]، وعن أبي هريرة ﷺ قال: نهى رسول الله ﷺ أن يشرب من في السقاء أو القربة[٢].

أضرار وأخطار الشرب من فم السقاء

قال ابن القيم عن هذه الأضرار والأخطار:

١- تردد أنفاس الشارب فيه يكسبه زهومة ورائحة كريهة يعاف لأجلها.

٢- ربما غلب الداخل إلى جوفه من الماء فتضرر به.

٣- ربما كان فيه حيوان لا يشعر به فيؤذيه.

٤- أن الماء ربما كان فيه قذاة أو غيرها لا يراها عند الشرب فتلج جوفه.

٥- ومنها أن الشرب كذلك يملأ البطن من الهواء، فيضيق عن أخذ حظه من الماء، أو يزاحمه، أو يؤذيه، ولغير ذلك من الحكم.

النهي عن النفخ في الإناء

قال ابن القيم رحمه الله: وأما النفخ في الشراب فإنه يكسبه من فم النافخ رائحة كريهة يعاف لأجلها، ولا سيما إن كان متغير الفم، وبالجملة فأنفاس النافخ تخالطه، ولهذا جمع رسول الله ﷺ بين النهي عن التنفس في الإناء والنفخ فيه في الحديث الذي رواه الترمذي، وصححه عن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ نهى أن يتنفس في الإناء أو ينفخ فيه[٣].

الأمر بتغطية الإناء ليلا

عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان جنح الليل أو أمسيتم

---

(١) البخاري (٥٦٢٨، ٥٦٢٦)، ومسلم (٢٠٢٩).

(٢) البخاري (٥٦٢٧)، ومسلم (٢٠٣٠).

(٣) الترمذي (١٨٨٩)، وأبو داود (٣٧٢٨)، وابن ماجه (٣٤٢٨)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٥٣٩).

فكفوا صبيانكم؛ فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم، وأغلقوا الأبواب، واذكروا اسم الله؛ فإن الشيطان لا يفتح بابا مغلقا، وأوكوا قربكم، واذكروا اسم الله، وخمروا آنيتكم واذكروا اسم الله، ولو أن تعرضوا عليها شيئا، وأطفئوا مصابيحكم»(١).

قال ابن القيم رحمه الله: وهذا مما لا تناله علوم الأطباء ومعارفهم، وقد عرفه من عرفه من عقلاء الناس بالتجربة، قال الليث بن سعد أحد رواة الحديث: الأعاجم عندنا يتقون تلك الليلة في السنة في كانون الأول منها، وصح عنه أنه أمر بتخمير الإناء ولو أن يعرض عليها عودا، وفي عرض العود عليه من الحكمة: أنه لا ينسى تخميره، بل يعتاده حتى بالعود، وفيه: أنه ربما أراد الدبيب أن يسقط فيه فيمر على العود، فيكون العود جسرا له يمنعه من السقوط فيه.

وصح عنه: أنه أمر عند إيكاء الإناء بذكر اسم الله فإن ذكر اسم الله عند تخمير الإناء يطرد عنه الشياطين، وإيكاؤه يطرد عنه الهوام، ولذلك أمر بذكر اسم الله في هذين الموضعين لهذين المعنيين.

وقاية المرضى بعدم إكراههم على الطعام والشراب

جاءت السنة النبوية الصحيحة بالنهي عن إكراه المرضى على الطعام والشراب وجاءت العلوم الطبية تصدق -حديثا- ما جاءت به السنة النبوية قديما.

قال رسول ﷺ: **«لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب؛ فإن الله -عز وجل- يطعمهم ويسقيهم»**.

وأثبت الطب الحديث أن معظم الأمراض تكون مصاحبة بنقص الشهية إلى الطعام والرغبة عنه، وذلك في معظم الأمراض، وإجبار المريض على الطعام يعني عدم استفادة المريض من الطعام من جهة ثانية مما يسبب له عسر هضم وتزداد حالته سوءا، وقوله ﷺ: **«فإن الله -عز وجل- يطعمهم ويسقيهم»** فيه إشارة نبوية إلى أسرار طبية كانت مجهولة

---

(١) البخاري (١٠ ٧٧)، ومسلم (٢٠١٢).

قرونا طويلة.

ويقرر الطب الحديث أن المريض يكسب الطاقة من مصادر داخلية، وهي:

١ - استقلاب الجليكوجين المدخر في الكبد والعضلات، وهذا المصدر سريع النفاذ.

٢- استحداث السكر، أي توليد الجلوكوز من مصادر شحمية وبروتينية حيث تتحلل إلى أحماض أمينية، وتتحلل الشحوم إلى أحماض شحمية دهنية، مما يؤدي إلى ضمور العضلات عند المريض، وظهوره بمظهر الهزيل النحيف، وسرعان ما يعود إلى حالته الطبيعية بعد شفائه -بإذن الله.

وإن أفضل تعامل غذائي مع المريض وفقا للحديث النبوي الشريف، أن يعطى المريض جزءا من الطعام والشراب يستطيع التعامل معه وفقا لشهيته وحالة جهازه الهضمي، ومن هنا يستحب أن يكون مقدار الطعام قليلا ويوافق هذا المقدار رغبة المريض وشهيته، وأن يكون نوع الطعام سهل الهضم ليكون سهل الامتصاص، وليستفيد الجهاز الهضمي منه بسهولة ويسر، وينطبق ذلك أيضا على الشراب[1].

قال ابن القيم رحمه الله: قال بعض فضلاء للأطباء: ما أغزر فوائد هذه الكلمة النبوية[2] المشتملة على حكم إلهية، لا سيما الأطباء، ولمن يعالج المرضى، وذلك أن المريض إذا عاف الطعام أو الشراب فذلك لاشتغال الطبيعة بمجاهدة المرض، أو لسقوط شهوته، أو نقصانها لضعف الحرارة الغريزية أو خمودها، وكيفما كان، فلا يجوز حينئذ إعطاء الغذاء في هذه الحالة.

قال ابن القيم رحمه الله: واعلم أن الجوع إنما هو طلب الأعضاء للغذاء لتخلف الطبيعة به عليها عوض ما يتحلل منها، فتنجذب الأعضاء القصوى من الأعضاء الدنيا، حتى ينتهي الجذب إلى المعدة، فيحس الإنسان بالجوع، فيطلب الغذاء، وإذا وجد المرض، اشتغلت الطبيعة بمادته وإنضاجها وإخراجها، عن طلب الغذاء أو الشراب، فإذا أكره

---

(١) الإعجاز الطبي في السنة النبوية، د كمال الموكل (بتصرف واختصار).

(٢) يقصد حديث النبي ﷺ : «لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب ... الحديث»

المريض على استعمال الشيء من ذلك، تعطلت به الطبيعة عن فعلها، واشتغلت بهضمه وتدبيره عن إنضاج مادة المرض ودفعه، فيكون ذلك سببا لضرر المريض ولا سيما في أوقات البحران[1]، أو ضعف الحار الغريزي أو خموده فيكون ذلك زيادة في البلية، وتعجيل النازلة المتوقعة، ولا ينبغي أن يستعمل في هذا الوقت والحال إلا ما يحفظ عليه قوته ويقويها من غير استعمال مزعج للطبيعة البتة.

وذلك يكون بما لطف قوامه من الأشربة والأغذية، واعتدال مزاجه كشراب اللينوفر[2]، والتفاح، والورد الطري، وما أشبه ذلك، ومن الأغذية مرق الفراريج المعتدلة فقط، وإنعاش قواه بالأراييح العطرة الموافقة والأخبار السارة، فإن الطبيب خادم الطبيعة ومعينها لا معيقها.

وقال: واعلم أن الدم الجيد هو المغذي للبدن، وأن البلغم دم قد نضج بعض النضج، فإذا كان بعض المرضى في بدنه بلغم كثير، وعدم الغذاء، عطفت الطبيعة عليه وطبخته وأنضجته وصيرته دما، وغذت به الأعضاء واكتفت به عما سواه، والطبيعة هي القوة التي وكلها الله -سبحانه- بتدبير البدن وحفظه وصحته في حراسته مدة حياته، واعلم أنه قد يحتاج في الندرة إلى إجبار المريض على الطعام والشراب؛ وذلك في الأمراض التي يكون معها اختلاط العقل، وعلى هذا فيكون الحديث من العام المخصوص، أو من المطلق الذي قد دل على تقييده دليل، ومعنى الحديث: أن المريض قد يعيش بلا غذاء أياما لا يعيش الصحيح في مثلها، وفي قوله ﷺ: **«فإن الله يطعمهم ويسقيهم»** معنى لطيف زائد على ما ذكره الأطباء، لا يعرفه إلا من لا عناية بأحكام القلوب والأرواح، وتأثيرها في طبيعة البدن وانفعال الطبيعة عنها كما تنفعل هي كثيرا عن الطبيعة، ونحن نشير إليها إشارة فنقول: النفس إذا حصل لها ما يشغلها من محبوب أو مكروه أو مخوف اشتغلت به عن طلب الغذاء والشراب، فلا تحس بجوع ولا عطش، بل ولا حر ولا برد، بل تشتغل

---

(١) البحران: التغير المفاجئ في الأمراض الحادة.

(٢) نبات مائي له أصل كالجزر، وساق أملس يطول سجفه عمق الماء، فإذا ساوى سطحه أورق وأزهر.

به عن الإحساس المؤلم الشديد بالألم فلا تحس به ، وما من أحد إلا وقد وجد في نفسه ذلك أو شيئا منه، وإذا اشتغلت النفس بما دهمها، وورد عليها لم يحس بألم الجوع، فإن كان الوارد مفرحا قوى التفريح، وقام لها مقام الغذاء فشبعت به وانتعشت قواها، وتضاعفت وجرت الدموية في الجسد حتى تظهر في سطحه فيشرق وجهه، وتظهر دمويته. فإن الفرح يوجب انبساط دم القلب المعتاد لاشتغالها بما هو أحب إليها وإلى الطبيعة منه، والطبيعة إذا ظفرت بما تحب آثرته على ما هو، وإن كان الوارد مؤلما أو محزنا أو مخوفا، اشتغلت بمحاربته ومقاومته ومدافعته عن طلب الغذاء.

فهي في حال حربها في شغل عن طلب الطعام والشراب، فإن ظفرت في هذه الحرب انتعشت قواها وأخلفت عليها نظير ما فاتها من قوة الطعام والشراب، وإن كانت مغلوبة مقهورة انحطت قواها بحسب ما حصل لها من ذلك، وإن كانت الحرب بينها وبين هذا العدو سجالا، فالقوة تظهر تارة وتختفي أخرى، وبالجملة: فالحرب بينهما على مثال الحرب الخارجية بين العدوين المتقاتلين، والنصر للغالب، والمغلوب إما قتيل وإما جريح وإما أسير.

فالمريض: له مدد من الله تعالى يغذيه به زائدا على ما ذكره الأطباء من تغذيته بالدم، وهذا المدد بحسب ضعفه وانكساره وانطراحه بين يدي ربه -عز وجل- فيحصل له من ذلك ما يوجب له قربا من ربه فإن العبد أقرب ما يكون من ربه إذا انكسر قلبه.

ورحمة ربه عندئذ قريبة منه، فإن كان وليا له، حصل له من الأغذية القلبية ما تقوى به قوى طبيعته، وتنتعش به قواه أعظم من قوتها، وانتعاشها بالأغذية البدنية، وكلما قوي إيمانه وحبه لربه وفرحه به، وقوى يقينه بربه، واشتد شوقه إليه ورضاه به وعنه، وجد في نفسه من هذه القوة ما لا يعبر عنه، ولا يدركه وصف طبيب، ولا يناله علمه.

ومن غلظ طبعه وكثفت نفسه عن فهم هذا والتصديق به، فلينظر حال كثير من عشاق الصور الذين قد امتلأت قلوبهم بحب ما يعشقونه من صورة، أو جاه، أو مال، أو علم، وقد شاهد الناس من هذا عجائب في أنفسهم وفي غيرهم[1].

---

(١) الطب النبوي (٩٠- ٩٣).

الوقاية الصحية باجتناب التبول في الماء الراكد

قال البروفيسور نلسون[١]: مرض البلهارسيا يفتك بالملايين من الناس في العالم، والوقاية منه باتباع حديث من أحاديث النبي ﷺ[٢]، لو اتبع المسلمون وغير المسلمين هذا الحديث لانتهى مرض البلهارسيا من العالم[٣].

والسر في ذلك: أن مريض البلهارسيا إذا تبول في الماء الراكد نزلت بويضات البلهارسيا مع بوله إلى الماء حيث تفقس ويخرج كائن صغير يعرف بالميراسيديوم، الذي يبحث عن القوقعة التي يكمل فيها أطوار حياته؛ ليخرج بعد ذلك كائن آخر يعرف بالسيركاريا، التي تسبح في الماء باحثة عن الضحية التي ستدخل جسدها، والعجيب أن الضحية هو الشخص الذي خالف هدي سيد البشرية ﷺ، ونزل الماء الراكد الذي تبول فيه ليغتسل فيه، فإن السيركاريا تدخل جسده ليصاب بمرض البلهارسيا الذي ربما تكون بسببه وفاته.

ومن الجدير بالذكر، أن الماء الراكد يعتبر بيئة خصبة لنمو الكثير من البكتيريا؛ كالكوليرا، والسالمونيلا، والشجيلا وغير ذلك، كما تحتاج بعض الطفيليات الأولية والديدان (كالزحار الأميبي، والديدان المستديرة، والبلهارسيا) إلى الماء الراكد لإكمال دورة حياتها خارج جسم الإنسان، ويساعد التبول والتبرز على نمو هذه الطفيليات والديدان بسرعة، وتكاثرها، وانتشارها.

النوم على الشق الأيمن هو الأصح طبيا

قال الدكتور إبراهيم الراوي: النوم على الشق الأيمن هو الوضع الصحيح؛ لأن الرئة اليسرى أصغر من اليمنى، فيكون القلب أخف حملا، ويكون الكبد مستقرا (في مكانه) غير معلق، أو ضاغط على القلب أو المعدة، وتكون المعدة فوقه، وهذا أسهل وضع (للمعدة) لإفراغ ما بداخلها من طعام بعد هضمه، كما أن النوم على الجانب الأيمن يسهل وظيفة القصبة الهوائية اليسرى في سرعة طرحها لإفرازاتها المخاطية.

---

(١) من أكبر أطباء بريطانيا، ومكتشف مرض نلسون، وقد سمي المرض باسمه.

(٢) يقصد حديث النبي ﷺ المتفق عليه من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه».

(٣) آيات الله في الآفاق (٨٤).

خطر النوم على الشق الأيسر

قال الدكتور العطار: أما النوم على الشق الأيسر فهو غير مقبول؛ لأن القلب حينئذ يقع تحت ضغط الرئة اليمنى، والتي هي أكبر من اليسرى مما يؤثر على وظيفته، ويقلل نشاطه وخاصة عند المسنين، كما تضغط المعدة الممتلئة عليه فتزيد الضغط على القلب، والكبد الذي هو أثقل الأحشاء ليس ثابتا، بل معلق بأربطة فيضغط بدوره على القلب وعلى المعدة مما يؤخر إفراغها.

أردأ النوم

قال ابن القيم رحمه الله: وأردأ النوم النوم على الظهر، ولا يضر الاستلقاء عليه للراحة من غير نوم، وأردأ منه أن ينام منبطحا على وجهه؛ عن يعيش بن طخفة الغفاري ﷺ قال: قال أبي: بينما أنا مضطجع في المسجد على بطني إذا رجل يحركني برجله، فقال: «إن هذه ضجعة يبغضها الله» قال: فنظرت، فإذا رسول الله ﷺ[1].

قال أبقراط (في كتابه التقدمة): وأما نوم المريض على بطنه من غير أن يكون عادته في صحته جرت بذلك، فذلك يدل على اختلاط عقل، وعلى ألم في نواحي البطن.

قال الشراح لكتابه: لأنه خالف العادة الجيدة إلى هيئة رديئة من غير سبب ظاهر ولا باطن.

أضرار النوم على الظهر

قال الدكتور العطار:

١ - إن النوم على الظهر يسبب التنفس الفموي؛ لأن الفم ينفتح عند الاستلقاء على الظهر، لاسترخاء الفك السفلي، لكن الأنف هو المهيأ للتنفس، لما فيه من شعر ومخاط لتنقية الهواء الداخل، ولغزارة أوعيته الدمويه المهيأة لتسخين الهواء وهكذا، فإن التنفس من الفم يعرض صاحبه إلى كثرة الإصابة بنزلات البرد، والزكام في الشتاء، ويسبب جفاف اللثة، ومن ثم إلى التهابها الجفافي.

(١) أبو داود (٥٠٤٠)، وصححه الألباني في المشكاة (٤٧١٩).

٢- كما أنه يثير حالات من فرط التصنع أو الضخامة اللثوية.

٣- وأيضا في هذه الوضعية، فإن شراع الحنك واللهاة يعارضان فرجان الخيشوم، ويعيقان مجرى التنفس فيكثر الغطيط والشخير.

٤- كما يستيقظ المتنفس من فمه ولسانه مغطى بطبقة بيضاء غير اعتيادية إلى جانب رائحة الفم الكريهة.

٥- كما أن هذا الوضع غير مناسب للعمود الفقري؛ لأنه ليس مستقيما.

٦- ويؤدي هذا الوضع عند الأطفال إلى تفلطح الرأس إذا اعتاده الطفل لفترة طويلة.

أخطار النوم على البطن

قال الدكتور ظافر العطار:

١- حين ينام الشخص على بطنه يشعر بعد مدة بضيق في التنفس؛ لأن ثقل كتلة الظهر العظمية تمنع الصدر من التمدد والتقلص عند الشهيق والزفير.

٢- كما أن هذه الوضعية تؤدي إلى انثناء اضطراري في الفقرات الرقبية، وإلى احتكاك الأعضاء التناسلية بالفراش مما يدفع إلى ممارسة العادة السيئة.

٣- كما أن الأزمة التنفسية الناجمة (عن هذه الضجعة) تتعب القلب والدماغ[1].

الأمر النبوي بالنوم على الشق الأيمن

عن البراء بن عازب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت نفسي إليه، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت، واجعلهن آخر كلامك، فإن مت من ليلتك مت على الفطرة»**[2].

حكمة النوم على الشق الأيمن

قال ابن القيم رحمه الله: قد قيل: إن الحكمة في النوم على الجانب الأيمن، أن لا

---

(١) اضطجع على شقك الأيمن. د ظافر العطار.

(٢) البخاري (١١ ٩٣، ٩٥).

يستغرق النائم في نومه؛ لأن القلب فيه ميل إلى جهة اليسار، فإذا نام على جنبه الأيمن طلب القلب مستقره من الجانب الأيسر، وذلك يمنع من استقرار النائم، واستثقاله في نومه، بخلاف قراره في النوم على اليسار، فإنه مستقره، فيحصل بذلك الدعة التامة، فيستغرق الإنسان في نومه، ويستثقل فيفوته مصالح دينه ودنياه.

تفويض الأمر إلى الرب عند النوم

قال ابن القيم رحمه الله: ولما كان النائم بمنزلة الميت، والنوم أخو الموت، ولهذا يستحيل على الحي الذي لا يموت، وأهل الجنة لا ينامون فيها كان النائم محتاجا إلى من يحرس نفسه، ويحفظها مما يعرض لها من الآفات، ويحرس بدنه أيضا من طوارق الآفات، وكان ربه وفاطره تعالى هو المتولي لذلك وحده، علم النبي ﷺ النائم أن يقول كلمات التفويض والالتجاء، والرغبة والرهبة؛ ليستدعي بها كمال حفظ الله له، وحراسته لنفسه وبدنه، وأرشده مع ذلك إلى أن يستذكر الإيمان وينام عليه، ويجعل التكلم به آخر كلامه، فإنه ربما توفاه الله في منامه، فإذا كان الإيمان آخر كلامه دخل الجنة، فتضمن هذا الهدي في المنام مصالح القلب، والبدن، والروح، في النوم واليقظة، والدنيا والآخرة، فصلوات الله وسلامه على من نالت به أمته كل خير.

وقوله: (أسلمت نفسي إليك)، أي: جعلتها مسلمة لك تسليم العبد المملوك نفسه إلى سيده ومالكه، وتوجيهه وجهه إليه يتضمن إقباله بالكلية على ربه، وإخلاص القصد والإرادة له، وإقراره بالخضوع والذل والانقياد، قال تعالى: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ﴾ [آل عمران: ٢٠]، وذكر الوجه إذ هو أشرف ما في الإنسان، ومجمع الحواس، وأيضا ففيه معنى التوجه والقصد، وتفويض الأمر إليه رده إلى الله -سبحانه، وذلك يوجب سكون القلب، وطمأنينته، والرضا بما يقتضيه ويختاره له مما يحبه ويرضاه، والتفويض من أشرف مقامات العبودية، ولا علة فيه، وهو من مقامات الخاصة خلافا لزاعمي خلاف ذلك.

(وإلجاء الظهر إليه -سبحانه) يتضمن قوة الاعتماد عليه والثقة به، والسكون إليه، والتوكل عليه، فإن من أسند ظهره إلى ركن وثيق لم يخف السقوط.

ولما كان للقلب قوتان: قوة الطلب، وهي الرغبة. وقوة الهرب، وهي الرهبة. وكان العبد طالبا لمصالحه، هاربا من مضاره، جمع الأمرين في التفويض والتوجه، فقال: رغبة

ورهبة إليك، ثم أثنى على ربه، بأنه لا ملجأ للعبد سواه، ولا منجى له من غيره، فهو الذي يلجأ إليه العبد لينجيه من نفسه، كما في الحديث الآخر «**أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك**»(١)، فهو سبحانه الذي يعيذ عبده وينجيه من بأسه، الذي هو بمشيئته وقدرته، فمنه البلاء، ومنه الإعانة، ومنه ما يطلب النجاة منه، وإليه الالتجاء في النجاة، فهو الذي يلجأ إليه في أن ينجي مما منه، ويستعاذ مما منه، فهو رب كل شيء، ولا يكون شيء إلا بمشيئته: ﴿**وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [الأنعام: ١٧] ﴿**قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا**﴾ [الأحزاب: ١٧] ثم ختم الدعاء بالإقرار بالإيمان بكتاب الله ورسوله الذي هو ملاك النجاة، والفوز في الدنيا والآخرة، فهذا هديه في نومه.

نوم النهار وأضراره (غير نومة القيلولة)

قال ابن القيم رحمه الله:

١ - ونوم النهار رديء يورث الأمراض الرطوبية والنوازل.

٢ - ويفسد اللون ويورث الطحال.

٣- ويرخي العصب ويكسل.

٤ - ويضعف الشهوة إلا في الصيف وقت الهاجرة.

وأردؤه نوم أول النهار، وأردأ منه النوم في آخره بعد العصر.

ورأى عبد الله بن عباس ابنا له نائما نومة الصبحة فقال له: قم أتنام في الساعة التي تقسم فيها الأرزاق؟!

أقسام نوم النهار

قال ابن القيم رحمه الله: قيل نوم النهار ثلاثة:

١ - خلق، وحرق، وحمق.

---

(١) جزء من حديث مسلم (٤٨٦).



فالخلق: نومة الهاجرة (القيلولة) وهي خلق رسول الله ﷺ، والحرق: نومة الضحى، تشغل عن أمر الدنيا والآخرة، والحمق: نومة العصر.

قال بعض السلف: من نام بعد العصر فاختلس عقله فلا يلومن إلا نفسه، وقال الشاعر:

ألا إن نومات الضحى تورث الفتى خبالا ونومات العصير جنون

قال ابن القيم رحمه الله: ونوم الصبحة يمنع الرزق؛ لأن ذلك وقت تطلب فيه الخليقة أرزاقها، وهو وقت قسمة الأرزاق، فنومه حرمان إلا لعارض أو ضرورة، وهو مضر جدا بالبدن لإرخائه البدن، وإفساده للفضلات التي ينبغي تحليلها بالرياضة، فيجد تكسرا، وعيا وضعفا، وإن كان قبل التبرز والحركة والرياضة وإشغال المعدة بشيء فذلك الداء العضال المولد لأنواع من الأدواء.

والنوم في الشمس يورث الداء الدفين، ونوم الإنسان بعضه في الشمس، وبعضه في الظل رديء، فعن بريدة بن الحصيب أن رسول الله ﷺ نهى أن يقعد الرجل بين الظل والشمس[1].

فمن وقف على هدي النبي ﷺ في نومه ويقظته واتبعه وجد صحة في بدنه، ونشاطا في نفسه، وعافية في أعضائه، فكان ذلك من أسباب إعانته على أمور دينه ودنياه، وكان الفلاح والنجاح والصلاح حليفه، ومن ابتعد عن هدي سيد البشرية أصابه الهم، والغم، والحزن، والكرب، ولكان التخلف والتقهقر والفساد نتيجته أو نهايته، ولكان من الخائبين الخاسرين في الدنيا والآخرة، فليتق كل مسلم ربه ومولاه، وليجعل هدي النبي ﷺ طريقه ونصب عينيه.

انهض إلى التقوى بقريحة، وابك الذنوب بعين قريحة، وأزعج للجد أعضاءك المستريحة، ولئن لم تعمل بهذه النصيحة لتندمن غدا: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ [القيامة: ٣٦] إنما هي جنة أو نار: ﴿ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [الحشر: ٢].

---

(١) ابن ماجه (٣٧٢٢)، وقال الأرناؤوط: وسنده حسن، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٩٩٩).

الوقاية باجتناب الجماع الضار

الجماع الضار وأنواعه

قال ابن القيم رحمه الله: والجماع الضار نوعان: ضار شرعا، وضار طبعا.

فالضار شرعا (المحرم) وهو مراتب، بعضها أشد من بعض، والتحريم العارض منه أخف من اللازم، كتحريم الإحرام، والصيام، والاعتكاف، وتحريم المظاهر منها قبل التكفير، وتحريم وطء الحائض ونحو ذلك، ولهذا لا حد في هذا الجماع، وأما اللازم فنوعان: نوع لا سبيل إلى حله البتة، كذوات المحارم، فهذا من أضر الجماع، وهو يوجب القتل حدا عن طائفة من العلماء كأحمد بن حنبل -رحمه الله- وغيره، وفيه حديث مرفوع ثابت[1]. والثاني: ما يمكن أن يكون حلالا، كالأجنبية، فإن كانت ذات زوج، ففي وطئها حقان: حق لله، وحق للزوج، فإن كانت مكرهة، ففيه ثلاثة حقوق، وإن كان لها أهل وأقارب يلحقهم العار بذلك صار فيه أربعة حقوق، فإن كانت ذا محرم منه، صار فيه خمسة حقوق، فمضرة هذا النوع بحسب درجاته في التحريم.

وأما الضار طبعا فنوعان أيضا؛ نوع ضار بكيفيته، كما تقدم، ونوع ضار بكميته، كالإكثار منه، فإنه يسقط القوة، ويضر بالعصب، ويحدث الرعشة والفالج والتشنج، ويضعف البصر وسائر القوى، ويطفئ الحرارة الغريزية، ويوسع المجاري، ويجعلها مستعدة للفضلات المؤذية[2].

أحسن أشكال الجماع

قال ابن القيم رحمه الله: وأحسن أشكال الجماع أن يعلو الرجل المرأة مستفرشا لها بعد

---

(١) عن البراء بن عازب قال: لقيت خالي ومعه راية، فقلت له: أين تريد؟ قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى رجل نكح امرأة أبيه، فأمرني أن أضرب عنقه وآخذ ماله. [الترمذي (١٣٦٢)، وأبو داود (٤٤٥٧)، وابن ماجه (٢٦٠٧)، وأحمد (٢ ٢٩٥)، وقال الأرناؤوط: وسنده حسن. وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٧٤٤)].

(٢) الطب النبوي (٢٦٤، ٢٦٥).

الملاعبة والقبلة، وبهذا، سميت المرأة فراشا، قال ﷺ: «الولد للفراش»[١]. وهذا من عام قوامية الرجل على المرأة كما قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤] وقد قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧] وأكمل اللباس وأسبغه على هذه الحال، فإن فراش الرجل لباس له. وكذا لحاف المرأة لباس لها، فهذا الشكل الفاضل مأخوذ من هذه الآية، وبه يحسن موقع استعارة اللباس من كل من الزوجين للآخر، وفيه وجه آخر: هو إنها تنعطف عليه أحيانا، فتكون عليه كاللباس.

أردأ أشكال الجماع

قال ابن القيم رحمه الله: وأردأ أشكاله أن تعلوه المرأة، ويجامعها على ظهره، وهو خلاف الشكل الطبيعي الذي طبع الله عليه الرجل والمرأة، بل نوع الذكر والأنثى، وفيه من المفاسد ما يلي:

١ - أن المني يتعسر خروجه كله، فربما بقي في العضو منه فيتعفن ويفسد فيضر.

٢ - وأيضا: فربما سال إلى الذكر رطوبات من الفرج.

٣ - وأيضا فإن الرحم لا يتمكن من الاشتمال على الماء واجتماعه فيه، وانضمامه عليه لتخليق الولد.

٤ - وأيضا: فإن المرأة مفعول بها طبعا وشرعا، وإذا كانت الفاعلة خالفت مقتضى الطبع والشرع.

وكان أهل الكتاب إنما يأتون النساء على جنوبهم على حرف ويقولون: هو أيسر للمرأة.

وكانت قريش والأنصار تسرح النساء على أقفائهن، فعابت اليهود عليهم ذلك، فأنزل الله عز وجل: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

وفي الصحيحين عن جابر قال: كانت اليهود تقول: إذا أتى الرجل امرأته من دبرها في قبلها كان الولد أحول، فأنزل الله عز وجل: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾، وفي لفظ مسلم: إن شاء مجبية وإن شاء غير مجبية، غير أن ذلك في صمام واحد[٢]. والمجبية:

---

(١) البخاري (٥ ٢٧٨)، ومسلم (١٤٥٧).

(٢) البخاري (٨ ١٤٣)، مسلم (١٤٣٥).

المنكبة على وجهها، والصمام الواحد: الفرج، وهو موضع الحرث والولد.

تحريم إتيان المرأة في دبرها والنهي عنه

قال ابن القيم رحمه الله: وأما الدبر، فلم يبح قط على لسان نبي من الأنبياء، ومن نسب إلى بعض السلف إباحة وطء الزوجة في دبرها فقد غلط عليه.

وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«ملعون من أتى امرأته في دبرها»**[١].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من أتى حائضا أو امرأة في دبرها أو كاهنا فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»**[٢].

وعن علي بن طلق قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تأتوا النساء في أعجازهن؛ فإن الله لا يستحي من الحق»**[٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء عمر بن الخطاب ﷺ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، هلكت. فقال: **«ما الذي أهلكك؟»** قال: حولت رحلي البارحة. قال: فلم يرد عليه شيئا، فأوحى الله إلى رسوله: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ **«أقبل وأدبر، واتق الحيض والدبر»**[٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا ينظر الله إلى رجل أتى رجلا أو امرأة في الدبر»**[٥].

---

(١) أبو داود (٢١٦٢)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (١٨٩٤).

(٢) الترمذي (١٣٥)، وابن ماجه (٦٣٩)، وأبو داود (٣٩٠٤)، وقال الأرناؤوط: وسنده قوي. وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١١٦).

(٣) الترمذي (١١٦٤)، وقال الأرناؤوط: وسنده صحيح.

(٤) الترمذي (٢٩٨٤) وقال الأرناؤوط: وسنده حسن، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢٣٨١).

(٥) الترمذي (١١٦٥) وقال الأرناؤوط: وإسناده حسن وصححه الألباني ... انظر: صحيح الجامع

قال ابن القيم رحمه الله: ومن ها هنا نشأ الغلط على من نقل عنه الإباحة من السلف والأئمة، فإنهم أباحوا أن يكون الدبر طريقا إلى الوطء في الفرج، فيطأ من الدبر لا في الدبر، فاشتبه على السامع (من) بـ (في) ولم يظن أن بينهما فرقا، فهذا الذي أباحه السلف والأئمة، فغلط عليهم الغالط أقبح الغلط وأفحشه، وقد قال تعالى: ﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، قال مجاهد: سألت ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ فقال: تأتيها من حيث أمرت أن تعتزلها، يعني: في الحيض.

وقال علي بن أبي طلحة: يقول في الفرج: ولا تعده إلى غيره.

قال ابن القيم: وقد دلت الآية على تحريم الوطء في دبرها من وجهتين: أحدهما: أنه أباح إتيانها في الحرث، وهو موضع الولد، لا في الحش الذي هو موضع الأذى، وموضع الحرث وهو المراد من قوله تعالى: ﴿ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ الآية، وقال: ﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾، وإتيانها في قبلها من دبرها مستفاد من الآية أيضا، لأنه قال: ﴿ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ أي: من أين شئتم من أمام أو من خلف، قال ابن عباس: ﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ ﴾ يعني: الفرج.

أضرار وأخطار الوطء في الدبر

قال ابن القيم رحمه الله:

١- وإذا كان الله حرم الوطء في الفرج لأجل الأذى العارض فما الظن بالحش الذي هو محل الأذى اللازم مع زيادة المفسدة بالتعرض لانقطاع النسل والذريعة القريبة جدا، من أدبار النساء إلى أدبار الصبيان؟

٢- وأيضا، فللمرأة حق على الزوج في الوطء، ووطؤها في دبرها يفوت حقها، ولا يقضي وطرها، ولا يحصل مقصودها.

٣- وأيضا، فإن الدبر لم يتهيأ لهذا العمل، ولم يخلق له، وإنما الذي هيئ له الفرج، فالعادلون عنه إلى الدبر خارجون عن حكمة الله وشرعه جميعا.

٤- وأيضا، فإن ذلك مضر بالرجل، ولهذا ينهى عنه عقلاء الأطباء من الفلاسفة

(٧٨٠١).

وغيرهم؛ لأن للفرج خاصية في اجتذاب الماء المحتقن[١]، وراحة الرجل منه، والوطء في الدبر لا يعين على اجتذاب جميع الماء، ولا يخرج كل المحتقن لمخالفته للأمر الطبيعي.

٥- وأيضا: يضر من وجه آخر، وهو إحواجه إلى حركات متعبة جدا لمخالفته للطبيعة.

٦- وأيضا: فإنه محل القذر والنجو، فيستقبله الرجل بوجه ويلابسه.

٧- وأيضا: فإنه يضر بالمرأة جدا؛ لأنه وارد غريب بعيد عن الطباع منافر لها غاية المنافرة.

٨- وأيضا: فإنه يحدث الهم والغم، والنفرة عند الفاعل والمفعول.

٩- وأيضا: فإنه يسود الوجه، ويظلم الصدر، ويطمس نور القرب، ويكسو الوجه وحشة تصير عليه كالسيماء يعرفها من له أدنى فراسة.

١٠- وأيضا: فإنه يوجب النفرة والتباغض الشديد، والتقاطع بين الفاعل والمفعول، ولابد.

١١- وأيضا: فإنه يفسد حال الفاعل والمفعول فسادا لا يكاد يرجى بعده صلاح إلا أن يشاء الله بالتوبة النصوح.

١٢- وأيضا، فإنه يذهب بالمحاسن منهما، ويكسوهما ضدها، كما يذهب بالمودة بينهما، ويبدلهما بها تباغضا وتلاعنا.

١٣- وأيضا: فإنه من أكبر أسباب زوال النعم، وحلول النقم، فإنه يوجب اللعنة والمقت من الله، وإعراضه عن فاعله، وعدم نظره إليه، فأي خير يرجوه بعد هذا، وأي شر يأمنه، وكيف تكون حياة عبد قد حلت عليه لعنة الله ومقته، وأعرض عنه بوجهه، ولم ينظر إليه.

١٤- وأيضا: فإنه يذهب بالحياء جملة، والحياء هو حياة القلوب، فإذا فقدها القلب، استحسن القبيح، واستقبح الحسن، وحينئذ فقد استحكم فساده.

١٥- وأيضا، فإنه يحيل الطباع عما ركبها الله، ويخرج الإنسان عن طبعه إلى طبع لم يركب الله عليه شيئا من الحيوان، بل هو طبع منكوس، وإذا انتكس القلب والعمل

---

(١) يعني: المني.

والهدي، فيستطيب حينئذ الخبيث من الأعمال والهيئات، ويفسد حاله وعمله وكلامه بغير اختياره.

١٦- وأيضا، فإنه يورث من الوقاحة والجرأة ما لا يورثه سواه.

١٧- وأيضا، فإنه يورث من المهانة والسفال والحقارة ما لا يورثه غيره.

١٨- وأيضا، فإنه يكسو العبد من حلة المقت والبغضاء، وازدراء الناس له، واحتقارهم إياه، واستصغارهم له ما هو مشاهد بالحس.

فصلاة الله وسلامه على من سعادة الدنيا والآخرة في هديه، واتباع ما جاء به، وهلاك الدنيا والآخرة في مخالفة هديه وما جاء به[1].

تحريم الوطء في المحيض

قال الله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]

وقال رسول الله ﷺ: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح»[2].

الحيض لغة

حاضت المرأة حيضا: سال حيضها، وبلغت سن المحيض، فهي حائض، والجمع حوائض، وحيض، وهي حائضة، والجمع حوائض. الحيض: الدم الذي يسيل من رحم المرأة في أيام معلومات من كل شهر. الحيضة: الخرقة تصنعها المرأة لتتقي دم الحيض. المحيض: الحيض[3].

حكم من أتى حائضا

إتيان الحائض محرم بالكتاب والسنة والإجماع، قال النووي: ولو اعتقد مسلم حل جماع الحائض في فرجها صار كافرا مرتدا، ولو فعله إنسان غير معتقد حله، فإن كان ناسيا

---

(١) الطب النبوي (٢٤٩- ٢٦٤) بتصرف.

(٢) مسلم (٣٠٢)، وابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٥٢٧).

(٣) الوجيز (١٨١).

أو جاهلا بوجود الحيض، أو جاهلا بتحريمه، أو مكرها، فلا إثم عليه ولا كفارة، وإن وطئها عمدا عالما بالحيض والتحريم مختارا، فقد ارتكب معصية كبيرة. نص الشافعي على أنها كبيرة، وتجب عليه التوبة، وفي وجوب الكفارة قولان[١]: والقول الراجح هو وجوب الكفارة لحديث ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ في الذي يأتي امرأته وهي حائض، قال: **«يتصدق بدينار أو نصف دينار»**[٢]، والتخيير في الحديث يرجع إلى التفريق بين أول الدم وآخره، لما روي عن ابن عباس -موقوفا: إن أصابها في فور الدم تصدق بدينار، وإن كان في آخره فنصف دينار[٣].

مفهوم المباشرة أثناء الحيض وحكمها

المباشرة للزوج من فوق الإزار وهي حائض والاستمتاع بمداعبتها من فوق السرة وما تحت الركبة مباح باتفاق العلماء لما صح من فعله -عليه الصلاة والسلام، فعن ميمونة ﵂ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يباشر امرأة من نسائه أمرها فأتزرت وهي حائض.

ولما ورد عن حكيم بن حزام، عن عمه، أنه سأل النبي ﷺ: ما يحل لي من امرأتي وهي حائض؟ قال: **«لك ما فوق الإزار»**.

مفهوم اعتزال النساء في المحيض

لمفهوم اعتزال النساء في المحيض قولان مشهوران عند العلماء المسلمين:

الأول: لابن حنبل والأوزاعي وعكرمة ومحمد بن الحسن، وهؤلاء يرون أنه يجب اعتزال موضع الأذى، وهو مخرج الدم، ويحرمون بذلك الجماع دون غيره؛ لعموم قول المصطفى ﷺ: **«اصنعوا كل شيء إلا النكاح»**، وجعلوا قوله للسائل: **«لك ما فوق الإزار»** خاصا بالسائل عم حكيم بن حزام، فلا يخصص عموم الأحاديث الأخرى؛ فعند الحنابلة إذا يجوز للرجل الاستمتاع بما بين السرة والركبة، من زوجته حال المحيض دون حائل

---

(١) شرح النووي لمسلم (٣ ٢٠٤).

(٢) صحيح، انظر: صحيح ابن ماجه (٥٢٣).

(٣) صحيح موقوف، انظر: صحيح أبي داود (٢٣٨).

عدا الوطء، وبعض الشافعية يفصلون في الأمر جامعين بين الأحاديث الواردة بقولهم: إن كان المباشر يضبط نفسه عن الفرج جاز، وإلا لم يجز.

والثاني: للحنفية والمالكية وجمهور الشافعية، وهؤلاء يرون وجوب اعتزال ما بين السرة والركبة، وتحريم التمتع به سدا للذريعة، ولأن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ولظاهر الأحاديث الواردة في ذلك، منها حديث عائشة ﵂ قالت: كانت إحدانا إذا كانت حائضا فأراد رسول الله ﷺ أن يباشرها أمرها أن تأتزر في فور حيضتها، ثم يباشرها. متفق عليه.

متى يحل وطء الحائض؟

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]؛ إذا إذا طهرت المرأة من حيضها، واغتسلت (أو تيممت عند عدم إمكانية الغسل) جاز وطؤها، وهذا هو قول الجمهور، اتفق عليه المالكية والشافعية والحنابلة وطائفة من الحنفية، وذهبت طائفة أخرى من الحنفية إلى جواز وطء الحائض دون غسل إذا انقطع دم الحيض لأكثر مدته وهي عندهم عشرة أيام، ولكن يندب عندهم أن تغتسل (أي: في هذه الحالة) ولكن هذا القول يخالف الأدلة الصحيحة في الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة من الصحابة والتابعين، لذا فالصواب قول الجمهور، وقد شذ ابن حزم في روايته عن عطاء ومجاهد في الحائض إذا رأت الطهر فإنها تغسل فرجها، ويصيبها زوجها، وهو قول غير صحيح كما سبق.

الحكمة الطبية من عدم وطء الحائض قبل طهرها واغتسالها

لا شك أن رأي الجمهور باغتسال المرأة لكامل جسدها قبل وطئها يتوافق مع الرأي الطبي، ففيه تنشيط لأعصابها ودورتها الدموية بعد فترة الحيض، وما يرافقها عادة من هموم وتعب.

خاصة وأن الرائحة الخاصة للمرأة أثناء حيضها لا تقتصر على فرجها بل تمتد غالبا إلى مفرزات الجلد كافة، فيكون الغسل هو المناسب صحيا لزوالها، وهو الأقرب لمحبة الله سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾.

الأبحاث الطبية توافق الآيات القرآنية

أيدت الأبحاث الطبية ما أثبته الشرع مما قرره القرآن العظيم من ضرر وأذى يلحق كلا من الرجل والمرأة إذا حصل الوقاع أثناء الحيض.

تأذي المرأة

يبدأ المبيض بإفراز هرمون الجريبين الذي يزداد تدريجيا بعد الحيض، ليصل ذروته في وقت الإباضة (في اليوم الرابع عشر من دورتها الشهرية)، ثم ينخفض تدريجيا لينعدم مع بدء الحيض التالي، ويبقى منعدما طيلة فترة الحيض، وفي حياة المرأة الجنسية يقوم هرمون الجريبين بوظائف دفاعيه هامة لعضويتها:

١- فهو يحض على نمو الطبقة البشرية الغدية لبطانة الرحم، ويزيد من مفرزاته المخاطية؛ حيث تتشكل منها في عنق الرحمة سدادة مخاطية تغلق زمن الطهر، وتحول دون دخول الجراثيم التي تدخل عادة أثناء الجماع إلى الرحم، مانعا حصول أي إنتان.

٢- كما أن هرمون الجريبين يزيد من نشاط أهداب الخلايا البشرية، والتي تساهم أيضا في دحر أي إنتان، وينعدم كل هذا النشاط الوقائي للرحم أثناء الحيض لانعدام إفراز هذا الهرمون في تلك الفترة.

٣- وفي المهبل، فإن للجريبين فعلا مهما لنمو الخلايا الظهارية لبطانته، يزيد من سماكتها بحيث تشكل طبقتها السطحية حاجزا دفاعيا هاما.

٤- كما يزيد الجريبين من مفرزات المهبل الحامضية (لوجود حامض اللبن) وهذا الوسط الحامضي يمنع الجراثيم الممرضة، ويقتلها، ويطهر المهبل منها.

أما أثناء الحيض، فإن الدم النازل وانعدام الجريبين يعدل الوسط الحامضي للمهبل، أو يجعله قلويا، مما يخفض من مقاومته للإنتان إلى حد كبير، ويجعله صالحا لتكاثر الجراثيم الممرضة مما يؤهب للالتهاب.

ويحمل عضو الرجل على سطحه العديد من الجراثيم بشكل متعايش غير ممرض في الحالات العادية، وهي تدخل مهبل المرأة بشكل عفوي أثناء الجماع، ولعدم وجود أية مقاومة للجراثيم في المهبل، فإنها تنتقل عبر عنق الرحم المنفتح خلال هذه الفترة متنقلة إلى باطن الرحم، وتدخل من خلال غشائه المتسلخ النازف إلى الدورة الدموية، مما يؤدي إلى حصول التهابات خطيرة في الرحم، قد تمتد إلى الحوض والمبيض وقناة فالوب، وما يرافق



ذلك من آلام شديدة، وربما أدى ذلك في النهاية إلى العقم.

أضف إلى ذلك كله أن مقاومة المرأة للأمراض تتضاءل إلى حدها الأدنى أثناء المحيض.

كما أنه من طبيعة العمل الجنسي (أثناء الجماع) أن يتقلص الرحم أثناء الرعشة الجنسية، ثم يسترخي مرتشفا محتويات المهبل من مني وإفرازات، وما تحتويه من جراثيم ممرضة تدخل إلى باطن الرحم المتسلخ أثناء الطمث مؤديا إلى التهاب الرحم أيضا.

هذا علاوة على أن مني الرجل يحتوي على مادة البروستاجلاندين، وهي مادة إذا دخلت الدورة الدموية للأنثى أدت إلى إحداث نقص شديد في مناعتها، وقد تتعرض بذلك للهلاك عند إصابتها بأضعف الأمراض.

كما أن الهرمونات النخامية للجريبين تكون منخفضة جدا أو معدومة أثناء الحيض، ولا غنى عنها لإفراز المادة الشبقية في مهبل المرأة أثناء الجماع، وهذا ما يجعل المرأة بطبعها معرضة عن الجماع في فترة حيضها.

تأذي الرجل

الجماع أثناء الحيض يؤدي إلى تسرب مفرزات المهبل ودم الطمث وما فيها من جراثيم إلى إحليل الرجل مؤدية إلى التهابات فيه متباينة الشدة، وقد تمتد لتصل إلى الحويصلات، والبروستاتا، والبربخ والخصية، مؤدية إلى آلام شديدة في العجان، أثناء المشي والتبول والجلوس، وإن عدم إصابة رجل ما إذا وطئ زوجته مرة وهي حائض لا يعني أبدا انعدام وجود عوامل الأذى.

رؤية الدم ورائحته الكريهة كثيرا ما تعرض الزوج للنفور والاشمئزاز ويؤدي إلى إصابته بما يسمى (بالقرف الجنسي) أي: كراهية مجامعة زوجته.

وخلاصة القول

إن أضرارا واضحة أثبتها الطب، تلحق بكل من شريكي الجماع إذا حصل أثناء المحيض، وهذا كله من الأذى المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ

أَذًى ﴾[البقرة: ٢٢٢][1].

والآن ...

بعد كل هذا ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الحديد:١٦] متى سنعود إلى تطبيق قرآن ربنا عمليا في حياتنا؟ ومتى سنطبق سنة نبينا في كل شئوننا؟ ومتى نفيق من غفلة الجهل بالدين إلى نور المعرفة واليقين؟ أخذ الغرب بهدي نبينا فتقدموا، وتركنا نحن -المسلمين- سنة نبينا (إلا من رحم الله ربنا) فتأخرنا، وما سمعنا يوما ما عن دولة أجنبية شرقية كانت أو غربية وقد أطلق عليها كما أطلق على بلدة عربية أو إسلامية بالدول النامية؟ وإن دققوا التعبير لقالوا: الدول المتخلفة، والدول المتأخرة .. فلا تقدم، ولا تحضر، ولا تطور إلا إذا رجعنا إلى قرآن ربنا، ولا ارتقاء، ولا نماء، ولا رخاء إلا إذا اهتدينا بهدي نبيناﷺ.

الوقاية باجتناب الإخوة من الرضاع (وهو محرم شرعا)

قال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ٢٣].

وقال رسولا اللهﷺ: **«الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة»**[2].

عدد الرضعات المحرمة

عن أم الفضل أن النبي ﷺ قال: **«لا تحرم الرضعة أو الرضعتان، أو المصة أو المصتان»**[3].

---

(١) ملخص بحث للدكتور محمد نزار.

(٢) البخاري (٥٠٩٩)، ومسلم (١٤٤٤).

(٣) مسلم (١٤٥١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«لا تحرم المصة والمصتان»**[١].

وعنها رضي الله عنها: كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله ﷺ وهن فيما يقرأ من القرآن[٢].

وقت الرضاع الذي يعتد به في التحريم

يعتد بها في الحولين الأولين من عمر المولود؛ لقوله تعالى: **﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾** [البقرة: ٢٣٣].

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«لا يحرم من الرضاع إلا ما فتق الأمعاء من الثدي وكان قبل الفطام»**[٣].

اتباع هدي سيد البرية (بعدم تزويج الإخوة من الرضاع) وقاية طبية

أثبتت الأبحاث العلمية التي أجريت حديثا وجود أجسام في لبن الأم المرضعة مما يترتب على تعاطيه تكوين أجسام مناعية في جسم الرضيع بعد جرعات تتراوح من ثلاث إلى خمس جرعات، وهذه هي الجرعات المطلوبة لتكوين الأجسام المناعية في جسم الإنسان، حتى في حيوانات التجارب المولودة حديثا، والتي لم يكتمل نمو الجهاز المناعي عندها، فعندما ترضع اللبن تكتسب بعض الصفات الوراثية الخاص بالمناعة من اللبن الذي ترضعه، وبالتالي تكون مشابهة لأخيها أو لأختها من الرضاع في هذه الصفات الوراثية، ولقد وجد أن تكون هذه الجسيمات المناعية يمكن أن يؤدي إلى أعراض مرضية عند الإخوة في حالة الزواج، ومن هنا نجد الحكمة النبوية في الحديث الشريف من تحريم زواج الإخوة من الرضاع، وأن القرابة من الرضاعة تثبت وتنتقل في النسل، والسبب الوراثة ونقل الجينات، أي: أن قرابة الرضاع سببها انتقال جينات وراثية من حليب الأم واختراقها لخلايا الرضيع واندماجها مع سلسلة الجينات عند الرضيع[٤].

---

(١) مسلم (١٤٥٠).

(٢) مسلم (١٤٥٢).

(٣) الترمذي (١١٦٢)، وصححه الألباني في الإرواء (٢١٥٠).

(٤) الإعجاز العلمي في الإسلام والسنة، محمد كامل عبد الصمد.

الوقاية باتباع الهدي النبوي عند العطاس والتثاؤب

الهدي النبوي عند العطاس

عن أبي هريرة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فيه، وخفض أو غض بها صوته[1].

ماهية العطاس

يعرف العطاس بأنه زفير قوي يخرج معه الهواء بقوة من طريقي الأنف والفم جارفا معه كل ما يجده في طريقه من غبار وهباء وجراثيم، ويطردها من الجسم مخلصا إياه من أذاه.

حكمة الأدب النبوي عند العطاس

قال الدكتور إبراهيم الراوي: وهذا الأدب النبوي له حكمته الصحية الجلية؛ إذ يندفع مع العطاس رذاذه إلى مسافة بعيدة يمكن أن يصل معها إلى الجالسين مع العاطس، أو أن يصل إلى طعام أو شراب قريب منه، وهذا يمكن أن ينقل العدوى بمرض ما (كالزكام) إن كان العاطس مصابا به، وليس من خلق المسلم أن يتسبب بشيء من ذلك؛ لذا علمنا النبي ﷺ الأدب في أن نضع أيدينا أو منديلا على أفواهنا عند العطاس لمنع وصول رذاذه إلى الغير، وفي ذلك غاية الأدب.

الفائدة الطبية للعطاس

قال الدكتور إبراهيم الراوي: إن العطاس وسيلة دفاعية هامة لتخليص المسالك التنفسية من الشوائب، ومن أي جسم غريب يدخل عن طريق الأنف، فهي بذلك الحارس الأمين الذي يمنع ذلك الجسم الغريب من الاستمرار في الولوج داخل القصبة الهوائية؛ فإن مجرد ملامسة الجسم الغريب لبطانة الأنف فإن بطانة الأنف تنبه بسرعة مجيبة آمرة الحجاب الحاجز بصنع شهيق عميق لا إرادي يتبعه زفير عنيف[2] عن طريق الأنف لطرد الدخيل الخطير، ومنعه من متابعة سيره عبر المسالك التنفسية إلى الرئتين.

---

(١) أبو داود (٥٠٢٩)، والترمذي (٢٧٤٦)، وقال الألباني في صحيح أبي داود (٤٢٠٧): حسن صحيح.

(٢) يقصد هنا العطاس.

الله يحب العطاس ويكره التثاؤب

عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إن الله يحب العطاس، ويكره التثاؤب، فإذا عطس أحدكم وحمد الله تعالى كان حقا على كل مسلم سمعه أن يقول له: يرحمك الله، وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان، فإن تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان**»[١].

الأمر النبوي برد التثاؤب

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا تثاءب أحدكم فليمسك بيده على فيه، فإن الشيطان يدخل**»[٢]، وكذلك الأمر في الحديث السابق: «**فليرده ما استطاع**».

فوائد رد التثاؤب

قال الدكتور أنور حمدي: إن الأمر النبوي الكريم برد التثاؤب قدر المستطاع إنما يحمل فوائد ثلاثة:

أولها: أنه دليل بلا شك على ذوق جمالي رفيع

إذ إن المتثائب حين يفغر فاه كاملا، مظهرا كل ما فيه من بقايا طعامية، ولعاب وأسنان نخرة، أو ضائعة مع ظهور رائحة الفم يثير الاشمئزاز في نفس الناظر.

ثانيا: فائدة وقائية:

إذ يفيد رد التثاؤب في منع الهوام والحشرات من الدخول إلى الفم أثناء فعله.

ثالثا: وقائي أيضا

إذ يفيد في منع حدوث خلع المفصل الفكي الصدغي، وذلك أن الحركة المفاجئة الواسعة للفك السفلي أثناء التثاؤب قد تؤدي إلى حدوث مثل هذا الخلع.

فيا من تدعي حب النبي، هلا اتبعته؟! قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١]، فإن اتباع النبي دليل

---

(١) البخاري (١٠٠١ ٥).

(٢) مسلم (٢٩٩٥).

على محبة الرب العلي، وإن الاهتداء بهدي النبي دليل على محبة النبي:

تعصي الإله وتدعي حبه هذا محال في القياس بديع
إن كنت صادقا في حبه لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

الوقاية باجتناب التدخين

اعلم -رحمك الله- أن الكتاب والسنة قد جاء فيهما من النصوص الصريحة ما يحرم كل ضار بالصحة، وحيث إن التدخين من المضرات باتفاق الأطباء، وقد ثبت ضرره جليا بما لا يدع مجالا للشك في تحريمه؛ لذا ذهب العلماء إلى القول بتحريمه بيعا، وشراء، وتعاطيا. وفيما يلي بيان: حكم التدخين. وأدلة تحريمه. وأقوال الفقهاء الأربعة. وأضرار التدخين الصحية.

وبعد هذا سيتبين لكل ذي لب رشيد، ورأي سديد، وعزيمة صادقة أنه لا بد له من الإقلاع -فورا، وبلا تسويف- عن التدخين لحرمته الشرعية من ناحية، ولعلمه بضرره وخطره من ناحية أخرى:

حكم التدخين

التدخين حرام بيعا، وشراء، وتداولا، وتعاطيا، وذلك بالأدلة العامة من الكتاب والسنة والإجماع.

أدلة التحريم

١- قال تعالى: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، والدخان من الخبائث الضارة إضافة إلى أنه كريه الرائحة.

٢- وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ ﴾ [البقرة: ١٩٥]، والدخان يوقع في الأمراض المهلكة القاتلة الفتاكة كالسل والسرطان وغير ذلك.

٣- وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾ [النساء: ٢٩]، والدخان قتل للنفس، فهو يفضي بصاحبه إلى الموت البطيء عن طريق ما يصاب به من أمراض وأضرار فتاكة.

٤- وقال تعالى عن ضرر الخمر والميسر: ﴿ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَا ﴾ [البقرة: ٢١٩]، والدخان ضرره أكبر من نفعه، بل لم يؤثر عنه طبيا منفعته، أفلا يكفي ذلك

لتحريمه؟!

٥- وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧]، والدخان تبذير، وإسراف للمال، وتضييع له.

٦- وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴾ [الغاشية: ٦، ٧]، والدخان لا يسمن ولا يغني من جوع، أفلا يكفي ذلك تقبيحا للدخان والمدخنين وهذا الفعل المشين.

٧- وقال النبي ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»[١]، والدخان يضر صاحبه ويؤذي الآخرين، فإن كان الدخان يضر صاحبه فقط لكفى ذلك دليلا على تحريمه، فكيف وهو يضر بالآخرين أيضا؟! لا سيما لو كانوا كثرة؛ كوسائل المواصلات، وأماكن التجمعات، ونحوها.

٨- وقال النبي ﷺ: «إن الله كره لكم ثلاثا: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال[٢]»، والدخان إضاعة للمال باتفاق.

٩- وقال النبي ﷺ: «من تحسى سما فقتل نفسه، فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا»[٣]، والدخان فيه سم النيكوتين وغيره من السموم التي تتسبب في إمراض المدخن، وإزهاق حياته عاجلا كان أو آجلا، فكيف إذا جيء بهذا المدخن الأثيم يوم الدين، وقد تحسى في دنياه سما تسبب في إتلاف حياته، وإذا به في الآخرة يقتل به مرة ولا مرات، بل يتحساه بيده في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا.

١٠- وقال النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره»[٤]، والدخان يؤذي برائحته زوجته وأولاده وجيرانه وخلانه، كما يؤذي الملائكة والمصلين بجواره، فإن

---

(١) أحمد وصححه الألباني، انظر: صحيح الجامع (٧٥١٧) والإرواء (٨٩٦)، والصحيحة (٢٥٠).

(٢) متفق عليه.

(٣) مسلم.

(٤) البخاري (١٠ ٣٧٣)، ومسلم (٤٧).

الملائكة تتأذى مما يتأذى به بنو آدم.

١١- وقال النبي ﷺ: «**لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيم أفناه؟ وعن علمه ماذا فعل فيه؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وعن جسمه فيم أبلاه؟**»[١]، فسيسأل المدخن لا محالة عن ماله فيم أنفقه؟ ماذا سيقول لربه؟ وكيف يكذب على مولاه؟! إن صدق فقال: اشتريت بمالي محرما (كالسجائر) فتلك مصيبة، وإن كذب فالمصيبة أعظم، وسيسأل عن جسمه فيم أبلاه؟ ما الذي تسبب له في السرطان؟ ما الذي أدى به إلى الإصابة بالسل؟ إنه الدخان .. يحرقه صاحبه في الدنيا، وسيحرق به في الآخرة.

أقوال الفقهاء

١- الحنفية (جاء في تنقيح الحامدية لابن عابدين): إن ثبت في هذا الدخان إضرار صرف خال عن منافع فيجوز الإفتاء بتحريمه، وجاء في الدر المختار: والتتن(أي: الدخان) يدعي شاربه أنه لا يسكر، وإن سلم له فإنه مفتر، وهو حرام.

٢- الشافعية (جاء في بغية المسترشدين): يحرم بيع التنباك (أي: السجائر) ممن يشربه أو يسقيه غيره، والتنباك معروف من أقبح الخلال؛ إذ فيه ذهاب الحال والمال، ولا يختار استعماله ذو مروءة من الرجال.

٣- الحنابلة: ومنهم الشيخ عبد الله ابن الشيخ حين قال: وبما ذكرنا من كلام رسول الله ﷺ، وكلام أهل العلم لك يتبين تحريم التتن (التدخين) الذي كثر في هذا الزمن استعماله، وممن حرمه من علماء مصر القدامى الشيخ أحمد السنهوري الحنبلي.

٤- المالكية: قال الشيخ خالد بن أحمد من فقهاء المالكية: لا يجوز إمامة من يشرب التنباك، ولا الإتجار به (أي: البيع، والشراء)، ولا بما أسكر. وممن حرم الدخان من علماء المالكية الشيخ إبراهيم اللقاني وغيره.

مفتي مصر يحرم التدخين

وقد أفتى حديثا مفتي جمهورية مصر العربية فضيلة الدكتور نصر فريد واصل

---

(١) الترمذي (٢٤١٩)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٩٤٦).

بتحريم التدخين بيعا، وشراء، وتداولا، وتعاطيا للضرر المتحتم منه في الصحة، والمال، وإيذاء النفس والمسلمين.

أضرار التدخين

١ - أكدت إحصائيات وزارة الصحة الأمريكية أن تعاطي التدخين يؤدي إلى وفيات تعادل ١٠٠٠ وفاة يوميا في الولايات المتحدة، وهو رقم يزيد سبع مرات عن الوفيات الناجمة عن حوادث الطرق.

وفي تقرير اللجنة الطبية الأمريكية الذي نشر في ١١ ١ ١٩٦٤م أكد أن التدخين ضار بالصحة حتما، وسبب رئيسي لعدد من الأمراض المميتة.

٢- وتؤكد الأبحاث أن ضرر التدخين لا ينحصر في المدخن، فالجلوس في غرفة مغلقة فيها مدخنون -ولمدة أربع ساعات- فإنها تعادل تدخين عشر سجائر.

٣- استنشاق مسحوق التبغ (سعوطا) إلى داخل الأنف يخرش الغشاء المخاطي للأنف مؤديا إلى التهابه المزمن، وإذا وصل إلى الداخل فإنه يؤدي إلى التهاب الأذن الوسطى واضطراب السمع، ويمكن أن يؤدي إلى سرطان موضعي.

٤- مضغ التبغ يعد أشد ضررا؛ حيث يخرش بطانة الفم والبلعوم والمريء، ويزيد إفراز اللعاب، مما يضطر المدمن (المدخن) عادة إلى البصاق، كما يؤدي إلى التهاب مزمن في الأغشية المخاطية مع التهاب اللثة واللسان، ويؤدي إلى جفاف الفم الدائم وسرطان اللسان.

٥- مخاطر التدخين على الجهاز التنفسي:

أ-النيكوتين والقطران يخربان النسيج المبطن للرئة، مما يؤدي إلى نقص واضح في الوظائف التنفسية؛ كنقص السعة التنفسية. ونقص حجم الهواء الزفيري. ونقص نفوذ الأغشية الرئوية.

ب-يصيب دخان التبغ الأهداب المهتزة للقصبات الرئوية الهوائية بالشلل، ويعطل بذلك أهم وسيلة للدفاع في الطرق التنفسية، ويزداد التأثير السمي على الأهداب كلما زادت كثافة التدخين، وتقارب الفواصل الزمنية بين سيجارة وأخرى.

ج-زيادة إفراز المخاط الذي يساعد بدوره على نهي النشاط الهوبي، وتضعف وظيفة البلعمة أيضا، مما يعطل الدفاع ضد العوامل المؤذية الداخلة مع هواء الزفير، مما يجعل إصابة المدخنين بأمراض الرئة والقصبة الهوائية تصل إلى ٥٠٪.

د-العلاقة السببية بين التدخين وسرطان الرئة أصبحت واضحة بها لا يقبل الشك، وهذا ما يؤكده تقرير اللجنة الاستشارية الأمريكية، ويضيف أن خطر نشوء سرطان الرئة يزداد مع طول فترة التدخين وعدد السجائر التي يدخنها، ويقل بقطع (إيقاف) التدخين.

وإن خطر الإصابة عند المدخن المعتدل بسرطان الرئة يبلغ تسعة أضعاف الخطر الذي يتعرض له غير المدخن.

أما المدمن للتدخين، فإن خطر تعرضه للإصابة يعادل عشرين ضعفا، ففي إحدى الإحصائيات تبين ظهور ستين إصابة بسرطان الرئة بين ألف مدخن، مقابل إصابتين فقط بين ألف شخص غير مدخن.

٦- خطر التدخين على القلب والأوعية الدموية: أجريت تجارب في جامعة واشنطن، سجلت فيها بدقة نسبة هرموني الأدرينالين والفورأدرينالين في دماء عشرة متطوعين قبل -وأثناء وبعد التدخين-، وقد تبين بشكل لا يقبل الجدل أن التدخين يزيد بشكل حاد إنتاج هذه الهرمونات بعد عشر دقائق من بدء التدخين، ويرتفع معها في نفس الوقت عدد النبضات والضغط الدموي، مما يؤدي إلى إصابة القلب بالإرهاق ويجعله مستعدا للإصابة بالجلطة، ويؤكد الدكتور (ألتون أوشين) أن الوفيات الناجمة عن الإصابات القلبية الوعائية معظمها يعود إلى التدخين. ويرجع سبب هذا إلى أمور:

١- نقص الأوكسجين عند المدخنين، وهذا يفرض جهدا إضافيا على قلب المدخن.

٢- زيادة الجهد المضني لعضلة القلب والشرايين وذلك بسبب النيكوتين.

أثر التدخين على الأوعية الدموية

يصاب المدخنون بداء برجر (الذي يندر إصابة غير المدخنين به) حيث تصاب الأوعية الدموية الصغيرة السطحية بالانسداد ويؤثر ذلك على المشي، حيث يصاب المرء بالعرج المتقطع، ولا يتراجع هذا المرض إلا إذا أقلع المدخن عن التدخين.

٧- خطر التدخين على الحواس والأعصاب:



أ-المدخن عصبي المزاج يثور بسهولة، وهو قليل القدرة على التركيز.

ب-ويحدث التدخين نقصا في القدرة الكهربائية للدماغ، وتصلبا في شرايينه بفعل المركبات القطرانية الثقيلة، وقد يظهر نوبات صرعية كامنة.

ج-وللتدخين تأثير واضح على الأعصاب؛ حيث تنقص ترويتها بما يحدثه من تقبض وعائي ولتأثيره السمي المباشر عليها، ويظهر ذلك في صورة رجفان بالأطراف وفقدان لحاسة الذوق، وصداع وآلام عصبية في الأطراف.

د-والتدخين يضعف الذاكرة لتأثيره المنبه على الدماغ، ولأن الإفراط في استعمال المنبهات يورث الفتور.

وفي دراسة شملت ٦٨٠٠ طالب تبين وجود علاقة واضحة بين حاصل الذكاء والتدخين، وكانت نسبة الذكاء عند المدخنين أقل، ومتناسبة مع درجة التسمم بالتبغ.

٨- خطر التدخين على العين والإبصار:

أ-تصاب العين (بسبب التدخين) بالتهابات متكررة في الملتحمة، مع جفاف الأجفان.

ب-يلتهب العصب البصري لنقص فيتامين (ب١٢) عند المدخن بسبب مادة السيانيد التي يحويها دخانه، والتي تتلف وتفسد هذا الفيتامين.

٩- خطر التدخين على الجهاز الهضمي:

أ-تحدث ٩٠٪ من سرطانات الشفة عند المدخنين.

ب-تضعف حاسة التذوق، بالإضافة إلى التهاب البلعوم واللوزتين المتكرر بسبب التدخين.

ج-تكثر تقرحات اللثة واللسان، ويمكن حدوث سرطان اللسان.

د-التهاب الغدد اللعابية، ويمكن أن تصل في النهاية إلى تليف وضمور عند الإدمان.

هـ- زيادة احتمالية الإصابة بسرطان المريء.

و-إمكانية حدوث قرحة المعدة والاثنا عشر.

ز-تسمم الخلايا الكبدية، وحدوث قصور كبدي، ويمكن أن ينتهي الأمر بحدوث سرطان الكبد.

١٠- خطر التدخين على الجهاز البولي والجهاز التناسلي:

أ-يتسبب التدخين في الإصابة بالعجز الجنسي والعنة.

ب-اضطراب تشكل الحيوانات المنوية، والذي يمكن أن يؤدي بدوره إلى العقم.

ج-التدخين له تأثير سام على الأنابيب المولدة للحيوانات المنوية في الخصية مما يؤدي إلى تشوهها وعدم كفاءتها في التخصيب.

د-ضعف الشهوة وعدم الانتصاب الكامل والمستمر فترة الجماع.

١١- خطر التدخين على الحمل والولادة:

صرح تقرير الملكية الطبية البريطانية عام ١٩٩٢ م بما يلي:

أ-يؤدي التدخين عند الحوامل إلى كثرة الإجهاض والإملاص (ولادة أجنة ميتة)، وإلى كثرة حدوث الخلاج (الولادة قبل الأوان)، وإلى نقص في وزن الوليد، وكثرة الوفاة للرضع في الشهر الأول من ولادتهم، مع كثرة حدوث عيوب خلقية.

ب-ويؤكد التقرير أن الوفاة في المهد ترجع إلى تدخين الأبوين في المنازل، كما يكثر في تلك المنازل إصابة الأطفال بالربو، والأمراض التنفسية، وأن ثلث حالات الصمم عند الأطفال يعود إلى أن أحد الأبوين مدخن.

وكان (سمبسون) أول من نشر عام ١٩٥٧م بحثا عن تأثير التدخين على المواليد لأمهات مدخنات، كما أكد (لووي) أثر التدخين على صغر حجم المولود ووزنه، وإلى ولادة أجنة ميتة، وإلى زيادة العيوب الخلقية، وخاصة في القلب، ويعود ذلك إلى نقص الأوكسجين الدائم في دم الحامل للتسمم المزمن بغاز أول أكسيد الكربون، وتؤكد الأبحاث أن الشريان المبيضي يتأثر بشكل خاص من تأثيرات النيكوتين المقبضة مما يؤثر سلبا على إنتاج الهرمونات الجنسية المبيضية، كما أنه يؤخر إفراز هرمون **LH** مما يباعد حدوث الإباضة، وما ينتج عن ذلك من قلة الإخصاب والإنجاب، كما أن النيكوتين يضيق الأوعية المغذية للمشيمة مما قد يؤدي إلى تأخير نمو الجنين، وإلى حدوث تشوهات جنينية، ويفرز النيكوتين مع حليب الأم المرضع مما يؤدي إلى تسمم الرضيع وحدوث قيء متكرر، وتشنجات واضطرابات في قلب الرضيع ونبضه ، وتدل الأبحاث على أن أنسجة الثدي تتخرش بسبب النيكوتين، ويمكن أن يؤدي ذلك إلى الإصابة بسرطان

الثدي، كما أن التدخين ينقص من إفراز الهرمون النخامي المدر للبول **ADH** ويؤدي إلى الإصابة بسرطان المثانة.

١٢- التدخين وتلوث البيئة:

تزداد خطورة التدخين لخروج غاز أول أكسيد الكربون، لا سيما في الغرف المكتظة بالمدخنين، حيث يؤدي التسمم المزمن بهذا الغاز إلى اضطرابات هضمية وتنفسية، تظهر في صورة انقباض في الصدر، ووهن، ونوبات من الصداع والأرق عند النوم.

وأخيرا: صدق أو لا تصدق ... منظمة الصحة العالمية تنصح بمنع زراعة التبغ وتسويقه:

يؤكد تقرير منظمة الصحة العالمي أن ٩٠٪ من حالات سرطان الرئة ينجم عن التبغ، علاوة على مساهمته الأكيدة في حالات الجلطة، وإحداث جملة من السرطانات في الحنجرة، والمريء، والبلعوم.

وينصح التقرير الحكومات جميعها بمنع زراعة التبغ وتسويقه؛ لأن ضرر الدخان لا يقتصر على المدخن، بل يتعداه إلى المجتمع، فالتدخين يلوث البيئة، وخاصة زوجات أو أزواج المدخنين، وأطفالهم الذين يعانون من أمراض خطيرة ومتعددة بسبب تدخين رب المنزل.

الوقاية باجتناب الخمر والمنكرات

اعلم -رحمك الله- أن الخمر من أكبر الكبائر، وأنها أم الخبائث، من تعاطاها أفسد دينه ودنياه، وأفسد خلقه وأغضب خالقه، وأبغض المخلوقات كلها، وأصابه من الهم والغم ما لا طاقة له به، وحل به من النصب والوصب ما الله به عليم، فما من عابد يريد مرضاة ربه ومولاه، إلا اجتنبها، وما من عاقل يريد فوزا في دينه ودنياه إلا هجرها، فإن الله قد أحل لعباده من الشراب المباح ألوانا، وحرم عليهم لونا واحدا (وهو المنكر)، فهل من العقل والحكمة أن تستبدل الألوان الحلال، بلون واحد يغضب الكبير المتعال؟!

قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ [البقرة: ٢١٩]

حديث معجز

عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: **«الخمر أم الخبائث، فمن شربها لم تقبل صلاته أربعين يوما، فإن مات وهي في بطنه مات ميتة جاهلية»**[١].

ما الخمر؟

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«كل مسكر خمر وكل خمر حرام»**[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سئل رسول الله ﷺ عن البتع، وهو نبيذ العسل، وكان أهل اليمن يشربونه، فقال رسول الله ﷺ: **«كل شراب أسكر فهو حرام»**[٣].

وعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن من الحنطة خمرا، ومن الشعير خمرا، ومن الزبيب خمرا، ومن التمر خمرا، ومن العسل خمرا»**[٤].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قام عمر على المنبر، فقال: أما بعد، نزل تحريم الخمر، وهي خمسة: العنب، والتمر، والعسل، والحنطة، والشعير، والخمر ما خامر العقل[٥].

مكونات الخمر ومركباتها

تحتوي الخمر على عدة مواد كلها ضارة بالجسم وهي:

١- الكحول الإيثيلي أو الإيثانول، وهي مادة سامة يعزى إليها معظم الأضرار الناجمة عن شرب الخمر، وتتفاوت نسبة الكحول الإيثيلي بين أنواع الخمور المختلفة.

٢- الكحول الميثيلي أو الميثانول، وهي مادة أشد سمية وأسرع فتكا وقتلا من الأولى.

٣- زيت الفوزلول، وهي مادة خاصة توجد في أنواع من الشراب الفرنسي وهي سامة للخلايا العصبية.

٤- مواد قابضة دابغة، ومواد عطرية، وأصباغ، ومواد محسنة؛ كالجيلاتين والغرى، وهي مواد تحدث طفوحا جلدية، وتسبب الربو والشقيقة.

---

(١) حسن: انظر صحيح الجامع (٣٣٤٤).

(٢) ابن ماجه (٣٠٠٣)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٧٣٤).

(٣) البخاري (٥٥٨٦)، ومسلم (٢٠٠١) واللفظ للبخاري.

(٤) ابن ماجه (٣٣٧٩)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٧٢٤).

(٥) البخاري (٥٥٨١)، ومسلم (٣٠٣٢).

هذا فضلا عن المواد الأخرى التي تدخل في الخمر بقصد الغش أو التلوين؛ كالزرنيخ، والرصاص، والكبريت، والمواد القطرانية، وغيرها.

حكم شرب الخمر

شرب الخمر محرم بالكتاب والسنة والإجماع، وهو من أكبر الكبائر، وصاحبها ملعون لا يدخل الجنة، ولا تقبل صلاته أربعين يوما، وإن مات وهي في بطنه مات ميتة جاهلية.

قليل الخمر وكثيره حرام

عن عبد الله بن عمرﷺ قال: قال رسول اللهﷺ: **«كل مسكر حرام، وما أسكر كثيره فقليله حرام»**[1].

وعن عائشة ﷺ قالت: قال رسول اللهﷺ: **«كل مسكر حرام، وما أسكر الفرق منه فملء الكف منه حرام»**[2].

حد شارب الخمر

إذا شرب المسلم البالغ العاقل مختارا الخمر، وهو يعلم حرمتها فإنه يجلد أربعين جلدة، فإن رأى الحاكم الزيادة فله ذلك إلى ثمانين جلدة، فإن عاد إلى شربها جلد فإن عاد جلد، فإن عاد جاز للحاكم ضرب عنقه.

عن الحصين بن المنذر أن عليا جلد الوليد بن عقبة في الخمر أربعين، ثم قال: جلد النبيﷺ أربعين، وأبو بكر أربعين، وعمر ثمانين، وكل سنة، وهذا أحب إلي[3].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللهﷺ: **«إذا سكر فاجلدوه، فإن عاد فاجلدوه، فإن عاد فاجلدوه، ثم قال في الرابعة: فإن عاد فاضربوا عنقه»**[4].

---

(١) ابن ماجه (٣٣٩٢)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٧٣٦).

(٢) الترمذي (١٩٢٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٥٥٢).

(٣) مسلم (١٧٠٧).

(٤) ابن ماجه (٢٥٧٢)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٠٨٥)، وقال: حسن صحيح.

أضرار الخمر الصحية

١- التناول المديد للخمر يؤدي إلى نقص عناصر أساسية لازمة للجسم؛ كالبوتاسيوم، والكالسيوم، والماغنسيوم، والزنك، والفوسفات مؤديا إلى أعراض مرضية.

فنقص البوتاسيوم يؤدي إلى شلل العضلات.

ونقص الكالسيوم يؤدي إلى الضعف العام.

ونقص الماغنسيوم يؤدي إلى اضطرابات عصبية، وخلل نظم القلب.

ونقص الزنك يؤدي إلى خلل في وظيفة الخصية، ونقص الشهية، واضطرابات المناعة.

٢- الإسراف في شرب الخمر في مجلس واحد يؤدي إلى فقد الذاكرة، وغياب الوعي والتركيز.

٣- يختلف تأثير الخمر في الجسم باختلاف مستواه في الجسم.

فعندما يبلغ ٢٠- ٩٩ مليجراما ٪ يسبب تغير المزاج، وعدم توازن العضلات، واضطراب الحس.

وفي مستوى من ١٠٠- ١٩٩ مليجراما ٪ تضطرب القوى العقلية، والحركية، ويفقد التوازن.

وفي مستوى من ٢٠٠- ٢٩٩ مليجراما ٪ يظهر الغثيان، وازدواجية الرؤية، واضطراب شديد في التوازن.

وفي مستوى من ٣٠٠- ٣٩٩ مليجراما ٪ تقل حرارة البدن، ويضطرب الكلام، ويفقد الذاكرة.

وفي مستوى من ٤٠٠- ٧٠٠ مليجرام ٪ يدخل الشارب في سبات عميق يصحبه قصور في التنفس، وقد ينتهي بالموت.

٤- تأثير الخمر على الجهاز الهضمي:

يؤدي مرور الخمر في الفم إلى التهاب، وتشقق اللسان، كما يضطرب الذوق، نتيجة ضمور الحليمات الذوقية، ويجف اللسان، وقد يظهر سيلان لعابي.

ومع الإدمان تتشكل طلاوة (بقعة) بيضاء على اللسان تعتبر مرحلة سابقة لتطور سرطان اللسان.

وتؤكد مجلة Medicine أن الإدمان كثيرا ما يترافق مع التهاب الغدد النكفية.

والخمر يوسع الأوعية الدموية الوريدية للغشاء المخاطي للمريء مما يؤدي إلى تقرحه، وحدوث نزيف خطير، وقد تبين أن ٩٠٪ من المصابين بسرطان المريء هم مدمنو خمر.

ويؤدي الخمر إلى احتقان الغشاء المخاطي للمعدة، وزيادة إفراز حمض الهيدروكلوريك والبيسين، مما يؤدي إلى الإصابة بتقرحات، ثم نزيف.

وعند المدمنين: تصاب المعدة بالتهاب ضموري مزمن يؤدي للإصابة بسرطان المعدة.

وتضطرب الحركة المعدية عند شاربي الخمر المعتدلين، وتحدث التهابات معوية مزمنة، وإسهالات متكررة عند المدمنين، ويتولد عندهم غازات كريهة، كما يحدث عسر في الامتصاص المعدي.

الخمر شديد السمية بالنسبة للكبد، والخلايا الكبدية.

وفي فرنسا وحدها يموت سنويا أكثر من ٢٢ ألف شخص بسبب تشمع الكبد الكحولي، وفي ألمانيا يموت حوالي ١٦ ألف، ويؤكد البروفيسور برانتت (بجامعة كمبردج) أن تناول ١٨٠ جراما من الخمر يوميا كاف لإحداث تشحم الكبد.

ويمكن أن يحدث تشمع الكبد، حيث تخرب العديد من خلايا الكبد، وتتليف أنسجته، ويصغر حجمه، ويقسو ويصبح عاجزا عن القيام بوظائفه، كما يشكو المصاب بألم في منطقة الكبد، ونقص في الشهية، مع غثيان وقيء، وقد يصاحب بالصفراء، كما يمكن أن يحدث التهاب الكبد الكحولي، وهو مرض يظهر بآلام بطنية، وقيء، وحمى، وإعياء، وتضخم كبدي.

٥- تأثير الخمر على القلب:

اعتلال العضلة القلبية الكحولي؛ حيث يسترخي القلب، ويصاب الإنسان بضيق في التنفس، وإعياء عام، ويضطرب نظام القلب، مع تضخم الكبد، وتورم القدمين، وقد ينتهي بالموت.

ارتفاع الضغط الدموي نتيجة الإدمان.

داء البري بري **Beri Beri** حيث يسترخي القلب نتيجة نقص الثيامين الوارد إلى الجسم بسبب الإدمان.

داء الشرايين الإكليلية: حيث يؤدي الكحول إلى تصلب الشرايين وضيقها القلبية، ويظهر ذلك في صورة ذبحة صدرية، عند قيام المريض بأي مجهود شديد.

اضطراب النبض، والنظم القلبي بالإضافة إلى الشعور بالخفقان، وقد يؤدي الإدمان إلى اضطرابات مميتة في نظم القلب.

٦- تأثير الخمر على الجهاز العصبي: تأثيرات الخمر على الأعصاب تأثير فوري وواضح، حيث إن الخلايا العصبية هي أكثر الخلايا عرضة لتأثيرات الكحول السمية ومنها:

التهاب الأغشية السحائية بالمخ.

اعتلال الأعصاب الكحولي: بسبب عدم قدرة الخلايا على الاستفادة من فيتامين (ب١).

إصابة العصب البصري، واللقوة (الشلل الوجهي).

إصابة العصب الوركي وآلام الطرفين.

الصرع، والتشنجات، والتقلصات العضلية الشديدة، والإغماء، وربما ينتهي بالموت المفاجئ.

الهذيان الارتعاشي.

٧- تأثير الخمر على الحالة النفسية:

القلق، والأرق، وكثرة الأوهام والوساوس والهلاوس، وفقد التركيز، وربما الإقدام على الانتحار.

الهذيان الكحولي، والإصابة بالشكوك في أقرب الأقربين كزوجته.

٨- تأثير الخمر على الجهاز التناسلي:

تزيد الخمر من شبق الأنثى فيضطرب سلوكها الجنسي.

كما تضطرب الدورة الطمثية للمرأة المدمنة، وتصل إلى سن اليأس قبل غيرها، وتصاب بالشيخوخة المبكرة.

تزداد الشهوة في المراحل الأولى من الشرب عند الرجل، لكن القدرة على الجماع تتناقص عند المدمنين حتى تصل بهم في النهاية إلى العجز الجنسي التام.

التأثير السلبي على الحيوانات المنوية مما يؤدي إلى تشويهها، كما تؤثر الخمر على الخصية مؤدية إلى ضمورها.

إحصائيات هامة

١- قال السيناتور الأمريكي وليم فولبرايت عن مشكلة الخمر: لقد وصلنا إلى القمر، ولكن أقدامنا ما زالت منغمسة في الوحل، إنها مشكلة حقيقية عندما نعلم أن الولايات المتحدة فيها أكثر من ١١ مليون مدمن خمر، وأكثر من ٤٤ مليون شارب خمر.

٢- ونشرت مجلة لانست البريطانية مقالا بعنوان (الشوق إلى الخمر) جاء فيه: (إذا كنت مشتاقا إلى الخمر فإنك حتما ستموت بسببها) وينقل المؤلف أن ألف شخص يموتون سنويا في بريطانيا بسبب الخمر.

٣- وقد ذكرت مجلة الإدمان البريطانية أن الخسائر التي نجمت عن المشاكل التي يسببها الخمر بلغت ٦٤٠ مليون جنيه إسترليني عام ١٩٨٣م فقط، وأن ٦٩ مليونا أخرى قد أنفقت على المدمنين في المستشفيات.

٤- في حين ذكرت المصادر الأمريكية أن الخسائر الاقتصادية الناجمة عن الخمور بلغت أكثر من ملياري دولار سنويا في الولايات المتحدة الأمريكية في الستينيات.

٥- في تقرير صدر عام ١٩٧٨ لوزارة الصحة الأمريكية، قدرت فيه الخسائر الاقتصادية الناجمة عن الخمر في المجالات الصحية، والاجتماعية، والصناعية بحوالي ٤٣ مليار دولار في العام، في حين قدرت الخسائر في المحيط الصناعي فقط بمبلغ عشرين ألف مليون دولار.

٦- وصرح البروفيسور (شاكيت) أن ٩٣٪ من سكان الولايات المتحدة يشربون الخمر، وأن ٤٠- ٥٠٪ من الرجال يعانون من أمراض بسببه (أمراض عابرة)، وأن ٥٪ من النساء، و١٠٪ من الرجال يعانون من أمراض مزمنة.

٧- وفي إحصائية أمريكية تؤكد أن نصف حالات الانتحار بسبب الإدمان، و٣٤٪ من جرائم الاغتصاب، و ٦٤٪ من حوادث السير ومصرع المشاة (كل ذلك بسبب الخمر).

الوقاية باجتناب الوشم

تعريف الوشم

الوشم هو رسم ثابت ينفذ على جلد الإنسان، وغالبا ما يكون على المناطق المكشوفة من أنحاء الجسم، خاصة الوجه، ويستعمل لذلك المواد الملونة والأدوات الثاقبة للجلد، ويكون الهدف الأول لاستعمال الوشم هو شد الانتباه من الآخرين، ويستعمل للنواحي الجمالية، وقد يكون مرتبطا بالخرافات والخزعبلات الباطلة.

اعتقاد خاطئ

إن قدماء المصريين كانوا يعتقدون أنه[1] يشفي من الأمراض، ويدفع العين والحسد، ويعتبر نوعا من افتداء النفس، فقد كان من تقاليد فداء النفس للآلهة، أو الكهنة أو السحرة الذين ينوبون عنها قديما، أن الشاب أو الرجل تتطلب منه الظروف في مناسبات خاصة أن يعرض جسمه لأنواع من التشريط والكي على سبيل الفداء، ولتكسبه آثار الجروح مناعة وتجلب له الخير.

---

(١) أي: الوشم.

الوشم يوجب اللعن

عن ابن مسعود ﷺ قال: لعن الله الواشمات والمستوشمات، والمتنمصات، والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله، فقالت له امرأة في ذلك، فقال: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ، وهو في كتاب الله؟! قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧][١].

وعن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ: «**لعن الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة**[٢]».

تقريرات عالمية تحذر من الوشم:

١- تقرير اللجنة الأوروبية: قال: إنه إضافة إلى مخاطر العدوى بأمراض مثل فيروس HIV المسبب للإيدز AIDS، وإضافة إلى التهاب الكبد، والإصابات البكتيرية الناجمة عن تلوث الإبر، فإن الوشم يمكن أن يتسبب في الإصابة بسرطان الجلد والصدفية، والعجيب أن عنوان هذا التقرير هو: (هل ترضى بحقن جلدك بطلاء السيارات؟!).

٢- وقال التقرير السابق أيضا: إنه جرى الإبلاغ عن حالتي وفاة بسبب الوشم، أو تخريم الجسم في أوروبا منذ نهاية عام ٢٠٠٢م.

٣- تقرير نشر في موقع الجزيرة - نقلا عن شبكة رويترز الإخبارية يوم الخميس ١٧ ٧ ٢٠٠٣م: حيث حذرت اللجنة الأوروبية من أن هواة رسم الوشم على أجسامهم يحقنون جلودهم بمواد سامة، بسبب الجهل السائد بالمواد المستخدمة في صبغات الوشم، وقالت: إن غالبية المواد الكيماوية المستخدمة في الوشم هي صبغات صناعية صنعت في الأصل لأغراض أخرى مثل: طلاء السيارات، أو أحبار الكتابة، وليس هناك على الإطلاق بيانات تدعم استخدامها بأمان في الوشم.

---

(١) البخاري (١ ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣)، ومسلم (٢٦٧).
(٢) البخاري (١٠ ٣١٧)، ومسلم (٢١٢٤).

الوقاية باجتناب الميسر

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠].

قال الدكتور سالم محمد: إنها (أي: المقامرة والميسر) داء خبيث، فقد يسهل على الإنسان أن يتخلص من المخدرات والمكيفات دون أن يقدر على التخلص من هذه الآفة.

وكم لعب إنسان برأس ماله فأضاعه كله !!

وكما قامر رب عائلة بقوتها وتركهم جوعى محرومين!!

وكم كان إدمان رب البيت القمار والسهر بسببه سببا لخراب البيت ودماره وضياعه.

ولاعب القمار مهما تمالك أعصاب، أو أبدى تحكما ظاهرا فيها، فهو وأعصابه في ثورة ومعركة دائمة، وسير اللعب كما لا يرى، وفلتات الحظ التي تتركه كأنها تتعمده هو لا غيره، وإنما تهز أعصابه هزا عنيفا، ولا شك مطلقا في سوء أثره على صحته، وتسببه في مرضه وربما وفاته[1].

ومن أضرار الميسر وأخطاره أيضا

١- غضب الرب العلي على فاعله وبغضه له.

٢- ارتكاب فاعله لكبيرة من الكبائر.

٣- معصية الله لاقتراف فاعله ما عنه نهاه.

٤- معصية النبي لتحريمه لهذا الفعل المشين.

٥- ارتفاع الضغط الدموي.

٦- توتر الأعصاب وقلق النفس.

٧- زيادة احتمالية الإصابة بمرض السكر.

٨- احتمالية حدوث جرائم؛ كالسرقة، والقتل، وغيرها بين المتقامرين.

---

(١) الإرشادات العلمية في الآيات القرآنية (١٣٦، ١٣٧) بتصرف.

الوقاية باجتناب اقتناء الكلاب (إلا كلب صيد أو ماشية)

عن ابن عمر ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ **«من أقتنى كلبا إلا كلب صيد، أو ماشية فإنه ينقص من أجره كل يوم قيراطان»**(١).

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ ؛ **«من أمسك كلبا فإنه ينقص كل يوم من عمله قيراط إلا كلب حرث أو ماشية»**(٢).

وعنه أيضا، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب أو جرس»**(٣).

قال البروفيسور نلسون: عجبت لتعاليم الرسول ﷺ التي تنهى عن مخالطة الكلاب، فلعابها يجب أن يبعد، والآنية التي تلعق(٤) يجب أن تغسل عدة مرات، والكلب لا يصح أن يدخل البيت «لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة» فتعاليم الرسول ﷺ تقف وحدها من بين تعاليم الناس كلهم إلى يومنا هذا متميزة واضحة بأن هذا الكلب يجب أن يعامل هذه المعاملة، وقال: لما اكتشف المجهر(٥)، وأخذنا ندرس الجراثيم والطفيليات، جئنا نبحث عن الكلب، فوجدنا الكلب يحمل أكثر من خمسين مرضا طفيليا، والقط لا يحمل بنفسه مرضا واحدا، ولكنه يتسبب في مرض طفيلي.

وقال الدكتور جون هانفر: الكلب يحمل الكثير من الأمراض المعدية فهو يحمل ما يقارب خمسين مرضا طفيليا، وكثير منها يوجد في لعابه، بينما يعد القط من أطهر الحيوانات من الناحية الطبية؛ إذ هو لا يحمل من الجراثيم والميكروبات إلا ما يسبب مرضا واحدا فقط.

---

(١) البخاري (٥٢٥٩)، ومسلم (١٥٧٤).
(٢) البخاري (٥٢٤٥)، ومسلم (١٥٧٥).
(٣) مسلم (٢١١٣).
(٤) يقصد: ولغ فيها الكلب.
(٥) المجهر: الميكروسكوب.

الوقاية بالاهتداء بهدي النبي عند الطاعون

ظن أناس كثيرون أن فرارهم من بلدهم التي بها الطاعون فيه النجاة لهم ولغيرهم وهم في ظنهم مخطئون؛ لأنهم في الحقيقة للطاعون ينشرون، وبوباء الطاعون ينتقلون من بلد إلى آخر، وهم بفعلهم آثمون، فمتى بهدي النبي يهتدي المهتدون، وحتى متى يتقاعس عن الاستنان بسنته المتقاعسون؟! (وإنا لله وإنا إليه راجعون).

قال رسول الله ﷺ: «**الطاعون بقية رجز، أو عذاب ارسله على طائفة من بني إسرائيل، فإن وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فرارا منه، وإذا وقع بأرض ولستم بها فلا تهبطوا عليها**»[1].

وعن عائشة ﵂، أنها سألت النبيﷺ، عن الطاعون فأخبرها أنه كان عذابا يبعثه الله تعالى على من يشاء فجعله الله تعالى رحمة للمؤمنين، فليس من عبد يقع في الطاعون فيمكث في بلده صابرا محتسبا يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد[2].

فوائد جلية من الكلمات النبوية

١ - الطاعون ابتلاء من عند الله يصيب به من يشاء.

٢- من يصبر على الطاعون كان له مثل أجر الشهيد.

٣- يجب على من أصيب بالطاعون أن يمكث في بلده، ولا يخرج منها إلى غيرها، ويحتسب أجره عند الله.

٤- يجب على من بخارج أرض الطاعون أن لا يدخلها حتى لا يصاب بوباء الطاعون، والأمر النبوي في الحالتين للوجوب.

---

(١) البخاري (٤ ٢١٣)، ومسلم (٩٢).

(٢) البخاري (١٠ ١٦٣، ١٦٤).

ثانيا : علاجيا

أنواع الأمراض

قال ابن القيم رحمه الله:

المرض نوعان: مرض القلوب، ومرض الأبدان، وهما مذكوران في القرآن.

مرض القلوب

مرض القلوب نوعان: مرض شبهة وشك. مرض شهوة وغي. وكلاهما في القرآن.

قال تعالى في مرض الشبهة: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ [البقرة: ١٠]، وقال تعالى: ﴿ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾ [المدثر: ٣١]، وقال تعالى في حق من دعي إلى تحكيم القرآن والسنة فأبى وأعرض: ﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ۝ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ۝ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [النور: ٤٨، ٤٩]، فهذا مرض الشبهات والشكوك.

وأما مرض الشهوات، فقد قال تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، فهذا مرض شهوة الزنى، والله أعلم.

مرض الأبدان

وأما مرض الأبدان، فقال تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ [النور: ٦١].

وذكر مرض البدن في الحج والصوم والوضوء لسر بديع يبين لك عظمة القرآن، والاستغناء به لمن فهمه وعقله عن سواه، وذلك أن قواعد طب الأبدان ثلاثة: حفظ الصحة، الحمية من المؤذي، والاستفراغ من المواد الفاسدة.

فذكر -سبحانه- هذه الأصول الثلاثة في هذه المواضع الثلاثة؛ فقال في آية الصوم: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ [البقرة: ١٨٤]، فأباح الفطر للمريض لعذر السفر، وللمسافر طلبا لحفظ صحته وقوته؛ لئلا يذهبها الصوم في السفر، لاجتماع شدة الحركة وما يوجبه من التحليل، وعدم الغذاء الذي يخلف ما تحلل، فتخور

القوة وتضعف، فأباح للمسافر الفطر حفظا لصحته وقوته عما يضعفها.

وقال في آية الحج: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾[البقرة: ١٩٦]. فأباح للمريض، ومن به أذى من رأسه من قمل، أو حكة، أو غيرهما أن يحلق رأسه في الإحرام استفراغا لمادة الأبخرة الرديئة، التي أوجبت له الأذى في رأسه باحتقانها تحت الشعر، فإذا حلق رأسه تفتحت المسام، فخرجت تلك الأبخرة منها، فهذا الاستفراغ يقاس عليه كل استفراغ يؤذي انحباسها، والأشياء التي يؤذي انحباسها ومدافعتها عشرة: الدم إذا هاج. والمني إذا تبيغ. والبول والغائط، والريح والقيء، والعطاس، والنوم، والجوع، والعطش؛ وكل واحد من العشرة يوجب حبسه داء من الأدواء بحسبه، وقد نبه -سبحانه- باستفراغ أدناها، وهو البخر المحتقن في الرأس على استفراغ ما أصعب منه، كما هي طريقة القرآن بالتنبيه بالأدنى على الأعلى.

فأما طب القلوب فمسلم إلى الرسل صلوات الله وسلامه عليهم

ولا سبيل إلى حصوله إلا من جهتهم وعلى أيديهم؛ فإن صلاح القلوب أن تكون عارفة بربها وفاطرها، وبأسمائه وصفاته، وأفعاله وأحكامه، وأن تكون مؤثرة لمرضاته ومحابه، متجنبة لمناهيه ومساخطه، ولا صحة لها ولا حياة البتة إلا بذلك. ولا سبيل إلى تلقيه إلا من جهة الرسل، وما يظن من حصول صحة القلب بدون اتباعهم فغلط ممن يظن ذلك، وإنما ذلك حياة نفسه البهيمية الشهوانية، وصحتها وقوتها، وحياة قلبه وصحته، وقوته عن ذلك بمعزل، ومن لم يميز بين هذا وهذا فليبك على حياة قلبه؛ فإنه من الأموات، وعلى نوره، فإنه منغمس في بحار الظلمات.

وأما طب الأبدان فإنه نوعان:

١- الأول نوع قد فطر الله عليه الحيوان ناطقه وبهيمه، فهذا لا يحتاج فيه إلى معالجة طبيب: كطب الجوع، والعطش، والبرد، والتعب بأضدادها وما يزيلها.

٢- والثاني: ما يحتاج إلى فكر وتأمل، كدفع الأمراض المتشابهة الحادثة في المزاج، بحيث تخرج بها عن الاعتدال إما إلى الحرارة، أو البرودة، أو يبوسة، أو رطوبة، أو ما يتركب من اثنين منها.

وهي نوعان: إما مادية، وإما كيفية؛ أعني إما أن يكون بانصباب مادة، أو بحدوث

كيفية، والفرق بينهما أن الأمراض الكيفية تكون بعد زوال المواد التي أوجبتها فتزول مواده ويبقى أثرها كيفية في المزاج.

وأمراض المادة أسبابها معها تمدها، وإذا كان سبب المرض معه؛ فالنظر في السبب أن يقع أولا، ثم في المرض ثانيا، ثم في الدواء ثالثا، أو الأمراض الآلية، وهي التي تخرج من العضو عن هيئته، إما في شكل، أو تجويف، أو مجرى، أو خشونة، أو ملاسة، أو عدد، أو عظم، أو وضع؛ فإن هذه الأعضاء إذا تألفت وكان منها البدن، سمي تألفها اتصالا، والخروج من الاعتدال فيه يسمى تفرق الاتصال، أو الأمراض العامة، التي تعم المتشابهة والآلية.

والأمراض المتشابهة هي التي يخرج بها المزاج عن الاعتدال، وهذا الخروج يسمى مرضا بعد أن يضر بالفعل إضرارا محسوسا، وهي على ثمانية أضرب: أربعة بسيطة وأربعة مركبة:

فالبسيطة: البارد، والحار، والرطب، واليابس. **والمركبة**: الحار الرطب، والحار اليابس، والبارد الرطب، والبارد اليابس، وهي إما أن تكون بانصباب مادة، أو بغير انصباب مادة، وإن لم يضر المرض بالفعل يسمى خروجا على الاعتدال صحة.

أحوال البدن

وللبدن ثلاثة أحوال: حال طبيعية، وحال خارجة عن الطبيعة، وحال متوسطة بين الأمرين.

فالأولى: بها يكون البدن صحيحا. **والثانية**: بها يكون مريضا. **والثالثة**: هي متوسطة بين الحالتين؛ فإن الضد لا ينتقل إلى ضده إلا بمتوسط.

سبب خروج البدن عن طبيعته

وسبب خروج البدن عن طبيعته: إما من داخله؛ لأنه مركب من الحار، والبارد، والرطب، واليابس. وإما من خارجه؛ فلأن ما يلقاه قد يكون موافقا، أو غير موافق.

والضرر الذي يلحق الإنسان قد يكون من سوء المزاج بخروجه عن الاعتدال، وقد يكون من فساد في العضو، وقد يكون من ضعف في القوى، أو الأرواح الحاملة لها، ويرجع ذلك إلى زيادة ما، والاعتدال في عدم زيادته، يجد في البدن داء يحلله، أو وجد داء

لا يوافقه، أو وجد ما يوافقه فزادت كميته عليه، أو كيفيته تشبث بالصحة وعبث بها، وأرباب التجارب من الأطباء طبهم بالمفردات غالبا، وهم أحد فرق الطب الثلاث.

والتحقيق في ذلك أن الأدوية من جنس الأغذية، فالأمة والطائفة التي غالب أغذيتها بالمفردات، أمراضها قليلة جدا، وطبها بالمفردات.

وأهل المدن الذي غلبت عليهم الأغذية المركبة يحتاجون إلى الأدوية المركبة، وسبب ذلك أن أمراضهم في الغالب مركبة، فالأدوية المركبة أنفع لها.

وأمراض أهل البوادي والصحاري مفردة، فيكفي في مداواتها الأدوية المفردة، فهذا برهان بحسب الصناعة الطبية[1].

الأمر بالتداوي

قال ابن القيم رحمه الله: في الأحاديث الصحيحة الأمر بالتداوي، وأنه لا ينافي التوكل، كما لا ينافيه دفع داء الجوع، والعطش، والحر، والبرد بأضدادها، بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدرا وشرعا، وأن تعطيلها يقدح في نفس التوكل، كما يقدح في الأمر والحكمة، ويضعف من حيث يظن معطلها أن تركها أقوى في التوكل؛ فإن تركها عجزا ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ولابد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب، إلا كان معطلا للحكمة والشرع[2]، أو نقصان ما الاعتدال في عدم نقصانه، أو تفرق ما الاعتدال في عدم تفرقه، أو اتصال ما الاعتدال في تفرقه، أو امتداد ما الاعتدال في انقباضه، أو خروج ذي وضع وشكل عن وضعه وشكله بحيث يخرجه عن اعتداله.

فالطبيب هو الذي يفرق بين ما يضر الإنسان جمعه، أو يجمع فيه ما يضره، أو ينتقص منه ما يضره زيادته، أو يزيد فيه ما يضره نقصه، فيجلب الصحة المفقودة، أو يحفظها

---

(١) الطب النبوي (١٠- ١٥).

(٢) الطب النبوي (١٠- ١٥).



بالشكل والشبه، ويدفع العلة الموجودة بالضد، والنقيض، ويخرجها، أو يدفعها بما يمنع من حصولها بالحمية[1].

هدي النبي ﷺ في التداوي

قال ابن القيم رحمه الله: كان من هديه ﷺ فعل التداوي في نفسه، والأمر به لمن أصابه مرض من أهله وأصحابه، ولكن لم يكن هديه ولا هدي أصحابه استعمال هذه الأدوية المركبة التي تسمى أقرباذين، بل كان غالب أدويته بالمفردات، وربما أضافوا إلى المفرد ما يعاونه، أو يكسر سورته، وهذا غالب طب الأمم على اختلاف أجناسها من العرب والترك وأهل البوادي قاطبة، وإنما عني بالمركبات الروم واليونانيون، وأكثر طب الهند بالمفردات.

وقد اتفق الأطباء على أنه متى أمكن التداوي بالغذاء لا يعدل عنه إلى الدواء، ومتى أمكن بالبسيط لا يعدل عنه إلى المركب، وكل داء قدر على دفعه بالأغذية والحمية لم يحاول دفعه بالأدوية، قالوا: ولا ينبغي للطبيب أن يولع بسقي الأدوية.

حفظ الصحة

قال ابن القيم رحمه الله: لما كان اعتدال البدن وصحته وبقاؤه إنما هو بواسطة الرطوبة المقاومة للحرارة، فالرطوبة مادته، والحرارة تنضجه، وتدفع فضلاتها وتصلحها وتلطفها، وإلا أفسدت البدن ولم يمكن قيامه، وكذلك الرطوبة هي غذاء الحرارة، فلولا الرطوبة لأحرقت البدن وأيبسته وأفسدته، فقوام كل واحدة منهما بصاحبتها، وقوام البدن بهما جميعا، وكل منهما مادة للأخرى؛ فالحرارة مادة للرطوبة، تحفظها وتمنعها من الفساد، والاستحالة والرطوبة مادة للحرارة وتغذيها وتحملها.

ومتى مالت إحداهما إلى الزيادة على الأخرى حصل لمزاج البدن الانحراف بسبب ذلك؛ فالحرارة دائما تحلل الرطوبة فيحتاج البدن إلى ما به يخلف عليه ما حللته الحرارة، لضرورة بقائه، وهو الطعام والشراب، ومتى زاد على مقدار التحليل ضعفت الحرارة عن تحليل فضلاته فاستحالت مواد رديئة، فعاثت في البدن، وأفسدت فحصلت الأمراض

---

(١) الطب النبوي (٥- ١٠).

المتنوعة، بحسب تنوع موادها، وقبول الأعضاء، واستعدادها، وهذا كله مستفادٌ من قوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾ [الأعراف: ٣١]، فأرشد عباده إلى إدخال ما يُقيم البدن من الطعام والشراب عِوَضَ ما تحلَّل منه، وأن يكون بمقدار ما ينتفع به البدن في الكمية والكيفية؛ فمتى جاوز ذلك كان إسرافًا، وكلاهما مانعٌ من الصحة، جالبٌ للمرض، أعني عدم الأكل والشرب، أو الإسراف فيهما، فحفظ الصحة كله في هاتين الكلمتين الإلهيتين.

ولا ريب أن البدن دائمًا في تحلل واستخلاف، وكلما كثر التحلل ضعفت الحرارة لفناء مادتها؛ فإن كثرة التحلل تفني الرطوبة، وهي مادة الحرارة، إذا ضعفت الحرارة ضعف الهضم، ولا يزال كذلك حتى تفنى الرطوبة، وتنطفئ الحرارة جملةً، فيستكمل العبدُ الأجل الذي كتب اللهُ له أن يصل إليه، فغاية علاج الإنسان لنفسه ولغيره، حراسةُ البدن إلى أن يصل إلى هذه الحالة، لا أنه يستلزم بقاء الحرارة والرطوبة اللتين بقاء الشباب والصحة والقوة بهما، فإن هذا مما لم يحصل لبشر في هذه الدار، وإنما غاية الطبيب أن يحمي الرطوبة عن مفسداتها من العفونة وغيرها، ويحمي الحرارة من مضاعفاتها، ويعدل بينهما بالعدل في التدبير الذي به قام بدنُ الإنسان، كما أن به قامت السماوات والأرض وسائر المخلوقات، إنما قوامها بالعدل، ومن تأمل هدي النبيﷺ وجده أفضل هدي يمكن حفظ الصحة به؛ فإن حسنها قائمٌ على حسن تدبير المطعم، والمشرب، والملبس، والمسكن، والهدوء، والنوم، واليقظة، والحركة، والسكون، والمنكح، والاستفراغ، والاحتباس، فإذا حصلت هذه على الوجه المعتدل الموافق الملائم للبدن، والبلد، والسِّنِّ، والعادة كان أقرب إلى دوام الصحة، أو غلبتها إلى انقضاء الأجل[1].

حكم التداوي بالمحرمات

قال ابن مسعود ﷺ في السكر: إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حُرِّم عليكم[2].

---

(١) الطب النبوي (٢١٣، ٢١٤).

(٢) البخاري (١٠ ٦٨) تعليقًا.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: نهى رسول الله ﷺ عن الدواء الخبيث[١].

وعن طارق بن سويد الجُعفي: أنه سأل النبي ﷺ عن الخمر فنهاه أو كره أن يصنعها، فقال: إنما أصنعها للدواء، فقال: «إنه ليس بدواء، ولكنه داءٌ»[٢].

وعن عبد الرحمن بن عثمان ﷺ أن طبيبًا ذكر ضفدعًا في دواءٍ عند رسول الله ﷺ فنهاه عن قتلها[٣]، وإنما نهى عن قتلها؛ لأنها من جملة السموم، ولم يرد عليه إعلامه بذلك كيلا يشتبه ذلك ويعلم لأن فيها مضارًّا ذُكرت:

منها أن أكل لحمها يُسقط الأسنان، حتى أسنان البهائم إذا نالته في المرعى، ويورم البدن ويكمد اللون، ويحدث قذف المني حتى يموت الآكل، والصغيرُ منها أشدَّ ضررًا، وقد نهى الأطباءُ عن استعمالها أشدَّ النهي، وإذا كان الأطباءُ قد نهوا عن مثل هذا شفقةً منهم على الخلق، فكيف بمن وصفه اللهُ تعالى بأنه بالمؤمنين رءوفٌ رحيم؟[٤].

وقال صاحب (عون المعبود): قوله (في دواء): بأن يجعلها مركبة مع غيرها من الأدوية، والمعنى: لم يستعملها لأجل دواء وشفاء داء، (عن قتلها) أي: وجعلها في الدواء؛ لأن التداوي بها يتوقف على القتل، فإذا حُرِّم القتل حُرِّم التداوي بها أيضًا[٥].

وقال الشنقيطي: وما ذكرنا من تحريم الضفدع مطلقًا قال به الإمام أحمد وجماعة، وهو الصحيح من مذهب الشافعي[٦].

وقال الخطابي: في هذا (الحديث) دليلٌ على أن الضفدع محرَّمُ الأكل، وأنه غير داخلٍ فيما أُبيح من دواب الماء[٧].

---

(١) أبو داود (٣٨٧٠)، والترمذي (٢٠٤٦)، وابن ماجه (٣٤٥٩)، وقال الأرناؤوط: وسنده قوي، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٢٧٨).
(٢) مسلم (١٩٨٤).
(٣) النسائي (٢١٠٧) وقال الأرناؤوط: وسنده صحيح.
(٤) الطب النبوي (١٥٢).
(٥) عون المعبود (٦٤).
(٦) أضواء البيان (٩٠١).
(٧) معالم السنن (٥٣٥٦).

المعالجة بالمحرمات قبيحةٌ عقلًا وشرعًا

قال ابن القيم رحمه الله: المعالجة بالمحرمات قبيحةٌ عقلًا وشرعًا، أما الشرع، فما ذكرنا من هذه الأحاديث وغيرها، وأما العقل فهو أن الله -سبحانه- إنما حرمه لخُبثه، فإنه لم يحرم على هذه الأمة طيبًا عقوبةً لها، كما حرَّمه على بني إسرائيل بقوله: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠].

وإنما حرَّم على هذه الأمة ما حرَّم لخبثه وتحريمه له حميةٌ لهم، وصيانة من تناوله، فلا يناسب أن يُطلب به الشفاء من الأسقام والعلل، فإنه وإن أثر في إزالتها، لكنه يُعقب سقمًا أعظم منه في القلب بقوة الخبث الذي فيه، فيكون المداوي به قد سعى في إزالة سقم البدن بسقم القلب.

وأيضًا: فإن تحريمه يقتضي تجنُّبه والبعد عنه بكل طريق، وفي اتخاذه دواء حضٌّ على الترغيب فيه وملابسته، وهذا ضدُّ مقصود الشارع.

وأيضًا: فإنه يُكسب الطبيعة والروح صفة الخبث؛ لأن الطبيعة تنفعل عن كيفية الدواء انفعالًا بيِّنًا، فإذا كانت كيفيته خبيثةً اكتسبت منه الطبيعةُ خُبثًا، فكيف إذا كان خبيثًا في ذاته، ولهذا حرَّم اللهُ -سبحانه- على عباده الأغذية والأشربة والملابس الخبيثة؛ لما تكسب النفس من هيئة الخبيث وصفته.

وأيضًا: فإنه في إباحة التداوي به، ولا سيما إذا كانت النفوس تميل إليه ذريعة إلى تناوله للشهوة واللذة، لا سيما إذا عرفت النفوسُ أنه نافعٌ لها، مزيلٌ لأسقامها، جالبٌ لشفائها، فهذا أحبُّ شيءٍ إليها، والشارعُ سدَّ الذريعة إلى تناوله بكل ممكن، ولا ريب أن بين سدِّ الذريعة إلى تناوله وفتح الذريعة إلى تناوله تناقضًا وتعارضًا.

وأيضًا: فإن في هذا الدواء المحرم من الأدواء ما يزيد على ما يظن فيه من الشفاء، قال صاحب الكامل: إن خاصية الشراب[1] الإضرار بالدماغ والعصب.

---

(١) يعني: شراب المسكرات كالخمر وغيرها.

التداوي بالمحرمات

التداوي بالمحرمات محرَّمٌ شرعًا، ولا يجوز أبدًا: وهذا بالكتاب، والسُّنَّة، وإجماع سلف الأمة.

أدلة التحريم

قال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣]. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠].

وعن ابن عباس ﷺ قال: نهى رسول الله ﷺ عن كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير[1].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «أكلُ كل ذي نابٍ من السباع حرامٌ»[2].

وعن وائل الحضرمي أن طارق بن سويد الجعفي سأل رسول الله ﷺ عن الخمر؟ فنهاه، أو كره أن يصنعها، فقال: إنها أصنعها للدواء، فقال: «إنه ليس بدواء، ولكنه داء»[3].

قال ابن تيمية رحمه الله: وأما التداوي بالخمر فإنه محرمٌ عند جماهير الأئمة؛ كمالك، وأحمد، وأبي حنيفة، وهو أحد الوجهين في مذهب الشافعي. وقال (تعليقًا على الحديث السابق): فهذا نصٌّ في المنع من التداوي بالخمر، ردًّا على من أباحه، وسائر المحرمات

(١) مسلم (١٩٣٤).
(٢) مسلم (١٩٣٣).
(٣) مسلم (١٩٨٤).

مثلها قياسًا خلافًا لمن فرق بينهما[١]. وقال: فهذه الأحاديث المستفيضة صريحة بأن كل مسكر حرام، وأنه خمرٌ من أي شيء كان، ولا يجوز التداوي بشيء من ذلك[٢]. وقال: كل شراب كان جنسه مسكرًا حرامٌ سواء سكر منه، أو لم يسكر[٣]، وقال: وكل ما يغيِّب العقل فإنه حرامٌ، وإن لم تحصل به نشوة، ولا طرب فإن تغييب العقل حرامٌ بإجماع المسلمين[٤].

وقال الشوكاني (تعليقًا على الحديث السابق): وفيه تصريح بأن الخمر ليست بدواء؛ فيحرم التداوي بها، كما يحرم شربُها، وكذلك سائر الأمور النجسة، أو المحرمة وإليه ذهب الجمهور[٥]. وقال النووي: وفيه التصريح بأنها ليست بدواء فيحرم التداوي بها؛ لأنها ليست بدواء فكأنه يتناولها بلا سبب، وهذا هو الصحيح عند أصحابنا أنه يحرم التداوي بها[٦]. وقال الطحاوي: ولا يحل الانتفاع بها للرجال، ولا للنساء، ولا للصبيان، ولا في مداواة جراحهم بها، ولا في استعمالها على حالٍ من الأحوال. وقال صاحب عون المعبود: وفيه التصريح بأن الخمر ليست بدواء فيحرم التداوي بها كما يحرم شربُها.

وقال الألباني: ففي السُّنَّة مثلًا وصف الخمر بأنه داء وليست بدواء، فكيف يعقل لطبيب مسلم عالمٍ بشرعه أن يصف دواء وصفه نبيهﷺ بأنه داءٌ.

الخمرُ اسمٌ لكل مُسْكر

عن ابن عمرﷺ قال: قال رسول اللهﷺ: «كل مسكرٍ خمر، وكل خمر حرام»[٧].

---

(١) مجموع الفتاوى (١ ٥٦٨).
(٢) السابق (٢٤ ٢٧٤).
(٣) السابق (٣٤ ١٩٤).
(٤) السابق (٣٤ ٢١١).
(٥) نيل الأوطار (٩ ٩٣- ٩٤).
(٦) مختصر الطحاوية (٢٧٩).
(٧) مسلم (٢٠٠٣).

نهي النبي عن المسكر وتحريمه له

عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: بعثني رسول الله ﷺ، ومعاذًا إلى اليمن، فقال: «**ادعوا الناس وبَشِّروا ولا تُنفِّروا، ويسِّروا ولا تُعسِّروا**»، قال: فقلت: يا رسول الله، أفتنا في شرابين كنا نصنعهما باليمن: البتع وهو من العسل ينبذ حتى يشتد، والمزر وهو من الذرة والشعير يُنبذ حتى يشتد، قال: وكان رسول الله ﷺ قد أُعطي جوامع الكلم بخواتمه، فقال: «**أنهى عن كل مسكر أسكر عن الصلاة**»[1].

وعن عائشة ﵂ قالت: سُئل رسول الله ﷺ عن البتع وهو من نبيذ العسل، وكان أهل اليمن يشربونه، فقال رسول الله ﷺ: «**كل شراب أسكر فهو حرام**»[2].

وعن جابر ﷺ أن رجلًا قدم من جيشان (وجيشان من اليمن) فسأل النبي ﷺ عن شرابٍ يشربونه بأرضهم من الذرة، يُقال له المزر؟ فقال النبي ﷺ: «**أو مسكر هو؟**» قال: نعم، قال رسول الله ﷺ: «**كل مسكر حرام، إن على الله -عز وجل- عهدًا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال**» قالوا: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: «**عرق أهل النار، أو عصارة أهل النار**»[3].

وعن ابن عمر ﵄ قال: خطب عمر على منبر رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، ألا وإن الخمر نزل تحريمها يوم نزل، وهي من خمسة أشياء: من الحنطة، والشعير، والتمر، والزبيب، والعسل، والخمرُ ما خامر العقل[4].

قال البغوي: وقوله (الخمر ما خامر العقل) أي: خالطه، خمر العقل، أي: ستره، وهو المسكر من الشراب[5].

وقوله «**ما أسكر كثيره فقليله حرام**» دليلٌ على أن التحريم في جنس المسكر لا

---

(١) مسلم (١٧٣٣).
(٢) البخاري (٥٥٨، ٥٥٨٦)، ومسلم (٢٠٠١).
(٣) مسلم (٢٠٠٢).
(٤) البخاري (٥٥٨١، ٥٥٨٨)، ومسلم (٣٠٣٢).
(٥) شرح السنة (١١ ٣٥٢).

يتوقف على السُّكر، بل الشربة الأولى منه في التحريم ولزوم الحد في حكم الشربة الأخرى التي يحصل بها السُّكر؛ لأن جميع أجزائه في المعاونة على السُّكر سواء[1].

وفي الفتوى رقم (٤٥١٣) بتاريخ ٥٤ ٢ ١٤٠٢هـ: قالت اللجنة الدائمة للإفتاء بالسعودية: لا يجوز وضع شيءٍ مما يُسكر فيما يُراد استعماله دواءً، أو طعامًا، أو شرابًا، ولا فيما يُراد استخراج الطعام، أو الشراب، أو الإدام منه، سواء كان ذلك المسكر نبيذًا، أم بيرة، أو غيرهما.

وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «**ما أسكر كثيرُهُ فقليلهُ حرامٌ**»[2].

وعن سعد بن أبي وقاص عن رسول الله ﷺ قال: «**أنهاكم عن قليل ما أسكر كثيرُهُ**»[3].

وقال الألباني: وأيضًا فإن إباحة القليل الذي لا يُسكر من الكثير الذي يُسكر غير عملي؛ لأنه لا يمكن معرفته؛ إذ إن ذلك يختلف باختلاف نسبة كمية المادة المسكرة في الشراب فرُبَّ شراب قليل، كميةُ الكحول فيه كثيرة، وهو يُسكر. وربَّ شراب أكثر منه كمية، والكحول فيه أقلُّ لا يُسكر، كما أن ذلك يختلف باختلاف بنية الشاربين وصحته كما هو ظاهرٌ بيِّنٌ، وحكمة الشريعة تنافي القول بإباحة مثل هذا الشراب، وهي التي تقول: (دع ما يريبك إلى ما لا يُريبك) و(من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه)[4].

قال العلامة الشنقيطي: اعلم أن النبيذ الذي يسكر منه الكثير، لا يجوز أن يُشرب منه القليل الذي لا يُسكر لقلته، وهذا مما لا شكَّ فيه[5].

قال ابن حجر: واستُدلَّ بمطلق قوله: (كل مسكر حرام) على تحريم ما يُسكر، ولو لم

---

(١) السابق (١١ ٣٥٣).

(٢) الترمذي، وأبو داود، وابن ماجه، وحسنه الألباني في الإرواء (٨ ٤٣).

(٣) النسائي (٨ ٣٠١)، وابن ماجه (٣٣٩٤)، وقال الألباني: وإسناده جيد، انظر: الإرواء (٨ ٤٤).

(٤) السلسلة الصحيحة (١ ١٤٣).

(٥) أضواء البيان (٣ ٢٨٢).

يكن شرابًا فيدخل في ذلك الحشيشة ... وغيرها[١].

وقال ابن رجب: وقد كانت الصحابةُ ﷺ تحتجُّ بقول النبي ﷺ: «كل مسكرٍ حرام» على تحريم جميع أنواع المسكرات ما كان موجودًا منها على عهد النبي ﷺ، وما حدث بعدُ، كما سئل ابن عباس عن الباذق، فقال: سبق محمدٌ ﷺ الباذق فما أسكر فهو حرامٌ[٢]، يُشير إلى أنه إذا كان مسكرًا فقد دخل في هذه الكلمة الجامعة العامة[٣].

تنبيه: يجوز شرب النبيذ الحلو ما لم يُسكر، وصحَّ هذا عن النبي ﷺ فقد أخرج مسلم في صحيحه (باب إباحة النبيذ الذي لم يشتد ولم يصر مُسكرًا) فعن ثمام بن حزن القشيري قال: لقيتُ عائشة فسألتها عن النبيذ؟ فدعت عائشةُ جاريةً حبشيةً فقالت: سل هذه فإنها كانت تنبذ لرسول الله ﷺ، فقالت الحبشية: كنتُ أنبذ له في سقاء من الليل، وأوكيه وأعلقه فإذا أصبح شرب منه[٤].

وعن ابن عباس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ ينتبذ له أول الليل فيشربه إذا أصبح يومه ذلك، والليلة التي تجيء والغد، والليلة الأخرى، والغد إلى العصر، فإن بقي شيءٌ سقاه الخادم، أو أمر به فصُبَّ[٥].

قال ابن حجر: فقوله (سقاه الخادم، أو أمر فصب) قال: أي إن كان بدا في طعمه بعضُ التغير، ولم يشتد سقاه الخادم، وإن كان اشتدَّ أمر بإهراقه، وبهذا جزم النووي[٦]؛ فقال: هو اختلاف على حالتين، إن ظهر فيه شدةٌ صبَّه، وإن لم تظهر شدةٌ سقاه الخادم؛ لئلا تكون فيه إضاعةُ مالٍ، وإنما يتركه تَنَزُّهًا[٧].

---

(١) فتح الباري (١٠ ٤٥).
(٢) البخاري (٥٥٩٨).
(٣) جامع العلوم والحكم (٣٩٧).
(٤) مسلم (٢٠٠٥)
(٥) مسلم (٢٠٠٤).
(٦) شرح النووي لمسلم (١٣١٧٤).
(٧) فتح الباري (١٠ ٥٧).

وجُمع بين حديث ابن عباس وعائشة بأن شرب النقيع في يومه لا يمكن شرب النقي في أكثر من يوم، ويحتمل أن يكون باختلاف حال أو زمان يحمل الذي يشرب في يومه على ما إذا كان قليلًا، وذاك على ما إذا كان كثيرًا فيفضل منه ما يشربه فيما بعد، وإما بأن يكون في شدة الحرِّ مثلًا فيُسارع إليه الفساد، وذاك في شدة البرد، فلا يسارع إليه[1].

وعن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داءٍ دواءً فتداووا، ولا تداووا بحرام»**[2].

قال الذهبي في الطب النبوي: والنهيُ فيه دالٌّ على التحريم.

وقال الشوكاني: أي: لا يجوز التداوي بما حرَّمه اللهُ من النجاسات وغيرها مما حرمه الله ولو لم يكن نجسًا[3].

وقال ابن القيم: المعالجة بالمحرمات قبيحة عقلًا وشرعًا: أما الشرعُ فما ذكرنا من هذه الأحاديث وغيرها، وأما العقل فهو أن الله -سبحانه- إنما حرَّمه لخبثه فإنه لم يُحرم على هذه الأمة طيبًا عقوبةً لها، كما حرمها على بني إسرائيل بقوله: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾ [النساء: ١٦٠]، وإنما حرم على هذه الأمة ما حُرِّم لخبثه وتحريمه عليهم حميةٌ لهم[4].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: نهى رسول الله ﷺ عن الدواء الخبيث[5].

قال الشوكاني: ظاهره تحريم التداوي بكل خبيث[6].

وقال ابن تيمية: وهو نصٌّ جامعٌ مانعٌ وهو صورة الفتوى في المسألة[7].

---

(١) الطب النبوي (٦٦).

(٢) أبو داود (٣٨٧٤)، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٦٣٣).

(٣) نيل الأوطار (٩ ٩٤).

(٤) زاد المعاد (٤ ١٥٦).

(٥) أبو داود (٣٧٨٠)، وصححه الألباني ... انظر: صحيح الجامع (٦٧٥٥).

(٦) نيل الأوطار (٩ ٩٤).

(٧) مجموع الفتاوى (٢١ ٥٧).

وعن عبد الرحمن بن عثمان التيمي أن طبيبًا ذكر ضفدعًا في دواء عند رسول الله ﷺ فنهى رسول الله ﷺ عن قتله[١].

قال ابن تيمية: وهو نصُ المسألة ولعل تحريم الضفدع أخفُّ من تحريم الخبائث وغيرها[٢].

وقال ابن القيم: قال الإمام محمد: الضفدع لا يحلُّ في الدواء، نهى رسول الله ﷺ عن قتلها[٣].

العلاج بالقرآن

اعلم -رحمك الله- أن القرآن هو أفضل دواء وخير شفاء، ولم لا وهو كلام الله؟! معجزٌ في لفظه ومعناه، عظيمٌ في مبناه، بلغناه نبيُّه ومصطفاه، صلى الله عليه وآله وصحبه ومن والاه.

قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٤].

في رحاب التفسير

قال ابن كثير: يقول الله تعالى مُخبرًا عن كتابه الذي أنزل على رسوله محمد ﷺ، وهو القرآن الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه، ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد إنه ﴿ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: يذهب ما في القلوب من أمراض، وشك، ونفاق، وشرك، وزيغ، وميل، فالقرآن يشفي من ذلك كله، وهو أيضًا رحمةٌ يحصلُ فيها الإيمان والحكمة وطلبُ الخيرِ، والرغبة فيه[٤].

قال السعدي: فالقرآن مشتملٌ على الشفاء والرحمة، وليس ذلك لكل أحد، وإنما

---

(١) أبو داود (٣٨٧١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٩٧١).

(٢) مجموع الفتاوى (٢١٥٧١)

(٣) زاد المعاد (٤ ٣٣٦).

(٤) مختصر تفسير ابن كثير (٣ ٤٨٤).

ذلك للمؤمنين به المصدقين بآياته، العاملين به، وأما الظالمون بعدم التصديق به، أو عدم العمل به، فلا تزيدهم آياته إلا خسارًا؛ إذ به تقوم عليهم الحجةُ، فالشفاء الذي تضمنه القرآن، عامٌّ لشفاء القلوب من الشُّبَهِ، و الجهالة، والآراء الفاسدة، والانحراف السيئ، والقصود السيئة؛ فإنه مشتملٌ على العلم اليقيني، الذي تزول به كل شبهة وجهالة، والوعظ والتذكير الذي يزول به كل شهوةٍ تخالف أمر الله، ولشفاء الأبدان من آلامها وأسقامها.

وأما الرحمة: فإن فيه من الأسباب والوسائل التي يحث عليها، ومتى فعلها العبدُ فاز بالرحمة والسعادة الأبدية والثواب العاجل والآجل[1].

قال ابن القيم رحمه الله: فالقرآنُ هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، وما كلُّ أحدٍ يؤهل ولا يُوفَّق للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوي به، ووضعه على دائه بصدقٍ وإيمانٍ، وقبولٍ تامٍ، واعتقادٍ جازمٍ، واستيفاء شروطه، لم يقاومه الداءُ أبدًا. وكيف تقاوم الأدواء كلام ربّ الأرض والسماء، الذي لو أنزل على الجبال لصدَّعها، أو على الأرض لقطعها؟! فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن سبيلُ الدلالة على دوائه وسببه، والحمية منه لمن رزقه الله فهمًا في كتابه.

وأما الأدواء القلبية فإنه يذكرها مفصَّلةً، ويذكر أسباب أدوائها وعلاجها، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥١]، فمن لم يشفه القرآنُ فلا شفاه الله، ومَنْ لم يكفه فلا كفاه الله[2].

حديثٌ معجزٌ (في الدلالة على شفاء الأسقام بآيات القرآن)

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: كنا في مسيرة لنا فنزلنا، فجاءت جاريةٌ فقالت: إن سيد الحي سليم[3]، وإن نفرنا غُيَّب، فهل منكم راقٍ؟ فقام معها رجل ما كنا نأبنَّه برقية، فرقاه فبرأ،فأمر له بثلاثين شاة، وسقانا لبنًا، فلما رجع قلنا له: أكنت تحسن رقية، أوكنت

---

(١) تفسير السعدي (٤٦٥).

(٢) الطب النبوي (٣٥٢).

(٣) سليم: لديغ.

ترقي؟ قال: لا، ما رقيتُ إلا بأم الكتاب[1]، قلنا: لا تُحدثوا شيئًا حتى نأتي ونسأل رسول الله ﷺ فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبيِّ ﷺ فقال: «وما كان يُدريه أنها رقية؟! أقسموا واضربوا لي بسهم»[2] وفي بعض روايات مسلم لهذا الحديث، أن أبا سعيد الخدري هو الذي رقى ذلك السليم (يعني: اللديغ).

حقيقةٌ علميةٌ

أثبت العلم الحديث أن الصوت صورةٌ من صور الطاقة على شكل موجات، وعند وصول الصوت إلى الأذن، تبدأ إرهاصات الإدراك السمعي، والتي تنتهي بالفهم والتخيُّل، والرغبة والرهبة، والحب والبغض، وكافة المشاعر الإنسانية التي ترتبط بالمؤثر الصوتي، سواءً كان له معنى في ذاته، أو أثار في نفسك قصصًا وذكريات، وتنشأ من ذلك الفكرة والنية والعزيمة، والإرادة والفعل، وذلك وفقًا لما يمكن أن يحمله الصوت المسموع من معانٍ ومفاهيم، ونغم وهدير، مما يكون له تأثيره على النفس والجسد.

أبحاث قرآنية في بنما

قام فريق عمل طبي بأبحاث قرآنية في مدينة بنما سيتي بولاية فلوريدا، وقدّم هذا البحث في المؤتمر العلمي الثالث للطب الإسلامي في إستنبول بتركيا.

وأظهرت النتائج المبدئية للبحوث القرآنية، أن للقرآن أثرًا إيجابيًّا مؤكدًا لتهدئة التوتر، وأمكن تسجيل هذا الأثر نوعًا وكمًّا، كما أن نتائج التجارب المقارنة تشير إلى أن كلمات القرآن بذاتها -وبغض النظر عن فهم معناها- لها أثر فسيولوجي مهدئ للأعصاب في الجسم البشري، فإذا اقترن سماع القرآن الكريم بفهم معناه كان غير محدود الأثر وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ - [الإسراء: ٨٢].

---

(١) أم الكتاب: سورة الفاتحة.

(٢) البخاري (الإجارة ٢٢٧٦)، ومسلم (٢٢٠١).

العلاج بالرقى

ندب الرقى واستحباب تعلمها

عن جابر ﷺ قال: نهى رسول الله ﷺ عن الرقى، فجاء آل عمرو بن حزم إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إنه كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب، وإنك نهيت عن الرقى، قال: فعرضوها عليه. فقال: **«ما أرى بأسًا، من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه»**(١)، وعنه ﷺ قال: رخَّص النبي ﷺ لآل حزم في رقية الحية، وقال لأسماء بنت عُميس: **«ما لي أرى أجسام بني أخي ضارعة**(٢)**، تصيبهم الحاجة!»** قالت: لا، ولكن العين تُسرع إليهم. قال: **«ارقيهم»** قالت: فعرضتُ عليه. فقال: **«ارقيهم»**(٣).

وعن حفصة ﵂ أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة يُقال لها الشِّفاء، ترقى من النملة. فقال النبيُّ ﷺ: **«علميها حفصة»**.

قال ابن الأثير: الرقية : العوذة التي يُرقى بها صاحب الآفة، كالحُمَّى، والصرع، وغير ذلك من الآفات، وقد جاء في بعض الأحاديث جوازها، وقد جاء في بعضها النهي عنها، فمن الجواز قوله: **«استرقوا لها فإن بها النظرة»**، أي: اجلبوا لها من يرقيها، ومن النهي قوله: **«لا يسترقون ولا يكتوون»** والأحاديث في القسمين كثيرة، قال: ووجه الجمع بينها أن الرقى يُكره منها ما كان بغير اللسان العربي، وبغير أسماء الله تعالى، وصفاته، وكلامه في كتبه المنزلة، وأن يعتقد أن الرقية نافعة لا محالة، فيتَّكل عليها، وإياه أراد بقوله: **«ما توكَّل من استرقى»** ولا يكره منها ما كان خلاف ذلك، كالتعوذ بالقرآن، وأسماء الله تعالى، وصفاته، والرُّقى المروية، ولذلك قال للذي رقي بالقرآن وأخذ عليه أجرًا: فلعمري لمن أخذ برقية باطل، فقد أخذت برقية حقٍّ(٤).

---

(١) مسلم.
(٢) أي: نحيفة.
(٣) مسلم.
(٤) النهاية لابن الأثير (٢ ٢٥٤).



شروط الرُّقى

قال ابن حجر: وقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط:

١ - أن يكون بكلام الله تعالى، أو أسمائه، أو صفاته.

٢ - وباللسان العربي، أو بما يُعرف معناه من غيره.

٣ - وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بذات الله تعالى.

قال: واختلفوا في كونها شرطًا، والراجح أنه لا بد من اعتبار الشروط المذكورة، ثم ذكر هذا الحديث:

عن عوف بن مالك الأشجعي ﷺ قال: كنا نرقي في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله، كيف ترى في ذلك؟ فقال: «**أعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شركٌ**»(١).

قال ابن حجر: قد تمسك قومٌ بهذا العموم، فأجازوا كل رقيٍ وجربت منفعتها ولو لم يعقل معناه، لا يؤمن أن يؤدي إلى الشرك، ويُمنع احتياطًا(٢).

قال النووي: إن جبريل رقى النبي ﷺ، وذكر الأحاديث بعده في الرقى، وفي الحديث الآخر في الذين يدخلون الجنة بغير حساب: «**لا يرقون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون**».

قال: فقد يظن مخالفة لهذا الحديث ولا مخالفة، بل المدحُ في ترك الرقى المراد بها التي هي من كلام الكفار، والرقى المجهولة، والتي بغير العربية، وما لا يُعرف معناها، فهذه مذمومة، لاحتمال أن معناها كفرٌ أو قريبٌ منه، أو مكروهٌ، وأما الرقى بآيات القرآن والأذكار المعروفة، فلا نهي فيه بل هو سنة(٣).

---

(١) مسلم.

(٢) فتح الباري (١٠ ٢٠٦).

(٣) شرح مسلم للنووي (١٤ ١٦٩).

وضع الراقي يده على موضع ألمه

عن عثمان بن أبي العاص الثقفي ﷺ أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعًا يجده في جسده منذ أسلم، فقال له رسول الله ﷺ: «**ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل: بسم الله ثلاثًا، وقُل سبع مرات أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر**»(١).

وضع الراقي يده على جبهة المرقيِّ

عن عائشة بنت سعد، أن أباها قال: تشكَّيتُ بمكة شكوى شديدة، فجاءني النبيُّ ﷺ يعودني، فقلتُ: يا نبي الله، إني أترك مالًا، وإني لم أترك إلا بنتًا واحدةً، فأوصي بثلثي مالي، وأترك الثلث؟ فقال: «**لا**»، قلتُ: فأوصي بالنصف، وأترك النصف؟ قال: «**لا**»، قلتُ: فأوصي بالثلث، وأترك الثلثين؟ قال: «**الثلث، والثلث كثير**»، ثم وضع يده على جبهته، ثم مسح يده على وجهي وبطني، ثم قال: «**اللهم اشفِ سعدًا، وأتمم له هجرته**»، فما زلتُ أجدُ بردها على كبدي فيما يخال(٢) إليَّ الساعة(٣).

قال الحافظ ابن حجر: قال ابن بطَّال: في وضع اليد على المريض تأنيسٌ له، وتعرُّفٌ لشدة مرضه، ليدعو له بالعافية على حسب ما يبدو له منه، وبما رقاه بيده، ومسح على ألمه، بما ينتفع به العليلُ إذا كان العائذُ صالحًا.

وقال ابن حجر: وقد يكون العائذ عارفًا بالعلاج، فيعرفُ العلة، ويصف له ما يناسبه(٤).

استحباب مسح الراقي الوجع بيده اليمنى

عن عائشة ﵂ قالت: كان النبي ﷺ يعوذ بعضهم يمسحه بيمينه(٥): «**أذهب**

---

(١) مسلم.

(٢) يخال: يظن، ويتخيل.

(٣) البخاري.

(٤) فتح الباري (١٠ ١٢٦).

(٥) قال ابن حجر: أي: على الوجع، قال الطبري: هو عن طريق التفاؤل لزوال الوجع.

الباس، رب الناس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقمًا»[١].

جواز رقية الزوجة لزوجها

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ومسح عنه بيده، فلما اشتكى وجعه الذي تُوفي فيه طفقتُ أنفث على نفسه بالمعوذات التي كانت ينفث وأمسح بيد النبي ﷺ عنه[٢].

وعنها رضي الله عنها قالت: كنت أرقي رسول الله ﷺ من العين: أمسح الباس، رب الناس، بيدك الشفاء، لا كاشف إلا أنت[٣].

استحباب النفث[٤] في الرقية

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾، و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾، و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات[٥].

وعنها رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه في مرضه الذي قبض فيه بالمعوذات، فلما ثقل[٦] كنت أنا أنفث عليه بهن، فأمسح بيد نفسه لبركتها. فسألت ابن شهاب: كيف كان ينفث؟ قال: ينفث على يدي، ثم يمسح بهما على وجهه[٧].

وعن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أنه أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يُلبِّسُها عليَّ، فقال رسول الله ﷺ: «ذاك شيطانٌ يقال له:

---

(١) متفق عليه.
(٢) متفق عليه.
(٣) أحمد (٦ ١٣١) بسندٍ صحيح.
(٤) النفث: هو التفل بغير ريق، أو ريق خفيف.
(٥) البخاري: الفتح (٨ ٦٧٩).
(٦) أي: اشتد مرضه.
(٧) متفق عليه.

خنزب، فإذا أحسسته فتعوَّذ بالله منه، واتفل على يسارك ثلاثًا» قال: ففعلت ذلك فأذهبه الله عني (١).

رقيةُ جبريل للنبي ﷺ

عن عائشة ﵂ قالت: كان إذا اشتكى رسول الله ﷺ رقاه جبريلُ، قال: بسم الله يُبريك، ومن كل داء يشفيك، ومن شر حاسد إذا حسد، وشر كل ذي عينٍ (٢).

وعن أبي سعيد الخدري ﵁ أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد، اشتكيت؟ فقال: «نعم» قال: بسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسدٍ، اللهُ يُشفيك، بسم الله أرقيك (٣).

قال النووي قوله: (بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسدٍ) هذا تصريحٌ بالرقى بأسماء الله تعالى، وفيه توكيدُ الرقية والدعاء وتكريره، وقوله: (من شر كل نفس): قيل: يحتمل المراد بها العين، فإن النفس تُطلق على العين، ويقول: رجلٌ نفوسٌ، إذا كان يصيب الناس بعينه، كما في الرواية الأخرى: (من شر كل ذي عين)، ويكون قوله: (أو عين حاسد) من باب التوكيد بلفظه، أو شكًّا من الراوي في لفظه، والله أعلم (٤).

رقية النبي ﷺ

عن عبد العزيز (٥) قال: دخلتُ أنا وثابت (٦) على أنس بن مالك، فقال ثابت: يا أبا حمزة، اشتكيت. فقال أنس: ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ؟ قال: بلى. قال: اللهم ربَّ

---

(١) مسلم.
(٢) مسلم.
(٣) مسلم.
(٤) شرح مسلم للنووي (١٤ ١٧٠).
(٥) هو ابن صهيب.
(٦) هو ثابت البناني.

الناس مُذْهِب الباس، اشف أنت الشافي، لا شافي إلا أنت، شفاءً لا يغادر سقمًا[١].

قال ابن حجر: (لا شافي إلا أنت) إشارة إلى أن كل ما يقع من الدواء والتداوي إذا لم يصادف تقدير الله تعالى، وإلا فلا ينجع[٢] (أي: لا ينفع).

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يرقي يقول: «**امسح الباس، رب الناس، بيدك الشفاء، لا كاشف إلا أنت**»[٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين، ويقول: «**إن أباكما كان يعوِّذ إسماعيل وإسحاق، أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان[٤] وهامة[٥]، ومن كل عينٍ لامة[٦]**»[٧].

وعنه رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا عاد المريض جلس عند رأسه، ثم قال: «**أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك**»، فإن كان في أجله تأخير عُوفي من وجعه ذلك[٨].

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول للمريض: «**بسم الله، تربة أرضنا، بريقة بعضنا، يُشفى سقيمنا بإذن ربنا**»[٩].

قال القرطبي: فيه دليلٌ على جواز الرقي من كل الآلام، وأن ذلك كان أمرًا فاشيًا معلومًا بينهم.

قال ابن حجر: (بريقة بعضنا) يدلُّ على أنه يتفل عند الرقية.

---

(١) البخاري.
(٢) فتح الباري (١٠ ٢١٧).
(٣) البخاري.
(٤) يشمل شيطان الإنس والجن.
(٥) قيل: كل ما له سُمٌّ يقتل.
(٦) المراد به: كل داءٍ وآفة تلم بالإنسان من جنون، وخبل (قاله الخطابي).
(٧) البخاري.
(٨) الترمذي، وأبو داود، والنسائي.
(٩) متفق عليه.

قال النووي: معنى الحديث أنه أخذ من ريق نفسه على إصبعه السبابة، ثم وضعها على التراب فعَلِقَ به شيءٌ منه، ثم مسح به الموضع العليل أو الجريح، قائلًا الكلام المذكور في حالة المسح.

الرقية من الحُمَة والعين والنملة

عن أنس ﷺ قال: رخَّصَ رسول الله ﷺ في الرقية إلا من العين والحُمة والنملة[١].

قال ابن حجر: وقد أجرى اللهُ العادة بوجود كثير من القوى والخواص في الأجسام والأرواح كما يحدث لمن ينظر إلى من يحتشمه من الخجل، فيرى في وجهه حُمرةً شديدةً لم تكن قبل ذلك، وكذا الإصفرارُ عند رؤية من يخافه، وكثيرٌ من الناس يسقمُ بمجرد النظر إليه وتضعف قواه، وكل ذلك بواسطة ما خلق الله تعالى في الأرواح من التأثيرات، ولشدة ارتباطها بالعين نسب الفعل إلى العين، وليست هي المؤثرة، وإنما التأثير للروح، والأرواح مختلفة في طبائعها، وقواها، وكيفياتها، وخواصها، فمنها ما يؤثر في البدن بمجرد الرؤية من غير اتصال به لشدة خبث تلك الروح وكيفيتها الخبيثة، والحاصلُ: أن التأثير بإرادة الله تعالى وقدره ليس مقصورًا على الاتصال الجسماني، بل يكون تارةً به، وتارةً بالمقابلة، وأخرى بمجرد الرؤية، وأخرى بمجرد توجه الروح، كالذي يحدث من الأدعية والرقى والالتجاء إلى الله، وتارةً يقع ذلك بالتوهم والتخيُّل والذي يخرج من عين العائن سهمٌ معنويٌّ إن صادف البدن لا وقاية له أثَّر فيه، وإلا ينفذ السهم، بل يُردُّ على صاحبه كالسهم الحسِّي سواءً[٢].

والحُمَة (بضم الحاء وتخفيف الميم): وهي السُّمُّ، قال ابن الأعرابي: يقال لسُمِّ العقرب الحُمَة والحُمَّة[٣].

والنملة (بفتح النون وإسكان الميم): هي قروحٌ تخرج في الجنب[٤].

---

(١) مسلم.

(٢) فتح الباري (١٠ ٢١١).

(٣) لسان العرب (٢ ١٠١٦).

(٤) شرح مسلم للنووي (١٤ ١٨٤).

رقية القرحة والجرح

عن عائشة ﵂ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى الإنسانُ، أو كانت به قُرحةٌ أو جُرحٌ، قال بإصبعه هكذا، ووضع سفيان سبابته بالأرض، ثم رفعها وقال: «بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا»(١).

قال ابن القيم: هذا من العلاج الميسَّر النافع المركب، وهي معالجةٌ لطيفةٌ يُعالج بها القروح والجروح الطرية، لا سيما عند عدم غيرها من الأدوية إذا كانت موجودة بكل أرضٍ، وقد عُلم أن طبيعة التراب الخالص باردةٌ يابسةٌ مجففةٌ لرطوبات القروح والجراحات التي تمنع الطبيعة من جودة فعلها، وسرعة اندمالها، لا سيما في البلاد الحارة، وأصحاب الأمزجة الحارة، فإن القروح والجراحات يتبعها في أكثر الأمر سوءُ مزاجٍ حارٍّ، فيجتمع حرارةُ البلد والمزاج والجراح، وطبيعةُ التراب الخالص باردةٌ يابسةٌ. أشدُّ مَن برودة جميع الأدوية المفردة الباردة فتقابلُ برودةُ التراب حرارة المرض، لا سيما إن كان التراب قد غُسل وجُفِّف، ويتبعها أيضًا كثرة الرطوبات الرديئة والسيلان، والترابُ مجففٌ لها، مزيلٌ لشدة يُبسه وتجفيفه للرطوبة الرديئة المانعة من برئها، ويحصل به -مع ذلك- تعديل مزاج العضو العليل، ومتى اعتدل مزاج العضو قويت قواه المدبرة ودفعت عنه الألم بإذن الله.

معنى الحديث

وقال ابن القيم: ومعنى الحديث أنه يأخذ من ريق نفسه على إصبعه السبابة، ثم يضعها على التراب، ويعلق بها من كل شيءٍ فيمسح على الجرح، ويقول هذا الكلام لما فيه من بركة ذكر اسم الله، وتفويض الأمر إليه، والتوكل عليه فينضم أحد العلاجين إلى الآخر، فيقوى التأثير(٢).

علاج الوجع بالرقية

عن عثمان بن أبي العاص، أنه شكى إلى رسول الله ﷺ وجعًا يجده في جسده منذ

---

(١) البخاري (١٠ ١٧٦، ١٧٧)، ومسلم (٢١٩٤).

(٢) الطب النبوي (١٨٦، ١٨٧).

أسلم، فقال النبي ﷺ: **«ضع يدك على الذي تألَّم من جسدك، وقل: بسم الله ثلاثًا، وقل سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجدُ وأحاذر»**[١].

قال ابن القيم: ففي هذا العلاج من ذكر الله والتفويض إليه، والاستعاذة بعزته وقدرته من شر الألم ما يذهب به وتكراره ليكون أنجع وأبلغ، كتكرار الدواء لإخراج المادة، وفي السبع (أي: في الدعاء سبع مرات) خاصيةٌ لا توجد في غيرها[٢].

---

(١) مسلم (٢٠٢).

(٢) الطب النبوي (١٨٨).

العلاج بالعسل

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[النحل: ٦٩].

قال ابن كثير: ﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ قال: ما بين أبيض وأصفر وأحمر وغير ذلك من الألوان الحسنة على اختلاف مراعيها ومأكلها منها. وقوله: ﴿ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ أي: في العسل شفاءٌ للناس، أي: من أدواء تعرض لهم. قال بعضُ من تكلَّم عن الطب النبوي: لو قال فيه الشفاء للناس لكان دواءً لكل داء، ولكن قال: فيه شفاءٌ للناس، أي: يصلح لكل أحدٍ من أدواء باردة فإنه حار والشيء يداوى بضده[١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«الشفاء في ثلاثة: في شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كية بنار وأنهى أمتي عن الكي»**[٢].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلًا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: **إن أخي استطلق بطنهُ**، فقال: «**اسقه عسلًا**»، فذهب فسقاه عسلًا، ثم جاء فقال: يا رسول الله، سقيتُه عسلًا فما زاده إلا استطلاقًا، قال: «**اذهب فاسقه عسلًا**»، **فذهب فسقاه عسلًا، ثم جاء فقال**: يا رسول الله، ما زاده إلا استطلاقًا. فقال رسول الله ﷺ: **«صدق اللهُ وكذب بطنُ أخيك، اذهب فاسقه عسلًا، فذهب فسقاه عسلًا فبرأ»**[٣].

فوائد العسل كما ذكرها ابن القيم

قال ابن القيم -رحمه الله- عن العسل: **هو غذاءٌ مع الأغذية، ودواءٌ مع الأدوية، وشرابٌ مع الأشربة، وحلوٌ مع الحلوى، وطلاءٌ مع الأطلية، ومفرحٌ مع المفرحات، فما خلق لنا شيءٌ أفضل منه في معناه، ولا مثله ولا قريبًا منه، ولم يكن معول القدماء إلا عليه.**

---

(١) تفسير ابن كثير (٢ ٤٤٢).

(٢) البخاري (الفتح ٥٦٨٠).

(٣) البخاري (فتح ٥٦٨٤)، ومسلم (٢٢١٧).

قال: والعسلُ فيه منافع عظيمة، فإنه جلاءٌ للأوساخ التي في العروق، والأمعاء وغيرها، ومحللٌ للرطوبات، أكلًا وطلاءً، نافعٌ للمشايخ وأصحاب البلغم، ومن كان مزاجه باردًا رطبًا، وهو مُغذٍّ ملين للطبيعة، حافظٌ لقوى المعاجين لكيفيات الأدوية الكريهة، منقٍّ للكبد والصدر، ومدرٌّ للبول، وموافقٌ للسعال الكائن عن البلغم، وإذا شُرب حارًّا بدهن الورد نفع من الهوام، وشرب الأفيون، وإذا شُرب وحده ممزوجًا بماء نفع من عضَّة الكلب، وأكل الفطر القتال، وإذا جعل فيه اللحم الطري حفظ طراوته ثلاثة أشهر، وكذلك إن جُعل فيه القثاء، والخيارُ، والقرعُ، والباذنجان، ويحفظ كثيرًا من الفاكهة ستة أشهر، ويحفظ جثة الموتى، ويُسمى الحافظ الأمين، وإذا لطَّخ به البدنُ المقمَّلُ والشعر قتل قمله وصئبانه، وطوَّل الشعر ... وحسَّنهُ ونعَّمه، وإن اكتُحل به جلا ظلمة البصر، وإن استيك به بيَّض الأسنان وصقلها، وحفظ صحتها، وصحة اللثة، ويفتح أفواه العروق، ويُدرُّ الطمث، ولعقه على الريق يُذهب البلغم، ويغسل خمل المعدة، ويدفع الفضلات عنها، ويُسخنها تسخينًا معتدلًا، ويفتح سُدَدها، ويفعل ذلك بالكبد والكلى والمثانة، وهو أقلُّ ضررًا لسُدد الكبد والطحال من كل حلوٍ[1].

عسل النحل شفاء من معظم الأدواء

قال الدكتور عبد العزيز إسماعيل: إن عسل النحل هو سلاح الطبيب في أغلب الأمراض، واستعماله في ازديادٍ مستمر بتقدم الطب، فهو يُعطى بالفم، وبالحقن الشرجية، وتحت الجلد، وفي الوريد، ويُعطى بصفته مقويًا ومغذيًا، وضد التسمم الناشئ من مواد خارجية مثل: الزرنيخ، والزئبق، والكلوروفورم، وضد التسمم الناشئ عن بعض الأمراض العضوية، مثل: التسمم البولي، والتسمم الناتج من أمراض الكلى، والكبد، والمعدة، والأمعاء، وفي أمراض الحميات، والحصبة، والالتهاب الرئوي والسحائي، وفي حالات الذبحة الصدرية، بصفة خاصة في حالات الارتشاحات العمومية الناشئة من التهاب الكلى الحاد، وفي احتقان المخ، والأورام الخبيثة.

---

(١) الطب النبوي (٣٣، ٣٤).

أبحاث عالمية لدراسة فوائد عسل النحل الطبية

بحث إنجليزي لإثبات فائدة العسل في التئام الجروح

نُشر في صحيفة إنجليزية في ٦ مارس ١٩٥٦ أن أحد كبار الجراحين في مستشفى نورفولك الإنجليزي استخدم عسل النحل لتغطية آثار الجروح الناتج عن العمليات الجراحية التي يُجريها، بعد أن ثبت له أنه يساعد على التئام الجروح وإزالة آثارها، فلا تترك ندوبًا وتشوهات بعد العملية، كما تبيَّن له من هذه التجارب التي أجراها أن طبيعة العسل وما يحويه من مواد تساعد على نمو الأنسجة البشرية من جديد فتلتئم الجروح بطريقة مستوية.

بحثٌ إيطالي لإثبات فاعلية العسل في أمراض الكبد والمرارة

نصح داود الأنطاكي قديمًا في القرن السادس عشر باستعمال العسل لعلاج مرض الصفراء وتسمم الكبد، وثبت في جامعة بولونيا بإيطاليا أن العسل له تأثيرٌ يقوي الكبد، كما أن العسل والليمون والزيتون يفيد في حالات أمراض الكبد والحوصلة المرارية.

بحث أمريكي لإثبات أثر العسل في علاج الأمراض الصدرية والحساسية

أعلن الدكتور وليام بترسون (أخصائي أمراض الحساسية بجامعة أيوا الأمريكية) أنه قام بمعالجة اثنين وعشرين ألف مريض بالحساسية بمقدار ملعقة يوميًّا من عسل النحل الخام، وأكد العسلُ فاعليته في ٩٠٪ من الحالات، وفي حالات الشعور بضيق الصدر، والسعال، والخشونة الصوتية يفيد منقوع البصل مع العسل في جلي الصدر، وكذلك في علاج السعال الديكي، وفي حالات التهاب الشعب الهوائية.

بحث أمريكيٌّ آخر لإثبات فاعلية العسل في علاج التهاب المفاصل

توصلت الباحثة الأمريكية (جوليا تشرش) بعد تجارب متعددة على الخنازير الغينية إلى إثبات وجود مادة مجهولة في عسل النحل وشمعه لها القدرة على علاج تصلب المفاصل، ووجدت أن العسل المستخرج من القرص مباشرةً دون تسخين، أو أية معالجةٍ صناعيةٍ أخرى يعمل على القضاء على تصلب الرسغين الذي يصيب الإنسان، وقد تبيَّن أن الخنازير الغينية التي تنقصها هذه المادة المجهولة تتأثر أشكال عظامها تمامًا كما يحدث للآدميين المصابين بالتهاب المفاصل.

بحث بريطاني لإثبات فاعلية العسل في نمو الأنسجة

كان قدماء المصريين ينصحون بتغطية الجروح بقماش قطني مغموس بالعسل لمدة أربعة أيام، وقد جرَّبها حديثًا (الجراح البريطاني ميخائيل بولمان) بمستشفى نورديتش بإنجلترا، حيث أتى العسل بنتائج مذهلة في تضميد جرح عند استئصال ثدي بسبب السرطان، فتحسَّن الجرح بسرعةٍ فائقةٍ بعد استعمال العسل، حيث إن احتواء العسل على عناصر غذائية يلعب دورًا واضحًا في التشكيل السريع للأنسجة النامية، كما إنه يعمل على تهدئة الجروح الملتهبة والمتقيحة بطيئة الالتئام، كما يُستعمل العسل كذلك في حالات الإصابة بالرصاص، حيث إن العسل يزيد كمية إفراز الجلوتاثيون في الجرح مما يساعد على عملية التأكسد والاختزال، وينشط نمو الخلايا وانقسامها، فيُسرع بالشفاء، ويسرع من التئام الجروح خاصةً إذا أُخذ عن طريق الفم.

بحثٌ مصري في إثبات فاعلية العسل في علاج التهاب العيون

في عام ١٩٨١م أشار الدكتور محمد عمارة رئيس مستشفى طب العيون - بجامعة المنصورة إلى أن نجاح العسل في علاج التهاب القرنية وعتمات القرنية المترتبة على الإصابة بفيروس الهربس، والتهاب وجفاف الملتحمة، وينصح بوضع العسل في جيب الملتحمة الأسفل (٢- ٣) مرات يوميًا، وسيحدث في الغالب حرقان وقتيّ بالعين وانهمار الدموع ولكن سرعان ما يتلاشى وتتحسَّن الحالة بنسبة (٨٥٪).

بحثٌ أسبانيٌّ لإثبات أثر العسل في علاج الأنيميا والضعف العام

وفي إحدى مستشفيات أسبانيا أُجريت تجربة على ثلاثين طفلًا لمدة ستة أشهر، وقورنوا بعدد مماثل من الأطفال الذين يأخذون الغذاء العادي، فظهرت زيادة في الوزن وزيادة في عدد كرات الدم علاوةً على قدرة تحمُّل غير عادية بالنسبة للأطفال الذين يأخذون العسل، ويُنصح الأطفال في حالة إصابتهم بالأنيميا بإضافة ملعقة أو ملعقتين إلى وجبة الطفل.

بحثٌ نمساوي لدراسة أثر لدغ النحل في الشفاء من الأمراض

أعلنت بعض الصحف في ١٠ فبراير ١٩٥٦ نقلًا عن أخبار لندن أنه توجد بها امرأةٌ نمساوية تُدعى مسز (أوين) تداوي المرضى الذين يئس الأطباءُ من شفائهم بقرصة النحل، وقد أثار خبر هذه السيدة اهتمامًا كبيرًا في أوساط لندن، ولا سيما أن نتائج

معالجتها قد أدت إلى الشفاء بحمد الله.

أبحاث أمريكية وإنجليزية لدراسة أثر سم النحل في شفاء الأمراض

اتجهت الأبحاث العلمية التي تجرى على النحل وعسله إلى دراسة سُمِّ النحل، إذ تقوم حاليًا بعضُ المؤسسات الطبية باستخراج سُمِّ النحل الذي يغرزه عن طريق آلة اللسع لاستعماله في معالجة بعض الأمراض المستعصية.

وفي أمريكا وإنجلترا مناحل لا غرض لها إلا تربية النحل لاستخراج مصل، وعمل حقن منه لعلاج كثير من الأمراض الروماتيزمية واللمباجو وعرق النسا، ونجحت كذلك في علاج الرمد الربيعي.

العسل والتبول اللا إرادي

ينصح كثيرٌ من الأطباء الأطفال الذين لا يستطيعون التحكم في عضلات المثانة البولية بعد سن ثلاث سنوات بتناول ملعقة عسل قبل النوم؛ حيث يجذب العسلُ سوائل الجسم، فيُريح الكلى، وفي أثناء الليل حتى يُعوِّد الطفل على عدم التبول ليلًا، بل إن كبار السن يُنصحون بتناول العسل قبل النوم لوقايتهم من النهوض في الساعات المبكرة للتبول.

العسل وعلاج الأرق، والسعال، والتهاب الشعب الهوائية، والمغص

يُستعمل العسل على نطاق واسع في علاج السعال، والأرق، وكمهدئ للأعصاب، والمغص، وتقلصات العضلات، كما يفيد كثيرًا في علاج التهاب الشعب الهوائية، ومعظم الأمراض الصدرية.

العسل ونضار البشرة

يُعتبر العسل حديثًا من وسائل التجميل، فهو يستخدم كمحلول للوجه مع اللبن حيث يُغذي الجلد ويزيده بياضًا ونعومة، ويقي الجلد من الميكروبات، كما يعمل على شدِّ الجلد المرتخي، وشفاء الجلد المتشقق، ونعومة الشفتين، ويُنصح بخلط ثلاثين جرامًا من العسل مع ثلاثين ملليلتر من عصير الليمون، ويعتبر هذا الخليط أفضل علاج لضربة الشمس وتهيُّج الجلد بإذن الله.

الغذاء الملكي وفوائده Royal Jelly

هل تعلم ما هو الغذاء الملكي؟ولم سُميَ بهذا الاسم؟

وما الذي يفرزه؟وما فائدته للنحل؟

وما أهميته للإنسان؟

الغذاء الملكي

هو سائلٌ أبيضُ اللون يُسمَّى لبن النحل يُشبه اللبن الكثيف، أو القشدة تفرزه الشغالات لتطعم به الملكات واليرقات.

أهمية الغذاء الملكي للنحل

والغذاء الملكي هامٌّ جدًّا في تحديد مستقبل الخصوبة والتناسل عند اليرقات المؤنثة فإذا غُذِّيت عليه طيلة الطور اليرقي (خمسة أيام) فستصبح الملكةُ طويلةً، ورشيقةً، ومبايضها كاملة الخصوبة، وإن غُذِّيت عليه لمدة ثلاثة أيام فقط، واستكمل غذاؤها بحبوب اللقاح المعجون بالعسل (والمعروف باسم خبز النحل) أصبحت شغالة عقيمة مبايضها ضامرة.

أهمية الغذاء الملكي للإنسان

يحتوي الغذاء الملكي على كثير من المواد السكرية، والبروتينية، والدهنية، والعناصر المعدنية، والفيتامينات، ومواد أخرى، وفوائد الغذاء الملكي للإنسان كثيرةٌ، يمكن إجمالها فيما يأتي:

١- يعمل الغذاء الملكي على تنشيط أعضاء الجسم، ويزيد سرعة التحول الغذائي، ويعالج حالات الهبوط والإرهاق والضعف العام، وينشط الغدد والهرمونات.

٢- يعالج الضعف الجنسي.

٣- يعالج قرحة المعدة، وقرحة الاثنا عشر، والقرحات الأخرى بالجسم.

٤- يعالج مرضى الضغط الدموي المرتفع، نظرًا لاحتواء العسل على مادة (أسيتيل كولين) الموسعة للأوعية الدموية (**Acetyl choline**).

٥- يفيد في علاج مرضى القلب، ويخفض نسبة الكوليسترول بالدم.

٦- ينظم علميات التغير الكيميائي بالخلايا، وإنتاج الطاقة الضرورية للأنشطة

الحيوية بالجسم.

٧- يستخدم في علاج السمنة والبدانة.

٨- له تأثير مُدرٌّ للبول.

٩- يؤخر سنَّ اليأس عند النساء.

١٠- يفيد الأطفال في تحسين الشهية، وزيادة الوزن، وتنظيم ضربات القلب، وزيادة المناعة.

العلاج بالحبة السوداء (حبة البركة) (الشونيز)

قال رسول الله ﷺ: **«عليكم بهذه الحبة السوداء فإن فيها شفاء من كل داء إلا السام»**[1].

قال ابن شهاب: السام: الموت، والشونيز: الحبة السوداء، وهي الشونيز: بلغة فارس، والكمون الأسود في السودان، وتسمى: الكمون الهندي، وتُعرف في بلاد الشام ومصر باسم حبة البركة أو الحبة السوداء.

نبات حبة البركة:

نبات ينمو في حوض البحر المتوسط، يصل ارتفاعه ٥٠ سم، والاسم العلمي له هي **Sativa Nireria**، وهو نبات قصير القامة لا يزيد طول قامته عن ٣مم، وهو ينتمي لعائلة الشمر والينسون، وتحتوي ثمرة النبات على كبسولة بداخلها بذور بيضاء ثلاثية الأبعاد، وسرعان ما تتحول إلى اللون الأسود عند تعرضها للهواء.

دراسات علمية حول حبة البركة

في الولايات المتحدة: أثبت الباحثون أن حبة البركة تنشط جهاز المناعة عند الإنسان.

وفي بريطانيا: نشرت دراسة في مجلة (**Planta Medica**) عام ١٩٩٦م ذكر فيها الدكتور (هوفون) خصائص زيت الحبة السوداء الطيار المضادة لآلام المفاصل والروماتيزم.

---

(١) البخاري (٥٦٨٨)، ومسلم (٢٢١٥).

وفي لندن: قامت الباحثة العربية (ريما أنس مصطفى) في مخابر جامعة كينج بلندن، تحت إشراف أساتذة بريطانيين، وأثبتت تلك الدراسة أيضًا وجود خواص مضادة للجراثيم في زيت الحبة السوداء الطيار.

وفي إحدى المجلات العالمية **Annals of Allergy** عام ١٩٩٣م أجريت على الفئران دراسة لإثبات دور الحبة السوداء في أمراض الحساسية.

وفي مجلة **International Journal of Pharmacology** عام ١٩٩٣م، نُشرت دراسة تُبين خلاصة الحبة السوداء، وقدرتها على خفض سكر الدم عند الأرانب.

زيت الحبة السوداء يقضي على جرثومي الكوليرا والشيجلا

نشرت مجلة **Phytotherapy Reserch** عام ١٩٩٢م، دراسة تشير إلى فوائد زيت الحبة السوداء الطيار في تثبيط نمو جرثومين شهيرين يوديان بحياة مئات الألوف من الأطفال في العالم ... هما جرثوم الكوليرا **Cholera** والشيجلا **Shiggella**، ويسببان إسهالًا شديدًا عند الأطفال.

الحبة السوداء والمناعة

في الولايات المتحدة: قام الدكتور أحمد القاضي والدكتور أسامة قنديل، بدراسة أظهرت أن تناول جرام واحد من حبة البركة مرتين يوميًّا قد ينشط الجهاز المناعي.

الخلاصة المائية لحبة البركة لها قدرة على تنشيط إفراز بعض عوامل تنشيط المناعة من الخلايا الليمفاوية مثل مادتي:

١- إنترليوكين (١)**Interleukin -1**

٢- إنتر ليوكين (٣)**Interleukin -3**

فوائد أخرى لحبة البركة

تعمل الخلاصة المائية لحبة البركة على إضعاف إفراز السوائل المعدية الحمضية ومنع حدوث القرح المعدية.

تعالج بعض أمراض الديدان المعدية في الأغنام، والديدان الشريطية في الأطفال.

كشفت بعضُ الدراسات التجريبية أن للخلاصات الكحولية للحبة السوداء عدة

تأثيرات مثل:

١ - الفتك بالعديد من الجراثيم والفطريات.

٢ - إبادة بعض الخلايا السرطانية.

٣- إرخاء عضلات الأمعاء، وكبح التقلصات والآلام.

٤ - علاج بعض المصابين ببعض الديدان المعدية مثل الدودة الشريطية.

٥- تثبيط الآلام والالتهابات ومنع تسوس الأسنان.

وكشفت الدراسات التجريبية على زيت الحبة السوداء الطيار على إحداث بعض التأثيرات مثل:

١ - خفض ضغط الدم وسرعة النبض (في الجرذان).

٢ - زيادة سرعة التنفس وتقلصات القصبة الهوائية (في حيوان الوبر).

٣- زيادة إفراز مادة الصفراء (في الكلاب).

٤ - زيادة إخراج حمض البوليك المسبب للنقرس ... في البول.

٥ - الفتك بالعديد من الجراثيم.

٦ - إرخاء عضلات الأمعاء وكبح التقلصات.

٧- خفض مستوى السكر الدم (في الأرانب والجرذان) المصابة بداء السكر.

قصةٌ مثيرةٌ

قال الشيخ الزنداني: كان لي صديقٌ وأنا أتكلم في هذا الأمر (أمر العلاج بالحبة السوداء) وكان له مريضٌ بالسرطان في لسانه، ثم أتى على فمه بأكمله، ثم ذهب إلى المستشفى التخصصي فأخرجوه بعد أن استفحل الداء فقال: أنا سمعتُ هذا الشيخ يقول: الحبة السوداء (أي: شفاءٌ من كل داء) فقال: نأتي بحبةٍ سوداء، ثم اتصل بي بالتليفون، قال: أقول لك لأبشرك بعد أن أعطينا مريضنا الحبة السوداء بالعسل، قال المريضُ: أصبحتُ أحسُّ بتمكن في جسدي، أصبحت أملك جسدي، وقبل ذلك ما كنتُ أتحكم فيه، وقال هذا الأخ: وأصبح هذا المريض يبتسم بعد أن كان لا يبتسم.



العلاج بالتلبينة

صدق أو لا تصدق ... التلبينة مجمةٌ للفؤاد !!

هل تعلم أن من أرخص وأفضل وأنفع الأدوية ... التلبينة ؟!

ما الحكمة من الوصية النبوية بالتداوي بالتلبينة ؟!

هل تعرف كم فائدة للتلبينة ؟!

التلبينة شفاءٌ من معظم الأدواء !!

حديث معجز:
قال رسول الله ﷺ: «**التلبينة مجمَّةٌ لفؤاد المريض تُذهب ببعض الحزن**» البخاري.

ما التلبينة ؟
التلبينة حساء يُعملُ من ملعقتين من دقيق الشعير بنخالته، ثم يُضاف لهما كوبٌ من الماء، وتطهى على نار هادئة لمدة خمس دقائق، ثم يُضاف كوبٌ من لبن وملعقةٌ من عسل نحل. وسُمِّيت بالتلبينة تشبيهًا لها باللبن في بياضها ورقتها.

فوائد التلبينة الصحية
تخفض الكوليسترول، وتقي الإنسان من تصلب الشرايين، وأثبتت الدراساتُ العلمية فاعلية حبوب الشعير الفائقة في تقليل مستوى الكوليسترول بالدم من خلال عدة عمليات حيوية.

تقي من أمراض القلب، وتصلب الشرايين التاجية، والذبحة الصدرية، وأعراض نقص التروية **Ischemia**، واحتشاء القلب **Heart infarction**.

يُثبت العلمُ الحديثُ وجود مواد تلعب دورًا في التخفيض من حدة الاكتئاب، كالبوتاسيوم، والماغنسيوم، ومضادات الأكسدة، وغيرها، وهذه المواد تجتمع في حبة الشعير التي وصفها نبي الرحمة ﷺ بأنها تُذهب ببعض الحزن، وتستخدم التلبينة في علاج الاكتئاب والحزن لما تحتويه من مواد هامة هي:

١ - البوتاسيوم والماغنسيوم.

٢ - فيتامين **B** حيث إن أحد مسببات أعراض الاكتئاب هو التأخر في العملية

الفسيولوجية لتوصيل نبضات الأعصاب الكهربية هو نقص فيتامين (B) لذلك ينصح مريض الاكتئاب بزيادة الكمية المأخوذة من بعض المنتجات التي تحتوي على هذا الفيتامين كالشعير.

٣- مضادات الأكسدة، حيث يساعد إعطاء جرعات مكثفة من حساء التلبينة الغنية بمضادات الأكسدة (فيتامين A & E) في شفاء حالات الاكتئاب لدى المسنين في فترة زمنية قصيرة تترواح من شهر إلى شهرين.

٤- الأحماض الأمينية: حيث يحتوي الشعير على الحمض الأميني تريبتو فان Treyptophan الذي يسهم في التخليق الحيوي لإحدى الناقلات العصبية وهي Serotonin التي تؤثر بشكل بارز في الحالة النفسية والمزاجية للإنسان.

وللتلبينة دور هام في مقاومة الأمراض والحفاظ على الأغشية الخلوية، وإبطاء عملية الشيخوخة، وتأخير حدوث مرض الزهايمر، والوقاية من السرطان.

تحتوي التلبينة على الميلاتونين الطبيعي غير الضار ... والميلاتونين هرمون يُفرز من الغدة الصنوبرية الموجودة في المخ خلف العين وأهميته:

١ - الوقاية من أمراض القلب، وخفض نسب الكوليسترول في الدم.

٢- يعمل على خفض ضغط الدم.

٣- يعمل على الوقاية من مرض الشلل الرعاش عند الكبار.

٤- يزيد الميلاتونين من مناعة الجسم.

٥- يعمل على تأخير أعراض الشيخوخة.

٦- له دورٌ هامٌ في تنظيم النوم واليقظة.

تعالج التلبينة ارتفاع السكر والضغط. التلبينة تعمل كمُلَيِّن ومهدئ للقولون. وأكدت البحوث العلمية أهمية الشعير والتلبينة في تقليل الإصابة بسرطان القولون[1].

---

(١) كتاب العلاج بالتلبينة - عبد الكريم التاجوري، كتاب الغذاء ودوره في تنمية الذكاء، د. نبيل سليم علي، كتاب الطب البديل، د. هاريم مايلوين، كتاب الطب البديل: مداواةٌ بلا أدوية، د. محمد المخزنجي ... (بتصرف واختصار).

وأخيرًا ..

ألم يأن للذين آمنوا أن يعودوا للطب النبوي ؟! هل علمتم الآن .. أن التلبينة كلها فوائد وليس لها أضرار ؟! هل رأيت علاجًا أنفع من هذا العلاج ؟ هل علمت دواءً أرخص من هذا الدواء ؟

العلاجُ بماء زمزم

يــا طيــب زمــزم مطعــمًا أو مــشربًا ... تهفـــو لـــورد نعيمـــه الأرواحُ

جبريـــلُ أطلقـــه بهمـــز جناحـــه ... فـــإذا بـــه مـــسترسلًا ينـــداحُ

الله أودعـــــه عنـــاصر رُكِّبـــت ... فيـــه يُحـــارُ بكُنهها الـــشُّرَّاحُ

فتـــضلعوا مـــن مائـــه وادعـــوا فقـــد ... جـــاءت أحاديـــثُ بـــذلك صـــحاحُ

مَـــنْ قـــال زمـــزم قُدِّســـت أسرارهـــا ... عنـــد الإلـــه فـــما عليـــه جُنـــاح

قال ابن القيم رحمه الله: ماء زمزم سيدُ المياه وأشرفها، وأجلُّها قدرًا، وأحبها إلى النفس، وأغلاها ثمنًا، وأنفسها عند الناس، وهو هَزْمَةُ جبريل، وسقيا الله إسماعيل، ماء زمزم للجائع طعام، وللمريض شفاء من السقام، قد فُضِّل ماؤها على الكوثر، حيث غُسِّل منها القلب الشريف الأطهر.

قال الحكيم الترمذي رحمه الله: الشاربُ لماء زمزم إن شربه لشبع أشبعه الله، وإن شربه لري أرواه الله، وإن شربه لشفاء شفاه الله، وإن شربه لسوء خلق حسَّنه الله، وإن شربه لضيق صدر شرحه الله، وإن شربه لانفلاق ظلمات الصدر فلقها الله، وإن شربها لغنى نفس أغناه الله، وإن شربها لحاجة قضاها الله، وإن شربه لأمر نابه كفاه الله، وإن شربه للكربة كشفها الله، وإن شربه لنصرة نصره الله، وبأية نية شرب من أبواب الخير والصلاح وفَّى الله له بذلك[١].

فضائل ماء زمزم

١ - الفضيلة الأولى: غسلُ قلب النبي ﷺ بماء زمزم

---

(١) نوادر الأصول (٣٤١).

عن أنس رضي الله عنه قال: كان أبو ذر ﷺ يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «**فُرج سقفي وأنا بمكة، فنزل جبريل -عليه السلام- ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهبٍ ممتلئ حكمة وإيمانًا، فأفرغها في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فعرج إلى السماء الدنيا، قال جبريل لخازن السماء الدنيا: افتح، قال: من هذا؟ قال: جبريل**»[(١)].

٢- الفضيلة الثاني: خيرُ ماءٍ على وجه الأرض

عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**خيرُ ماءٍ على وجه الأرض ماء زمزم، فيه طعامٌ من الطعم، وشفاءٌ من السقم، وشرُّ ماءٍ على وجه الأرض ماء بوادي برهوت، بقُبَّة حضرموت، كرجل الجراد من الهوام، تُصبح تتدفق، وتُمسي لا بلال فيها**»[(٢)].

٣- الفضيلة الثالثة: ماء زمزم لما شُرب له

عن جابر بن عبد الله ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**ماء زمزم لما شُرب له**»[(٣)].

قال سفيان الثوري: إنما كان الرقى والدعاء بالنية؛ لأن النية تبلغ بالعبد عناصر الأشياء، والنيات على قدر طهارة القلوب وسعيها إلى ربها، وعلى قدر العقل والمعرفة يقدر القلب على الطيران إلى الله، فالشاربُ لزمزم على ذلك.

٤- الفضيلة الرابعة: ماءُ زمزم طعام طُعْم

عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**زمزم طعام طعم، وشفاءُ سقم**»[(٤)]، وعنه أيضًا قال: «**أتيتُ زمزم فغسلتُ عني الدماء، وشربتُ من مائها، وقد لبثتُ يا بن أخي**

---

(١) البخاري.

(٢) الطبراني في الكبير والأوسط، وابن حبان، والضياء، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٢٢).

(٣) ابن ماجه (٣٠٦٢)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٤٨٤).

(٤) صحيح: أخرجه الطبراني في الكبري، وابن أبي شيبة، والطيالسي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٧٢).

ثلاثين بين يوم وليلة، ما كان لي طعامٌ إلا ماء زمزم فسمنتُ حتى تكسرت عُكَنُ بطني[١] **وما وجدتُ على كبدي سُخفةُ جوع**[٢]**». وسأله رسول الله ﷺ: متى كان ها هنا؟ قال:** قلت: قد كنت ها هنا منذ ثلاثين بين يوم وليلة. قال فمن كان يطعمك؟ قال: قلت: ما كان لي طعام إلا ماء زمزم، فسمنت حتى تكسرت عكن بطني، وما وجدتُ على كبدي سُخفةُ جوع. قال: «**إنها مباركة، إنها طعامُ طعم**»[٣].

٥- الفضيلة الخامسة: زمزم شفاء سقم

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ **يحمل ماء زمزم في الأداوى والقِرب،** وكان يصبُّ على المرضى ويسقيهم[٤].

وعن عباد بن عبد الله بن الزبير قال: لما حجَّ معاوية **حججنا معه، فلما طاف بالبيت** صلَّى عند المقام ركعتين، ثم مَرَّ بزمزم وهو خارجٌ إلى الصفا، **فقال: انزع لي منها دلوًا يا** غلام. قال: فنزع له دلوًا، فأتى به فشرب، وصبَّ **على رأسه ووجهه وهو يقول: زمزم** شفاءٌ، وهي لما شُرب له. قال ابن حجر: إسناده حسن، مع كونه موقوفًا.

قال ابن القيم -رحمه الله- وقد جرَّبت أنا وغيري من الاستشفاء بماء **زمزم أمورًا** عجيبةً، واستشفيتُ به من عدة أمراض، فبرأت بإذن الله، وشاهدتُ مَنْ يتغذَّى به **الأيام** ذوات العدد قريبًا من نصف شهر، أو أكثر ولا يجد عليه أربعين يومًا، وكان له قوةٌ يجامع بها أهله، ويصوم ويطوف مرارًا[٥].

قصة حقيقية عجيبة (لامرأة تُشفى من السرطان بماء زمزم فقط)

هذا ما حدث مع السيدة المغربية ليلى الحلو ... صاحبة كتاب **(فلا تنس الله)،** ونشرت منه المجلة العربية فصولًا في عدد رقم ١٤٧، اشتد بها المرض، **واحتار الأطباء في**

---

(١) عُكَنُ: جمع عكنة: وهي الطي في البطن من السمن، ومعنى تكسَّرت: انثنت.

(٢) سخفةُ جوع -بفتح السين وضمها: رقة الجوع وهزاله.

(٣) مسلم.

(٤) صحيح: انظر الصحيحة (٨٨٣).

(٥) الطب النبوي: (٣٩٣).

أمرها، وعجزوا عن تخفيف آلامها، وفي باريس شخَّصوا لها المرض بأنه سرطان في الصدر ينتشر في كل الجسم، فشربت من ماء زمزم فشفيت بإذن الله.

العلاج بالحجامة

تعريف الحجامة

قال ابن الأثير: المحجم (بالكسر) التي يُجمع فيه دم الحجامة عند المصِّ، والمحجم - أيضًا: مشرط الحجَّام وفعله الحجامة، والحجم: فعل الحاجم وهو الحجَّام، واحتجم: طلب الحجامة وهو محجوم، وأصل الحجم: المصّ.

وفي المعجم الوجيز: حجم المريض: عالجه بالحجامة. احتجم: طلب الحجامة. الحجامة: امتصاص الدم بالمحجم بعد تشريط الجلد، وقد تكون الحجامة جافة دون إدماء. المحجم: أداة الحجم. المحجم: القارورة التي يُجمع فيها دم الحجامة، والجمع محاجيم. والمحجمة: المحجم[1].

الترغيب في الحجامة

عن ابن عباس ﷺأن النبي ﷺقال: «**الشفاء في ثلاثة: في شرطة محجم أو شربة عسل أو كية نار، وأنهى أمتي عن الكي**»[2].

وعن أنس ﷺأن النبي ﷺقال: «**إن أفضل ما تداويتم به الحجامة**». وعنه أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أفضل ما تداويتم به الحجامة، والقسط البحري**».

وعن جابر ﷺقال: سمعت رسول الله ﷺيقول: «**إن كان في شيء من أدويتكم خيرٌ ففي شرطة محجم، أو شربة عسل، أو لدغة بنار**» قال رسول الله ﷺ: «**وما أحب أن أكتوي**»[3].

قال ابن القيم عن فوائد الحجامة:

---

(١) المعجم الوجيز (١٣٧).

(٢) البخاري (٥٦٨٠)، (٥٦٨١).

(٣) البخاري (٥٦٨٤، ٥٧٠٢) ومسلم (٢٢٠٥).

الحجامة على الكاهل تنفع من وجع المنكب والحلق، والحجامة على الأخدعين تنفع من أمراض الرأس وأجزائه؛ كالوجه، والأسنان، والأذنين، والعينين، والأنف، والحلق، إذا كان حدوث ذلك عن كثرة الدم، أو فساده، أو عنهما جميعًا.

والحجامة تحت الذقن تنفع من وجع الأسنان، والوجه، والحلقوم إذا استعملت في وقتها، وتنقِّي الرأس والفكين.

والحجامة على ظهر القدم تنوب عن فصد الصافن، وهو عرقٌ عظيمٌ عند الكعب، وتنفع من قروح الفخذين والساقين، وانقطاع الطمث، والحكة العارضة في الأنثيين.

والحجامة في أسفل الصدر نافعة من دمامل الفخذ وجربه وبُثُوره، ومن النقرس، والبواسير، وداء الفيل، وحكة الظهر[1].

حجامة النبي ﷺ

عن أبي بحينة أن النبي ﷺ احتجم بطريق مكة وهو محرم وسط رأسه[2].

قال الحافظ في الفتح: إن الحجامة في وسط الرأس نافعة جدًّا، وقد ثبت أنه ﷺ فعلها[3].

قال السيوطي عن معنى وسط الرأس: قال: بفتح السين أي: متوسطه وهو ما فوق اليافوخ.

وعن أبي كبشة الأنماري أن النبي ﷺ كان يحتجم على هامته، وبين كتفيه[4].

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يحتجم ثلاثًا: واحدة على كاهله، واثنتين على الأخدعين[5].

---

(١) الطب النبوي (٥٥ - ٥٨).

(٢) متفق عليه.

(٣) فتح الباري (١٠ ١٢٤).

(٤) أبو داود (٣٥٨٩).

(٥) أبو داود (٣٨٦٠)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٢٦٩).

وقال ابن القيم رحمه الله: الحجامة على الأخدعين من أمراض الرأس وأجزائه؛ كالوجه، والأسنان، والأذنين، والعينين، والأنف.

وفي عون المعبود: الأخدعان: عرقان في جانبي العنق، قال أهل اللغة: الأخدعان: عرقان في جانبي العنق يحتجم منهما، والكاهل ما بين الكتفين وهو مقدم الظهر[١].

وعن جابر ﷺ أن النبي ﷺ احتجم على وركه من وَثْء كان به[٢]. والورك: ما فوق الفخذ. والوَثْء: بفتح الواو وسكون الثاء: وجع يصيب العضو من غير كسر، وقيل: هو ما يعرض للعضو من جدر، وقيل: أن يصيب العظم وهنٌ. وفي القاموس: الوثء: وجعٌ يصيب اللحم لا يبلغ العظم، أو وجعُ العظم بلا كسر، أو هو الفكُّ به وثء[٣].

وعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ احتجم وهو محرمٌ على ظهر القدم من وجعٍ كان به[٤][٥].

---

(١) عون المعبود (١٠ ٣٣٩).
(٢) أبو داود (٣٨٦٣)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٢٧٢).
(٣) عون المعبود (١٠ ٣٣٩).
(٤) أبو داود (١٨٣٧)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٦٢١).
(٥) راجع المزيد عن الحجامة، وأنواعها، وتجهيزاتها، وطرقها، وكيفية العلاج بها، والمحاذير، والنصائح الخاصة بها في كتابنا (الموسوعة الشاملة في الطب النبوي، والأعشاب الطبية، والحجامة النبوية، والإبر الصينية).

الهدي النبوي في علاج بعض الأمراض

الأمراض الباطنية وأمراض الجهاز الهضمي

١- الحُمَّى

عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "**إنما الحُمَّى، أو شدَّة الحمَّى، من فيح جهنم فأبردوها بالماء**"[1]. وقد أُشكل هذا الحديث على كثير من جهلة الأطباء، ورأوه منافيًا لدواء الحُمَّى وعلاجها، وقال ابن القيم أيضًا: ونحن نُبيِّن -بحول الله وقوته- وجهه وفقهه فنقول: خطاب النبي ﷺ نوعان:

١- عامٌّ لأهل الأرض. ٢- وخاصٌّ ببعضهم.

فالأول: كعامة خطابهم.

والثاني: كقوله: "**لا تستقبلوا القبلة بغائطٍ ولا بولٍ، ولا تستدبروها، ولكن شرِّقُوا أو غرِّبوا**"[2].

قال ابن القيم رحمه الله: فهذا ليس بخطاب لأهل المشرق والمغرب ولا العراق، ولكن لأهل المدينة وما على سمتها، كالشام وغيرها، وكذلك قوله (ما بين المشرق والمغرب قبلة)[3] وإذا عُرف هذا، فخطابه في هذا الحديث خاصٌّ بأهل الحجاز وما والاهم إذا كان أكثرُ الحميات التي تعرض لهم من نوع الحُمَّى اليومية العرضية الحادثة عن

---

(١) البخاري (١٠ ١٤٦)، ومسلم (٢٢٨).
وقال الأرناؤوط: قال بعض الأطباء: كل حالات الحميات عن اشتداد الحرارة تعالج بالماء بطريقتين: الأولى من الخارج على هيئة مكمدات باردة، أو مثلجة لغرض إنزال درجة الحرارة، والثاني: تعاطي الماء بالفم بكثرة أثناء الحميات يساعد جميع أعضاء الجسم، خصوصًا الكليتين على النهوض بوظائفها الحيوية للجسم.

(٢) البخاري (١ ٤١٨)، وقال الأرناؤوط: قال البغوي: وقوله (شرِّقوا أو غرِّبوا) هذا خطابٌ لأهل المدينة، ولمن كانت قبلته على ذلك السمت، فأما من كانت قبلته إلى جهة المشرق، أو المغرب فإنه ينحرف إلى الجنوب، أو إلى الشمال (شرح السنة ١ ٣٥٩).

(٣) الترمذي (٣٤٤)، ابن ماجه (١٠١١)، وقال الأرناؤوط: صحيح بطرقه، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٨٢٩).

شدة حرارة الشمس، وهذا ينفعها الماء البارد شربًا واغتسالًا؛ فإن الحُمَّى حرارةٌ غريبةٌ تشتعل في القلب، وتنبث منه بتوسط الروح والدم في الشرايين والعروق إلى جميع البدن، فتشتعل فيه اشتعالًا يضرُّ بالأفعال الطبيعية.

أقسام الحُمَّى

قال ابن القيم -رحمه الله- عن أقسام الحُمَّى: وهي تنقسم إلى قسمين: عرضية، وهي الحادثة إما عن الورم، أو الحركة، أو إصابة حرارة الشمس والقيظ الشديد، ونحو ذلك. ومرضية: وهي ثلاثة أنواع، وهي لا تكون إلا في مادة أولى، ثم منها يسخن جميع البدن، فإن كان مبدأ تعلقها بالروح سُمِّيت حُمَّى يوم؛ لأنها في الغالب تزول في يوم، ونهايتها ثلاثة أيام. وإن كان مبدأ تعلقها بالأخلاط سُمِّيت عفنية، وهي أربعة أصناف: صفراوية. وسوداوية. وبلغمية. ودموية.

وإن كان مبدأ تعلقها بالأعضاء الصلبة الأصلية، سُمِّيت حُمَّى دق، وتحت هذه الأنواع أصناف كثيرة.

وقد ينتفع البدنُ بالحُمَّى انتفاعًا عظيمًا لا يبلغه الدواء وكثيرًا ما يكون حُمَّى اليوم، وحمى العفن سببًا لإنضاج مواد غليظة لم تكن تنضج بدونها، وسببًا لتفتح سُددٍ لم يكن تصل إليها الأدوية المُفتحة.

وقال لي بعض فضلاء الأطباء: إن كثيرًا من الأمراض نستبشر فيها بالحُمَّى، كما يستبشر المريضُ بالعافية، فتكون الحُمَّى فيه أنفع من شرب الدواء بكثير، فإنها تُنضج من الأخلاط والمواد الفاسدة ما يضرُّ بالبدن، فإذا أنضجتها صادفها الدواء متهيئةً للخروج بنضاجها، فأخرجها، فكانت سببًا للشفاء[1].

---

(١) قال الأرناؤوط: قال الدكتور عادل الأزهري: إن بعض الأمراض المزمنة، مثل مرض الروماتيزم المفصلي المزمن الذي تتصلب فيه المفاصل، وتصبح غير قادرة على التحرك، أو مرض الزهري المزمن في الجهاز العصبي، تتحسن كثيرًا بارتفاع درجة حرارة الجسم، أي: في حالات الحميات، ولذلك من ضمن طرق العلاج الطبي، في مثل هذه الحالات، الحمى الصناعية، أي: إحداث حالة حُمَّى في المريض بحقنه بمواد معينة.

وإذا عُرف هذا، فيجوز أن يكون مراد الحديث من أقسام الحميات العرضية، فإنها تسكن على المكان بالانغماس في الماء الباردُ، وسقى الماء البارد المثلوج، ولا يحتاج صاحبها مع ذلك إلى علاج آخر، فإنها مجرد كيفية حارة متعلقة بالروح، فكيف في زوالها مجرد كيفية باردة تسكنها، وتخمد لهبُها من غير حاجة إلى استفراغ مادة أو انتظار نضج؟!

ويجوز أن يُراد به جميع أنواع الحميات، وقد اعترف فاضل الأطباء جالينوس[1]، بأن الماء البارد ينفع فيها، قال في المقالة العاشرة من كتاب (حلية البرء): ولو أن رجلًا شابًّا حسن اللحم خصب البدن في وقت القيظ، وفي وقت منتهى الحُمَّى، وليس في أحشائه ورم استحمَّ بماء بارد، أو سبح فيه، لانتفع بذلك، قال: ونحن نأمر بذلك بلا توقف.

وقال الرازي[2] في كتابه الكبير: إذا كانت القوة[3] قوية، والحُمَّى حادة جدًّا، والنضج بيِّنًا، ولا ورم في الجوف، ولا فتق، ينفع الماء الباردُ شربًا، وإن كان العليلُ خصب البدن، والزمان حارًّا، وكان معتادًا لاستعمال الماء البارد من خارج، فليؤذن فيه.

قال ابن القيم: وقوله: (الحُمَّى من فيح جهنم): هو شدة لهبها وانتشارها، ونظيره قوله: (شدة الحر من فيح الجهنم) وفيه وجهان: أحدهما: أن ذلك أنموذج ورقيقة اشتُقت من جهنم؛ ليستدلَّ بها العباد عليها، ويعتبروا بها، ثم إن الله -سبحانه- قدَّر ظهورها بأسباب تقتضيها، كما أن الروح والفرحة والسرور واللذة من نعيم الجنة أظهرها الله في هذه الدار عبرةً ودلالةً، وقدَّر ظهورها بأسبابٍ توجبها.

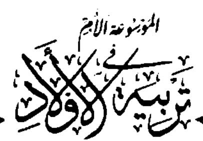
والثاني: أن يكون المراد التشبيه، فشبَّه شدة الحُمَّى ولهبها بفيح جهنم، وشبَّه شدة الحر به أيضًا، تنبيهًا للنفوس على شدة عذاب النار، وأن هذه الحرارة العظيمة مشبَّهة

---

(١) جالينوس: طبيب يوناني، له اكتشافات رائعة في التشريح، وهو من أكبر مراجع أطباء العرب، توفي سنة ٢٠١م.

(٢) هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي من أشهر أطباء العرب، وُلد في الري، ولُقِّب جالينوس العرب، وطبيب المسلمين، له مؤلفات كثيرة، منها: الحاوي في صناعة الطب في مقدار ثلاثين مجلدًا، و(الجدري والحصبة)، تُوُفِّيَ سنة ٣١١هـ.

(٣) يعني المناعة والمقاومة الطبيعية



بفيحها، وهو ما يصيب من قَرُبَ منها من حرِّها.

وقوله: (فأبردوها) رُوي من وجهين:

١- بقطع الهمزة وفتحها، رباعي: من أبرد الشيء، إذا صيَّره باردًا، مثل أسخنه، إذا صيره ساخنًا.

٢- والثاني: بهمزة الوصل مضمومة من برَّد الشي يُبرِّده، وهو أفصح لغة واستعمالًا، والرباعي لغةٌ رديئةٌ عندهم.

وقوله (بالماء) فيه قولان: أحدهما: أنه كل ماء، وهو الصحيح. الثاني: أنه ماء زمزم. واحتجَّ أصحاب هذا القول بما رواه البخاري في صحيحه عن أبي جمرة نصر بن عمران الضبعي، قال: كنت أجالس ابن عباس بمكة، فأخذتني الحُمَّى فقال: أبردها عنك بماء زمزم، فإن رسول الله ﷺ قال: «إن الحُمَّى من فيح جهنم فأبردوها بالماء، أو قال: بماء زمزم»[1]. وراوي هذا قد شكَّ فيه، ولو جزم به لكان أمرًا لأهل مكة بماء زمزم؛ إذ هو متيسر عندهم، ولغيرهم بما عندهم من الماء.

ثم اختلف مَن قال: إنه على عمومه: هل المراد به الصدقة بالماء، أو استعماله؟ على قولين: والصحيحُ أنه استعماله.

عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إذا حُمَّ أحدكم فليرش عليه الماء البارد ثلاث ليالٍ من السَّحر»[2].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «الحُمَّى كيرٌ من كير جهنم فنحُّوها عنكم بالماء البارد»[3].

---

(١) الحاكم في المستدرك (٤ ٢٠٠) وصححه، ووافقه الذهبي، قال الأرناؤوط: وهو كما قالا وقال الحافظ في الفتح: سنده قوى.

(٢) الحاكم في المستدرك (٤ ٢٠٠) وصححه، ووافقه الذهبي، قال الأرناؤوط: وهو كما قالا وقال الحافظ في الفتح: سنده قوى.

(٣) ابن ماجه (٣٤٧٥) ورجاله ثقات، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٧٩٩).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل على أم السائب أو أم المسيب، فقال: «ما لك يا أم السائب، أو يا أم المسيب تزفزفين؟» (ترتعدين) قالت: الحُمَّى، لا بارك الله فيها. فقال: «لا تَسُبِّي الحُمَّى، فإنها تُذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكيرُ خبث الحديد»[(١)].

قال ابن القيم رحمه الله: لما كانت الحُمَّى يتبعها حمية عن الأغذية الرديئة، وتناول الأغذية والأدوية النافعة، وفي ذلك إعانة على تنقية البدن، ونفى أخباثه وفضوله، وتصفيته من مواده الرديئة، وتفعل فيه كما تفعل النارُ في الحديد، في نفي خبثه، وتصفية جوهره، كانت أشبه الأشياء بنار الكير التي تُصفي جوهر الحديد، وهذا القدر هو المعلوم عند أطباء الأبدان.

وأما تصفيتها القلب من وسخه ودرنه، وإخراج خبائثه، فأمر يعلمه أطباء القلوب، ويجدونه كما أخبر به نبيُّهم رسول الله ﷺ، ولكن مرض القلب إذا صار ميئوسًا من برئه، لم ينفع فيه هذا العلاج، فالحُمَّى تنفع البدن والقلب، وما كان بهذه المثابة فسبُّهُ ظلمٌ وعدوان، وذكرت مرة، وأنا محموم.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: ما من مرض يُصيبني أحبُّ إليَّ من الحُمَّى تدخل في كل عضوٍ مني، وإن الله –سبحانه– يُعطي كل عضوٍ حظَّه من الأجر[(٢)].

٢- استطلاق البطن

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلًا أتى النبي ﷺ فقال: إن أخي يشتكي بطنه، وفي رواية: استطلقت بطنُهُ، فقال: «اسقه عسلًا» فذهب ثم رجع فقال: قد سقيته فلم يغن عنه شيئًا، وفي لفظ: فلم يزده إلا استطلاقًا مرتين أو ثلاثًا، كل ذلك يقول: «اسقه عسلاً» فقال له في الثالثة أو الرابعة: «صدق الله، وكذب بطنُ أخيك»[(٣)].

قال ابن القيم رحمه الله: والعسل فيه منافع كثيرة: فهو جلاءٌ للأوساخ التي في

---

(١) مسلم (٤٥٧٥).

(٢) الطب النبوي (٢٥- ٣٢).

(٣) البخاري (١٠١١٩)، ومسلم (٢٢١٧).

العروق والأمعاء وغيرها، محللٌ للرطوبات أكلًا وطلاءً، نافعٌ للمشايخ وأصحاب البلغم ومن كان مزاجه باردًا رطبًا، وهو مُغذٍّ ملين للطبيعة، حافظ لقوى المعاجين، ولما استودع فيهن،مُذْهِبٌ لكيفيات الأدوية الكريهة، مُنَقٍّ للكبد والصدر، مُدرٌّ للبول موافقٌ للسعال الكائن عن البلغم، وإذا شُرب حار بدهن الورد نفع من نهش الهوام وشرب الأفيون، وإن شرب وحده ممزوجًا بماءٍ نفع من عضة الكلب الكَلِب[١] وأكل الفطر[٢] القتَّال، وإذا جُعل فيه اللحم الطري حفظ طراوته ثلاثة أشهر، وكذا إن جعل فيه القثاء والخيار والقرع والباذنجان.

ويحفظ كثيرًا من الفاكهة ستة أشهر، ويحفظ جثة الموتى، ويُسمَّى الحافظ الأمين[٣]، وإذا لُطِّخ به البدن المقمل[٤] والشعر قتل قمله وصئبانه، وطوَّل الشعر وحسنه ونعَّمه، وإن اكتحل به جلا ظلمة البصر، وإن استُنَّ به[٥] بيَّض الأسنان، وصقَّلها، وحفظ صحتها وصحة اللثة، ويفتح أفواه العروق، ويدرُّ الطمث، ولعقُهُ على الريق يذهب البلغم، ويغسل خمل المعدة ويدفع الفضلات عنها، ويُسخِّنها تسخينًا معتدلًا، ويفتح سُدَدَها، ويفعل ذلك بالكبد والكلى والمثانة، وهو أقلُّ ضررًا لسُدَدِ الكبد والطحال من كل حلو، وهو مع هذا كله مأمون الغائلة، قليل المضار، مضرٌّ بالعرض للصفراويين، ودفعها بالخل ونحوه، فيعود حينئذ نافعًا له جدًّا، وهو غذاءٌ مع الأغذية، ودواء مع الأدوية، وشرابٌ مع الأشربة وحلوٌ مع الحلوى، وطلاءٌ مع الأطلية[٦]، ومفرح مع المفرحات، فما خُلق لنا شيءٌ في معناه أفضل منه ولا مثله ولا قريبًا منه، ولم يكن معول القدماء إلا عليه.

قال ابن القيم رحمه الله: إذا عُرف هذا، فهذا الذي وصف له النبي ﷺ العسل، كان استطلاق بطنه عن تخمة أصابته من امتلاء، فأمره بشُرب العسل، لدفع الفضول المجتمع

---

(١) الكَلِب: المسعور.

(٢) الفطر القتال: نوع من الفطريات العشبية السامة.

(٣) قلتُ: وينبغي التورع عن هذه الصيغة؛ لأن الله هو الحافظ (فالله خير حافظًا).

(٤) أي: المصاب بالقمل.

(٥) أي: استيك به.

(٦) أي: يُطلى به بعد الجروح والقروح، وأيضًا به البشرة لنعومتها وجمالها.

في نواحي المعدة والأمعاء، فإن العسل فيه جلاءٌ ودفعٌ للفضول، وكان قد أصاب المعدة أخلاطٌ لزجة تمنع استقرار الغذاء فيها للزوجتها، فإن المعدة لها خَمْلٌ كخمل القطيفة، فإذا علقت بها الأخلاط اللزجة أفسدتها وأفسدت الغذاء، فدواؤها بما يجلوها من تلك الأخلاط، والعسلُ من أحسن ما عُولج به هذا الداء، لا سيما إن مُزج بالماء الحار.

وفي تكرار سقيه العسل معنى طبي بديع: وهو أن الدواء يجب أن يكون له مقدار، وكمية بحسب حالة الداء، إن قصر عنه لم يُزله بالكلية، وإن جاوزه أَوْهَى القُوى، فأحدث ضررًا آخر، فلما أمره، أن يسقيه العسل سقاه مقدارًا لا يفي بمقاومة الداء، ولا يبلغ الغرض، فلما أخبره، علم أن الذي سقاه لا يبلغ المقدار المقاوم للداء، فلما تكررت الشربات بحسب المادة (مادة الداء) برأ بإذن الله.

واعتبار مقادير الأدوية وكيفياتها، ومقدار قوة المريض والمرض من أكبر قواعد الطب.

وفي قوله ﷺ: «صدق الله وكذب بطنُ أخيك» إشارة إلى تحقيق نفع هذا الدواء، وأن بقاء الداء ليس لقصور الدواء في نفسه، ولكن لكذب البطن وكثرة المادة الفاسدة فيه، فأمر بتكرار الدواء لكثرة المادة.

وليس طبُّهُ ﷺ كطب الأطباء، فإن طبَّ النبي ﷺ متيقنٌ قطعيٌّ إلهيٌّ، صادرٌ عن الوحي ومشكاة النبوة، وكمال العقل، وطبُّ غيره حدسٌ وظنون وتجارب، ولا ينكر عدم انتفاع كثير من المرضى بطب النبوة؛ فإنه إنما ينتفع به من تلقاه بالقبول، واعتقاد الشفاء به، وكمال التلقي له بالإيمان والإذعان، فهذا القرآن الذي هو شفاء لما في الصدور، إن لم يتلق هذا التلقي، لم يحصل به شفاء الصدور من أدوائها، بل لا يزيد المنافقين إلا رجسًا إلى رجسهم، ومرضًا إلى مرضهم، وأين يقع طب الأبدان منه، فطب النبوة لا يناسب إلا الأبدان الطيبة، كما أن شفاء القرآن لا يناسب إلا الأرواح الطيبة والقلوب الطيبة الحية، فإعراض الناس عن طب النبوة كإعراضهم عن الاستشفاء بالقرآن الذي هو الشفاء النافع، وليس ذلك لقصور في الدواء، ولكن لخبث الطبيعة، وفساد المحل وعدم قبوله[1].

---

(١) الطب النبوي (٣٣- ٣٦).

٣- علاج الإمساك

عن أسماء بنت عميس قالت: قال رسول الله ﷺ: «بماذا كنت تستمشين؟» قالت بالشُّبْرُم. قال: «حارٌّ جارٌّ». قالت: ثم استمشيت بالسَّنا. فقال: «لو كان شيءٌ يُشفي من الموت لكان السَّنا[١]»[٢].

٤- علاج الاستسقاء

عن أنس بن مالك قال: قَدِمَ رهط من عرينة وعكل على النبي ﷺ فاجتووا المدينة[٣]، فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ فقال: «لو خرجتم إلي إبل الصدقة فشربتم من أبوالها وألبانها»، ففعلوا فلما صحوا عمدوا إلى الرعاة فقتلوهم، واستاقوا الإبل، وحاربوا الله ورسوله، فبعث رسول الله ﷺ في آثارهم، فأُخذوا فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم[٤] وألقاهم في الشمس حتى ماتوا[٥].

قال ابن القيم رحمه الله: والدليل على أن هذا المرض كان الاستسقاء، ما رواه مسلم في صحيحه في هذا الحديث أنهم قالوا: إنا اجتوينا المدينة فعظمت بطوننا، وارتهشت أعضاؤنا، وذكر تمام الحديث. والجوى: داءٌ من أدواء الجوف. والاستسقاء: مرضٌ ماديٌّ سببُهُ مادةٌ غريبةٌ باردةٌ تتخلل الأعضاء فتربو لها إما الأعضاء الظاهرة كلها، وإما المواضع

---

(١) راجع الحديث في باب الطب النبوي بالعلاج بالأغذية، والأعشاب الطبية عند الحديث عن (السنا) وبه نستغني عن إعادته هنا.

(٢) الترمذي (٢٠٨٢)، وابن ماجه (٣٤٦١)، وأحمد (٦ ٣٦٩)، قال الأرناؤوط: وفي سنده جهالة، لكن يشهد له حديث: «عليكم بالسنا والسنوت؛ فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السام»، قيل: يا رسول الله، ما السام؟ قال: «الموت»، ابن ماجه (٣٤٥٧)، فيتقوى به، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٧٨٤).

(٣) اجتووا المدينة: معناه عافوا المقام بالمدينة، وأصابهم الجوى في بطونهم.

(٤) سمل أعينهم: أي فقأ أعينهم.

(٥) قال الدكتور عادل الأزهري: الاستسقاء مرضٌ يتميز بانتفاخ البطن نتيجة لوجود سائل مصلي داخل التجويف البريتوني، وأسبابه عديدة أهمها تليف الكبد نتيجة بلهارسيا، وهبوط القلب، أو الدرن البريتوني ونحوه وعلاجه ينصب على علاج المسبب له.

الخالية من النواحي التي فيها تدبير الغذاء والأخلاط، وأقسامه ثلاثة: لحميٌّ، وهو أصعبها. وزقيٌّ. وطبليٌّ.

ولما كانت الأدوية المحتاج إليها في علاجه هي الأدوية الجالبة التي فيها إطلاقٌ معتدل، وإدرارٌ بحسب الحاجة.

وهذه الأمور موجودة في أبوال الإبل وألبانها، وأمرهم النبي ﷺ بشربها، فإن في لبن اللقاح جلاءً وتليينًا، وإدرارًا وتلطيفًا، وتفتيحًا للسدد، إذ كان أكثر رعيها الشيح، والقيصوم، والبابونج، والأقحوان، ووالإذخر، وغير ذلك من الأدوية النافعة للاستسقاء.

وهذا المرضُ لا يكون إلا مع آفة في الكبد خاصة، أو مع مشاركة، وأكثرها عن السدد فيها، ولبن اللقاح العربية نافع من السُّدد، لما فيه من التفتيح والمنافع المذكورة.

قال ابن القيم رحمه الله:

١- وفي القصة دليلٌ على التداوي والتطبب، وعلى طهارة بول مأكول اللحم، فإن التداوي بالمحرمات غير جائز، ولم يؤمروا مع قرب عهدهم بالإسلام بغسل أفواههم، وما أصابته ثيابهم من أبوالها للصلاة، وتأخير البيان لا يجوز عن وقت الحاجة.

٢- وعلى مقاتلة الجاني بمثل ما فعل، فإن هؤلاء قتلوا الراعي، وسملوا عينيه، ثبت ذلك في صحيح مسلم.

٣- وعلى قتل الجماعة وأخذ أطرافهم بالواحد، وعلى أنه إذا اجتمع في حق الجاني حدٌّ وقصاصٌ استوفيا معًا، فإن النبي ﷺ قطع أيديهم حدًّا لله على حرابهم، وقتلهم لقتلهم الراعي.

٤- وعلى أن المحارب إذا أخذ المال وقتل قُطعت يده ورجله في مقام واحدٍ وقُتل.

٥- وعلى أن الجنايات إذا تعددت تغلَّظت عقوباتها، فإن هؤلاء ارتدوا بعد إسلامهم، وقتلوا النفس، ومثَّلوا بالمقتول، وأخذوا المال، وجاهروا بالمحاربة.

٦- وعلى أن قتل الغيلة يوجب قتل القاتل حدًّا، فلا يُسقطه العفو، ولا تُعتبر فيه المكافأة، وهذا مذهب أهل المدينة وأحد الوجهين في مذهب أحمد، اختاره شيخنا[١]، وأفتى به[٢].

أمراض القلب (علاج المفؤود)

عن سعد رضي الله عنه قال: مرضتُ مرضًا، فأتى رسول الله ﷺ يعودني، فوضع يده بين ثديي حتى وجدتُ بردها على فؤادي، وقال لي: **«إنك رجلٌ مفؤود فأت الحارث بن كلدة من ثقيف، فإنه رجلٌ يتطبَّب، فليأخذ سبع تمرات، من عجوة المدينة، فَلْيَجأْهُنَّ بنواهُنَّ[٣] ثم ليلُدك بهنَّ»**.

قال ابن القيم رحمه الله: **المفؤود: الذي أصيب فؤاده فهو يشتكيه، كالمبطون الذي يشتكي بطنه.** واللدود: ما يسقاه الإنسان من أحد جانبي الفم، **وفي التمر خاصية عجيبة لهذا الدواء**، ولا سيما تمر المدينة، ولا سيما العجوة منه، **وفي كونها سبعًا خاصية أخرى**، تدرك بالوحي، وفي الصحيحين من حديث عامر بن سعد بن أبي وقاص، **عن أبيه قال:** قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ تصبَّح بسبع تمرات من تمر العالية، لم يضره ذلك اليوم سمٌّ ولا سحرٌ»**، وفي لفظ: **«من أكل سبع تمرات مما بين لابتيها حين يُصبح لم يضره سمٌّ حتى يمسي»**[٤].

والتمر حارٌّ في الثانية، يابسٌ في الأولى، وقيل: رطبٌ فيها، وقيل: **معتدل، وهو غذاء فاضلٌ حافظٌ للصحة**، لا سيما لمن اعتدل الغذاء به، كأهل المدينة وغيرهم، **وهو من أفضل الأغذية في البلاد الباردة والحارة**، التي حرارتها في الدرجة الثانية **وهو لهم أنفع منه لأهل البلاد الباردة**، لبرودة بواطن سكانها، وحرارة بواطن سكان البلاد الباردة، **ولذلك يُكثر** أهل الحجاز واليمن والطائف، وما يليهم من البلاد المشابهة لها من الأغذية الحارة ما لا

---

(١) يعني ابن تيمية، انظر (السياسة الشرعية) (٦٩، ٧٥).

(٢) الطب النبوي: (٤٦- ٤٩).

(٣) فليجأهن بنواهن: يريد ليرضهن. والوجيئة: حساء يتخذ من التمر والدقيق.

(٤) البخاري (٩٣ ٤٩)، ومسلم (٢٠٤٧).

يتأتّى لغيرهم، كالتمر والعسل، وشهدناهم يضعون في أطعمتهم من الفلفل والزنجبيل فوق ما يضعه غيرهم نحو عشرة أضعاف أو أكثر، ويأكلون الزنجبيل كما يأكل غيرهم الحلوى، ولقد شاهدتُ مَنْ يتنقَّل به منهم كما يتنقَّل بالنقْل[1]، ويوافقهم ذلك ولا يضرهم، لبرودة أجوافهم وخروج الحرارة إلى ظاهر الجسد، كما تشاهد مياه الآبار تبرد في الصيف وتسخن في الشتاء، وكذلك تنضج المعدة من الأغذية الغليظة في الشتاء ما لا تنضجه في الصيف، وأما أهل المدينة، فالتمر لهم يكاد أن يكون بمنزلة الحنطة لغيرهم، وهو قوتهم ومادتهم، وتمر العالية من أجود أصناف التمر، فإنه متين الجسم، لذيذ الطعم، صادق الحلاوة، والتمر يدخل في الأغذية والأدوية والفاكهة، وهو يوافق أكثر الأبدان مقوٍّ للحار الغريزي، ولا يتولَّد عنه من الفضلات الرديئة ما يتولد عن غيره من الأغذية والفاكهة، بل يمنع لمن اعتاده من تعفن الأخلاط وفسادها.

وهذا الحديث من الخطاب الذي أُريد به الخاص، كأهل المدينة ومَنْ جاورهم ولا ريب أن للأمكنة اختصاصًا بنفع كثير من الأدوية في ذلك المكان دون غيره، فيكون الدواء الذي قد نبت في هذا المكان نافعًا من الداء، ولا يوجد فيه ذلك النفع إذا نبت في مكان غيره، لتأثير نفس التربة أو الهواء، أو هما جميعًا، فإن للأرض خواصًّا وطبائع يقارب اختلافُها اختلاف طبائع الإنسان، وكثير من النبات يكون في بعض البلاد غذاء مأكولًا، وفي بعضها سُمًّا قاتلًا، ورب أدوية لقوم أغذيةٌ لآخرين، وأدويةٌ لقومٍ من أمراض هي أدوية لآخرين في أمراض سواها، وأدوية لأهل بلد لا تناسب غيرهم، ولا تنفعهم، وأما خاصية السبع؛ فإنها قد وقعت قدرًا وشرعًا،فخلق الله -عز وجل- السماوات سبعٌ، والأرضين سبعًا، والأيام سبعًا، والإنسان كمل في خلقه في سبعة أطوار، وشرع اللهُ سبحانه لعباده الطواف سبعًا، والسعي بين الصفا والمروة سبعًا، ورمي الجمار سبعًا سبعًا، وتكبيرات العيدين سبعًا في الأولى، وقال رسول الله ﷺ: **«مروهم بالصلاة لسبعٍ»**[2] وإذا

---

(١) كالبندق واللوز الفستق.

(٢) أبو داود (٤٩٤)، والترمذي (٤٠٧)، من حديث سبرة مرفوعًا: **«مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين، وإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها»** صححه الألباني في صحيح أبي داود (٥٠٨).

صار للغلام سبع سنين خُيِّر بين أبويه[1].

وأمر النبيﷺ في مرضه أن يُصبَّ عليه من سبع قِرَبٍ[2]، وسخَّر الله الريح على قوم عادٍ سبع ليال، ودعا النبيﷺ أن يُعينه اللهُ على قومه بسبعٍ كسبع يوسف[3]، ومثَّل اللهُ -سبحانه- ما يضاعف به صدقة المتصدق بحبةٍ أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، والسنابل التي رآها يوسف سبعًا.

والسنين التي زرعوها دأبًا سبعًا، وتضاعف الصدقة إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثير، ويدخل الجنة من هذه الأمة بغير حساب سبعون ألفًا.

فلا ريب أن لهذا العدد خاصية ليست لغيره، والسبعةُ جمعت معان العدد كله وخواصه، فإن العدد شفعٌ ووتر، فهذه أربع مراتب: شفع أول وثان، ووتر أول وثان، ولا تجتمع هذه المراتب في أقل من سبعة، وهي عدد كامل جامع لمراتب العدد الأربعة، وقال: وللأطباء اعتناء عظيم بالسبعة، ولا سيما في البحارين.

وقد قال أبقراط: كل شيء في هذا العالم فهو مقدرٌ على سبعة أجزاء، والنجوم سبعة، والأيام سبعة، وأسنان الناس سبعة، أولها: طفلٌ إلى سبع، ثم صبيٌّ إلى أربعة عشر، ثم مراهق، ثم شاب، ثم كهل، ثم شيخ، ثم هرم إلى منتهى العمر، والله تعالى أعلم بحكمته وشرعه، وقدره في تخصيص هذه العدد، هل هو لهذا المعنى أو لغيره؟ ونفع هذا العدد من هذا التمر من هذا البلد من هذه البقعة بعينها من السُّمِّ والسحر، بحيث تمنع إصابته من الخواص التي لو قالها أبقراط وجالينوس وغيرهما من الأطباء، لتلقَّاها عنهم الأطباء بالقبول والإذعان والانقياد، مع أن القائل إنما مع الحدس والتخمين والظن، فمن كلامه

---

(١) ثبت عنه ﷺ أن خيَّر غلامًا بين أبيه وأمه، كما أخرجه أبو داود (٢٢٧٧)، والترمذي (١٣٥٧)، وابن ماجه (٢٣٥١)، من حديث أبي هريرة فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ خيَّر غلامًا بين أبيه وأمه، وقال: «يا غلام، هذه أمك وهذا أبوك» صحيح: انظر صحيح ابن ماجه (١٩٠٣)، صحيح أبي داود (١٩٧٠).

(٢) البخاري (١٠٨٨) من حديث عائشة.

(٣) البخاري (٤١٠٢، ١١ ١٦٣) من حديث ابن مسعود.

يقينٌ، وقطعٌ وبرهانٌ، ووحيٌ أولى أن تُتلقى أقواله بالقبول والتسليم وترك الاعتراض.

وأدوية السموم تارة تكون بالكيفية، وتارة تكون بالخاصية كخواص كثير من الأحجار، والجواهر واليواقيت، والله أعلم، ويجوز نفع التمر المذكور في بعض السموم، فيكون الحديث من العام المخصوص، ويجوز نفعه لخاصية تلك البلد، وتلك التربة الخاصة من كل سُمٍّ(١).

الأمراض الجلدية

١ - الحكة والجرب

عن أنس بن مالك ﷺ قال: رخَّص رسول الله ﷺ لعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام ﷺ في لبس الحرير لحكةٍ كانت بهما. وفي رواية: أن عبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام ﷺ شكوا القمل إلى النبي ﷺ في غزاةٍ لهم فرخَّص لهما في قُمُصِ الحرير، ورأيته عليهما(٢).

قال ابن القيم رحمه الله: هذا الحديث يتعلق به أمران: أحدهما فقهي، والآخر طبيٌّ. فأما الفقهي: فالذي استقرت عليه سنته ﷺ إباحة الحرير للنساء مطلقًا، وتحريمه على الرجال إلا لحاجة ومصلحة راجحة، فالحاجة إما من شدة البرد ولا يجد غيره، أو لا يجد سترةً سواه، ومنها لباسه للجرب، والمرض، والحكة، وكثرة القمل، كما دلَّ عليه حديث أنس هذا الصحيح.

والجواز أصح الروايتين من الإمام أحمد، وأصحُّ قولي الشافعي إذ الأصل عدم التخصيص، والرخصة إذا ثبتت في حق بعض الأمة لمعنى تعدَّدت إلا كل مَنْ وُجد فيه ذلك المعنى، إذ الحكمُ يعمُّ بعموم سببه، ومن منع منه، قال: أحاديث التحريم عامة، وأحاديث الرخصة يُحتم اختصاصها بعبد الرحمن بن عوف والزبير، ويحتمل تعديها لغيرهما، وإذا احتمل الأمران، كان الأخذ بالعموم أولى، ولهذا قال بعضُ الرواة في هذا الحديث: فلا أدري أبلغت الرخصةُ مَنْ بعدهما أم لا؟

---

(١) الطب النبوي (٩٦- ١٠١).

(٢) البخاري (٦ ٧٣)، ومسلم (٢٠٧٦).

والصحيح: عموم الرخصة، فإنه عُرف خطاب الشرع في ذلك ما لم يُصرح بالتخصيص، قال: وتحريم الحرير إنما كان سدًّا للذريعة، ولهذا أبيح للنساء، فإنه يُباح عند الحاجة والمصلحة الراجحة، كما حرم النظرُ سدًّا لذريعة الفعل، وأبيح ما تدعو إليه الحاجةُ والمصلحة الراجحة، وكما حرم التنفُّل بالصلاة في أوقات النهي، سدًّا لذريعة المشابهة الصورية بعُبَّاد الشمس، وأبيحت للمصلحة الراجحة وكما حرم ربا الفضل سدًّا لذريعة ربا النسيئة، وأُبيح منه ما تدعو إليه الحاجة من العرايا[1].

وأما الأمر الطبي: فهو أن الحرير من الأدوية المتخذة من الحيوان، ولذلك يُعدُّ في الأدوية الحيوانية؛ لأن مخرجه من الحيوان، وهو كثير المنافع، جليل المواقع، ومن خاصيته: تقوية القلب وتفريحه. والنفع من كثير من أمراضه. ومن غلبة المرة السوداء والأدواء الحادثة عنها. وهو مقوٍّ للبصر إذا اكتُحل به.

والخام منه، وهو المستعمل في صناعة الطب، حارٌّ يابسٌ في الدرجة الأولى، وقيل: حارٌّ رطبٌ فيها، وقيل: معتدل.

وإذا اتخذ منه ملبوسٌ، كان معتدل الحرارة في مزاجه، مسخنًا للبدن، وربما برد البدن بتسمينه إياه.

قال الرازي: الإبريسم أسخنُ من الكتان، وأبردُ من القطن، يُربّي اللحم، وكل لباس خشن، فإنه يُهزل، ويصلب البشرة.

قلتُ (ابن القيم): والملابس ثلاثة أقسام: قسمٌ يُسخِّن البدن ويُدفئه. وقسمٌ يُدفئه ولا يُسخنه. وقسمٌ لا يُسخنه ولا يدفئه.

وليس هناك ما يُسخنه ولا يُدفئه؛ إذ ما يُسخنه فهو أولى بتدفئته، فملابس الأوبار والأصواف تُسخِّن وتُدفئ، وملابس الكتان والحرير والقطن تُدفئ ولا تُسخن، فثياب الكتان باردة يابسة، وثياب الصوف حارَّة يابسةٌ، وثيابُ القطن معتدل الحرارة، وثياب

---

(١) العرايا: جمع عرية، وهي النخل يعطيها صاحبُها لفقير؛ لينتفع بثمرتها إلى سنة فتدفعه الحاجة إلى أن يأخذ بثمرتها تمرًا قبل أن يحرز ثمرتها فلا يضر الفضل حينئذ.

الحرير ألينُ من القطن وأقلُّ حرارة منه.

قال صاحب (المنهاج): ولبسُهُ لا يُسخِّن كالقطن، بل هو معتدل، وكل لباسٍ أملس صقيل فإنه أقلُّ إسخانًا للبدن، وأقلُّ عونًا في تحلل ما يتحلَّل منه، وأحْرَى أن يُلبس في الصيف، وفي البلاد الحارة، ولما كانت ثياب الحرير كذلك، وليس فيها شيءٌ من اليُبس والخشونة الكائنين في غيرها، صارت نافعةً من الحكة؛ إذ الحكة لا تكون إلا عند حرارة ويبس وخشونة، فلذلك رخَّص رسول الله ﷺ للزبير وعبد الرحمن بن عوف في لباس الحرير لمداواة الحكة، وثياب الحرير أبعد عن تولد القمل فيها؛ إذ كان مزاجها مخالفًا لمزاج ما يتولد منه القمل[١].

٢- القمل

عن كعب بن عُجرة ﷺ قال: كان بي أذى من رأسي، فحُملت إلى رسول الله ﷺ والقمل يتناثر على وجهي، فقال: «ما كنتُ أرى الجهد قد بلغ بك ما أرى» وفي رواية: فأمر أن يحلق رأسه، وأن يطعم فَرَقًا بين ستةٍ، أو يُهدي شاة، أو يصوم ثلاثة أيام[٢].

قال ابن القيم رحمه الله: القمل يتولد في الرأس من شيئين: خارج عن البدن، وداخل فيه.

فالخارج: الوسخ والدنس المتراكم في سطح الجسد، والثاني: من خلط رديء عفن تدفعه الطبيعة بين الجلد واللحم فيتعفَّن بالرطوبة الدموية في البشرة بعد خروجها من المسام، فيكون منه القمل، وأكثر ما يكون ذلك بعد العلل والأسقام، وبسبب الأوساخ، وإنما كان في رءوس الصبيان أكثر لكثرة رطوباتهم وتعاطيهم الأسباب التي تُولِّد القمل، ولذلك حلق النبي ﷺ رءوس بني جعفر.

ومن أكبر علاجه: حلقُ الرأس، لتنفتح مسامُّ الأبخرة، فتتصاعد الأبخرة الرديئة، فتضعف مادةُ الخلط، وينبغي أن يُطلى الرأس بعد ذلك بالأدوية التي تقتل القمل وتمنع تولُّده.

---

(١) الطب النبوي (٧٦- ٧٩).

(٢) البخاري (٤١٠، ١٣)، ومسلم (١٢٠١).

أنواع حلق الرأس

قال ابن القيم رحمه الله: وحلقُ الرأس ثلاثة أنواع: نسكٌ وقُربةٌ، والثاني: بدعةٌ وشرك، والثالث: حاجةٌ ودواءٌ.

فالأول: الحلق في أحد النُّسكين: الحج أو العمرة، والثاني: حلق الرأس لغير الله - سبحانه- كما يحلقها المريدون لشيوخهم وهذا بمنزلة مَنْ يقول: سجدتُ لفلان، فإن حلق الرأس خضوعٌ وعبوديةٌ وذلٌّ، ولهذا كان من تمام الحج، حتى إنه عند الشافعي ركنٌ من أركانه لا يتمُّ إلا به، فإنه وضع النواصي بين يدي ربها خضوعًا لعظمته، وتذلُّلًا لِعزته، وهو من أبلغ أنواع العبودية، ولهذا كانت العرب إذا أرادت إذلال الأسير منهم وعتقه، حلقوا رأسه وأطلقوه، فجاء شيوخ الضلال والمزاحمون للربوبية، الذين أساسُ مشيختهم على الشرك والبدعة، فأرادوا من مريديهم أن يتعبدوا لهم، فزيَّنوا لهم حلق رءوسهم لهم، كما زينوا لهم السجود لهم، وسموه بغير اسمه[(١)] .

الأمراض الروماتزمية

١- عرق النسا

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «شفاءُ عرق النسا أَلْيَةُ شاةٍ أعرابية، تُذاب ثم تُجزَّأ ثلاثة أجزاء، ثم يُشرب على الريق في كل يوم جزء»[(٢)] .

قال ابن القيم رحمه الله: عرق النسا: وجعٌ يبتدئ من مفصل الورك، وينزل من خلف على الفخذ، وربما على الكعب، وكلما طالت مدَّتُهُ زاد نزوله، وتُهزل معه الرجلُ والفخذ.

وهذا الحديث فيه معنى لغوي، ومعنى طبي، فأما المعنى اللغوي: فدليلٌ على جواز تسمية هذا المرض بعرق النسا خلافًا لمن منع هذه التسمية، وقال: النسا هو العِرقُ نفسُهُ، فيكون من باب إضافة الشيء إلى نفسه، وهو ممتنع، وجواب هذا القائل من وجهين:

---

(١) الطب النبوي (١٥٨، ١٥٩).

(٢) ابن ماجه (٣٤٦٣)، وقال الأرناؤوط: ورجاله ثقات، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٧٨٨)، والصحيحة (١٨٩٩).

أحدهما: أن العرق أعمُّ من النسا، فهو من باب إضافة العام إلى الخاص، نحو: كل الدراهم أو بعضها.

والثاني: أن النسا: هو المرض الحال بالعرق، والإضافةُ فيه من باب إضافة الشيء إلى محله وموضعه.

قيل: وسُمِّي بذلك؛ لأن ألمه يُنسي ما سواه، وهذا العِرقُ ممتدٌّ من مفصل الورك إلى آخر القدم وراء الكعب من الجانب الوحشي (الخارجي) فيما بين عظم الساق والوتر.

وأما المعنى الطبي: فقد تقدَّم أن كلام رسول الله ﷺ نوعان: أحدهما: عام بحسب الأزمان، والأماكن، والأشخاص، والأحوال. والثاني: خاصٌّ بحسب هذه الأمور، أو بعضها. وهذا من هذا القسم، فإن هذا خطابٌ للعرب وأهل الحجاز، ومَنْ جاورهم ولا سيما أعراب البوادي، فإن هذا العلاج من أنفع العلاج لهم، فإن هذا المرض يحدثُ من يُبس، وقد يحدث من مادة غليظة لزجة، فعلاجها بالإسهال، والألية فيها الخاصيتان: الإنضاج، والتليين، ففيها الإنضاج والإخراج، وهذا المرض يحتاج علاجُهُ إلى هذين الأمرين، وفي تعيين الشاة الأعرابية: ١) لقلة فضولها وصغر مقدارها. ٢) ولطف جوهرها. ٣) وخاصية مرعاها.

لأنها ترعى أعشاب البَرِّ الحارة؛ كالشيح، والقيصوم، ونحوهما، وهذه النباتات إذا تغذَّى بها الحيوان صار في لحمه من طبعها بعد أن يلطفها تغذيه بها، ويكسبها مزاجًا ألطف منها، ولا سيما الألية، وظهور فعل هذه النباتات في اللبن أقوى منه في اللحم، ولكن الخاصية التي في الألية من الإنضاج والتليين لا توجد في اللبن.

قال الدكتور عادل الأزهري: عِرقُ النسا: هو مرضٌ يصيب النساء والرجال على السواء، وآلامه مفرطة، تبتدئ غالبًا في أسفل العمود الفقري، ويمتد الألم إلى إحدى الإليتين، ثم في الجزء الخلفي من الفخذ، وأحيان حتى الكعب، وينتج غالبًا من انفصال غضروفي بأسفل العمود الفقري، أو التهاب روماتيزمي بالعصب الأنسي، وعلاجه الأساسي الراحة التامة على الظهر لمدة خمسة عشر يومًا على الأقل مع إعطاء مهدئات الألم مثل الإسبرين ... والحجامة الجافة، والكي أحيانًا يساعدان على علاجه[1].

---

(١) الطب النبوي (٧١- ٧٣).

أمراض الأعصاب

١ - الصرع

عن عطاء بن أبي رباح، قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأةً من أهل الجنة؟ قلتُ: بلى. قال: هذه المرأةُ السوداء، أتت النبي ﷺ، فقالت: إني أُصرع، وإني أتكشف، فادعُ الله لي. قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوتُ الله لك أن يُعافيك» فقالت: أصبر، قالت: إني أتكشف. فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها[١].

قال ابن القيم رحمه الله: الصرعُ صرعان: صرعٌ من الأرواح الخبيثة الأرضية. وصرعٌ من الأخلاط الرديئة. والثاني هو الذي يتكلم فيه الأطباء في سببه وعلاجه.

فأما صرع الأرواح، فأئمتهم وعقلاؤهم يعترفون به، ولا يدفعونه ويعترفون بأن علاجه بمقابلة الأرواح الشريفة الخيِّرة العلوية لتلك الأرواح الشريرة الخبيثة، وقد نص على ذلك أبقراط في بعض كتبه، فذكر بعض علاج الصرع، وقال: هذا إنما ينفع من الصرع الذي سببُهُ الأخلاط والمادة، وأما الصرعُ الذي يكون من الأرواح، فلا ينفع فيه هذا العلاج.

وأما جهلةُ الطب وسقطهم وسفلتُهم ومَنْ يعتقد بالزندقة فضيلةً، فأولئك يُنكرون صرع الأرواح، ولا يرون بأنها تؤثر في بدن المصروع، وليس معهم إلا الجهل، وإلا فليس في الصناعة الطبية ما يدفع ذلك، والحسُّ والوجود شاهدٌ به، وإحالتهم ذلك على غلبة بعض الأخلاط، هو صادقٌ في بعض أقسامه، لا في كلها.

وقدماء الأطباء كانوا يُسمُّون هذا الصرع: المرض الإلهي، وقالوا: إنه من الأرواح.

أما جالينوس وغيرُه، فتأوَّلُوا عليه هذه التسمية، وقالوا: إنما سمَّوه بالمرض الإلهي لكون هذه العلة تحدث في الرأس، فتضرُّ بالجزء الإلهي الطاهر الذي مسكنه الدماغ، وهذا التأويلُ نشأ لهم من جهلهم بهذه الأرواح، وأحكامها، وتأثيراتها.

وجاء زنادقة الأطباء فلم يُثبتوا إلا صرع الأخلاط وحده، ومَنْ له عقلٌ ومعرفةٌ بهذه الأرواح وتأثيراتها يضحك من جهل هؤلاء وضعف عقولهم.

---

(١) البخاري (١٠ ٩٩)، ومسلم (٢٢٦٥).

علاجُ صرع الأرواح الخبيثة

قال ابن القيم رحمه الله: وعلاج هذا النوع يكون بأمرين: أمر من جهة المصروع. وأمر من جهة المعالج. فالذي من جهة المصروع يكون بقوة نفسه، وصدق توجُّهِهِ إلى فاطر هذه الأرواح وبارئها، والتعوذ الصحيح الذي قد تواطأ عليه القلب واللسان، فإن هذا نوعُ محاربة، والمحارب لا يتمُّ له الانتصاف من عدوه بالسلاح إلا بأمرين: أن يكون السلاح صحيحًا في نفسه جيدًا. وأن يكون الساعدُ قويًّا.

فمتى تخلَّف أحدهما لم يُغنِ السلاح كثير طائل، فكيف إذا عُدِمَ الأمران جميعًا؟!

قال: وبالجملة فهذا النوع من الصرع وعلاجه لا ينكره إلا قليل الحظ من العلم والعقل والمعرفة، وأكثر تسلط الأرواح الخبيثة على أهله تكون من جهة قلة دينهم، وخراب قلوبهم وألسنتهم من حقائق الذكر والتعاويذ، والتحصنات النبوية والإيمانية، فتلقى الروح الخبيثة الرجل أعزل لا سلاح معه، وربما كان عُريانًا، فيؤثر فيه هذا.

ولو كُشف الغطاءُ لرأيت أكثر النفوس البشرية صرعى هذه الأرواح الخبيثة، وهي في أسرها وقبضتها تسوقها حيث شاءت، ولا يمكنها الامتناع عنها ولا مخالفتها، وبها الصرع الأعظم الذي لا يفيق صاحبه إلا عند المفارقة والمعاينة، فهناك يتحقق أنه كان هو المصروع حقيقةً، والله المستعان.

وعلاج هذا الصرع باقتران العقل الصحيح إلى الإيمان بما جاءت به الرسل، وأن تكون الجنة والنار نصب عينيه وقبلة قلبه، ويستحضر أهل الدنيا، وحلول المثلات والآفات بهم، ووقوعها خلال ديارهم كمواقع القطر، وهم صُرعى لا يفيقون، وما أشدَّ داء هذا الصرع، ولكن لما عمَّت البليةُ به بحيث لا يرى إلا مصروعًا، لم يصر مستغربًا ولا مستنكرًا، بل صار لكثرة المصروعين المستنكر المستغرب خلافه.

فإذا أراد اللهُ بعبدٍ خيرًا أفاق من هذه الصرعة، ونظر إلى أبناء الدنيا مصروعين حوله يمينًا وشمالًا، على اختلاف طبقاتهم، فمنهم من أطبق به الجنون، ومنه مَنْ يفيق أحيانًا قليلة، ويعود إلى جنونه، ومنهم من يفيق مرة ويُجَنُّ أخرى، فإذا أفاق عمل عمل أهل الإفاقة والعقل، ثم يعاوده الصرعُ فيقعُ في التخبُّطِ.

صرع الأخلاط

قال ابن القيم رحمه الله: وأما صرع الأخلاط فهو علَّةٌ تمنع الأعضاء النفسية عن الأفعال والحركة والانتصاب منعًا غير تام، وسببه خلطٌ غليظٌ لزجٌ يسدُّ منافذ بطون الدماغ سدَّة غير تامة من غير انقطاع بالكلية، وقد تكون لأسباب أخرى كريح غليظٍ يحتبس في منافذ الروح، أو بخار رديء يرتفع إليه من بعض الأعضاء أو كيفية لاذعة، فينقبض الدماغ لدفع المؤذي، فيتبعه تشنُّجٌ في جميع الأعضاء، ولا يمكن أن يبقى الإنسانُ معه منتصبًا، بل يسقط ويظهر في فيه الزبدُ غالبًا.

وهذه العلَّةُ تُعدُّ من جملة الأمراض الحادة باعتبار وقت وجوده المؤلم خاصة، وقد تُعدُّ من جملة الأمراض المزمنة باعتبار طول مكثها، وعُسر برئها، لا سيما إن تجاوز في السنِّ خمسًا وعشرين سنة، وهذه العلة في دماغه، وخاصة في جوهره، فإن صرع هؤلاء يكون لازمًا، قال أبقراط: إن الصرع يبقى في هؤلاء حتى يموتوا.

إذا عُرف هذا، فهذه المرأةُ التي جاءت في الحديثُ أنها كانت تُصرع وتتكشف، يجوز أن يكون صرعُها من هذا النوع، فوعدها النَّبيُّ ﷺ بصبرها الجنة، ودعا لها أن لا تتكشف، وخيَّرها بين الصبر والجنة، ومن الدعاء لها بالشفاء من غير ضمان، فاختارت الصبر والجنة.

وفي ذلك دليلٌ على جواز ترك المعالجة والتداوي، وأن علاج الأرواح بالدعوات، والتوجه إلى الله يفعل ما لا يناله علاج الأطباء، وأن تأثيره وفعله وتأثر الطبيعة عنه، وانفعالها أعظم من تأثير الأدوية البدنية، وانفعال الطبيعة عنها، وقد جرَّبنا هذا مرارًا نحن وغيرنا[١].

(١) الطب النبوي (٦٩- ٧١).

الأمراض الجراحية

١ - الجرح

عن ابن حازم أنه سمع سهل بن سعد يسأل عما دُووي به جرحُ رسول الله ﷺ يوم أحد، فقال: جُرح وجهُهُ، وكُسرت رباعيته، وهُشِمت البيضة على رأسه، وكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسل الدم، وكان علي بن أبي طالب يسكب عليها بالمِجَنِّ فلما رأت فاطمة الدم لايزيد إلا كثرة، أخذت قطعة حصير، فأحرقتها حتى إذا صارت رمادًا ألصقته بالجرح فاستمسك الدم[١].

قال ابن القيم رحمه الله: رماد الحصير المعمول من البردي[٢] له فعلٌ قويٌّ في حبس الدم؛ لأن فيه تجفيفًا قويًّا، وقلة لذع؛ فإن الأدوية القوية التجفيف إذا كان فيها لذع هيَّجت الدم وجلبته، وهذا الرماد إذا نُفخ وحده، أو مع الخل في أنف الراعف قطع رُعافه.

وقال صاحب القانون: البردي ينفع من النزف، ويمنعه، ويُذَرُّ على الجراحات الطرية فيدملها، والقرطاس المصري كان قديمًا يُعمل منه، ومزاجُهُ باردٌ يابسٌ، ورماده نافعٌ من أكلة الفم، ويحبس نفث الدم، ويمنع القروح الخبيثة أن تسعى[٣].

أمراض الأنف والأذن والحنجرة

العُذرة

قال رسول الله ﷺ: **«خير ما تداويتم به الحجامة، والقسط البحري، ولا تعذبوا صبيانكم من الغمز من العُذرة»**[٤].

وعن جابر بن عبد الله قال: دخل رسول الله ﷺ على عائشة وعندها صبيٌّ يسيل

---

(١) البخاري (٦ ٧١)، ومسلم (١٧٩٠).

(٢) نبات مائي كالقصب تُصنع منه الحصر.

(٣) الطب النبوي (٤٩، ٥٠).

(٤) البخاري (١٠ ١٢٧)، ومسلم (١٥٧٧)

منخراه دمًا، فقال: «ما هذا؟» فقالوا: به العُذرة أو وجعٌ في رأسه، فقال: «ويلكن لا تقتلن أولادكن، أيما امرأة أصاب ولدها عُذرة، أو وجعٌ في رأسه فلتأخذ قُسطًا هنديًا فلتحكّه بماء ثم تُسعِطْهُ إياه» ، فأمرت عائشة رضي الله عنها فصنع ذلك بالصبي فبرأ[1] .

قال أبو عبيد عن أبي عبيدة: العُذرة: تهيُّجٌ في الحلق من الدم، فإذا عُولج منه قيل: قد عُذر به فهو معذور.

وقيل: العذرة قرحةٌ تخرج فيما بين الأذن والحلق، وتعرض للصبيان غالبًا، وأما نفع السعوط منها بالقُسط المحكوم، فلأن العذرة مادتها دم يغلب عليها البلغم، لكن تولده في أبدان الصبيان أكثر، وفي القسط تجفيف يشدُّ اللهاة: ويرفعها إلى مكانها، وقد يكون نفعُهُ في هذا الداء بالخاصية، وقد ينفع في الأدواء الحارة، والأدوية الحارةُ بالذات تارة، وبالغرض أخرى.

وقد ذكر صاحب (القانون) في معالجة سقوط اللهاة، القُسطُ مع الشبِّ اليماني وبذور المرو.

والقُسط البحري المذكور في الحديث هو العود الهندي وهو الأبيض منه، وهو حلوٌ وفيه منافع عديدة، وكانوا يعالجون أولادهم بغمز اللهاة، وبالعلاق، وهو شيءٌ يُعلِّقونه على الصبيان، فنهاهم النبي عن ذلك وأرشدهم إلى ما هو أنفع للأطفال وأسهل عليهم.

والسعوط: ما يُصبُّ في الأنف، وقد يكون بأدوية مفردة ومرَكبة تُدق، وتُنخل، وتُعجن، وتُجفف، ثم تحلُّ عند الحاجة ويُسعط بها في أنف الإنسان، فيتمكن السعوط من الوصول إلى دماغه، ويستخرج ما فيه من الداء بالعطاس[2] .

من أمراض العيون

الرمد

عن أم المنذر بنت قيس الأنصاري قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ ومعه عليٌّ، وعليٌّ

---

(١) أحمد (٣١٥٣)، وقال الأرناؤوط: وإسناده صحيح.

(٢) الطب النبوي (٩٤- ٩٦).

ناقِهٌ[1] من مرض، ولنا دوالي معلقة، فقام رسول الله ﷺ يأكلُ منها، وقام عليٌّ يأكل منها فطفق رسول الله ﷺ يقول لعلي: «إنك ناقهٌ،» حتى كفَّ قالت: وصنعت شعيرًا، وسلقًا، فجئتُ به فقال النبي ﷺ لعليٍّ: «من هذا فأَصِبْ، فإنه أوفق لك»[2].

وعن صهيب ﷺ قال: قدمتُ على النبي ﷺ وبين يديه خبزٌ وتمرٌ، فقال: «ادْنُ فَكُلْ»، فأخذتُ تمرًا فأكلتُ، فقال: «أتأكلُ تمرًا وبك رمدٌ؟» فقلت: يا رسول الله، أمضغُ من الناحية الأخرى، فتبسَّم رسول الله ﷺ[3].

قال ابن القيم رحمه الله: الدوالي: أقناءٌ من الرُّطب تُعلَّق في البيت للأكل بمنزلة عناقيد العنب، والفاكة تضرُّ بالناقه من المرض لسرعة استحالتها، وضعف الطبيعة عن دفعها[4]، وقال: الرمدُ ورمٌ حارٌّ يعرض في الطبقة الملتحمة من العين، وهو بياضها الظاهر، وسببُهُ انصباب أحد الأخلاط الأربعة، أو ريح حارة تكثر كميتها في الرأس والبدن، فينبعث منها قسطٌ إلى جوهر العين، أو ضربةٌ تصيب العين، فترسل الطبيعة إليها من الدم والروح مقدارًا كثيرًا، تروم بذلك شفاءها مما عرض لها، ولأجل ذلك يَرِمُ العضو المضروب، والقياس يوجب ضدّه.

واعلم أنه كما يرتفع من الأرض إلى الجو بخاران: أحدهما: حارٌّ يابسٌ، والآخر: حارٌّ رطبٌ، فينعقد سحابًا متراكمًا، ويمنعان أبصارنا من إدراك السماء، فكذلك يرتفع من قعر المعدة إلى منتهاها مثلُ ذلك، فيمنعان النظر، ويتولد عنهما عِللٌ شتى، فإن قويت الطبيعة على ذلك، ودفعته إلى الخياشيم أحدث الزكام، وإن دفعته إلى اللهاة والمنخرين أحدث الخناق، وإن دفعته إلى الجنب أحدث الشوصة، وإن دفعته إلى الصدر أحدث النزلة، وإن

---

(١) نَاقِهٌ: برأ من مرضه، ولا يزال به ضعف.

(٢) الترمذي (٢٠٣٨)، وأبو داود (٣٨٥٦)، وابن ماجه (٣٤٤٢)، وأحمد (٦ ٣٦٤)، وقال الأرناؤوط: وسنده حسن، وحسَّنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٧٧٥).

(٣) ابن ماجه (٣٤٤٣)، وقال الأرناؤوط: وسنده حسن؛ وحسَّنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٧٧٦).

(٤) الطب النبوي (١٠٥).

انحدر إلى القلب أحدث الخبطة، وإن دفعته إلى العين أحدث رمدًا، وإن انحدر إلى الجوف أحدث السيلان، وإن دفعته إلى منازل الدماغ أحدث النسيان، وإن ترطبت أوعية الدماغ منه، وامتلأت به عروقُهُ أحدث النوم الشديد، ولذلك كان النوم رطبًا، و السهر يابسًا.

وإن طلب البخار النفوذ من الرأس فلم يقدر عليه، أعقبه الصداع والسهر، وإن مال البخارُ إلى أحد شقي الرأس أعقبه الشقيقة، وإن ملك قمة الرأس ووسط الهامة أعقبه داء البيضة، وإن برد منه حجاب الدماغ، أو سخن ترطب وهاجت منه أرياح أحدث العطاس، وإن هاج الرطوبة البلغمية فيه حتى غلب الحار الغريزي، أحدث الإغماء والسُّكات، وإن هاج المرة السوداء حتى أظلم هواء الدماغ أحدث الوسواس، وإن فاض ذلك إلى مجاري العصب، أحدث الصرع الطبيعي، وإن ترطبت مجامع عصب الرأس، وفاض ذلك في مجاريه أعقبه الفالج، وإن كان البخار من مرة صفراء ملتهبة محمية للدماغ أحدث البرسام[(١)]، فإن شركه الصدر في ذلك كان سرسامًا[(٢)].

قال أبقراط (في كتاب الفصول): وقد يدلُّ ركوب السفن أن الحركة تثور الأبدان، هذا مع أن في الرمد منافع كثيرة، منها ما يستدعيه من الحمية والاستفراغ، وتنقية الرأس والبدن من فضلاتها وعفوناتها، والكف عما يؤذي النفس والبدن من الغضب والهم والحزن، والحركات العنيفة والأعمال الشاقة.

قال ابن القيم رحمه الله: ومن أسباب علاجه ملازمة السكون والراحة، وتركُ مسِّ العين والاشتغال بها، فإن أضداد ذلك يُوجب انصباب المواد إليها[(٣)].

---

(١) البرسام: التهاب في الحجاب الحاجز بين الكبد والقلب (بين الصدر والبطن).

(٢) السرسام: ورم في حجاب الدماغ يحدث عنه حُمَّى واختلاط في الذهن.

(٣) الطب النبوي (١٠٧- ١٠٩).

متفرقات

علاج النملة

عن أنس ﷺ أن النبيﷺ رخَّص في الرقية من الحُمَة، والعين، والنملة(١).

وعن الشفاء بنت عبد الله قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وأنا عند حفصة، فقال: **«ألا تُعلِّمين هذه رقية النملة كما علمتيها الكتابة»**(٢).

قال ابن القيم رحمه الله: النملة: قروحٌ تخرج في الجنبين، وهو داءٌ معروفٌ، وسمِّي نملة؛ لأن صاحبه يحسُّ في مكانه كأن نملةً تدبُّ عليه وتعضُّه، وأصنافها ثلاثة وروى الخلال أن الشفاء بنت عبد الله، كانت ترقي في الجاهلية من النملة، فلما هاجرت إلى النبي ﷺ وكانت قد بايعته بمكة قالت: يا رسول الله، إني كنتُ أرقي في الجاهلية من النملة، وإني أريد أن أعرضها عليك، فعرضت عليه، فقال: **«بسم الله ضلت حتى تعود من أفواهها، ولا تضرُّ أحدًا، اللهم اكشف الباس رب الناس»**، قال: **«ترقي بها على عودٍ سبع مرات، وتقصد مكانًا نظيفًا، وتدلكه على حجرٍ بخل خمرٍ حاذقٍ سبع مرات»** قال: وفي الحديث دليلٌ على جواز تعليم النساء الكتابة(٣).

علاج السُّم

عن أبي هريرة ﷺ قال: لما فُتحت خيبر أهديت لرسول الله ﷺ شاةٌ فيها سُمٌّ، فقال رسول الله ﷺ: **«اجمعوا لي كل مَنْ كان ها هنا من اليهود»**، فجمعوا له .. وفيه .. ثم قال لهم: **«هل أنتم صادقوني عن شيء إن سألتُكم عنه؟»** فقالوا: نعم. فقال: **«هل جعلتم في هذه الشاة سُمًّا؟»** فقالوا: نعم. فقال: **«ما حملكم على ذلك؟!»** فقالوا: أردنا إن كنت كذَّابًا أن نستريح منك، وإن كنت نبيًّا لم يضرك(٤).

---

(١) مسلم (٢١٩٦).
(٢) أبو داود (٣٨٨٧)، وأحمد (٦ ٣٧٢)، وقال الأرناؤوط: وإسناده صحيح، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٢٩١).
(٣) الطب النبوي (١٨٤ - ١٨٥).
(٤) البخاري (٦ ١٩٥، ١٠ ٢٠٨).

وذكر عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن امرأة يهودية أهدت إلى النبي ﷺ شاةً مصلية بخيبر، فقال: «ما هذه؟» قالت: هدية، وحذرت أن تقول: من الصدقة، فلا يأكل منها، فأكل النبي ﷺ، وأكل الصحابةُ، ثم قال: «أمسكوا» ثم قال للمرأة: «هل سممت هذه الشاة؟» قالت: مَنْ أخبرك بهذا؟ قال: «هذه العظمُ لساقها، وهو في يده؟» قالت: نعم. قال: «لِمَ؟» قالت: أردتُ إن كنت كاذبًا أن يستريح منك الناسُ، وإن كنت نبيًّا لم يضرك؟ قال: «فاحتجم النَّبيُّ ﷺ ثلاثة على الكاهل، وأمر أصحابه أن يحتجموا، فاحتجموا، فمات بعضُهم»[١].

قال ابن القيم رحمه الله: معالجةُ السُّم تكون بالاستفراغات، وبالأدوية التي تعارض فعل السُّمِّ وتُبطله، إما بكيفياتها، وإما بخواصها، فمن عدم الدواء، فليبادر إلى الاستفراغ الكلي، وأَنفعه الحجامة، ولا سيما إن كان البلدُ حارًّا، والزمان حارًّا، فإن القوة السُّمِّية تسري إلى الدم، فتنبعث في العروق والمجاري، حتى تصل إلى القلب فيكون الهلاك، فالدمُ هو المنفذ الموصل للسم إلى القلب والأعضاء، فإن بادر المسموم وأخرج الدم خرجت معه تلك الكيفية السُّمِّية التي خالطته، فإن كان استفراغًا تامًّا لم يضره السُّمُّ، بل إما أن يذهب وإما أن يضعف، فتقوى عليه الطبيعة[٢]، فتُبطل فعله أو تُضعفه، ولما احتجم النبي ﷺ احتجم في الكاهل، وهو أقرب المواضع التي يمكن فيها الحجامة إلى القلب، فخرجت المادةُ السُّمِّية مع الدم لا خروجًا كليًّا، بل بقي أثرها مع ضعفه، لما يريد الله -سبحانه- من تكميل مراتب الفضل كلها له، كلما أراد الله إكرامه بالشهادة ظهر أثر ذلك الأثر الكامن من السُّم ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا.

وظهر سرُّ قوله تعالى لأعدائه من اليهود: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٧]. فجاء بلفظ (كذبتم) بالماضي الذي قد وقع منه وتحقق، وجاء بلفظ (تقتلون) بالمستقبل الذي يتوقعونه وينتظرونه، والله أعلم[٣].

---

(١) قال الأرناؤوط: رجاله ثقات، وهو في المصنف (١٩٨١٤).

(٢) يعني: مناعة الجسم ومقاومتُه الطبيعية.

(٣) الطب النبوي (١٢١ - ١٢٣).

من فتاوىٰ التربية الصحية

س١: ما حكم استعمال البيض واللبن والعسل في علاج النمش؟

ج١: أجاب ابن عثيمين -رحمه الله- قائلًا: من المعلوم أن هذه الأشياء من الأطعمة التي خلقها الله -عز وجل- لغذاء البدن، فإذا احتاج الإنسان إلى استعمالها في شيء آخر ليس بنجس، كالعلاج، فإن هذا لا بأس به لقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾[البقرة: ٢٩]، فقوله تعالى: (لكم) يشتمل عموم الانتفاع إذا لم يكن ما يدل على التحريم، وأما استعمالها للتجميل فهناك مواد أخرى يحصل بها التجميل سوى هذه، فاستعمالها أولى، وليعلم أن التجميل لا بأس به[1]، بل إن الله -سبحانه وتعالى- جميلٌ يحب الجمال، لكن الإسراف فيه، حتى يكون أكبر همِّ الإنسان بحيث لا يهتم إلا به ويغفل كثيرًا عن مصالح دينه ودنياه من أجله فهنا أمرٌ لا ينبغي؛ لأنه داخلٌ في الإسراف، والإسراف لا يحبه الله -عز وجل[2].

س٢: ما حكم شرب الخمر للتداوي؟

ج٢: أجاب الشيخ عبد الله الصديق الغماري رحمه الله: لا يصح التداوي بالخمر لحديث: «إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرَّم عليكم» وقال: فالتداوي بالخمر حرامٌ، ولو شرب المريض الخمر بقصد التداوي وجب عليه الحدُّ الشرعي، وقول الله تعالى: ﴿ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ [النور: ٦١]، معناه في القعود عن الجهاد، وفي فطر رمضان وفي الصلاة قاعدًا وفي غير ذلك مما أذن فيه الشرع، أما الخمر وسائر المحرمات فلم يأذن الشارع باستعمالها في التداوي، بل نهى عنها، واستعمال الدكتور لحقن المورفين ليس بحجة، والله أعلم[3].

---

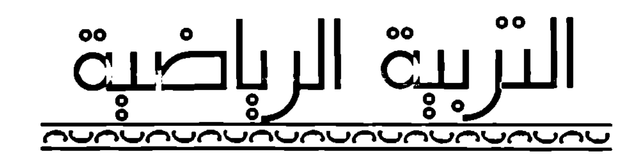
(١) يعني: عند التجمل للزوج في بيتها، لا خارج بيتها.

(٢) فتاوى ابن عثيمين (٨٤٢، ٨٤٣).

(٣) الحاوي في فتاوى أبي الفضل الغماري (٢٤).


الموسوعة الأم
في تربية الأولاد


١٣


التربية الرياضية

مقدمة

الحمد لله الذي مهَّد لطالبيه سبيلًا واضحًا، وكم ابتعث نبيًّا مُرشدًا وناصحًا، فأرسل آدم غاديًا على بنيه بالتعليم ورائحًا، فخلفه شيث ثم إدريس وجاء نوحٌ نائحًا، أحمده ما بدا برقٌ لائحًا، وأصلي على النبي المصطفى ما دام الفلك سابحًا، وعلى أبي بكر وقلَّ في الصديق مادحًا، وعلى عمر الفاروق الذي لم يزل بنور الحق لامحًا، وعلى عثمان وأعجب بمثل دمه طائحًا، وعلى عليٍّ وأعلن بفضائله صائحًا[1].

---

(١) التبصرة: ١١٣٢ بتصرف.

كيف نُربي أولادنا رياضيًّا؟

إن التربية الرياضية لا تختلف كثيرًا عن أي نوع من أنواع التربية الأخرى في الإطار الإسلامي، فهي أيضًا تحتاج إلى توجيهات نظرية، تليها تفسيرات علمية شرعية، مع الأدلة النبوية، ثم التطبيقات العملية، أما عن التوجيهات النظرية فتشتمل على الآتي:

١- تعريف الأولاد بآداب الرياضة حتى يلتزموا بها.

٢- ترغيب الأولاد في الرياضة من خلال ذكر فوائدها وفضائلها.

٣- تعريف الأولاد بالوقت المناسب والرياضة المناسبة، فليس كل وقت يناسب الرياضة، ولا تجوز الرياضة في كل الأوقات؛ لأن هناك أوقاتًا للعبادات والطاعات ومنها الصلاة، فلا يجوز ترك الصلاة أو تأخيرها من أجل الرياضة حتى وإن عظم قدرها، وشأنها، وجائزتها.

٤- تعريف الأولاد بأنواع الرياضة وصورها المتنوعة وأقسامها المختلفة.

٥- تعريف الأولاد بالمشروع والممنوع من الرياضة، أما المشروع فلجواز فعله، وأما الممنوع فللتحذير والترهيب من فعله؛ فلا ينبغي اقتراف المحرم من اللعب، واللهو، والرياضة حتى وإن ألفه الناس؛ كاللعب بالنرد (الطاولة)، أو (الشطرنج).

٦- تقويم حب الولد وتعلقه بالرياضة؛ حتى لا يُفرط الولد في حبها فيفوق حبُّها حب الطاعات والعبادات من صلاة، وصيام، وقيام، وقرآن، وذكر، ودعاء، وبرٍّ، وصلة، وغيرها، فليكن الأساس عنده الطاعة، فإذا ما ملَّت نفسه جاز له اللعب المباح في الوقت المباح بالكيفية المباحة.

هذا وإن ما سبق من نقاط توجيهية، ستتبعها تفصيلات علمية، في الصفحات التالية، بصورة أحسبها شافية كافية -بإذن الله تعالى:

أهداف التربية الرياضية

إن للتربية الرياضية أهدافًا عديدة منها:

١ - تقوية الأبدان:

فقد ثبت عن النبيﷺ أن: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير** ... الحديث»[1]، وكلما كان بدن الإنسان قويًّا نشيطًا كان ذلك أدعى إلى إتيان العبادة بسهولة ويسر، ألا ترى أن الضعفاء يشقُّ عليهم الصيام والقيام؟ على العكس من غيرهم النشطاء الأقوياء الأصحاء.

٢- تُنيل الأجر والثواب:

وذلك أن الرياضة المباحة إذا أخلص الإنسان فيها النية، وأضمر في نفسه أن تكون الرياضة سببًا في تنشيطه وتقويته على طاعة الله وعبادته لأجر على ذلك -بإذن الله، مثله مثل الذي يأكل طعامًا مباحًا حلالًا، لو أحسن النية فيه لأُجِرَ عليه، على العكس من هؤلاء الكفار الذين يتمتعون، ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم، ومثل الذي يريد النوم ابتغاء الراحة لمعاودة الأعمال والطاعات، فإنه -بلا شك- لو أحسن النية في جعل النوم سببًا لراحة بدنه لاستئناف الطاعة والنشاط فيها لأُجِر على ذلك -بإذن الله، لا كما ينام هؤلاء ومثلهم كمثل جيف الليل حمير النهار.

وخلاصة القول

أن العمل المباح لو نوى الإنسان أن يقوم به ليكون عونًا له على الطاعة والعبادة، لتحول إلى عبادة يؤجر عليها ويثاب -بإذن الله، وقد صدق بعض السلف حين قال: «**إني لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي**» يقصد -رحمه الله- أنه بنيته الحسنة في نومه ابتغاء الإعانة على طاعة الله وعبادته يُعدُّ نومه عبادةً -بإذن الله، ويحتسب عليه الأجر من الله.

٣- الحفاظ على الصحة والعافية:

فإن من يقف على أبجديات الصحة والعافية يعلم علم اليقين أن الشيخوخة المبكرة هي ثمرة الركون، والسكون، والخمول، والدعة، والراحة، وأن أصحاب النشاط من

---

(١) مسلم (٢٦٦٤).

الرياضيين وغيرهم ليتمتعون بصحة وعافية، ولا يكاد أحدهم يُصاب بمشكلات الشيخوخة، وأضرارها، وآثارها البيئية، أضف إلى ذلك أن معظم الأمراض التي يُبتلى بها أصحاب الراحة والخمول والركون إنما هي بسبب خمولهم وعدم تريضهم ونشاطهم، فتأتيهم الأمراض الفتاكة تترا، ابتداءً من السمنة والبدانة، ومرورًا بأمراض الضغط والسكر، وانتهاءً بأمراض تصلُّب الشرايين والذبحة الصدرية نسأل الله لنا ولكم العافية.

٤- الاقتداء بسيد الأنبياء:

فقد كان النبيﷺ يخرج مجاهدًا في سبيل الله، ويجيد الرماية، وكان يتسابق مع عائشة، وأقر النبيﷺ لعبة الحبشة والرماة، فيكفيك فخرًا وشرفًا أن تقتدي به وتتأسى، فما كان كسولًا ولا خاملًا، بل كان قائدًا مغوارًا إذا تقاعس المتقاعسون، وإذا تخاذل المتخاذلون، نادى في القوم بشجاعة وبسالة: «أنا النَّبيُّ لا كذب، أنا ابنُ عبد المطلب» فهل لك فيه قدوة؟ وهل لك فيه أسوة؟

﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[الأحزاب: ٢١].

آداب الرياضة

١ - النية الصالحة

لا بد أن يكون لك نية صالحة صادقة خالصة؛ حتى تؤجر على الرياضة من ناحية، وحتى لا يضيع وقتك سُدى بلا فائدة شرعية، لا أجور، ولا حسنات، فشتان بين من يتريَّض؛ لأن من عادته اليومية الرياضة (كالمشي، والجري، ولعب الكرة، ونحو ذلك ...) وبين من يحسن النية، ويبتغي بالرياضة النشاط والقوة على العبادة والطاعة، فالأول بلا شك خائب خسران، أضاع وقته دونما أجر، والثاني حصَّل الفائدتين: الدنيوية، والأخروية، أما الدنيوية، فبآثار الرياضة الصحية المعروفة، وأما الأخروية فبتحصيل الأجر والثواب، والعجيب أن الاثنين ربما يكونان قد قاما بنفس التمرين أو نفس الرياضة، والأول حُرم الأجر، والثاني نال الأجر، والفرق بينهما النية، فما نوى الأول، فبقي عمله على أصله كعادة، بينما نوى الثاني فتحولت العادة إلى عبادة فأجر عليها في الوقت الذي حُرِم الأول الأجر والثواب.

وجديرٌ بالذكر أن الإنسان أثناء اللعب، أو الرياضة ربما تأتيه المنية، فهل من الأفضل أن تأتيه وهو في عبادة؟ أم في لعب ولهوٍ؟ حتى وإن كان مباحًا حلالًا، حيث إنه سيُبعث على ما مات عليه.

ولعلك تذكر اللاعب المجريّ الذي سقط في أرض الملعب أثناء مباراة لكرة القدم، دونما سابق مرض أو تعب، أتته المنية وما نفعه من حوله، وما نفعته شهرته وثروته، وبكى من حوله وما نفعوه، وصرخ من بجواره وما استطاعوا أن ينقذوه، ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[الأعراف: ٣٤] ، فاختر لنفسك!! إن كنت كيِّسًا فطنًا، ما أراك إلى أن تختار العبادة والطاعة، على اللهو واللعب بدون نية خالصة صادقة.

٢ - اختيار الوقت المناسب

فلا يجوز أن تذهب للعب ولهوٍ مباحٍ في وقت صلاة، والراجح القول بوجوب صلاة الجماعة على الرجال، وإن قال قائل: فكيف بالنساء؟ قلت: حتى المرأة يجب عليها الصلاة في وقتها، وعدم تأخيرها من غير عذرٍ شرعي، إذن الكل هنا سواء الرجال والنساء، الكبار والصغار ممن وجب عليهم الصلاة، ينبغي أن يصلي الصلاة في وقتها ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾[النساء: ١٠٣] ، وأذكر لك مثالين حقيقيين، وكلاهما

وقع مع مصلٍّ وليس مع تارك للصلاة، وبعد القصتين ستقول في نفسك: فكيف لو كان كل منهما تاركًا للصلاة.

القصة الأولى: لشاب، لما أقيم لصلاة العصر، قام مسرعًا ليتوضأ (إذن كل ما صنعه أن أخَّر الوضوء حتى إقامة الصلاة فقط) وبينما هو يتوضأ حدث زلزال (لكن بحمد الله كانت قوة الزلزال ليست بالكبيرة، والعجيب أنه ما شعر إلا بدوخة فقط)، فأنهى الوضوء وخرج للصلاة، فوجد الناس قد هرعوا إلى الشوارع والطرقات، وسمع أن زلزالًا حدث، وقد أدرك الصلاة مع الجماعة والحمد لله، فقال بعد عودته سالمًا إلى بيته: تأخرت دقيقة أو دقيقتين، وربما كنت في عداد المفقودين وخُتم لي بترك الصلاة، أما وقد وقاني الله لأحافظنَّ على الصلاة في الجماعة، ولأستعدنَّ لكل صلاة قبل الأذان بالتوضؤ، والاستعداد بلباس الصلاة، والذهاب مبكرًا لإدراك الركعة الأولى، والصلاة في أول أوقاتها.

والقصة الثانية: لشاب كان يحافظ على صلاة الجماعة أيضًا، ولكن في يوم من الأيام ذهب إلى النادي ليلعب كرة القدم، ولكنه وصل وقت الصلاة، فقال: أضع الكرة لأحجز المكان، ثم أذهب إلى الصلاة في المسجد، فوضع الكرة، وخرج مسرعًا إلى الصلاة، وبينما هو يسير مسرعًا إلى المسجد، إذ به يُفجع بشيئين: الأول: سمع الإمام وهو يسلم من صلاته، إذن ضاعت منه الصلاة مع الجماعة، والثاني: أنه بينما يسير مسرعًا إلى المسجد تعثرت قدمه فوقع على الأرض لا يستطيع حراكًا فإذا برجله تُكسر عظمتها، وحُمل إلى المستشفى، وحُرم من الصلاة في الجماعة لشهرٍ أو يزيد، فتاب إلى الله من تأخيره للصلاة.

والسؤال الآن: إن كان ذلك مع مقيمي الصلاة، فكيف بتاركي الصلاة؟ وكيف بالمقصرين والمذنبين والعاصين؟ لا تغتر أخي في الله بإمهال الله للعصاة؟ فإن بطش ربك لشديد؛ فإن الإمهال يدلُّ على غضب الرب جل في علاه، ويزداد إمهاله حتى يأخذه أخذ عزيز مقتدر، إن الله ليملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته، ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢]، وتذكَّر قول الله: ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ﴾ [مريم: ٧٥].

٣- اختيار المكان المناسب

يُفضل أن تقام الرياضة في مكان مخصص لذلك كالنوادي ونحوها من الأماكن

الخالية من المنكرات والفواحش والاختلاط ناهيك عن تلك النوادي الحديثة التي يُشرب فيها الخمور، ويجتمع فيها الرجال مع النساء ويحدث الاختلاط الأثيم، وما أدراك ما حمامات السباحة التي يحدث فيها من الآثام، والفواحش، والاختلاط ما يندى له الجبين، وينكره كل عقل رشيد، وكل ذي خلقٍ كريم وأدب سليم، وما يختلف في ذلك اثنان، وما تنتطح فيه نعجتان، فحريٌّ بمن كان هذا خلقه، وجديرٌ بمن كان ذلك أدبه أن ينأى بنفسه ودينه عن أماكن المنكرات ودور الفتن والفواحش.

٤- اختيار الثياب المناسب

وأقصد بذلك شيئين: أولًا - أن يكون الثياب إسلاميًّا مباحًا مشروعًا لا يكشف عن عورة، ولا تشبه فيه بلباس الفساد، ولا بلباس الكفرة والمشركين، والعجيب أن الكثير من الشباب لا يعلمون أن عورة الرجل البالغ من السرة إلى الركبة، فلا يجوز لعاقل رشيد، ولا لمسلمٍ تقيٍ أن يلبس ما يعرف بالشورت، الذي يكشف عن فخذه والفخذ عورة، كما صح عن النبي ﷺ.

ثانيًا: أن يكون الثياب ثيابًا خاصًّا يلعب فيه، ويتمرن به، وهكذا، من باب المحافظة والنظام، ومن مظاهر ذلك أن يجعل ثيابًا لكل عمل من الأعمال مثال ذلك: أن يُخصص ثيابًا لعمله، وثيابًا لرياضته وتمارينه، وثيابًا للصلاة (القميص الأبيض والسروال) وهكذا.

الترغيب في الرياضة والفروسية

عن عقبة بن عامر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن الله -عز وجل- يُدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة: صانعه يحتسب في صنعه الخير، والرامي به ومنبله**[1]**، وارموا واركبوا، وأن ترموا أحبُّ إليَّ من أن تركبوا، ليس من اللهو إلا ثلاث: تأديب الرجل فرسه، وملاعبته أهله، ورميه بقوسه ونبله، ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبةً عنه**

---

(١) منبله: هو الذي يناول الرامي النبل، وقد يكون ذلك على وجهين: أحدهما: أن يقوم مع الرامي بجنبه أو خلفه ومعه عددٌ من النبل فيناوله واحدًا بعد واحد، والوجه الآخر: أن يرد عنه النبل المرمي به، ذكره الخطابي في معالم السنن (٣ ٢٨٣).

فإنها نعمةٌ تركها، أو قال: كفرها »(١).

وعنه أيضًا، قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي »(٢).

(٣)وقال عمر -رضي الله عنه: علموا أولادكم العوم والرماية ومروهم فليثبوا على الخيل وثبًا .

(٤) لا تزالون أصحاء ما نزعتم ونزوتم، نزعتم في القسي، ونزوتم على ظهور الخيل .. .

وقال -رضي الله عنه: القوس: معروف وهي التي يُرمى بها، وانتزع الرمح: اقتلعه ثم حمل(٥)، والنزو: الوثبان(٦). ونزوت على الشيء: وثبت عليه.

وقال ﷺ: علموا أولادكم السباحة والرماية والفروسية(٧).

فضائل الرياضة وفوائدها

١- الرياضة والحركة من أقوى الأسباب في حفظ الصحة.

٢- فإنها تُسخن الأعضاء، وتسيل فضلاتها فلا تجتمع على طول الزمان.

٣- وتُعوِّد البدن الخفة والنشاط، وتجعله قابلًا للغذاء.

٤- وتقوي الأوتار والرباطات.

٥- وتؤمن من جميع الأمراض المادية، وأكثر الأمراض المزاجية.

٦- وتقلع الأمراض المزمنة؛ كالجذام، والاستسقاء، والقولنج (١).

أبو داود (٢٥١٣)، والترمذي (١٦٨٧)، وابن ماجه (٢٨١١).

(١) مسلم (١٩١٧).

(٢) معالم السنن (٣، ٢٨٣، ٢٩).

(٣) نثر الدر (٢ ٣٩٢).

(٤) لسان العرب (٣٤٩٥).

(٥) السابق (٤٤٠٢).

(٦) عيون الأخبار(٢١٦٨).

(٧) زاد المعاد (٤٢٤٦، ٢٤٧).

وقت الرياضة

قال ابن القيم رحمه الله: وقت الرياضة انحدار الغذاء [١]، وكمال الهضم [٢].

الرياضة المعتدلة وأثرها

قال ابن القيم رحمه الله: الرياضة المعتدلة هي التي تحمر في البشرة، وتربو، ويتندي به البدن، وأي عضو كثرت رياضته قوي، وخصوصًا على نوع تلك الرياضة، بل كل قوة هذا شأنها، فإن من استكثر من الحفظ قويت حافظته، ومن استكثر من الفكر قويت المفكرة [٣].

أنواع الرياضة وصورها

قال ابن القيم رحمه الله:

١- لكل عضو رياضة تخصه، فللصدر قراءة فليبتدئ فيها من الخفية إلى الجهر بتدرج.

٢- ورياضة السمع بسماع الأصوات والكلام بالتدريج، فينتقل من الأخف إلى الأثقل.

٣- وكذلك رياضة اللسان في الكلام.

٤- وكذلك رياضة البصر.

٥- وكذلك رياضة المشي بالتدريج شيئًا فشيئًا.

٦- وأما ركوب الخيل، ورمي النشاب، والصراع، والمسابقة على الأقدام فرياضة للبدن كله [٤].

أقسام الرياضة وألوانها

تنقسم الرياضة بأنواعها وصورها إلى قسمين اثنين لا ثالث لهما من حيث الحل

---

(١) انحدار الغذاء: أي من المعدة إلى الأمعاء، وهي من صور الهضم للغذاء.

(٢) زاد المعاد (٤/٢٤٦، ٢٤٧).

(٣) زاد المعاد (٤/٢٤٦، ٢٤٧).

(٤) زاد المعاد (٤/٢٤٦، ٢٤٧).

والحرمة، أو الجواز والمنع:

الرياضة المشروعة

ولها صور عديدة منها:

١ - العَدْو (الجري)

عن عائشة ﵂ قالت: سابقني رسول الله ﷺ فسبقتُهُ فلبثنا حتى أرهني اللحم[١]، سابقني فسبقني، فقال: «هذه بتلك»[٢].

٢ - الفروسية

عن ابن عمر ﵄ أن رسول الله ﷺ سابق بالخيل التي أُضمرت من الحفياء، وكان أمدها ثنية الوداع، وسابق بها الخيل التي لم تُضمر من الثنية إلى مسجد بني زريق، وكان ابن عمر فيمن سبق[٣].

قال النووي: أضمرت: أن يقلل علفُها مدةً، وتدخل بيتًا كنينًا، وتجلل فيه لتعرقَ ويجف عرقها فيجف لحمها، وتقوى على الجري. أما ثنية الوداع: فهي عند المدينة، سميت بذلك؛ لأن الخارج من المدينة يمشي معه المودعون إليها. وفي الحديث جواز المسابقة بين الخيل، وجواز تضميرها، ومما مجمعٌ عليهما للمصلحة في ذلك، وتدريب الخيل ورياضتها، وتمرنها على الجري وإعدادها لذلك؛ لينتفع بها عند الحاجة في القتال كرًّ وفرًّا[٤].

وعن أنس ﵁ قال: كانت ناقة رسول الله ﷺ العضباء لا تُسبق، أو لا تكاد تُسبق، فجاء أعرابيٌّ على قعودٍ له فسبقها، فشقَّ ذلك على المسلمين، حتى عرفه، فقال: «حقٌّ على الله أن لا يرتفع شيءٌ في الدنيا إلا وضعه»[٥].

---

(١) أي: سمنت.

(٢) أبو داود، وأحمد، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٢٤٨).

(٣) البخاري (٢٨٧٠)، ومسلم (١٨٧٠).

(٤) شرح مسلم للنووي (١٣ ١٤).

(٥) البخاري (٦ ٥٥).

٣- اللعب بالحراب

فقد أقرَّ النبي ﷺ لعب الحبشة بالحراب، وكانت عائشة رضي الله عنها تشاهدهم وتُعجب بلعبهم.

٤- الرمي بالسهام

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ وأسلم[١] يرمون فقال: **«ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان راميًا[٢]، ارموا وأنا مع ابن الأدرع»** فأمسك القوم قسيهم، قالوا: ما كنت معه غلب، قال: **«ارموا وأنا معكم كلكم»**.

وكذلك كرة القدم، والتنس، والأسكواش، وكرة السلة، وكرة الماء، ونحوها:

معلومٌ أن هذه الألعاب طالما ضُبطت بالضوابط السابقة من عدم اللعب وقت الصلاة، مع اللباس الطويل الذي يغطي العورة (من السرة إلى الركبة للرجال)[٣] والمكان المناسب، تكون هذه الألعاب جائزة مشروعة.

الرياضة والألعاب غير المشروعة

١- الألعاب والرياضة التي اختلَّ أحد، أو بعض أو كل، الشروط السابقة آنفًا (أي: إذا لعب اللاعب وعورته أو جزءٌ منها منكشف، أو لعب في وقت الصلاة، أو في مكان يختلط فيه الرجال مع النساء، أو يُشرب فيه المسكرات، أو المخدرات، والمحرمات).

٢- الميسر: قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠]، والميسر والمراهنة محرمٌ شرعًا، وهو من الكبائر، وصورة الميسر في الألعاب أن يتم اللعب بين فريقين ويدفع الخاسر في اللعبة للكاسب مالًا، أو نحوه.

---

(١) أي: نفرٌ من أسلم.

(٢) ابن ماجه (٢٨١٥)، وابن حبان (١٦٤٦) وصحح الجزء الأول منه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٢٦٧).

(٣) أما النساء فيغطين جسمهن كله بالحجاب (النقاب)، ويلعبن بمعزل عن الرجال بحيث لا يراها الرجال ولا يصورن بالكاميرات.

وفضلا عن حرمته فإن له أضرارًا شرعية وخلقية ونفسيه، منها:

١- أنه يوقع العداوة والبغضاء ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾[المائدة: ٩١].

٢- يصد عن ذكر الله وعن الصلاة ﴿ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾[المائدة: ٩١]

٣- سبيل لتضييع الأموال في غير مباح، وأداة لهدم البيوت العامرة.

٤- يسيء الأخلاق ويُقبح الآداب والمعاملات.

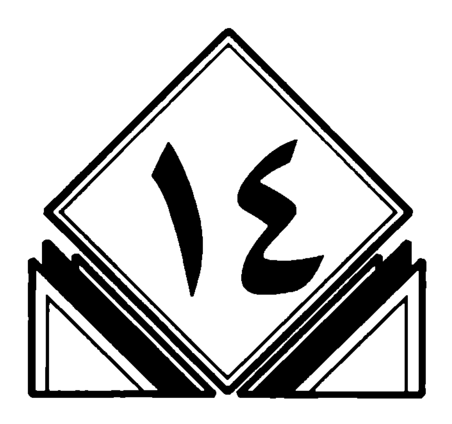
٥- يدفع إلى الآثام وبذيء الكلام.

٦- يضيع الأوقات ويهدم الطاقات.

٧- يورث القلق والأرق والاضطراب والارتياب.

ومن الجدير بالذكر أن المكافأة (عينية كانت أو مادية) **تكون مشروعة مباحة إن كانت من جهة أخرى غير المتسابقين، مثل مباريات الدوري والكأس (حيث تعطى إدارات النوادي المكافأة أو الجائزة) ومثل المسابقات المدرسية والجامعية وغيرها، وكجميع المباريات المحلية والعالمية (كمباريات التنس وكرة اليد وكرة الماء وألعاب القوى ومسابقات الجري والفروسية وغير ذلك). المصارعة، الملاكمة، الكاراتيه. وغير ذلك من الألعاب التي يكون فيها إيذاء لأحد اللاعبين أو كليهما.**





التربية الغذائية

مقدمة

الحمد لله فالق الحب والنوى، خالق العبد وما نوى، اطَّلع على باطن الضمير وما حوى، بمشيئته رشد من رشد وغوى من غوى، وبإرادته فسد من فسد واستوى من استوى، صرف من شاء إلى الهدى، وعطف من شاء إلى الهوى، قرَّب موسى نجيًّا وقد كان مطويًا من شدة الطوى، فمنحه فلاحًا وكلَّمه كفاحًا وهو بالواد المقدس طوى، وعرج بمحمد إليه وأعاده وفراشه ما انطوى، فأخبر بقربه من ربه وحدَّث بما رأى وروى، فأقسم على تصديقه من حرسه بتوفيقه عن قوى، والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى، وأحمده على صرف الهم والجوى، حمد من أناب وارعوى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فيما نشر وطوى، وأن محمدًا عبده ورسوله الذي أرسله وعود الهدى قد ذوى، فسقاه ماء المجاهدة حتى ارتوى، وعلى صاحبه أبي بكر إن رحل أو ثوى، وعلى الفاروق عمر الذي وسم بجده جبين كل جبار وكوى، وعلى عثمان الصابر على الشهادة ساكنًا ما التوى، وعلى عليٍّ الذي زهد في الدنيا فباعها وما اجتوى[1].

---

(١) التبصرة: ٢ ٣٢ بتصرف.



كيف نربي أولادنا غذائياً؟

اعلم -رحمك الله- أن التربية الغذائية لا تقل أهمية عن أي نوع آخر من أنواع التربية، وذلك أن الغذاء الصحيح سببٌ من أسباب حفظ الصحة والعافية وزيادة النشاط، ومن ثَمَّ الإعانة على التقدم والتفوق والجد والاجتهاد، وإن هذه التربية تحتاج -كغيرها- إلى توجيهات وإرشادات غذائية، ثم تفصيلات علمية غذائية. أما عن التوجيهات، فهي عديدة، ويمكن إيجازها في النقاط الآتية:

١- تقديم نصائح وإرشادات غذائية صحية للأولاد، تقوم على دعوتهم إلى النظافة، والنظام، وضبط أوقات الطعام والشراب وكيفياته، والبعد عن الضارِّ من المأكولات والمشروبات.

٢- تعريف الأولاد وتعويدهم على الغذاء الجيد المنضبط مما يكفل لهم الاحتفاظ بصحة جيدة ولياقة طيبة -بإذن الله تعالى.

٣- التعريف بغذاء الرضَّع، وماهيته، وأهميته، وفوائده للرضيع والأبحاث النافعة للآباء والأمهات، وعرض مقارنة بين الغذاء الطبيعي والصناعي، وتفضيل الأول عن الثاني بوجوه عديدة.

٤- تعريف الآباء والأمهات بالأغذية والأشربة المفيدة لهم ولأولادهم؛ حتى يهتموا بها عن غيرها، وهي مجموعة من الأغذية والأشربة المرتبة ترتيبًا هجائيًّا ملخصًا ومركزًا حتى يسهل الحصول على الإفادة من أقرب الطرق -بإذن الله تعالى.

٥- تعريف الآباء والأمهات ببعض الأغذية الهامة النافعة -بإذن الله- في علاج بعض الأمراض، ومن ثَمَّ يستطيعون استخدامها في علاج بعض أدواء أبنائهم.

هذا، وإن ما سبق من نقاط مجملًا، سيأتي في الصفحات التالية مفصلًا -بإذن الله تعالى:

أولا
مُقَدِّمَةٌ غِذَائِيَّةٌ
نصائح وإرشادات هامة

١- عدم تناول الأطعمة الفاسدة إطلاقًا، سواءً أكانت خضروات، أم فواكه، أم غيرها من المأكولات، وكذلك الشراب أيضًا.

٢- تنظيم أوقات الطعام، بحيث يكون للمرء وقتٌ معينٌ للإفطار، وآخر للغذاء، وثالث للعشاء.

٣- عدم إدخال طعام على طعام، أي: يحذر من الأكل والمرءُ شبعان غير جوعان؛ لأن إدخال الطعام على الطعام من أضر المضرَّات.

٤- غسل اليدين جيدًا قبل الطعام وبعده؛ فإنه من أهم سبل الوقاية من كثير من الأمراض.

٥- مضغ الطعام جيدًا عند أكله.

٦- عدم ملء المعدة بالطعام.

٧- عدم النوم مباشرةً بعد العشاء.

٨- تنويع الطعام بحيث يجمع جميع الأطعمة المفيدة (أي: من البروتين، والكربوهيدرات، والفيتامينات، ...).

٩- الاقتصار على وجبات خفيفة.

١٠- الاقتصار على الخضروات والفواكه الطازجة.

١١- البعد عن الأطعمة الضارَّة مثل: المواد الحريفة، والحارة، والأطعمة الشديدة السخونة، أو الشديدة البرودة.

١٢- الإقلال من الأبيضين الضارَّين (السكر والملح).

١٣- الإقلال من تناول الحلويات بأنواعها.

١٤- الإقلال من تناول المنبهات؛ كالشاي والقهوة، ومنع ذلك قبل النوم، ولذوي القرح المعدية والاثنا عشرية، أو الحموضة، أو التهاب القولون.

١٥- أفضل الأواني لحفظ الأطعمة تلك المصنوعة من الفخار، أو الزجاج أو الإستانلس.

١٦- ينصح بعدم استعمال الأواني المغطاء بطبقة التيفال مطلقًا.

١٧- يحذر من الطهي في أواني مصنوعة من الألمونيوم والنحاس؛ لأنه ينجم عنها أملاح سامة تترسب في البدن، وتسبب أضرارًا بالغة.

الغذاء الذي يحتاجه الإنسان

إن المغذيات التي يحتاجها الإنسان هي:

١- الماء ٢- مغذيات البناء (البروتينات النباتية والحيوانية).

٣- مغذيات الطاقة (الكربوهيدرات الزيوت الدهون).

٤- مغذيات الحماية (الفيتامينات العناصر المعدنية).

فكيف تناول القرآن الكريم الغذاء والمغذيات؟

تأمل قوله تعالى: ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۝ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۝ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾ [عبس: ٢٥- ٣٢]، لقد جمعت هذه الآيات على قصرها معظم ما يأكله الإنسان، فسبحان الرحمن.

أولًا: الماء

الماء هو أساس الحياة، ويشكل (٥٥- ٦٥٪) من وزن الجسم للشخص البالغ، والماءُ ضروريٌّ لعمليات الهضم، والامتصاص، وعمليات الأيض الغذائي **Metabolism** وكذلك نقل العناصر والمخلفات الضارة والسامة، وطردها خارج الجسم في صورة (بول)، ناهيك عن ذلك الدور للماء في تنظيم حرارة الجسم، وصدق اللهُ العظيم: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

ثانيًا: الحبوب والبقوليات

تعتبر الحبوب مثل: القمح، والأرز، والذرة، والشوفان، من مصادر الطاقة الرئيسة للإنسان (حوالي ٥٥٪) من الطاقة التي يحصل عليها الإنسان مصادرها الكربوهيدرات، وهي المكون الرئيسي للحبوب، وكذلك تعتبر مصدرًا جيدًا للعديد من الفيتامينات، والعناصر المعدنية، وكذلك الحبوب الزيتية، وصدق الله العظيم: ﴿ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ﴾ [البقرة: ٦١].

ثالثًا: الفواكه والخضروات

للفواكه والخضروات أهميةٌ غذائيةٌ كبيرةٌ؛ فهي مصادر جيدة للفيتامينات والعناصر

المعدنية، والألياف الغذائية، ومركبات (الفيتو) التي تأكد تأثيرها على صحة الإنسان، وصدق اللهُ العظيم: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ﴾ [الأنعام: ١٤١].

رابعًا: اللحوم والأسماك والطيور

اللحوم والأسماك من الأغذية عالية القيمة الغذائية، فهي مصدرٌ رئيسيٌّ للبروتين الحيواني، وهي بروتينات عالية الجودة؛ لأنها تحتوي على الأحماض الأمينية الأساسية التي يحتاجها الإنسان، ولا تُخلق بداخله، وصدق الله العظيم: ﴿ وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [النحل: ٥].

خامسًا: اللبن والعسل

اللبنُ مصدرٌ جيدٌ للبروتين، والدهن، وسكر اللاكتوز (سكر اللبن)، والعديد من الفيتامينات، والعناصر العذائية المعدنية؛ وأهمها: الكالسيوم، وصدق الله العظيم: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وقد ثبت علميًّا أن لبن الأم لا يضاهيه أي لبن، أو غذاءٍ آخر.

أما العسل فهو مصدرٌ جيدٌ للسكريات البسيطة، والجلوكوز هو المصدر الوحيد للطاقة التي يحتاجها المخ، كما يحتوي العسل على بعض العناصر المعدنية، وبعض المضادات الحيوية، ومركبات أخرى، وصدق الله العظيم: ﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ [النحل: ٦٩].

الماء

قال ابن القيم رحمه الله: الماء مادةُ الحياة وسيد الشراب، وأحد أركان العالم، بل ركنه الأصلي، فإن السماوات خُلقت من بخاره، والأرض من زبده، وقد جعل اللهُ منه كل شيءٍ، وقد اختُلِفَ فيه: هل يُغذِّي، أم يُنفذ الغذاء فقط؟ على قولين؛ وهو باردٌ رطبٌ يقمع الحرارة، ويحفظ على البدن رطوباته، ويردُّ على البدن ما تحلَّل منه، ويُرقِّق الغذاء، ويُنفذه في العروق.

جودة الماء

قال ابن القيم: وتُعتبر جودة الماء من عشرة طرق:

أحدها: من لونه، بأن يكون صافيًا.

الثاني: من رائحته، بأن لا تكون له رائحةٌ البتة.

الثالث: من طعمه، بأن يكون عذب الطعم حلوه، كماء النيل والفرات.

الرابع: من وزنه، بأن يكون خفيفًا رقيق القوام، وتُعتبر خِفَّةُ الماء من ثلاثة أوجهٍ: أحدها: سرعة قبوله للحرِّ والبرد، قال أبقراط: الماء الذي يسخن سريعًا، ويبرد سريعًا أخف المياه. الثاني: بالميزان. الثالث: أن تُبَلَّ قطنتان متساويتا الوزن بماءين مختلفين، ثم يُجفَّفا بالغًا، ثم توزنا، فأيتهما كانت أخفَّ، فماؤها كذلك.

الخامس: من مجراه، بأن يكون طيِّب المجرى والمسلك.

السادس: من منبعه، بأن يكون بعيد المنبع.

السابع: من بروزه للشمس والريح، بأن لا يكون مختفيًا تحت الأرض، فلا تتمكن الشمسُ والريحُ من قصارته.

الثامن: من حركته، بأن يكون سريع المجرى والحركة.

التاسع: من كثرته، بأن يكون له كثرة يدفع بها الفضلات المخالطة له.

العاشر: من مصبِّه، بأن يكون آخذًا من الشمال إلى الجنوب، أو من المغرب إلى المشرق.

وإذا اعتبرت هذه الأوصاف لم تجدها بكمالها إلا في الأنهار الأربعة: النيل، والفرات، وسيحون، وجيحون.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «سَيْحان، وجَيْحان، والنيل، والفرات كُلٌّ من أنهار الجنة»[1].

والماء وإن كان في الأصل باردًا رطبًا، فإن قوته تنتقل وتتغيَّر لأسباب عارضة توجب انتقالها، فإن الماء المكشوف للشمال المستور عن الجهات الأخرى يكون باردًا، وفيه يبسٌ مكتسبٌ من ريح الشمال، وكذلك الحكم على الجهات الأخرى، والماء الذي ينبع من المعادن يكون على طبيعة ذلك المعدن، ويؤثر في البدن تأثيره.

والماء العذب نافعٌ للمرضى والأصحاء، والبارد منه أنفع وألذُّ، ولا ينبغي شربُهُ على

---

(١) مسلم (٢٨٣٩).

الريق، ولا عقيب الجماع، ولا عند الانتباه من النوم، ولا عقيب الحمام، ولا عقيب أكل الفاكهة، وأما على الطعام فلا بأس به إذا اضطر إليه، بل يتعيَّن، ولا يُكثر منه، بل يتمصَّصُه مصًّا، فإنه لا يضرُّهُ البتة، بل يُقوِّي المعدة، ويُنهض الشهوة، ويُزيلُ العطش.

والماء الفاتر ينفخُ[1]، ويفعل ضدَّ ما ذكرناه، وباتتُهُ ينفع من داخل أكثر من نفعه من خارج، والحار بالعكس، وينفع الباردُ من عفونة الدم وصعود الأبخرة إلى الرأس ويدفع العفونات، ويوافق الأمزجة والأسنان[2] والأزمان والأماكن الحارة.

والبارد والحارُّ بإفراطٍ ضاران للعصب، ولأكثر الأعضاء؛ لأن أحدهما مُحلِّل والآخر مكثف، والماءُ الحارُّ يُسكِّن لذع الأخلاط الحادة، ويُحلِّل ويُنضج، ويُخرج الفضول، ويرطِّب ويسخِّن، ويفيد الهضم شربه، ويطفو بالطعام إلى أعلى المعدة ويُرخيها، ولا يُسرع في تسكين العطش، ويُذبل البدن، ويؤدي إلى أمراض رديئة، ويضرُّ في أكثر الأمراض، على أنه صالحٌ للشيوخ، وأصحاب الصرع، والصداع البارد، والرمد، وأنفع ما استعمل من خارج.

ماء الثلج والبرد

ثبت في الصحيحين عن النبيﷺ أنه كان يدعو في الاستفتاح وغيره: «**اللهم اغسلني من خطاياي بالماء، والثلج، والبَرَد**»[3].

وقال ابن القيم رحمه الله: الثلجُ له في نفسه كيفيةٌ حارةٌ ودخانيةٌ، فماؤه كذلك، وماءُ البرد ألطفُ وألذُّ من ماء الثلج، وأما ماء الجمد وهو الجليد فبحسب أصله، والثلج يكتسب كيفية الجبال والأرض التي يسقط عليها في الجودة، والرداءة، وينبغي تجنب شرب الماء المثلوج عقيب الحمام والجماع والرياضة، والطعام الحار، ولأصحاب السعال، ووجع الصدر، وضعف الكبد، وأصحاب الأمزجة الباردة.

---

(١) يصيب بالانتفاخ.

(٢) أسنان: جمع سنٍّ وهو العمر.

(٣) متفق عليه.

ماء الآبار والقُنى

مياه الآبار قليلةُ اللطافة، وماءُ القنى المدفونة تحت الأرض ثقيل؛ لأن أحدهما محتقن لا يخلو عن تعفن، والآخر محجوب عن الهواء، وينبغي ألا يُشرب على الفور حتى يصمد للهواء، وتأتي عليه ليلة، وأردؤه ما كانت مجاريه من رصاص، أو كانت بئره معطَّلة[١].

ماءُ النيل

أحد أنهار الجنة، أصله من وراء جبال القمر، في أقصى بلاد الحبشة، من أمطار تجتمع هناك، وسيولٌ يمدُّ بعضُها بعضًا، فيسوقه اللهُ تعالى إلى الأرض الجرز التي لا نبات لها، فيُخرج به زرعًا، تأكل منه الأنعام والأنام، ولما كانت الأرضُ التي يسوقه إليها إبليزًا[٢] صلبةً، إن أمطرت مطر العادة لم تُرْوَ، ولم تتهيّأ للنبات، وإن أمطرت فوق العادة ضرَّت المساكن والساكن، وعطلت المعايش والمصالح، فأمطر البلاد البعيدة، ثم ساق تلك الأمطار إلى هذه الأرض في نهرٍ عظيم، وجعل -سبحانه- زيادته في أوقات معلومةٍ على قدر ريِّ البلاد وكفايتها، فإذا أروى البلاد وعمَّها، أذن -سبحانه- بتناقصه وهبوطه، لتتمَّ المصلحةُ بالتمكن من الزرع، واجتمع في هذا الماء الأمورُ العشرة التي تقدَّم ذكرها، وكان من ألطف المياه وأخفِّها وأعذبها وأحلاها.

ماءُ البحر

ثبت عن النبيﷺ أنه قال في البحر: «هو الطهور ماؤه الحلُّ ميتتُه»، وقد جعله الله -سبحانه- ملحًا أُجاجًا مُرًّا زعافًا لتمام مصالح مَنْ هو على وجه الأرض من الآدميين والبهائم، فإنه دائمٌ راكدٌ كثير الحيوان، وهو يموتُ فيه كثيرًا ولا يُقبر، فإن كان حُلْوًا لأنتن من إقامته وموت حيواناته فيه وأجاف، وكان الهواء المحيط بالعالم يكتسب ذلك منه، وينتن ويجيف، فيفسد العالم، فاقتضت حكمةُ الرب -سبحانه وتعالى- أن جعلها كالملاحة التي لو أُلقي فيه جيفُ العالم كلها وأنتانه وأمواته لم تُغيِّره شيئًا، ولا يتغيَّر على مكثه من حين خُلق، وإلى أن يطوي اللهُ العالم، فهذا هو السبب الغائي الموجب لملوحته، وأما الفاعلي، فكون أرضه سبخة مالحة.

---

(١) الطب النبوي (٣٨٨- ٣٩١).

(٢) طين الإبليز: طين مصر الذي يتركه نيلُ مصر بعد انحساره عن الأرض.

وبعدُ: فالاغتسال به نافعٌ من آفاتٍ عديدةٍ في ظاهر الجلد، وشربُهُ مضرٌّ بداخله وخارجه، فإنه يُطلق البطن، ويهزل، ويحُدث حكَّةً وجربًا، ونفخًا وعطشًا، ومن اضطر إلى شربه فله طرقٌ من العلاج يدفع بها مضرَّته، منها أن يجعل في قدر، ويُجعل فوق القدر قصبات، وعليه صوفٌ جديدٌ منفوشٌ، ويُوقد تحت القدر حتى يرتفع بخارها إلى الصوف فإذا كثر عَصَرَهُ، ولا يزال يفعل ذلك حتى يجتمع له ما يريد، فيحصل في الصوف من البخار ما عَذُبَ، ويبقى في القدر الزُّعاق.

ومنها: أن يحفر على شاطئه حفرةً واسعةً يرشح ماؤه إليها، ثم جانبها قريبًا منها أخرى ترشح هي إليها، ثم ثالثة، إلى أن يعذب الماء، وإذا ألجأته الضرورة إلى شرب الماء الكدر، فعلاجه أن يُلقى فيه نوى المشمش، أو قطعة من خشب الساج، أو جمرًا ملتهبًا يُطفأ فيه، أو طينًا أرمنيًا، أو سويق حنطة، فإن كدرته ترسبُ إلى أسفل[1].

---

(١) الطب النبوي (٣٩٣- ٣٩٥).

الغذاء الجيد

يجب أن يحتوي الطعام اليومي على كل من البروتينات، والدهون، والكربوهيدرات، والفيتامينات، والأملاح المعدنية بالنسب المناسبة لعمر الإنسان وحاجته:

١ - البروتينات

توجد في الأطعمة واللحوم بأنواعها، والبيض واللبن، ومشتقاته، كما توجد البروتينات النباتية في الخضروات الطازجة، والحبوب والمكسرات؛ لأنها أقل فائدة عن البروتينات الحيوانية، وتساعد البروتينات كثيرًا في بناء الأنسجة ونمو العضلات، يحتاج الإنسان العادي (متوسط العمر) إلى حوالي ١ جم لكل كيلوجرام من وزنه (تقريبًا) يوميًّا، بيد أن الأطفال والشيوخ والحوامل يحتاجون إلى كميات أكبر.

٢ - الدهون

توجد في المصادر الحيوانية والنباتية مثل: الزبدة، والبيض، واللبن، والزيوت، والفستق، وغيرها، وتفيد الدهون في تزويد الجسم بالطاقة اللازمة، وقد تستهلك ويدخرها الجسم لوقت الحاجة، يحتاج الإنسان العادي منها إلى كمية تتناسب مع الجهد والعمل الذي يبذله وتتراوح بين (١٥- ٣٥) جم تقريبًا كل يوم أما الأطفال فيحتاجون إلى كميات أكبر.

٣- الكربوهيدرات

توجد في المواد النشوية، والسكريات، والفواكه، وغيرها، كما يحصل عليها الجسم أيضًا من تحويل المواد الدهنية إلى سكريات، وتفيد الجسم بإمداده بالطاقة، والحرارة، والنشاط، ويتناسب ما يحتاجه الإنسان مع حاجته، وجهده، وعمله، ونشاطه.

٤ - الفيتامينات

تشمل مجموعة عديدة من الفيتامينات، ويمكن تقسيمها إلى قسمين:

أ-فيتامينات تذوب في الدهون ومنها

فيتامين (أ)

فيتامين هام للإنسان يساعد على النمو وعلى مقاومة الأمراض ويجدد الجلد، ويحافظ على لونه وبهائه وكذلك العين، وله تأثير على نشاط الغدة الدرقية، ويهدئ الأعصاب، ويؤدي نقصه إلى:

اضطرابات النمو. اضطراب الرؤية في الظلام (العشى الليلي)، وحدوث الرمد، وكمود قرنية العين. واضطراب التكلس. وضعف النشاط الجنسي عند الجنسين. ويضرُّ بالجلد.

مصادره

الزيوت، وأفضلها زيت كبد الحوت، والسمك، واللبن، والبيض، والزبد، والخضروات الطازجة؛ كالسبانخ، والخس، والملفوف، والجزر، والفواكه؛ كالتوت، والمشمش، والخوخ ... يحتاج الإنسان منه إلى حوالي ٥٠٠ وحدة يوميًّا.

فيتامين (د)

يشمل عدة أنواع ... D, D., D.، ويتكون في الجسم بتأثير الأشعة فوق البنفسجية المنبعثة من الشمس، ويفيد كثيرًا في تكوين الأسنان والعظام ونموها، ويؤدي نقصه إلى: مرض الكساح عند الأطفال. ولين العظام عند الكبار.

أهم مصادره

زيت كبد الحوت، والكبد، واللبن، والبيض، والسمك، والزبد، والقشرة، والقمح.

يحتاج الطفل منه يوميًّا إلى كمية تتراوح بين ٤٠٠ - ١٠٠٠ وحدة دولية مع الحذر من الإفراط خشية الأضرار الشديدة التي تحدثها زيادته في الجسم.

فيتامين (E)

يفيد في الإخصاب وتنظيم الدورة الشهرية عند النساء، ومنع الإجهاض، ويؤدي نقصه إلى: فقد الشهوة الجنسية. العقم وتضخم البروستاتا. اضطرابات الطمث والإجهاض. سقوط الشعر.

أهم مصادره

القمح، وزيت الصويا، وزيت الذرة، وزيت السمسم، وزيت الفستق، وزيت الزيتون، وزيت القطن، وفي الخس، والعدس، والجوز والجزر، والبندورة، وصفار البيض.

يحتاج الإنسان منه لكمية تتراوح ما بين ١٠ - ١٢ ملجم.

فيتامين ك (K):

يساعد في وقف النزيف، ويساعد على تجلط الدم، ويؤدي نقصه إلى النزيف.

أهم مصادره

الأوراق الخضراء؛ كالسبانخ، والقنبيط، والملفوف، والجزر، والقمح، وزيت الصويا. يحتاج الإنسان منه إلى ٤ ملجم يوميًّا.

ب-فيتامينات تذوب في الماء

فيتامين ج (C)

حمض الأسكوربيك، له فوائد عديدة منها: ينشط الجسم ويزيد الطاقة.ويدخل في عملية الأكسدة. ويساعد على مقاومة الأمراض.

ويؤدي نقصه إلى الإصابة بمرض الإسقربوط (داء الحفر) الذي يصيب لثة الإنسان، ويؤدي إلى النزيف، والضعف العام، والآلام.

أهم مصادره

الفجل، والفلفل، والليمون، والبرتقال، واليوسفي، والبقدونس، والفواكه الطازجة.

الحاجة اليومية: تتراوح بين ٤٠- ١٠٠ ملجم، وتزداد هذه الكمية إلى ٢٠٠٠ ملجم في الحالات المرضية، وحالات الحاجة الشديدة.

مجموعة فيتامين ب المركب

فيتامين ب١ (B_1): Thiamine

ويؤدي نقصه إلى: اختلال توازن الجسم واضطرابات الهضم. التهاب الأعصاب الطرفية. ضعف القلب، وارتفاع نسبة السكر. تشقق اللسان. مرض البري بري.

أهم مصادره

الخميرة البيرة، والشعير، والقمح، وقشور الأرز، والشوفان، واللبن والجبن، والكبد، والبيض، والفاصوليا، والبندورة، والليمون، والبرتقال، والعنب، والخوخ، والموز، والجوز، والإجاص، وزيت الذرة.

الحاجة اليومية من فيتامين ب١: ١ ملجم على الأقل.

فيتامين ب٢ (B_2) **Riboflavin**:

يفيد كثيرًا في تنشيط النمو، وسلامة الجلد والعيون، ويؤدي نقصه إلى اضطرابات نفسية، وجلدية، والتهاب ملتحمة العين، أهم مصادره: السبانخ، والبيض، والليمون، والكبد، والكلى، والحبوب، والمشمش، والخميرة البيرة.

الحاجة اليومية: ٢- ٣ ملجم يوميًّا.

فيتامين ب ب (نيكوتين أميد) **Nicotinamide**:

يدخل هذا الفيتامين في عملية الأكسدة داخل الجسم، ويساعد على الهضم، ويؤدي نقصه إلى:آفات جلدية، كالحكة، والبثور، والتقيُّح، والاحمرار. وأعراض عصبية؛ كالصداع، وعدم التوازن، وضعف الذاكرة، والخوف، والهلوسة، وغير ذلك. اضطرابات هضمية؛ كعسر العضم ونقص الشهية، والإسهال، ونقص الوزن، والتقيؤ.

أهم مصادره

أوراق الخضروات الطازجة؛ كالسبانخ، والملفوف، ويوجد في العدس، والجزر، والقمح، والجوز، والبصل، والتفاح، والمشمش، والليمون، والكبد، واللبن، واللحوم.

الحاجة اليومية: حوالي ٢٠ ملجم يوميًّا.

فيتامين ب٦ (B_6) **Pyridoxine**

يساعد هذا الفيتامين في عمليات استقلاب اللحوم والبروتينات، بالإضافة إلى وظائف أخرى، يؤدي نقصه إلى: اضطرابات الأعصاب الطرفية. اضطرابات هضمية، وفقر دم. التهابات جلدية.

أهم مصادره

اللحوم، والبقول، والموز، واللبن، والسبانخ، والملفوف، والخميرة البيرة.

الحاجة اليومية: ٢- ٣ ملجم يوميًّا.

حامض الفوليك

حامض هام جدًّا في تشكيل المادة الوراثية وتكوينها في الخلية وفي النمو الصحيح، وفي تكوين كرات الدم الحمراء، ويؤدي نقصه إلى فقر الدم (الأنيميا).

أهم مصادره

الأوراق الخضراء الطازجة؛ كالسبانخ، والسلق، والقنبيط، والبقدونس، وغيرها، الحاجة اليومية: ٠.٤ ملجم.

فيتامين ب١٢ (B..) Cobalmine

ينشط الكبد، والمخ، ويجدد الدم ويساعد في تكوين كراة الدم الحمراء وتنشيطها، بالإضافة إلى فوائد أخرى، ويؤدي نقصه إلى فقر دم. الخمول والدوار، والصداع واضطراب التوازن.

أهم مصادره

البيض والسمك واللحوم.

الحاجة اليومية: ١ ميكروجرام يوميًّا.

فيتامين هـ (H) Biotin

يحافظ على حيوية والمخ ونشاطه، ويُخلِّص الجسم من البولينا السامة.

ويؤدي نقصه إلى: التهابات جلدية. تساقط الشعر. إفرازات دهنية.

أهم مصادره

الكبد، واللبن، والبيض، والجزر، والسبانخ، والخميرة.

الحاجة اليومية: ١٠ ميكروجرام.

وهناك فيتامينات أخرى كثيرة منها: B.., B.., B.., B..., B..، والبيوس، أو فيتامين P، والكولين، وغيرها.

الحاجة اليومية للفيتامينات

يحتاج جسم الإنسان يوميًّا إلى كمية من الفيتامينات ليقوم بوظائفه على خير وجه، وإذا نقصت كمية الفيتامين عن المطلوب أدى ذلك إلى ظهور أعراض وأمراض عديدة، ويختزن جسم الإنسان عادةً بعض الفيتامينات، ويدخرها ليستعملها حين الحاجة، أما بعضها الآخر، فلابد من تناولها بشكل يومي، ويختلف مقدار ما يحتاجه الجسم من الفيتامينات من حالة إلى حالة؛ حيث تزداد الكمية اللازمة في حالات المرض والنمو والبلوغ، وحسب حجم الإنسان ووزنه، وحسبما يقوم به من أعمال فكرية وعضلية، وفي حالات الحمل والرضاعة وغيرها.

ويجب أن يحصل الإنسان على حاجته من الفيتامينات من الطعام، وتعتبر الأقراص والكبسولات الجاهزة التي تُباع في الصيدليات داعمة ومساعدةً خاصة في حالات الحاجة الشديدة، والحالات المرضية.

الأملاح المعدنية

يُوجد العديد من الأملاح المعدنية التي يحتاجها الجسم البشري، ولكن نخصُّ بالذكر أهمها، وهي:

الصوديوم

عنصر هام جدًا للحياة وللوظائف العضوية المختلفة، ويوجد في مادة البروتوبلازم الحيوية في الخلايا الحية، وفي جميع السوائل الحيوية.

أهم مصادره

ملح الطعام (كلوريد الصوديوم)، واللحوم، والقمح، والشعير، والبيض، والبقول.
الحاجة اليومية: حوالي ١٠ جم من ملح الطعام يوميًا.

البوتاسيوم

لا يقل أهمية عن الصوديوم، حيث يدخل في تركيب العضلات وكرات الدم، وهامٌّ جدًا للأعصاب والشرايين

مصادره

يوجد في البقول، والشعير، والقمح، واللحم، والبندورة.

أعراض نقص الصوديوم والبوتاسيوم:

سرعة التعب الفكري والعضلي، واختلاجات، وتشنجات في العضلات، وضعف المقاومة للأمراض، وتسوء حالة الفم والأسنان، وغيرها.

الحديد

يدخل الحديد في خلايا الجسم، خاصة الهيموجلوبين الداخل في تركيب كرات الدم الحمراء، حيث يساعد الهيموجلوبين في نقل الأكسجين من الرئة إلى أنسجة الجسم المختلفة، ويؤدي نقصه إلى فقر الدم.

أهم مصادره

اللحوم، والبيض، والخميرة، والعنب، والبلح، والتين، واللوز، والجوز، والموز، والسبانخ، والخس، والبقدونس.

الكالسيوم

عنصر هام لبناء العظام والأسنان والأظافر، ويؤدي نقصه إلى الكساح، ونخر الأسنان، وتقوس العظام، وآلام عضلية وتشنجات، ويؤدي نقصه إلى النزيف.

أهم مصادره

اللبن ومشتقاته.

الفوسفور

يدخل في تركيب العظام والأسنان، ويساعد على نشاط المخ والأعصاب.

أهم مصادره

النخاع، والبيض، والكبد، والسمك، واللبن.

الماغنسيوم

يدخل في تركيب جميع خلايا الجسم.

أهم مصادره

المشمش، واللوز، والتمر، والخضروات الطازجة، تتراوح الحاجة اليومية بين (٥٠-٢٥٠) ملجم للأطفال والصغار، وبين (٢٥٠- ٤٥٠) ملجم للبالغين.

اليود

يوجد بكثرة في الغدة الدرقية؛ حيث يساعد على إفراز الهرمونات الدرقية، ويؤدي نقصه إلى انحطاط القوة والخمول، وإلى تضخم الغدة الدرقية. (حيث إن اليود مُنشِّط للجسم عامة، ويساعد في مقاومة الأمراض).

وأهم مصادره

الأغذية البحرية، ويوجد بكميات بسيطة في السبانخ والجزر والبندورة وغيرها.

الزنك

يساعد على حفظ نسبة السكر في الدم، ويقاوم العديد من الأمراض، بالإضافة إلى

وظائف أخرى.

وأهم مصادره

اللحوم البحرية (الأسماك)، والكبد، والذرة.

الفلور

يدخل في تركيب العظام والأسنان، ويكسبها صلابة ومناعة.

أهم مصادره

الخس، والبيض، والأسماك.

كما يوجد العديد من الأملاح المعدنية الأخرى، ولكن أهمها ما ذُكر.

غذاء الرضع

حضَّ القرآن الكريم على الرضاعة الطبيعية للأطفال، ثم أثبت العلمُ الحديث أهمية لبن الأم لتحسين تغذية المولود والوقاية من العدوى، ومن أمراض الحساسية والفم، وأيضًا لوقاية الأم من مشاكل الثدي، والعمل على استقرار الرحم بعد الولادة والمساعدة في تنظيم الحمل، ولتوفير الإحساس بالدفء والأمومة للرضيع.

آياتٌ معجزة

قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [لقمان: ١٤].

وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٥]

من لطائف الآيات

لو تأملنا في أيات الرضاع الثلاث لتبيَّن لنا مدى الدقة الإعجازية في التعبير عن ثلاث أحوال للحمل والولادة بتعبيرات تتطابق مع كل حالة:

فالحالة الأولى: (كما في الآية الأولى) حيث الحمل والولادة والأم والمولود في أحسن حالٍ يكون الرضاع لمدة حولين كاملين.

والحالة الثانية (كما في الآية الثانية) حيث تكون الأم ضعيفة البنية والصحة، ولكن الحمل والولادة قد سارا بسلامٍ تكون مدة الرضاعة عامين دون اشتراط إكمالهما تبعًا لقدرة الأم.

والحالة الثالثة (كما في الآية الثالثة) مجموع فترة الحمل والرضاع إلى ثلاثين شهرًا، وقد يطول الحمل، بمشقة شديدة في هذه الحالة إلى تسعة أشهر، وهنا ينبغي تقليل مدة الرضاعة تيسيرًا على الأم إلى أقل من واحد وعشرين شهرًا، ومن ناحية أخرى يمكن أن نستنبط من الآيات أن الحدَّ الأدنى للحمل ستة أشهر وهو ما ثبت علميًّا.

القرآنُ يُقرِّرُ .. والعلمُ يُصدِّقُ

لبنُ الأم به نسبة عالية من البروتينات والسعرات الحرارية، ومن الأملاح والأجسام المضادة للأمراض، وهو دائمًا معقم (تعقيمًا ربانيًّا) يخرج في درجة حرارة تناسب الرضيع صيفًا وشتاءً (ضبطُ رباني لدرجة حرارة اللبن صيفًا وشتاءً).

يتغير لبنُ الأم في تركيبه منذ لحظة الولادة، فلبن الأيام الثلاثة الأولى (المسمى باللبأ، أو الكلوستروم) به نسبة عالية من البروتينات والمضادات الحيوية التي تحمي المولود في هذه المرحلة المبكرة، ثم يتطور تركيبه مع احتياجات الرضيع وقدرته على تمثيل الغذاء (سبحان مَنْ خلق فسوَّى، وقدَّر فهدى) وذلك طوال فترة الرضاعة، وتفرز الأمُ المرضع هرمون (البرولاكتين) **Prolactin** الذي يعمل على عودة الرحم إلى طبيعته، كما أن الإفراز المستمر للبن بالإرضاع يحمي الأم من الخراريج المزمنة التي يسببها تجمع اللبن بالثدي والتي تزيد من احتمالية حدوث أورام حميدة أو خبيثة بالثدي، ومن العجيب أن العلم الحديث جاء مؤخرًا ومتأخرًا في العصر الحديث ليقرر أن سرطان الثدي يكثر حدوثه عند النساء اللاتي لم يتزوجن، واللاتي تزوجن ولم ينجبن، واللاتي أنجبن ولم يُرضعن (رضاعةً طبيعية) (فسبحان الذي أعطى كل شيءٍ خلقه ثم هدى) فقامت الحملات والبرامج

العالمية المنظمة لنشر الوعي والتأكيد على مواصلة الرضاعة الطبيعية طوال العامين الأولين من حياة الطفل كما حددها القرآن حفاظًا على صحة الأم والطفل، إلى جانب دورها كوسيلة ثانوية لتنظيم الحمل(إما إراديًا لضمان استمرار لبن الأم، أو لا إراديًا حيث يعمل الإرضاع الطبيعي في كثير من الأحيان على تأخير عودة الدورة الشهرية للأم المرضع[1]، ويُقال: إن لبن الأم إذا أفرغ من الثدي وأعطي في زجاجة صار أقلَّ فائدةً منه إذا أرضع للطفل مباشرةً.

لبنُ الأم لا يُقارن بألبان البقر

قد ثبت أن تركيب لبن الأم يجاري حاجات الأنسجة الآخذة في النمو عند الطفل الرضيع، ويحتوي على مواد زلالية تشبه في تركيبها المواد الزلالية التي تكون في جسم الطفل، وهذه المواد لا تؤدي إلى أية حالات مرضية تحدثها مثل هذه المواد الموجودة في لبن البقر مثلًا لاختلاف تراكيبها عن تراكيب مواد الطفل ... ومقدار هذه المواد وغيرها من الفوسفور والكالسيوم والموجودين في لبن الأم هو على التحقيق أدقُّ ملائمةً لحاجات الطفل من أي تلفيق صناعي ممكن.

لبن الأم أصح من أي لبن صناعي آخر

إن الثابت أن الغذاء الطبيعي هو لبن الأم، وأن لبن أية امرأة أخرى صحيحة، يكون سنُّ ابنها كسنِّ الرضيع الذي ترضعه، وقد ثبت أن لبن الأم أصحُّ غذاءٍ من كل أنواع اللبن الصناعي، حتى ومن اللبن الطبيعي مهما كانت درجة تركيز مكوناته متقاربة ومتشابهةً مع لبن الأم، الأمر الذي أدى إلى أن ينصح الأطباء بالرضاعة الطبيعية، والكتب الحديثة في أمراض الأطفال قد أيّدت هذا الرأي.

صدق أو لا تصدق

(عدد الوفيات عند الأطفال الذين يرضعون صناعيًّا أكثر عشرة أضعاف من ذوي الرضاعة الطبيعية)

---

(١) البرهان العلمي للإسلام (١٢٩ - ١٣١) بتصرف.

قال الدكتور (إلكسيس كاربل): إنه يهيب بالأمهات أن يؤدين ما خُلقن له، فإن لبن الأم حقٌّ طبيعيٌّ للطفل، وقد ثبت من الفحص الطبي أن عدد الوفيات في الأطفال الذين يرضعون بطرقٍ صناعية عشرة أضعاف عدد الوفيات في الذين يرضعون رضاعةً طبيعية من أمهاتهم، وإن الرضاعة الطبيعية إضافةً إلى أنها تُقلل عدد مَنْ يموت من الأطفال فإنها تجعل الطفل أقلَّ مرضًا، كما تمنحه قدرةً على الصبر وسكينة النفس، بينما تسبب الرضاعة الصناعية علاوةً على أمراض الجهاز الهضمي بروز الفك العلوي، وتشوه الأنف، وتفلطح قبوة الفم، مما يؤثر على نبت الأسنان، ويُعرض الرضيع لتلوث اللوزتين والبلعوم والآذان والجيوب الأنفية[1].

الرضاعة الطبيعية والإدراك العقلي للأطفال

أكد البحث الذي نشرته مجلة **Pediatric clinicla of North America** في شهر فبراير ٢٠٠١م.

أن المدارك العقلية عند الأطفال الذي رضعوا من ثدي أمهم رضاعةً عديدةً هي أعلى من الذين لم يرضعوا من ثدي أمهم،وأنه كلما طالت مدة الرضاعة الطبيعية زادت تلك المدارك العقلية في كل سنين الحياة.

توصيات منظمة الصحة العالمية ومنظمة اليونسيف والأكاديمية الأمريكية

أقرت مؤخرًا منظمةُ الصحة العالمية ومنظمة اليونسيف إلى أن الرضاعة الطبيعية يجب أن تستمر عامين اثنين، وأصدرت دعوتها للأمهات في العالم أجمع أن يتبعن تلك التوجيهات، كما دعا مقالٌ نُشر في إحدى المجلات الأمريكية **Pediatric clinics of North America** شهر فبراير ٢٠٠١م، دعا النساء في أمريكا إلى اتباع توصيات الأكاديمية الأمريكية لطب الأطفال، والتي تدعو للاستمرار في الرضاعة الطبيعية لمدة (١٢) شهرًا على الأقل، وأن الأولى من ذلك اتباع توصيات منظمة الصحة العالمية بالرضاعة لحولين كاملين... أليس هذا ما جاء في القرآن الكريم قبل أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان؟! وتأتي البحوث الطبية المتأخرة لتثبت أن فترة الرضاع لمدة عامين كاملين ضرورية لنمو

---

(١) الله والعلم الحديث - والإشارات العلمية (١٣٣- ١٣٤) بتصرف.

الطفل نموًّا سليمًا.

الرضاعةُ الطبيعية وقاية للطفل وأمه من الأمراض

أكدت الدراسات الحديثة أن الرضاعة الطبيعية المديدة من لبن الأم تقي من العديد من الالتهابات الفيروسية والجرثومية، كما أنها تقلل من حدوث سرطان الدم عند الأطفال وكلما طالت مدة الرضاعة الطبيعية زادت قوة الوقاية من هذا النوع من السرطان، وليس هذا فحسب، بل إن الرضاعة الطبيعية تقي أيضًا من سرطان آخر يصيب الجهاز الليمفاوي في الجسم ويُدعى **Lymphoma** (السرطان الليمفاوي).

مقارنة بين الرضاعة الطبيعية والصناعية

١- تركيب الحليب: يتطور تركيب حليب الأم من يوم لآخر بما يلائم حاجة الرضيع.

٢- الهضم: لبن الأم أسهل هضمًا لاحتوائه على خمائر هاضمة تُساعد خمائر المعدة عند الطفل على الهضم، وتستطيع المعدة إفراغ محتواها منه بعد ساعةٍ ونصف، وتبقى حموضة المعدة طبيعية ومناسبة للقضاء على الجراثيم التي تصلبها بينما يتأخرً هضمُ خثرات الجبن في حليب البقر لمدة ثلاث إلى أربع ساعات، كما تنقص الأملاحُ الكثيرةُ الموجودة في حليب البقرة حموضة المعدة، مما يسمح للجراثيم وخاصةً القولونية بالتكاثر مما يؤدي للإسهال والقيء.

٣- الطهارة والتعقيم: حليب الأم معقم، ويندر أن يخلو الحليب الصناعي من التلوث الجرثومي، وذلك ما يحدث إما عن عملية الحلب، أو بتلوث زجاجة الرضاعة.

٤- درجة الحرارة: درجة حرارة لبن الأم ثابتة وملائمة لحرارة الطفل، ولا يتوفر ذلك دائمًا في الرضاعة الصناعية.

٥- الرضاعة الطبيعية أقل تكلفةً أو غير مكلفة بمعنى أدق، من الرضاعة الصناعية التي ربما يصل الوالد معها أحيانًا، أو كثيرًا إلى العجز عن الإنفاق فيها، ويزداد ثمنُ اللبن الصناعي يومًا بعد يوم.

٦- الأجسام المضادة، يحتوي لبنُ الأم على أجسام مضادة نوعية، تساعد على مقاومة الأمراض، وتواجد هذه النسبة أقلّ بكثير في حليب البقر، كما أنها تكون غير نوعية، ولهذا من الثابت -علميًّا أو عمليًّا- أن الأطفال الذين يرضعون من أمهاتهم أقلُّ عرضة

للانتفاخات والاضطرابات المعدية والمعوية من هؤلاء الذين يعتمدون على الرضاعة الصناعية.

٧- الرضاعة الطبيعية تدعم وتحافظ على البكتيريا النافعة في الأمعاء والتي لها دورٌ فعَّالٌ في امتصاص الفيتامينات وغيرها من العناصر الغذائية (**Bacteria Flora**) بينما لا يحدث هذا في الرضاعة الصناعية.

٨- الرضاعة الطبيعية آمنةٌ للطفل الرضيع لا تسبب له مشاكل هضمية ولا اضطرابات باطنية، بينما الصناعية يكثر معها الإسهال والمغص والقيء وسوء الهضم والاضطرابات المعوية والمعدية.

٩- الإصابة بالأمراض وعلاقتها بالرضاعة: يُهيئ الإرضاع الصناعي الطفل للإصابة بأكثر من نوع من الأمراض كالتهابات الجهاز التنفسي، والتهابات الأذن الوسطى والتهابات الجهاز الهضمي واضطراباته وقلة المناعة ومقاومة الأمراض، وكل هذا يفسر لنا: لم تزداد نسبة الوفيات عند الأطفال الذين يعتمدون على الرضاع الصناعية . عشرة أضعاف عن هؤلاء الذين يرضعون طبيعيًا من أمهاتهم؟ .. **ألا ترى في كل ما سبق** ذكره إعجازًا قرآنيًا وسبقًا إعجازيًا[١].

---

(١) مع الطب في القرآن الكريم، د عبد الحميد دياب، ومقالة الدكتور حسان شمس، وموسوعة الإعجاز في القرآن والسنة. **www.٦٥a.net** (بتصرف).

ثانيًا: أطعمة وأشربة مفيدة
(مرتبة هجائيًا)
(أ)
أترج

فوائد قشره

١ - إذا وضع في الثياب منع السوس
٢ - يطيب نكهة الفم.
٣- يحلل الرياح ويعالج الانتفاخ
٤ - يساعد على الهضم.
٥ - عصارة قشره تنفع من نهش الأفاعي شربًا.

فوائد لحمه

١ - مُلَطِّف للحرارة
٢ - مفيد في علاج الصفراء.
٣- مفيدٌ في علاج البواسير.

فوائد حمضه وعصيره

١ - مفيد في علاج الصفراء
٢ - قاطع للقيء.
٣- فاتح للشهية، ومقوٍّ عام.
٤ - مُسكِّن للشهوة.
٥ - مُلَطِّف للكبد ومُسكِّن للعطش.
٦ - يقي من السموم القاتلة (دهانًا، وأكلًا).
٧- يذهب القوباء (الخراز).
٨- ينفع في علاج الكلف.

الإسفانخ (السبانخ)

فوائدها

١ - تفيد في علاج فقر الدم (الأنيميا).
٢ - تحتوي على العديد من الفيتامينات.

٣- تفيد في علاج الحروق البسيطة.

الأناناس

فوائده

١- مقوٍّ جنسي.
٢- يفيد في علاج فقر الدم.
٣- يفيد في علاج السمنة والبدانة.
٤- يفيد في علاج الانزلاق الغضروفي.
٥- يعالج عسر الهضم.
٦- يفيد في علاج تصلب الشرايين.
٧- ينفع من التهاب المفاصل.٨
-يقي من آثار السموم وأضرارها.
٩- يفيد البشرة، ويكسبها نعومةً ونضارة.

أنيسون (ينسون)

فوائدها

١- طارد للرياح.
٢- يفيد في الهضم.
٣- يسكِّن السعال، ويفيد في علاج الربو والنزلات الشعبية.
٤- يدرُّ الحيض ويدرُّ البول، ويدرُّ اللبن عند المرضعات.
٥- يفيد في علاج الإسهال والمغص.
٦- زيت الينسون يقضي على قمل الرأس.

(ب)

بابونج

فوائده

١- يعالج الإسهال، ويزيل المغص، ويُطهِّر الفم.
٢- يوقف السيلانات المهبلية عند النساء.
٣- يسكن الآلام الروماتيزمية.
٤- يفيد في علاج النقرس.

٥- يفيد الأحبال الصوتية، والحنجرة، ويعالج بحة الصوت.

٦- يعالج الصداع النصفي، وينفع عند الزكام.

٧- يفيد في علاج الحكة الجلدية، والإكزيما.

٨- يمنع حرقان البول، ويسكن الآلام المصاحبة للطمث.

٩- يعالج التهابات الجفون، والتهابات الأذن.

١٠- يصبغ الشعر باللون الأصفر.

باذنجان

فوائده

١- يفيد في علاج السمنة والبدانة.

٢- يفيد في علاج المغص الكلوي والتهابات الكلى.

٣- يفيد في علاج عسر الهضم.

٤- تستخدم أوراقه كضمادات تلطِّف الحروق والخراريج وتنفع عند البواسير والقوباء.

برتقال

فوائده

١- يحتوي على فيتامين (C)، ويقي من نزيف اللثة.

٢- يساعد على التسنين (إنبات الأسنان) عند الأطفال.

٣- عصيره مهضمٌ وفاتحٌ للشهية.

٤- ويفيد عصيره في إدرار البول، وطرد السموم.

٥- ويفيد العصير أيضًا في طرد البلغم، وخفض الحرارة، ويسكن العطش.

٦- يفيد منقوع قشوره في علاج المغص وآلام المعدة، ويوقف القيء والنزيف، ويقضي على الغثيان.

بصل

فوائده

١- يحتوي على العديد من الفيتامينات، والأملاح المعدنية المفيدة.

٢- ويفيد في علاج الربو، والتهابات الرئة.

٣- ويفيد في علاج الزكام، والسعال، والأنفلونزا.

٤- مقوٍّ جنسي، ومدر للبول.

٥- يفيد في علاج التهاب البروستاتا.

٦- ينفع عند الصداع، والشقيقة.

٧- يفيد في علاج الروماتيزم وتخفيف الآلام، والتئام الكسور.

٨- يفيد في علاج الكدمات، والرضوض، والدمامل، والخراريج، والثآليل، والجروح، والإكزيما، والثعلبة.

٩- ينفع عند الدوالي.

١٠- يفيد في علاج التهابات الأذن، والطنين.

١١- ينفع من الضغط الدموي المنخفض، والذبحة الصدرية، والجلطات الدموية، وزيادة الكوليسترول بالدم.

١٢- يفيد في نشاط الجسم، والدورة الدموية، والحيوية.

١٣- مهدِّئ، وينفع من الأرق والقلق.

١٤- ينفع عند السمنة والبدانة.

١٥- يفيد في علاج الإمساك، والمغص الكلوي.

١٦- مساعد في الهضم، وطرد الغازات، كما أنه طاردٌ للديدان.

بطاطا

تفيد في علاج قرحة المعدة والتهاباتها.

بطيخ

قال عنه قدماء الأطباء: (إنه قبل الطعام يغسل البطن غسلًا، ويذهب بالداء أصلًا).

بقدونس

فوائده

١- يحتوي على العديد من الفيتامينات، والأملاح المعدنية.

٢- هاضم وفاتح للشهية.

٣- يدرُّ البول، وينظم الدورة الشهرية، ويمنع السيلانات المهبلية عند النساء.

٤- يفيد في علاج أمراض الكبد، والصفراء.

٥- ينشط الجهاز العصبي، والتناسلي.

٦- يفيد في علاج العديد من الأمراض الجلدية، كالإكزيما، وينفع من الرضوض

والكدمات.

٧- ينشط الدورة الدموية، ويخفض الحرارة، وينفع عند الحمى.

٨- يفيد في علاج التهاب المفاصل والروماتيزم.

٩- طارد للديدان، ويفيد في علاج الحموضة المعدية.

١٠- ينفع عند آلام والتهابات الكلى، والمثانة، والمسالك البولية، ويفيد في علاج الحصوات البولية.

١١- يفيد في علاج لسع الحشرات.

١٢- ينفع عند التهاب العنين واحتقان الثديين.

بلح

فوائده

١- يفيد في علاج الإسهال، ويوقف القيء.

٢- يشدُّ الأعصاب، ويُقوِّيها.

٣- يدرُّ البول، ويطرد الحصوات الصغيرة.

٤- إذا طبخ ماء البلح مع ماء الحصرم يذهبا بالجرب.

بن (قهوة)

فوائده

١- يدرُّ البول، وينفع عند الحصوات البولية الصغيرة.

٢- يفيد في علاج السعال، والنزلات الشعبية.

٣- ينفع في علاج الجدري والحصبة.

(ت)

ترمس

فوائده

١- يُقوِّي البصر، ويعالج الصداع.

٢- يوسِّع الشعب، ويعالج السعال، ويزيل البلغم.

٣- يفيد في طرد الديدان.

٤- يخفِّض نسبة السكر في الدم، ويفيد في علاج مرضى السكر (خاصةً إذا استعمل مع الحلبة على الريق).

تفاح

فوائده:

١ - يحتوي على العديد من الفيتامينات.

٢ - يفيد في علاج فقر الدم، والضغط الدموي المرتفع.

٣ - ينفع عند التيفويد.

٤ - يفيد في علاج الحصوات البولية وطردها.

تمر

فوائده

١ - مقوٍّ جنسي.

٢ - يُقوِّي الكبد، ويفيد في كثير من الأمراض.

٣ - مليِّن، وينفع عند الإمساك.

٤ - مهدِّئ للأعصاب، وينفع عند التهاب الحلق وخشونة الصوت.

٥ - طارد للديدان.

تمر هندي

فوائده

١ - مليِّن، ومرطب، ومزيل للحموضة، وطارد للديدان.

٢ - يخفِّض الحرارة وضغط الدم.

٣ - مهدِّئ للأعصاب.

تين

فوائده

١ - يفيد في علاج الزكام، والنزلات الشعبية.

٢ - يعالج فقر الدم (الأنيميا).

٣ - ينفع من التهابات الفم والبلعوم.

٤ - يدرُّ الحيض.

٥ - يفيد في علاج الكساح.

تين شوكي

يفيد في علاج الإمساك لتأثيره المليِّن.

(ث)

ثوم

فوائده

١ - مقوٍّ جنسي.
٢ - مطهر للفم والبلعوم والجهاز الهضمي.
٣ - يُقوِّي المناعة، وينشط الدورة الدموية.
٤ - يفيد في علاج الزكام، والسعال، والنزلات الشعبية.
٥ - ينفع مرضى الربو، وضيق التنفس والبلغم.
٦ - ينقي البشرة، ويُحمِّر الوجه، ويحفظ الصحة.
٧ - يُقوِّي الأسنان، ويفيد في تسكين الآلام.
٨ - يفيد في علاج آلام الأذن.
٩ - طارد للديدان والرياح والغازات.
١٠ - يخفِّض الضغط الدموي، ويقي من تصلب الشرايين.

(ج)

جرجير

فوائده

١ - يفيد في علاج داء الإسقربوط.
٢ - ينفع عند الكلف.
٣ - طارد للحصوات البولية، ويفيد في علاج النقرس.
٤ - يدرُّ الحيض، ويعالج الاستسقاء.
٥ - يفيد في علاج التسمم بالنيكوتين.

جزر

فوائده

١ - منشِّط ومقوٍّ للذاكرة. ٢ - مهدِّئ للأعصاب.
٣ - يدرُّ اللبن عند المرضعات. ٤ - يفيد في علاج قرحة المعدة.
٥ - طارد للديدان، ويفيد في علاج الإسهال عند الرضع والأطفال.

جوز

فوائده

١- يعالج الكساح.

٢- يوقف السيلانات المهبلية.

٣- يوقف إفراز اللبن عند الفطام.

٤- يقلل إفراز العرق.

٥- يُقوِّ الشعر، ويصبغه بالسواد.

(ح)

حبهان

فوائده

١- مقوٍّ جنسي.

٢- طارد للغازات، ويدرُّ الحيض، ويزيل المغص.

خرشوف

فوائده

١- يفيد في علاج النقرس.

٢- ينفع عند أمراض الكبد.

٣- طارد للحصوات البولية.

حلبة

فوائدها

١- مقوٍّ جنسي.

٢- طاردة للرياح، وطارة للديدان.

٣- تنفع عند الإمساك واليرقان.

٤- تفيد في علاج فقر الدم (الأنيميا).

٥- تعالج الدفتيريا، والخراجات.

٦- تدرُّ الحيض، وتفيد في علاج البواسير.

٧- تدرُّ اللبن عند المرضعات.

٨- تفيد في علاج السعال، واحتقان الحلق واللوزتين، والربو، وضيق التنفس،

وتزيل البلغم، وتُليِّن الحلق والصدر والبطن.

حماض

فوائده

١- يفيد في علاج الإمساك واليرقان.
٢- ينقي الدم وينشط الدورة الدموية.

حمض

١- يعالج الصداع والشقيقة.
٢- يفيد في علاج السعال وبحة الصوت.
٣- ينفع من أوجاع الصدر والظهر.
٤- طارد للديدان.
٥- يُقوِّي الشعر ويُصلحه.

(خ)

خباز

فوائده

١- يعالج السعال.
٢- يفيد في علاج التهاب الحلق واللوزتين.

خسّ

فوائده

١- مهضم.
٢- يفيد في علاج التهاب العينين والجفون.
٢- يفيد في علاج الدمامل، والقرح، والحروق.
٤- يفيد البشرة، وينضِّر الوجه.

خلّ

فوائده

١- يعالج الصداع.
٢- يفيد في علاج الدوالي، والقروح، والحروق، والجروح.
٣- يفيد في علاج الثعلبة، والقوباء، والطفح الجلدي.

٤- يسكن الآلام (خاصة آلام لسع العناكب، والبعوض، والزنابير).
٥- يوقف السيلانات المهبلية.
٦- يقي ويعالج من تصلب الشرايين.

خيار

فوائده
١- يُقوِّي الذاكرة.
٢- يُفتت الحصوات ويطردها، ويدرُّ البول.
٣- ينفع عند حرقان البول.
٤- يفيد في علاج السعال وأمراض الصدر.
٥- يسكن الصداع.
٦- يفيد في علاج النقرس وتسكين الآلام.
٧- يفيد في علاج السمنة والبدانة.
٨- عصيره يقضي على حشرات الرأس، ويُسكِّن العطش.
٩- يفيد قشره في نضارة البشرة ونعومتها، وإزالة التجعدات.

(ر)

رمان

فوائده
١- مقوٍّ جنسي.
٢- ينقي الدم ويُقوِّي القلب.
٣- يقطع الإسهال، ويمنع القيء، ويسكِّن الصفراء.
٤- يفيد في علاج عسر الهضم، وأمراض الصدر، وضيق التنفس والسعال.
٥- طارد للديدان، ومطهر للأمعاء.

(ز)

زبيب

فوائده
١- يذيب البلغم ويُطيِّب الفم.
٢- يفيد البشرة، ويُحمِّر اللون.

٣- يُقوِّي الذاكرة، ويعالج النسيان.
٤- مهدِّئ للأعصاب، ومُسكِّن للسعال.
٥- يُقوِّي المعدة، ويلين البطن، وينفع عند الإمساك.
٦- ينفع في علاج آلام الكلى والمثانة.
٧- ينفع عند وجع الحلق والصدر والرئة.

زنجبيل

فوائده

١- مقوٍّ جنسي.
٢- مهضم، وملين للبطن.
٣- طارد للرياح، ومذيب للبلغم.
٤- منشِّط للذاكرة، ومفيد للحفظ.

زيتون

فوائده

١- يخفِّض سكر الدم.
٢- يُطهِّر الفم، ويعالج قرحات الفم والتهاب الحلق.
٣- يفيد في علاج الكساح والبرص.
٤- يفيد في علاج فقر الدم والكبد.
٥- يفتت الحصوات، ويمنع سقوط الشعر.

(س)

سعتر (زعتر)

فوائده

١- مقوٍّ عام، وينفع من الدوار.
٢- مطهر للفم، و مقوٍّ للثة.
٣- مُسكِّن للمغص،وطارد للغازات.
٤- مُسكِّن للصداع، وينفع من الشقيقة.
٥- يعالج تشققات الثدي، ولسع الحشرات.
٦- يعالج السعال، والربو الشعبي.

٧- يُسكِّن آلام المفاصل والروماتيزم.
٨- يدرُّ البول ويدرُّ الحيض.
٩- يُقوِّي الشعر ويمنع تساقطه.

سلق

فوائده

١- يفيد في علاج الصداع، والنقرس، وآلام المفاصل.
٢- ينفع من داء الثعلب، والكلف، وقشر الشعر، والقمل.
٣- يعالج الإمساك، وعسر الهضم، والقولون، والبواسير.
٤- يمنع آلام الكلي والمثانة، والتهابات المجاري البولية.

سمسم

فوائده

١- يُنقِّي الصوت، ويعالج بحة الصوت وخشونته.
٢- يدرُّ الحيض، ويفيد الكلي.
٣- يعالج النحافة والهزال.
٤- يطوِّل الشعر ويصبغه بالسواد.

السوس (العرقسوس)

فوائده

١- مقوٍّ جنسي.
٢- يفيد في علاج التهابات الحنجرة، والسعال، وطارد للبلغم.
٣- يعالج التهاب المفاصل، والنقرس، وآلام الروماتيزم.
٤- يعالج التهابات الكلى والمثانة، وحرقان البول، ويدرُّ البول.
٥- مهضم، وينفع من الإمساك.
٦- يعالج البواسير، ويفيد في علاج القرحة المعدية.

(ش)

الشاي

فوائده

١- مهضم، وينفع من التهابات الحنجرة واللوزتين.

٢- منشِّط ومنبه للجهاز العصبي.
٣- يقاوم نخر الأسنان وتسوسها.

شبت

فوائده

١- يدرُّ اللبن عند المرضعات.
٢- يدرُّ البول، ويفتت الحصوات، ويدرُّ الحيض.
٣- يفيد المعدة، والكبد والطحال.
٤- ينفع من الفالج، واللقوة، والفواق.
٥- مهضم، ومُسكِّن للمغص.
٦- مهدِّئ للأعصاب، ومزيل للأرق.
٧- يقطع البلغم، ويعالج السعال.
٨- يفيد في علاج البواسير.

شمر

فوائده

١- مقوٍّ جنسي.
٢- يعالج السعال بأنواعه، والربو الشعبي.
٣- يدرُّ اللبن عند المرضعات.
٣- يفيد في علاج الإمساك.

الشونيز (حبة البركة)

فوائدها

١- مقوٍّ عام، وتُنشِّط الذهن، وتقوي الذاكرة.
٢- مقوٍّ جنسي.
٣- تُسَكِّن الصداع، وتهدئ الأعصاب.
٤- تنفع من الدوار والغثيان.
٥- تُسكِّن آلام الأسنان، وآلام الأذنين، وآلام المفاصل.
٦- تُخفِّض الضغط الدموي والسكر بالدم.
٧- تفيد في علاج التهابات الكلى والمثانة، والتبول اللاإرادي.

٨- تعالج السعال، والربو، وأمراض الصدر.

٩- طاردة للرياح، ومزيلة للمغص والتقلصات، وطاردة للديدان.

١٠- تعالج الحموضة والتهاب القولون والقرحة.

١١- فاتحة للشهية ومهضمة.

١٢- مقوِّية للمناعة.

١٣- تدرُّ البول.

١٤- تُنشِّط القلب والدورة الدموية.

١٥- تجلو البصر وتُنضِّره، وتنضِّر البشرة، وتمنع تساقط الشعر.

١٦- تفيد في علاج الثعلبة، والقوباء، وحب الشباب، والبرص، والبهاق.

١٧- تفيد في علاج التهابات البروستاتا، والعقم.

١٨- تفيد في علاج الكدمات والرضوض.

(ط)

طماطم

فوائدها

١- غنية بفيتامين (ج)، وأملاح معدنية عديدة.

٢- تفيد في علاج البواسير.

٣- هاضمة.

٤- تفيد في إزالة الكاللو.

(ع)

عدس

فوائده

١- يعالج فقر الدم.

٢- يطرد الديدان.

٣- يعالج الخراجات المتورمة والملتهبة.

عناب

فوائده

١- يُقوِّي الكبد، وينفع المعدة والكلى.

٢- يمنع القيء والغثيان.

٣- يسكِّن العطش، ويرطب البدن.

٤- يفيد في علاج السعال، وأمراض الصدر والحلق.

٥- يفيد في التئام القرح.

٦- يعالج الحكة، وله أثرٌ مُلَطِّف.

عنب

فوائده

١- مقوٍّ ومُنشِّط عام.

٢- يعالج فقر الدم.

٣- يفيد في علاج أمراض الكبد والصفراء.

(ف)

فجل

فوائده

١- مهضم، وطاردٌ للرياح.

٢- يفيد في علاج السعال.

٣- ينضر الوجه، وينبت الشعر، وينفع من البهاق.

٤- يفيد في تسكين أوجاع المفاصل وآلامها والنقرس.

٥- يفيد في علاج نزيف اللثة (داء الإسقربوط).

٦- يفيد في تفتيت الحصوات البولية.

٧- يُقوِّي السمع، ويسكِّن آلام الأذن.

٨- يفيد في علاج أمراض الكبد، والتهابات المسالك البولية.

الفراولة

فوائدها

١- مهضمة، ومُنشِّطة للمعدة، وتفيد في علاج الإمساك.

٢- تفيد في علاج المفاصل، والروماتيزم، والنقرس.

٣- مهدِّئة للأعصاب، وتفيد في علاج أمراض الكبد والسل والإسهال، وتفتت الحصوات البولية.

٤- تدرُّ البول، وتضاد تأثير السموم.

فول الصويا

فوائده

١- يحتوي على العديد من الفيتامينات والأملاح.

٢- مقوٍّ عام.

٣- يفيد في علاج فقر الدم.

٤- يخفِّض سكر الدم.

٥- ويفتت الحصوات البولية.

(ق)

قرفة

فوائدها

١- منشِّط و مقوٍّ جنسي.

٢- مدفئ في الشتاء والبرد.

٣- ينشط الدورة الدموية.

قرنبِّيط

فوائده

١- مقوٍّ عام.

٢- يزيل بحة الصوت (مع العسل).

٣- طارد للديدان. ٤- يذيب البلغم.

قرنفل

فوائده

١- يذيب البلغم، ويجلو الصوت.

٢- يمنع الفواق (الزغطة)، ويقطع القيء والغثيان.

٣- مقوٍّ جنسي.

٤- منشِّط للمخ والدورة الدموية.

٥- يُقوِّي الكبد والطحال.

قصب السكر

فوائده

١ - مهضم، ويفيد في علاج السعال.

٢ - يزيد الباه.

٣- يدرُّ البول.

قمح

فوائده

١ - مقوٍّ عام.

٢ - يعالج فقر الدم.

٣- يفيد في علاج الكساح.

(ك)

كاكاو

فوائده

١ - منشِّط للجهاز العصبي والذهن والتركيز.

٢ - يدرُّ البول.

٣- وتفيد زبدة الكاكاو في تلطيف الجلد، وإزالة التشققات في الشفتين والثدي والشرج، وتفيد في علاج السعال، والالتهاب الرئوي والشعبي.

(ل)

لفت

فوائده

١ - يعالج فقر الدم.

٢ - يعالج الفالج واللقوة.

٣- يفيد في علاج السعال والنزلات الشعبية.

٤ - يطرد الرياح، ويدرُّ البول، ويفتت الحصوات.

٥ - ينفع من الكلف، والإكزيما، وحب الشباب.

٦ - يفيد في علاج السمنة والبدانة.

٧- ينفع عند النقرس، والروماتيزم.

لوز

فوائد

١ - منشِّط ومقوِّي عام.

٢ - يعالج القرحة المعدية.

(ك)

كراث

فوائده

١ - منشِّط للجسم و مقوٍّ عام للأعصاب.

٢ - مقوٍّ جنسي.

٣ - يجلو النمش والكلف، ويعالج البرص والثآليل.

٤ - يفيد في علاج القرح ويسكن آلامها.

٥ - يدرُّ البول والطمث.

٦ - يفيد في علاج الربو وأمراض الصدر.

٧ - يزيل البواسير بإذن الله.

كراوية

فوائدها

١ - مهضمة وتنفع عند عسر الهضم.

٢ - طاردة للرياح، ومُسكِّنة للمغص المعوي.

٣ - مُسكِّنة لآلام الروماتيزم وآلام الطمث.

٤ - تدرُّ اللبن عند المرضعات.

٥ - تفيد في علاج نزلات البرد وضيق التنفس.

كرنب

فوائده

١ - يفيد في علاج قرحة المعدة.

٢ - يثبط عمل الغدة الدرقية.

٣ - ينفع في علاج الجروح المتقيحة.

كسبرة

فوائدها

١- مقوٍّ جنسي.

٢- مهضمة، ومانعة للقيء والغثيان والدوار.

٣- طاردة للرياح، ومُلَطِّفة، وطاردة للديدان.

٤- تنفع عند نزيف الأنف (الرعاف) وتوقفه.

٥- تنفع من القروح.

٦- تعالج الإسهال الدوسنتاري.

٧- تُخَفِّض سكر الدم.

كمثرىٰ

فوائدها

تفيد في علاج ضغط الدم المرتفع.

كمون

فوائده

١- مهضم، ومُسكِّن للمغص، وطارد للرياح.

٢- يسكن آلام الأسنان.

٣- يوقف نزيف الأنف (الرعاف).

٤- ينفع عند السموم، ويضاد آثارها.

٥- موسع للشعب، ويفيد في علاج ضيق التنفس.

(ل)

ليمون

فوائده

١- مهدِّئ للأعصاب.

٢- يفيد في علاج السمنة والبدانة.

٣- يفيد في علاج الجروح والقروح، والحكة، والتهاب العينين.

٤- ينفع عند التهابات الحنجرة واللوزتين.

٥- يُقوِّي اللثة، ويوقف نزيفها.

٦- يفيد في علاج البروستاتا والتهاباتها.

٧- طارد للديدان، وينفع عند احتقان الكبد.

٨- طارد للرياح، ومزيل للانتفاخ.

(م)

مشمش

فوائده

١- منشِّط و مقوٍّ عام.

٢- يفيد في علاج فقر الدم (الأنيميا).

٣- يفيد البصر ويُقوِّيه.

الملفوف

فوائده

١- منشِّط ومفيد في علاج فقر الدم.

٢- يفيد في علاج الكساح.

٣- يُقوِّي الأعصاب ويُسكِّن الآلام.

٤- يفيد في علاج التهابات الرئة، والنزلات الشعبية، والسعال.

٥- يفيد في علاج قرحة المعدة.

٦- يفيد في علاج الإكزيما، والجروح والقروح، والكدمات والرضوض.

(ن)

النعناع

فوائده

١- مقوٍّ جنسي.

٢- ينفع عند الصداع ويمنع الفواق (الزغطة).

٣- يعالج التهاب الجيوب الأنفية، وأمراض الكبد.

٤- يفيد في تسكين آلام الأسنان.

٥- ينفع عند الزكام والربو.

٦- طارد للرياح، ومزيل للمغص.

(ي)
يقطين

فوائده

١ - مُلَطِّف ومُسكِّن للعطش.

٢- يقطع البلغم.

٣- ينفع عند التهابات الأذن والعينين.

٤ - يخفض الحرارة، وينفع عند الحمى.

٥ - مليِّن للبطن وينفع عند الإمساك.

٦- يُسكِّن الصداع[(١)][(٢)]

---

(١) الموسوعة الشاملة في الطب النبوي والأعشاب الطبية، للمؤلف.

(٢) معظم المذكور من الأغذية والأشربة الشائعة وليست كلها، ومن أراد الوقوف على كل النباتات والأغذية والأعشاب فليراجع كتابي المذكور.

فوائد بعض الأغذية
في علاج بعض الأدوية

فواكه مفيدة في علاج فقر الدم

الموز: مفيد جدًا إلا أنه عَسِر الهضم.

التفاح: يُنصَح بأكله يوميًا (تفاحة إلى تفاحتين).

العنب: يُفضل أكله على الريق صباحًا.

التمر: يفضل أكله على الريق صباحًا.

المشمش: يؤكل بأنواعه كلها (طازجًا، أو مجففًا). ويمكن تناول مربى المشمش وقمر الدين أيضًا فإنهما مفيدان. ويلاحظ أن المشمش عَسِر الهضم.

التين: يُؤكل منه ١٠٠- ١٥٠ جم يوميًا. ويُفضل التين اليابس. ويفيد التين أيضًا في حالات عسر الهضم، والإمساك.

اللوز: مفيدٌ أيضًا لتقوية النظر والتركيز.

الإجاص: يُفضل أكله قبل الطعام. يحذر من الإكثار من أكله؛ لأن الإكثار يُسبب الإسهال.

الكستناء: تؤكل مسلوقة، أو مشوية. ينبغي مضغها جيدًا، وعدم الإفراط منها. يحذر من أكلها نيئةً؛ لأن ذلك ضارٌّ.

خضروات مفيدة في علاج فقر الدم

١- الخضروات والبقوليات الطازجة: كالفول، والفاصوليا، والملوخية، والخس، وغيرها.

٢- السبانخ (الإسفاناخ)، والعدس، والبازلاء: وتعتبر من أفضل الخضروات فائدةً لعلاج فقر الدم (الأنيميا)، ويلاحظ: أن الإسفاناخ يُحذر تناولها من قِبَل هؤلاء المصابين بالحصوات الكلوية، ومرضى النقرس والروماتيزم.

٣- الحلبة الخضراء: غنية بالفوسفور والبروتين والمواد الدهنية. وتشبه في فائدتها زيت كبد الحوت. ويمكن أكلها مطبوخة مع الماء، أو يُشرب ماؤها، ويمكن تجفيفها وسحقها وعمل حساء منها.

٤- اللفت والملفوف: يحتويان على أملاح معدنية، وفيتامينات، وسكريات، وبروتين. ويمكن أكلهما نيئتين أو مطبوختين، ويمكن شرب عصيرهما. ويمكن أكل

أوراق اللفت الخضراء الطازجة مع السلطات.

٥- الهندباء الطازجة والبرية: تحتوي على كميات كبيرة من الفيتامينات، والعناصر والأملاح المعدنية، والأحماض الأمينية. ويمكن أكلها نيئةً، أو مطبوخةً.

أطعمة تفيد في زيادة الوزن وعلاج النحافة

١- **السكر والعسل**: والأفضل تناول عسل النحل، أو العسل الأسود، أو الفواكه، أو الزبيب بدل السكر الأبيض للأضرار التي يُسببها للكبد، والبنكرياس، والفم، والأسنان.

٢- **الحمص**: ذو قيمة غذائية كبيرة غير أنه عَسِر الهضم.

٣- **التمر**: والأفضل أكل التمر باللبن.

٤- **السمسم**: ذو قيمة غذائية عالية، ويعالج النحافة والهزال بشكل ملحوظٍ.

٥- **السعتر**: يؤكل مع الأطعمة اليومية، ويفيد في علاج عسر الهضم.

٦- **البازلاء**: غنية بالفيتامينات خاصة فيتامين (B)، وتفيد في علاج النحافة، وتزيد الوزن، إلا أن البازلاء الخضراء عسرة الهضم.

٧- **الكستناء**: يمكن أكلها مسلوقة أو مشوية، مع مراعاة مضغها جيدًا.

أطعمة مفيدة لعلاج السمنة وإنقاص الوزن

١- **الكمثرى**: حيث إنها غنية بالفيتامينات، والسكريات، والبوتاسيوم، وفقيرة بالبروتين مما يفيد كثيرًا في علاج السمنة والبدانة، وإنقاص الوزن الزائد.

ويُراعى أكلها فقط دون أي طعام آخر، وذلك لمدة أسبوع، وتوقف لمدة أسبوع آخر، وهكذا حتى يتم إنقاص الوزن بالقدر المطلوب.

٢- **الشمام**: يفيد أكل الشمام وشرب عصيره في إنقاص الوزن وعلاج السمنة نظرًا لاحتوائه على فيتامينات عدة، ويمكن استخدامه كوجبة غذائية كاملة.

٣- **الجزر**: نظرًا لغناه بالفيتامينات والأملاح المفيدة للجسم، مع نفعهما كثيرًا في إنقاص الوزن وعلاج السمنة.

٤- **الكوسا**: قليلة القيمة الغذائية، ومفيدة في علاج السمنة وإنقاص الوزن.

٥- **الخرشوف والباذنجان**: كلاهما ذو قيمة غذائية قليلة، ويفيدان في علاج السمنة، غير أن الباذنجان عَسِر الهضم، ولا ينصح به للحوامل والذين يعانون من عسر الهضم.

٦- اللفت: قيمته الغذائية قليلة ويفيد في إنقاص الوزن غير أنه عسر الهضم ومدرٌّ للبول.

أطعمة تقوي النظر

١- الجزر: نظرًا لغناه بفيتامين (A)، لذا فإن أكله أو شرب عصيره عدة مرات يوميًّا يُقوِّي النظر.

٢- التمر: يفيد أكل التمر كثيرًا في تقوية النظر، إلا أن الأفضل أن يؤكل مع اللبن ليحصل فائدة أكبر. كما يفيد أكله في الوقاية من العشى الليلي، وينفع عند جحوظ العينين.

٣- البقدونس: نظرًا لاحتوائه على فيتامين (A)، (C) والحديد، والكالسيوم، والفوسفور، ويفضل أكله غضًّا طريًّا مع السلطات والأطعمة اليومية.

٤- البصل: نظرًا لغناه بفيتامين (A)، (C) والحديد، والفوسفور، والكالسيوم، لذا فإن أكله عدة مرات يوميًّا يُفيد كثيرًا في تقوية النظر، وتحسين الرؤية.

أطعمة مفيدة لأصحاب الضغط المرتفع

١- البرتقال: يفيد أكل البرتقال يوميًّا في خفض ضغط الدم. ويحذر أكل البرتقال لمن يعانون من القرصة المعدية، أو الاثنا عشرية، أو التهابات المعدة أو الحموضة.

٢- العنب: يفيد تناول العنب (أو عصيره الطازج أو الزبيب) يوميًّا على خفض ضغط الدم، ويمكن الاكتفاء به كغذاء يومي، لكن يحذر من الإفراط فيه لمن يعانون من البدانة والسمنة.

٣- التفاح: فوائده:

١- يحتوي التفاح على مادة البكتين التي تساعد في خفض نسبة الكوليسترول بالدم وبالتالي الحماية من مرض تصلب الشرايين.

٢- يخفِّض ضغط الدم.

٣- ينشط القلب والدورة الدموية.

٤- يوصي الأطباء الروس بتناول التفاح يوميًّا؛ لأنه يعمل على الوقاية من تصلب الشرايين وارتفاع الكوليسترول في الدم، كما يعمل على تنشيط الدورة الدموية.

٥- ويُنصح بأكل كيلو جرام يوميًّا من التفاح لخفض الضغط الدموي إلى مستواه الطبيعي، والوقاية من مخاطر الضغط المرتفع.

٤- فول الصويا: ويحتوي على:

١- بروتينات، ومواد دهنية، وسكريات.

٢- فيتامينات: A & B_1 & B_2 & H.

٣- أملاح معدنية: كالكالسيوم، والبوتاسيوم، والحديد، والفوسفور.

أطعمة وعادات ضارة لمرضى الضغط المرتفع

١- الإكثار من تناول اللحوم: ويمثل ذلك ضررًا على الكلية.

٢- الإكثار من المواد الدهنية، والنشوية، والسكريات؛ مما يؤدي إلى السمنة وزيادة الوزن، وبالتالي إلى احتمالية الإصابة بالضغط المرتفع، وإلى عدم انضباط الضغط عند معدله الطبيعي.

٣- الأملاح والتوابل والمخللات: التي تزيد من ارتفاع ضغط الدم.

٤- الشاي والقهوة: مما يؤدي إلى إثارة الجهاز العصبي، ويعمل على ارتفاع ضغط الدم، وخفقان القلب.

٥- العرقسوس: الذي يؤدي إلى ارتفاع الضغط الدموي.

٦- التدخين: سواءً أكان مدخنًا، أم مجالسًا لمن يدخنون.

٧- ملء المعدة بالطعام والشراب.

أطعمة مفيدة لعلاج الإمساك

١- السبانخ والملوخية: تحتوي النبتتان على أملاح المنجنيز، ولهما تأثيرٌ معروف لتليين المعدة وعلاج الإمساك لذا يُنصح بأكلهما مطبوخين. ويحذر من أكلهم أولئك الذين يعانون من أمراض الكلى.

٢- العنب: وذلك بأكل حوالي ربع كيلو عنب على الريق صباحًا (قبل الطعام بساعتين) مع عدم أكل أي شيء آخر مع العنب صباحًا، ويمكن أن يشرب المريض عصير العنب الطازج (فور عصره) على الريق أيضًا (قبل الطعام بساعتين) بنفس الكم السابق.

٣- الشَّمام والبطيخ: يُنصح بأكل البطيخ الأحمر والأصفر (الشمام) صباح كل يوم على الريق، أو شرب عصير البطيخ أو الشمام فإن لهما تأثيرًا مليِّنًا قويًّا ويستمر على ذلك يوميًّا حتى الشفاء التام -بإذن الله تعالى.

٤- التوت: يُنصح بأكل التوت صباحًا على الريق (قبل الأكل بساعتين)، ويستمر على ذلك بصفة يومية حتى يتم علاج الإمساك. ويلاحظ أن التوت بجميع أنواعه له تأثير مليِّنٌ على المعدة.

صباحًا (قبل الأكل بساعة)، ويستمر على ذلك يوميًّا حتى الشفاء التام بإذن الله تعالى.

٦- التفاح: وذلك بأكل تفاحة صباحًا على الريق (دون تقشير) فإن له مفعولًا مُلَيِّنًا للمعدة إذا ما أُكل صباحًا على الريق، ويكرر ذلك يوميًّا حتى يُشفى المريض من الإمساك بإذن الله.

٧- التين: يُنصح بأكل التين الطازج صباحًا على الريق بمقدار (٨- ١٠) ثمرات من ثمار التين الطازج. ويمكن أن يستعمل التين اليابس إن تم نقع الثمرات في كوب من الحليب الطازج (ويفضل أن يُضاف إليه حبات من العنب الطازج، ثم يُرفع المزيج على نارٍ هادئة حتى ينضج التينُ تمامًا مع العنب، ثم يُحلى بالعسل، ويشرب اللبن، ويؤكل التين والعنب، وذلك صباحًا على الريق، ويكرر ذلك يوميًّا حتى يُشفى المريض من الإمساك بإذن الله.

٨- الإجاص (البرقوق): وذلك بأكل عدة ثمرات من ثمار البرقوق الطازج على الريق صباحًا (مع عدم الإفراط في أكله حتى لا يُصاب المريضُ بالإسهال).

ويمكن نقع عدة ثمرات من ثمار البرقوق المجفف في الماء لمدة (١٠- ١٢) ساعة، ثم رفعها على النار حتى النضج التام، ثم أكل البرقوق بعد نضجه وشُرب مائه على الريق صباحًا، ويكرر هذا العمل حتى يتم شفاءُ المريض من الإمساك بإذن الله تعالى.

أطعمة ضارة للذين يعانون من عسر الهضم

أطعمةٌ عسرةُ الهضم

١ - الخيار والجزر.

٢- اللفت: وهو من أشد الأطعمة المسببة للرياح والغازات، والمولدة للانتفاخ إضافة إلى أنه عسر الهضم.

٣- الملفوف: رغم أن له فوائد جمة ومنافع عدة، غير أنه عسر الهضم، لذا يُحذر منه أولئك الذين يعانون من عسر الهضم والانتفاخ والغازات.

٤- لحم الدجاج: خاصةً المطبوخ بالماء (المرقة)، أو مع الحمص، أو مع عيش الغراب، لذا يُنصح أولئك الذين يعانون من عُسر الهضم بتناول لحم الدجاج المشوي فقط (وبدون الجلد).

٥- البصل: خاصةً أكل البصل نيئًا، إلى أن أكل البصل مسلوقًا أو مشويًا يساعد على الهضم ويطرد الغازات.

٦- عيش الغراب: رغم ما له من فوائد كبيرة إلا أن جميع أنواعه عسرةُ الهضم، ويُحذر كثيرًا من أكل عيش الغراب نيئًا غير مطبوخ؛ لأن ذلك يُسبب عُسرًا للهضم بصورةٍ أكبر، وينبغي الحذر من أنواع عيش الغراب السامَّة، حيث إنها قاتلة.

٧- الشوندر (الشمندر) المسلوق بالماء.

٨- البندورة: سواء أكانت نيئةً، أم مطهية.

٩- المكسرات (اللوز - الجوز - البندق - الفستق -...).

١٠- التوابل (خاصةً الحريفة).

أطعمة مفيدة لمرضى قرحة المعدة:

١- اللبن الطازج: حيث تعادل قلوية اللبن حموضة المعدة، وبذا يتخلص المريض من التأثير السلبي لحمض الهيدروكلوريك المعدي على جدار المعدة الملتهبة.

٢- عسل النحل.

٣- الخيار الطازج.

أشربة وأطعمة ضارة بمرضى قرحة المعدة:

١- عصائر الفواكه الحامضة: كالليمون، والبرتقال.

٢- البندورة.
٣- البصل (خاصة البصل النيئ).
٤- المكسرات (كالجوز، واللوز، ...).
٥- التوابل (خاصة الحريفة كالشطة والفلفل الأسود، ...).
٦- المخللات.
٧- كل الأطعمة الحارة والحريفة.
٨- كل الأطعمة الشديدة الحرارة، أو الشديدة البرودة.
٩- الشاي والقهوة والتدخين.

أطعمةٌ مفيدة لمرضى تضخم الغدة الدرقية Hypothyroidism

١- الفريز (الفراولة): نظرًا لاحتوائها على كمية كبيرة من اليود.
٢- اللوز: مع مراعاة مضغة جيدًا، وعدم الإفراط في تناوله.
٣- الحمص.
٤- الجزر: يؤكل طازجًا، أو يُشرب عصيره.
٥- السبانخ: تؤكل خضراء طازجة (مع السلطات)، أو مطبوخة.
٦- اللفت: خاصةً أوراق اللفت.

أطعمة ضارة بمرضى تخضم الغدة الدرقية:

١- الجرجير.
٢- القنبيط.
٣- الملفوف.

أطعمة مفيدة في علاج الكساح والوقاية منه:

التين: نظرًا لغناه بالكالسيوم والفوسفور. يؤكل منه ¼ كجم يوميًّا.

الزيتون: غنيٌّ أيضًا بالكالسيوم والفوسفور. ويفيد أكله كثيرًا في علاج الكساح. وينصح بدهان أرجل الأطفال بزيت الزيتون صباحًا مع تعريضها للشمس لمدة ساعة يوميًّا.

الجوز: غنيٌّ بالكالسيوم والعديد من الفيتامينات. يمكن أن تُضاف كمية من أوراق الجوز إلى لتر ماء، ويُغلى على النار لمدة (١٠- ١٥) دقيقة، ثم يشرب منه كوبًا دافئًا (٢-

٣) مرات يوميًا.

القمح: غني بالكالسيوم والفوسفور وفيتامين (د)، وأفضل أكله، هو أكل مستنبت القمح بمقدار (٥٠- ١٠٠) جم يوميًا.

الملفوف: غني أيضًا بالكالسيوم والفوسفور وفيتامين (د)، ويؤكل نيئًا، طازجًا مع السلطات، ويفضل عصره وشرب كوب صباحًا ومساءً من عصيره يوميًا.

أطعمة مفيدة لمرضى الروماتيز والمفاصل والنقرس

١- العسل (مع شمعه) يفيد كثيرًا في علاج تصلب المفاصل.

٢- التفاح: يؤكل بمعدل (١) كجم يوميًا لمدة (٤) أسابيع متتالية مع الاعتدال في تناول وجبات الطعام.

٣- البطيخ: يؤكل باعتدال بين وجبات الطعام، وليس بعد الطعام.

٤- البنادورة: هامة في إذابة أملاح اليورات وحامض البوليك، وكذلك مفيدة جدًا لمرضى الحصوات البولية والتهابات الكلية، ويفضل أكلها طازجة (بقشرها ولبها وبذورها) ناضجة ويمكن عصرها، وشرب كوب صغير (٣- ٤) مرات يوميًا لمدة أسبوعين (لا ينصح بها لمن دون الخامسة من العمر).

٥- البصل: يؤكل يوميًا بصلة متوسطة الحجم نيئة، ويمكن تناول عصير بصلة متوسطة الحجم بعد مزجه بالماء، ويُشرب صباحًا ومساءً (بعد تحضيره مباشرة) ويستمر العلاج لمدة أسبوعين.

٦- الكراث: يمكن تناوله مع وجبات الطعام اليومية.

أطعمة ضارة بمرضى الروماتيزم والمفاصل والنقرس

١- اللحوم (خاصة اللحوم الحمراء، ولحم البط والأوز).

٢- الكلى والكبد والطحال والنخاع.

٣- البقول (كالعدس، واللوبيا، والفاصوليا، والحمص، ..).

٤- السبانخ (الإسفاناخ) (لاحتوائها على عدة أحماض ومواد آزوتية ضارة).

٥- الخرشوف.

٦- البقلة الطازجة أو المطهية.

مشروبات مفيدة للجنس

١- النعناع: تُضاف ملعقة من أوراق النعناع اليابسة إلى كوب من الماء بدرجة الغليان، ثم يترك (٥) دقائق (ليتخمر) ثم يُصفَّى ويُحلى بعسل النحل أو السكر، ثم يُشرب كوب (٢- ٣) مرات يوميًّا.

٢- الينسون: يُشرب كوب من مغلي الينسون (٢- ٣) مرات يوميًّا، وقد صرح الطبيب ديسقوريدس بفائدته الكبيرة في تقوية الباه.

٣- العرقسوس: يشرب كوب من العرق سوس (٢- ٣) مرات يوميًّا، ويحذر شرب ذوي الضغط المرتفع للعرقسوس؛ لأنه يؤدي إلى ارتفاع الضغط الدموي.

٤- عصير الأناناس: يحتوي الأناناس على: أ-فيتامينات (A - B - C) وغيرها.

ب-الأملاح المعدنية (كالحديد، والفوسفور، والكبريت، والكالسيوم، واليود، والماغنسيوم، وغيرها). ج-مواد سكرية.

يُنصح بشُرب كوب من عصير الأناناس (٢- ٣) مرات يوميًّا مما يزيد من الباه والمقدرة الجنسية.

مأكولات مفيدة للجنس

١- البقدونس: ينشط الحالة الجنسية عند الجنسين، كما ينشط عمل الجهاز العصبي.

٢- الفول السوداني: يحتوي على فيتامين (H)، ويُعدُّ من الأطعمة المُنشِّطة للجنس عند الرجال.

٣- البندق: يحتوي على أملاح معدنية كالكالسيوم، والفوسفور وغيرها، وينشط الجهاز العصبي ويُقوِّي المقدرة الجنسية عند الجنسين.

٤- الفستق: يحتوي على أملاح معدنية كالفوسفور والكالسيوم، كما يحتوي على فيتامينات، ينشط ويُقوِّي الحالة الجسنية عند الجنسين.

٥- الكزبرة: يفيد أكلها، وشرب المغلي من بذورها في زيادة المقدرة الجنسية، ويزيد كمية المني عند الرجال، يحضر مغلي بذور الكزبرة: بإضافة معلقة من بذور الكزبرة المجففة إلى كوب من الماء بدرجة الغليان، ثم يترك (١٠) دقائق (ليتخمر) ثم يُصفَّى ويُحلَّى بعسل النحل أو السكر، ويُشرَب كوب واحد كل يوم، وكان الطبيب ديستوريدس ينصح به.

٦- السمسم: قال الطبيب ابنُ سينا: إن شرب مغلي السمسم مع بذر الكتان بنسبٍ متساوية يزيد من القوة الجنسية، ومن المادة المنوية.

٧- **الكمأة**: الكمأة غنيةٌ بالفسفور والكالسيوم وغيرها، ومجموعة من الفيتامينات، وينصح بأكل الكمأة بعد طبخها جيدًا، ويحذر من أكلها لمن يعانون بعُسر الهضم.

٨- **الحمص**: ينشط ويزيد من المقدرة الجنسية، كما ينشط الجهاز العصبي.

٩- **البصل**: نصح الطبيب ابن ماسويه مرضاه بأكل البصل مسلوقًا بالماء فقط لتقوية الحالة الجنسية، وإثارة الشهوة، ويُنصح بأكل بصلة واحدة يوميًّا (مع تقطيعها مباشرةً قبل الأكل)، ويمكن أن يُتبع أكل البصل بأكل بعض البقدونس أو النعناع، لإزالة رائحة البصل الكريهة.

١٠- **الثوم**: أكل الثوم نيئًا يُقوِّي الجهاز العصبي ويحسن المقدرة الجنسية، ويمكن أكل البقدونس أو النعناع بعده للتخلص من الرائحة الكريهة.

١١- **الكراث**: نصح به كثيرٌ من الأطباء كابن سينا والرازي وديسقوريدس، لما له من أثرٍ كبيرٍ في تقوية الشهوة.

١٢- **الجينسنج**: يفيد في زيادة النشاط والحيوية، ويُستعمل كمقوٍ عام للجسم، كما يُقوِّي ويُحسن من المقدرة الجنسية، يُغلى بذور الجينسنج ساعتين أو ثلاثة في الماء، ثم يؤخذ منه مقدار كوب صباحًا (على الريق) وآخر مساءً (قبل النوم)، يحذر من الإفراط من شرب مغلي جذور الجينسنج لضرره، يوجد الآن الجينسنج بالصيدليات مع المقوِّيات العامة، ويوجد وحده في صورة أقراص وكبسولات.

مشروبات ومأكولات ضارةٌ بالجنس

١- **شراب التمر الهندي**: يُقلل من الرغبة الجنسية كذا يُقلل من المقدرة الجنسية، فهو يجمع بين ضررين في آنٍ واحد، فليحذر الشاربون.

٢- **شرب الخل**: يضر ويضعف القدرة الجسنية.

٣- **زيت القطن**: يحتوي زيت القطن (كزيت زمزم المباع حاليًا في المحلات والسوبر ماركت، على مادة الجوسبول **Gospol**، تُسبِّبُ العنة (العجز الجنسي عند الرجال).

٤- **البازلاء**: يضرُّ أكلُ البازلاء بالمقدرة الجنسية عند النساء، كما يضرُّ أكلها بالحمل، لذا تُنصح الحاملُ بالإقلال من أكلها كثيرًا.

٥- **الطرخون**: يضعف المقدرة الجنسية، ويضرُّ بالباه.

وختامًا

يا معشرَ الإخوانِ يا أهلَ النُّهى ... هذه نصيحةُ صادقٍ معوان

أوصيكم فيها بأن تتمسكوا ... بالسُّنَّةِ الغرَّاء والقرآنِ

فيها النجاةُ لمن تمسَّك واهتدى ... من شَرِّ فتنةِ آخرِ الأزمان

هذه رسالتي قد أكملتُها ... هبةً وتوفيقًا من الرحمن

إن كنتُ قد وُفقت في تأليفها ... فالفضل والإنعامُ للمنَّانِ

أو كنتُ قد أخطأتُ فهي عثرةٌ ... مني وتوهيمٌ لضعفِ جنابي

أرجو من الربِّ الرحيمِ إقالتي ... والعفوَ عن زللي وعن نسياني

إني قصدتُ النُّصحَ دون شماتةٍ ... أو عيبِ شخصٍ ذلَّ في عصيان

فالله أسأله الثباتَ على الهدى ... والعفوَ يومَ شهادةِ الأركان

حتى نفوزَ بجنةِ المأوى مع ... خير البريةِ صاحبِ القرآنِ

في جنةٍ طابت وطاب نعيمُها ... فهي جنةُ الفردوسِ خيرُ جنان

بجوار ربِّ العالمين وحزبِه ... أعلى جنانِ الخلدِ والرضوان

يا رب حَقِّقْ ما سألتُ بفضلك ... أنت الذي تُعطي بلا حسبان

فلك المحامدُ والمدائحُ كلُّها ... أبدًا بلا عَدٍّ ولا حُسبان

فلقد مننتَ عليَّ في رسالتي ... حتى تكامل تأليفها ببيان

والله لو ما كان منك معونةٌ ... ما كان في وُسعي ولا حسباني

فالحمدُ لله على إكمالها ... حمدًا بكل جوارحي وجناني

وختامًا صلواتُ ربي دائمًا ... وسلامُهُ دومًا على العدنان

والآلِ والصحبِ الكرامِ ... والتابعين لهم مدى الأزمان

أهم المراجع

القرآن وعلومه وكتب التفسير

١ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي.

٢ - المعجم الموضوعي للقرآن الكريم.

٣- تفسير الطبري، لابن جرير الطبري.

٤ - تفسر القرطبي، للإمام القرطبي.

٥ - تفسير ابن كثير، للحافظ ابن كثير.

٦ - تفسير أضواء البيان، للشنقيطي.

٧- بصائر ذوي التمييز بلطائف الكتاب العزيز للفيروزأبادي.

٨- مفاتيح الغيب للفخر الرازي.

٩ - تفسير البحر المحيط لأبي حيان التوحيدي.

١٠ - بدائع التفسير لابن القيم.

١١ - تيسير الكريم المنان، لعبد الرحمن ناصر السعدي.

١٢ - في ظلال القرآن، لسيد قطب.

١٣ - نظم الدرر للبقاعي.

١٤ - أحكام القرآن، لابن العربي.

١٥ - الكشاف للزمخشري.

١٦ - التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم الغرناطي.

الحديث وكتبه

١ - اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان.

٢ - صحيح البخاري للإمام البخاري.

٣- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني.

٤ - صحيح مسلم للإمام مسلم.

٥ - شرح مسلم للنووي.

٦- صحيح الترمذي للألباني.
٧- صحيح النسائي للألباني.
٨- صحيح أبي داود للألباني.
٩- صحيح ابن ماجه للألباني.
١٠- صحيح ابن خزيمة، تحقيق مصطفى الأعظمي والألباني.
١١- صحيح الترغيب والترهيب للألباني.
١٢- صحيح الجامع الصغير للألباني.
١٣- السلسلة الصحيحة للألباني.
١٤- مشكاة المصابيح للألباني.
١٥- فيض القدير للمناوي.
١٦- مسند أحمد بن حنبل بتحقيق أحمد شاكر.
١٧- إرواء الغليل للألباني.
١٨- شرح السنة للبغوي، تحقيق الأرناؤوط.
١٩- المستدرك للحاكم.
٢٠- السُّنن الكبرى للبيهقي.
٢١- المعجم الكبير والأوسط والصغير، للطبري.
٢٢- المصنف لعبد الرزاق الصنعاني.
٢٣- المصنف لابن أبي شيبة.
٢٤- صحيح الأدب المفرد للألباني.
٢٥- جامع الأصول لابن الأثير.
٢٦- الجامع لشعب الإيمان، للبيهقي.
٢٧- الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي.
٢٨- الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي.
٢٩- تذكرة الحفاظ للذهبي.
٣٠- وفيات الأعيان، لابن خلكان.

٣١- أخبار أصبهان، لأبي نعيم الأصبهاني.
٣٢- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي.
٣٣- تدريب الراوي للسيوطي.
٣٤- المستجاد من فعلات الأجواد.

كتب العقيدة

١- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، تحقيق الألباني.
٢- فتح المجيد، شرح كتاب التوحيد بتعليقات ابن باز.
٣- القول السديد - شرح كتاب التوحيد، للسعدي.
٤- التنبيهات اللطيفة للسعدي.
٥- شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين.
٦- رسائل العقيدة - لابن باز.
٧- الإيمان لابن تيمية.
٨- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية.
٩- معارج القبول.
١٠- الاعتصام للشاطبي.
١١- شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي.
١٢- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة.
١٣- شرح السنة للبربهاري.
١٤- إظهار الحق، رحمة الله الهندي.
١٥- الشريعة للآجري.

كتب الفقه

١- مجموع فتاوى ابن تيمية.
٢- المغنى لابن قدامة.
٣- الأم للشافعي.

٤- نيل الأوطار، للشوكاني.
٥- المجموع للنووي.
٦- فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء بالسعودية.
٧- فتاوى ابن باز.
٨- الملخص الفقهي للفوزان.
٩- العدة شرح العمدة لبهاء الدين المقدسي.
١٠- منار السبيل لابن ضويان.
١١- فتح القدير لابن الهمام.
١٢- الموافقات للشاطبي.
١٣- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير.
١٤- الروض الباسم لابن الوزير.
١٥- منتهى الإرادات لابن النجار.

كتب التاريخ والسير

١- سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي.
٢- حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني.
٣- صفة الصفوة لابن الجوزي.
٤- تاريخ دمشق لابن عساكر.
٥- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي.
٦- تاريخ الإسلام للذهبي.
٧- البداية والنهاية لابن كثير.
٨- الطبقات الكبرى لابن سعد.
٩- أخبار القضاة لوكيع.
١٠- طبقات الحنابلة لأبي يعلى الحنبلي.
١١- تاريخ التراث العربي لفؤاد سركين.
١٢- إنباء الغمر لابن حجر.

١٣- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر.
١٤- النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة.
١٥- تاريخ الخلفاء للسيوطي.
١٦- تاريخ الطبري لابن جرير الطبري.
١٧- تاريخ قضاة الأندلس.
١٨- فتوح البلدان للبلاذري.
١٩- فتوح الشام للأزدي.
٢٠- فتوح مصر لابن عبد الحكم.
٢١- أسد الغابة.
٢٢- صور من حياة الصحابة.
٢٣- الروض الأنف للسهيلي.

كتب الزهد والرقائق

١- التبصرة لابن الجوزي.
٢- المدهش لابن الجوزي.
٣- مقامات ابن الجوزي.
٤- اللطف في الوعظ لابن الجوزي.
٥- صيد الخاطر لابن الجوزي.
٦- تلبيس إبليس لابن الجوزي.
٧- القصاص لابن الجوزي.
٨- الثبات عند الممات لابن الجوزي.
٩- مدارج السالكين لابن القيم.
١٠- إغاثة اللهفان لابن القيم.
١١- مفتاح دار السعادة لابن القيم.
١٢- الفوائد لابن القيم.

١٣- زاد المعاد لابن القيم.
١٤- الوابل الصيب لابن القيم.
١٥- طريق الهجرتين.
١٦- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم.
١٧- لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي.
١٨- الزهد لوكيع.
١٩- الزهد لأحمد بن حنبل.
٢٠- الزهد للبيهقي.
٢١- الزهد لابن المبارك.
٢٢- الزهد لهناد بن السرى.
٢٣- بستان العارفين للنووي.
٢٤- الآداب الشرعية لابن مفلح.
٢٥- فضل العلم لمحمد سعيد سلامة.
٢٦- جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر.
٢٧- أخلاق السلف في العلم والتعلم د. أحمد مصطفى.
٢٨- كتاب العلم لابن عثيمين.
٢٩- المروءة وخوارمها، مشهور حسن سلمان.
٣٠- الوقت عمار أو دمار، لجاسم المطواع.
٣١- دلائل النبوة، لأبي نعيم الأصبهاني.
٣٢- إحياء علوم الدين لأبي حامد.
٣٣- مكارم الأخلاق للخرائطي.
٣٤- تنبيه المغترين للشعراني.
٣٥- لباب الآداب للأمير أسامة بن منقذ.
٣٦- مكارم الأخلاق، لابن أبي الدنيا.
٣٧- من أخلاق العلماء للشيخ محمد سليمان.

٣٨- من أخلاق السلف لعبد العزيز ناصر الجليل.
٣٩- بهجة المجالس وأنس المجالس لابن عبد البر.
٤٠- أدب الدنيا للماوردي.
٤١- روضة العقلاء لابن حبان.
٤٢- التوابين لابن قدامة.
٤٣- معالم في السلوك وتزكية النفوس، لعبد العزيز عبد اللطيف.
٤٤- الموسوعة الذهبية في القصص الوعظية، د. أحمد مصطفى.
٤٥- الموسوعة الذهبية في الأخلاق الإسلامية، د. أحمد مصطفى.
٤٦- المدهش في السجع والأشعار، د. أحمد مصطفى.

كتب اللغة

١- لسان العرب، لابن منظور.
٢- مختار الصحاح، للجوهري.
٣- تهذيب اللغة، للأزهري.
٤- البيان والتبيين، للجاحظ.
٥- مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني.
٦- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري.
٧- نزهة الأعين النواظر، لابن الجوزي.
٨- القاموس القويم للقرآن الكريم، لإبراهيم أحمد عبد الفتاح.

فهرس

الموضـــــــوع	صفحة

٥- التربية الاجتماعية

الموضوع	صفحة

الموضـــــــوع	صفحة

الموضـــــــــوع	صفحة

الموضـــــــــوع	صفحة

الموضـــــــوع	صفحة

الموضـــــوع	صفحة

الموضـــــوع	صفحة

الموضـــــــــوع	صفحة

٩- التربية النفسية

الموضـــوع	صفحة

الموضـــــــــوع | صفحة

١١- التربية الجنسية

الموضـــــــــوع	صفحة

الموضـــــــوع	صفحة

١٢- التربية الصحية

الموضوع	صفحة

الموضـــــــــوع	صفحة

الموضـــــــوع | صفحة

١٣- التربية الرياضية

١٤- التربية الغذائية

الموضـــــــوع	صفحة



هذا الكتاب

لقد جاء الإسلام بمنهاج شامل قويم في تربية النفوس، وتنشئة الأجيال، وتكوين الأمم وبناء الحضارات.

وظلت الأجيال المسلمة عبر القرون تستقي من معينه وتستضئ بنوره وتنتهج بنهجه في شتى صور التربية.

ولأن تربية الأبناء فرع من تربية الفرد الصالح لتكوين مجتمع مسلم متمسك بكتاب الله عزوجل وسنة رسولهﷺ قدمنا لك أخي القارئ هذا الكتاب الموسوم بـ

(الموسوعة الأم في تربية الأولاد في الإسلام)

ليعين الآباء والمربين ورجالات التربية والإصلاح لتحقيق هذا الهدف العظيم.

الناشر



القاهرة : ٢٣درب الأتراك ـ خلف الجامع الأزهر
ت : ٠٠٢٠٢٢٥١٤٣١٤١ ـ فاكس : ٠٠٢٠٢٢٥١١١٧٥٠